جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
كلية الآداب و العلوم الإنسانية - ظهر المهراز
UNIVERSITÉ SIDI MOHAMED BEN ABDELLAH DE FES
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines - Dhar El Mahraz

مركز دراسات الدكتوراه : الجماليات و علوم الانسان
تكوين الدكتوراه : التعابير والأشكال الرمزية
مختبر : الأبحاث المصطلحية والدراسات النصية
تخصص : اللغة العربية وآدابها

سُلوةُ المُحِبِّينَ وَالمُرِيدِينَ، وَنِكَايَةُ الحَاسِدِينَ وَالجَاحِدِينَ، فِي مَنَاقِبِ سَيِّدِي مَحَمَّدٍ ابْنِ الفَقِيهِ، أَحَدِ الأَفْرَادِ العَارِفِينَ

لأبي عبد الله محمد بن يخلف الأندلسي (ت 1162هـ)

دراســـة وتحقيـــق

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

إعداد الطالب:
عبد المجيد محجوبي
- ر. و. ط: 2626983334

إشراف الأستاذ:
الدكتور: خالد سقاط

السنة الجامعية:
1443 ـ 1444هـ
2021 ـ 2022م

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ

عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾

طه: [24-27]

إهـــداء

﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾

صدق الله العظيم

- إلى روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى أرواح آل بيته الطاهرين، وصحابته الغر الميامين رضي الله عنهم أجمعين.

- إلى أمي الحنون التي أعلا الله تعالى قدرها، بارك الله في عمرها وأمدها بالصحة والعافية آمين.

- إلى روح أبي أسكنه الله فسيح جناته، وشمله بواسع مغفرته، وللمسلمين آمين.

- إلى إخواني وأخواتي؛ في النسب والدين.

- إلى كل مسلم رضي بالله ربا وبالإسلام دينا، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.

- إلى من علموني العلم والأخلاق بهذه الكلية العامرة، أبقاها الله تعالى قبلة لكل طالب علم ومعرفة.

إلى كل هؤلاء؛ أهدي عصارة بحثي وثمرة فكري وجهدي.

والله أسأل العون والسداد وهو حسبي ونعم الهاد.

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد،

فإن شكر العباد وصيته عليه السلام حين قال: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله".

من هنا أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان وبخالص الاعتراف بالجميل:

* إلى فضيلة الأستاذ الدكتور: خالد سقاط لقبوله الإشراف على هذا العمل، فدلل صعابه، وأنار طريقه؛ رغم التزاماته وكثرة انشغالاته، فبارك الله له في نفسه وأهله، ووقته وأصلح ذريته.

* إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام؛ على تجشمهم عناء قراءة هذا العمل، وتصويبه، وتقويم اعوجاجه.

* والشكر موصول إلى عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز – فاس.

* وإلى باقي الأساتذة الأفاضل الذين نهلنا من علمهم، وكل من أسهم في إنجاز هذا العمل.

كشاف الرموز:

الرمز	دلالته
ر	رقم
تح	تحقيق
م ن	المصدر/ المرجع نفسه
م س	المصدر/ المرجع السابق
ط	طبعة
ص	صفحة
صص	أكثر من صفحة
/.../	لوحات المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق:

الحمد لله، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد. نحمده حمدا كثيرا على نعمه التي لا تحصى ولا تعد، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته. ونشكره على أن اصطفى عباده المتقين، وألهمهم العمل في طريق الهدى واليقين. والصلاة والسلام على من سن طريق التمكين، فصفت في محبته قلوب العارفين؛ سيدنا وحبيبنا، وقرة عيوننا محمد، وعلى آله، الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، وعلى من اقتفى أثرهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فالماضي عماد الحاضر والمستقبل، ولا يمكن لأمة أن تعيش مستقلة منقطعة الصلة عن ماضيها، ولا أن تحيى بمعزل عن تاريخها؛ حيث إن الماضي هو الذي ينير الطريق نحو المستقبل، لما يتضمنه من سر النهوض والتقدم.

لقد نوه الشارع الحكيم بالتراث الإنساني، وحث على التعلق به، مبينا ما يحمله من حكم وأسرار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾، يوسف: [111]. وقال عز من قال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾، هود: [119].

إن الأمة الإسلامية تحظى بخصوصيات كثيرة، في مختلف العلوم والآداب والفنون، والتي يمكن عدها من نعم الله تعالى عليها، تاركة خلفها تراثا ضخما، يقول عبد السلام هارون : "الذي آل إلينا من أسلافنا، صانعي الثقافة العربية الإسلامية، جدير بأن نقف أمامه وقفة الإكبار والإجلال، ثم نسمو برؤوسنا في اعتزاز وشعور صادق بالفخر والغبطة والكبرياء"[1].

[1]- تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط7، 1418هـ - 1997م، ص5.

وهو ما يعززه عبد المجيد دياب حين قال: "تراث كل أمة هو رصيدها الباقي، وذخيرتها الثابتة، ومدخرها المعبر عما كانت عليه من تقدم في كل مجالات الحضارة والثقافة. والأمم بماضيها قبل أن تكون بحاضرها، وفرق بين أمة لها موروث، وأمة لا موروثة لها. وما حرص الأمة العربية على تراثها؛ إلا لكي تعيش حاضرا موصولا بماض، ولكي تبني على هذا الماضي العتيد حاضرها الوطيد. والتراث – لا شك - هو وسيلتنا إلى هذا الوجود الحي، وللحفاظ على وجودنا أمة عربية"[1].

ولهذا، لا ينبغي الالتفات إلى كلام من لا يقدر عن خوض غمار تحقيق التراث ونشره؛ لأن كلامهم، إما ناتج عن حقد أو عن ضعف. ولا يركب شموخ جبل التحقيق إلا الأبطال، الذين يتحلون بالصبر والمصابرة والأمانة العلمية، وهو ما يؤكده رمضان عبد التواب بقوله: "لا يعرف الشوك إلا من يخوض هذا الميدان الصعب، ميدان تحقيق النصوص. ولقد ظن بعض أدعياء العلم، أن تحقيق النصوص ونشرها عمل هين سهل، وكان لكثرة الدخلاء على هذا الفن أثر في حكمهم هذا، وما درى هؤلاء أن المحقق الأمين قد يقضي ليلة كاملة في تصحيح كلمة أو إقامة عبارة، أو تخريج بيت من الشعر، أو البحث عن علم من الأعلام في كتب التراجم والطبقات"[2].

إن أجدادنا خلفت لنا تراثا أدبيا وعلميا ضخمين، ومعينا لا ينضب من العطاء الفكري، سواء في مجال النثر، أو الشعر أو النقد؛ مما أغرى الدارسين والأدباء، وكل شغوف بالتراث الأدبي العربي عامة، والمغربي منه على وجه الخصوص، بالبحث والتنقيب عن أصدافه ولآلئه.

إن مما أنعم الله به علي، حبي للعلم وأهله، ورغبتي الأكيدة في طلبه وتحصيله، ولقاء المهتمين به، فأكرمني بإنهاء رسالة الماستر، ويسر لي إكمال مسيرتي العلمية بالتسجيل في سلك الدكتوراه، والحصول على مخطوط في أدب المناقب، الموسوم بـ: سلوة المحبين والمريدين ونكاية الحاسدين والجاحدين في مناقب سيدي مَحمد ابن الفقيه أحد الأفراد العارفين، لأبي عبد الله محمد بن يخلف الأندلسي (ت1162هـ).

---

[1]- تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره، تأليف: عبد المجيد دياب، دار المعارف - القاهرة، (د.ت)، ص9.

[2]- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القهرة، ط1، 1406هـ - 1985م، ص4.

ومما هو معلوم، أن كتب مناقب الأولياء والصالحين تنتمي بدوها إلى المصادر الأساسية للبحث في التاريخ، خاصة منه تاريخ الذهنيات والفكر والثقافة، وهي بمثابة بوصلة تفيد الباحث والمؤرخ في التعرف على تطور الفكر والعقليات، وطرق الاستدلال والبرهنة في ذات الزمان والمكان.

إن كتاب السلوة هذا، يندرج ضمن الأدب المناقبي المغربي، الذي يعكس حالة فترة زمنية معينة، من جوانب مختلفة: دينية واجتماعية وسياسية ونفسية وثقافية؛ لأن: "ذكر العلماء وحكايات الصالحين واقتصاص أحوالهم، أنفع للنفس من مجرد الوعظ والتذكير بالقول [...]، ولأن الصالحين إذا ذكروا نزلت الرحمة وفيه عدة لكم، وأوثق عروة، وأقرب وسيلة في الدارين؛ لأنه إذا كان مجرد حب الأولياء ولاية، وثبت أن المرء مع من أحب، فكيف بمن زاد على مجرد المحبة بموالاة أولياء الله تعالى وعلمائه، وخدمتهم ظاهرا وباطنا بتسطير أحوالهم، ونشر محاسنهم؛ في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، نشرا يبقى على ممر الزمان، ويزرع المودة لهم والحب في قلوب المؤمنين..."[1].

ولله در القائل:

كرر علي حديثهم يا حادي +++ فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي

وقال آخر:

أحب الصالحين ولست منهم +++ لعلي أن أنال بهم شفاعه

وبناء على هذا الميل، وهذه الأهمية، تكونت لدي رغبة أكيدة، وحماس حار، وانشرح صدري لتحقيق هذا المخطوط ودراسته؛ وذلك للدوافع والأسباب، الذاتية والموضوعية، لتحقيق ذاك الغرض المنشود، والتمسك به والدفاع عنه، أشير إلى بعضها:

* شغفي بعلم التحقيق، لأنه علم جليل؛ يتعدى نفعه المحقق إلى غيره، ومحاولة مواصلة هذا المشوار الذي كانت بداياته منذ سلك الإجارة مرورا بسلك الماستر.

* حبي لمطالعة المخطوطات وما تزخر به من نفائس علمية، وأدبية، واجتماعية، وتاريخية.

* صلة الموضوع بتكويني الجامعي، وخصوصا علم السلوك (الأخلاق) أو التصوف.

* دافع الإسهام في إغناء المكتبة العربية عموما، والمغربية خصوصا بهذا العمل، وما يتضمنه من قضايا ومسائل.

---

[1]- البستان في ذكر الأولياء والعلماء من تلمسان، تأليف: الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد ابن مريم، عناية: الشيخ محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية - الجزائر، 1326 - 1908، ص5 - 6.

* الأهمية المصدرية التي يحظى بها الكتاب، حيث يعتبر من أوائل المصادر المدونة في مناقب شرفاء وزان وأخبارهم.

* إفادة القراء والباحثين والدارسين بمادة الكتاب، وما تضمه من علم وفكر وإبداع، في ثوب جديد، وحلة أنيقة بعدما كان عرضة للتلاشي والضياع.

* تنويه وتشجيع بعض الأساتذة الأفاضل بتحقيق هذا المخطوط ودراسته.

* الكشف عن عَلَمٍ مغمورٍ، لم يحظ باهتمام الدارسين؛ على الرغم من مكانته في اقراء القرآن الكريم، وتدريسه للقراءات القرآنية العشر.

هذا العمل يهدف إلى تحقيق جملة من المقاصد، نشير إلى بعضها في الآتي:

* خدمة التراث المغربي والعربي والإسلامي، ونشر العلم وتقريبه من الطلبة والباحثين والمهتمين.

* وضع ترجمة شاملة للمؤلف، والتعريف بالمؤلف.

* تحقيق ودراسة المخطوط.

* محاولة الكشف عن بعض الجوانب الغامضة، في الفترة التي دفعت إلى تأليف الكتاب؛ تاريخيا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا.

* صنع فهرسة عامة للكتاب.

أما عن الدراسات السابقة والقيمة العلمية للكتاب؛ فيمكن القول فيها من ناحيتين: ناحية الموضوع عموما، ثم ناحية الشخصية قيد التحقيق.

أولا: من ناحية الموضوع بشكل عام؛ فالأبحاث فيه كثيرة ومتعددة، ونعني بهذا المؤلفات في مناقب الرجال؛ كمناقب سيد المرسلين والصحابة والصالحين والعلماء، ...، إلا أن لهذا الموضوع خصوصيته، وما يميزه عنها، بشكل لافت وجلي.

ثانيا: من جهة الشخصية الرئيسة؛ فالأبحاث فيها تكاد تنعدم، إن لم نقل منعدمة، سوى إشارة للكتاب وأنه لابن يخلف؛ في مقال لها على شبكة المعلومات الإلكترونية لا غير؛ لهذا يبقى الكتاب مصدرا من المصادر المهمة، الذي أفادت منه كثير من المؤلفات الأخرى اللاحقة به، في توثيق معلوماتها؛ عربية وأجنبية، سواء حول الزاوية، أو شيوخها وتلامذتها، أو في مجال التاريخ والاجتماع

والأدب والثقافة والسلوك. نذكر من بينهم: محمد بن الطيب القادري(ت1187هـ)، في كتابه [نشر المثاني]، وحمدون الطاهري الجوطي (1191هـ)، من خلال كتابه: [تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان]، ومحمد بن علي الزبادي (1209هـ) في كتابه: [سلوك الطريق الوارية]، وأحمد ابن الحاج السلمي (ت تقدير 1214هـ)، في: [الدر المنتخب المستحسن]، ومحمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ) في: [سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس]، ومحمد بن الحسن الحجوي (ت1376هـ)، في: [طيب الأنفاس]، وغيرهم.

ولهذا جاءت هذه المحاولة تحقيقا ودراسة؛ لعلها تشفي العليل، أو تروي الغليل، كما أن لهذا العمل حدوده، حتى لا يزعم الإحاطة بكل جانب، ولا غرو في ذلك؛ لأن المخطوطات حمالة، وتزخر بالعديد من القضايا التي تجمع بين علوم وفنون شتى؛ كالتاريخ والاجتماع والاقتصاد والسياسة والدين والثقافة، فمؤلفات القدماء عبارة عن موسوعات، وحسبنا ما يتصل بمجال تخصصنا وتكويننا، وهذه الحدود ستظهر في موضعها.

لقد تم اعتماد منهج خاص لمقاربة هذا العمل، تآزرت فيه مجموعة من المناهج؛ لذلك انفتح على دراسات أدبية قديمة وحديثة، من قبيل المنهج التوثيقي - وهو الأساس - والوصفي والتحليلي والموضوعاتي والتاريخي وغيرها، فاستدعيت كل هذه المناهج لطبيعة العمل؛ ومن ثم اكتسب شرعيته في الاستفادة منها كلها.

هذا، وفي ضوء المنهج - المعتمد - تم بناء مشروع هذه الأطروحة على مقدمة، وقسمين، فخاتمة، ثم فهرسة فنية عامة، وثبت للمصادر والمراجع، ثم فهرس للموضوعات.

المقدمة: وتضمنت الحديث عن إشكالية الموضوع، وأهميته والدوافع المحفزة له، ثم أهدافه، وحدوده وعن الدراسات السابقة، ثم المنهج المعتمد في تناوله، ومنهجية الاشتغال به، ثم الصعوبات التي اعترضته، بالإضافة إلى المرجعية المستند إليها في مقاربته.

القسم الأول: ويهم جانب الدراسة، وفيه فصلان:

الفصل الأول: ويشمل التقديم؛ الذي وزع على مبحثين، المبحث الأول حدد لترجمة المؤلف: {شخصيته/ عصره}، في حين حصر المبحث الثاني للتعريف بالكتاب: {تحقيق عنوانه/ توثيق نسبته/ منهجه/ مصادره/ وصف نسختيه}.

الفصل الثاني: ويتناول المقومات الجمالية والفكرية للكتاب، وبدوره تم تقسيمه إلى مبحثين، المبحث الأول خاص بالمقومات الجمالية: {الحجاج وأساليبه الإقناعية}، والمبحث الثاني يهم المقومات الفكرية: {قضايا ومسائل عقدية، وفقهية}.

القسم الثاني: خاص بالنص المحقق، ولنا – هنا – وقفة مع المنهجية المتبعة فيه، حيث سلكت في ذلك؛ الخطوات الآتية:

- كتابة النص وفق الرسم الإملائي المتداول.
- اعتماد نسخة مخطوط مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز أصلا، ورمز لها بـ: (أ)، وقوبلت بنسخة مخطوط المكتبة الوطنية التي رمز لها بـ: (ب).
- ذكر الفروق بين النسختين في الهامش، مع وضعها بين قوسين ( ) في المتن، وبيان ما سقط من: (ب) وهو موجود في الأصل: (أ)، ويوضع بين نجمتين*...*، أو إلحاق الزيادة بـ: (أ) إذا كانت أصوب أو أرجح في: (ب)، ويوضع بين علامتي +...+، مع ذكر ذلك في الهامش.
- الإشارة إلى بداية كل لوحة بخطين مائلين / / ، وحصر الأدعية والأذكار بين خطين عموديين | |.
- تخريج الآيات القرآنية، بنسخها من المصحف الإلكتروني، ثم توثيقها؛ بذكر رقمها وسورتها ووضعها بين قوسين هلاليين مزهرين﴿ ﴾.
- تخريج الأحاديث النبوية، وتوثيقها؛ بذكر مصدرها وراويها، مع بيان درجتها ما أمكن، ووضعها بين علامتي< >.
- تخريج الأشعار والأزجال، وتوثيقها بردها لقائلها، وبيان وزن الفصيح منها.
- ترجمة الأعلام المغمورين، وكل الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن الفقيه، ولم يتم تعريف أغلب الأعلام الأخرين الذين نقل عنهم ابن يخلف مشافهة؛ لعدم وجود ترجمة لأغلبهم، وتم تسميتهم بالواردين.
- التعريف بالبلدان والأماكن، وبالأخص غير المعروفة أو المشهورة.
- التعريف بالمصطلحات الصوفية، ما أمكن ذلك.
- تقسيم النص إلى فقرات، وعنونة ما يحتاج إلى عنوان، ووضع عنوانه بين معقوفتين [ ].
- شكل الكلمات التي تؤول إلى أكثر من معنى، وتصحيح الأخطاء الإملائية بحسب الرسم المتداول، وحصر الأقوال بين علامتي التنصيص " ".

• جعل التعليقات والمناقشات بين لامتين { }، وتفصيل القول فيها، وذلك في قسم الدراسة ضمن القضايا العقدية والمسائل الفكرية؛ تخفيفا على الهامش.

• تذييل العمل **بفهرسة فنية عامة**، تشمل ما يلي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأشعار والأزجال.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصطلحات الصوفية.
- فهرس البلدان والأماكن.
- فهرس القبائل.
- فهرس الديانات والمذاهب، والفرق والطوائف.
- فهرس الكتب الواردة في الكتاب.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

الخاتمة: وفيها أهم الخلاصات والنتائج المتوصل إليها، وآفاق البحث. وفي النهاية ذيل البحث بوضع ثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

كما تم الاعتماد في نظم عقده على؛ مصادر ومراجع متعددة نهل منها، وعلى رأسها كتاب الله تعالى والصحيحين، كما نهل من مختلف الفنون والعلوم التي أبقاها القدماء والمحدثون، بما فيها معاجم اللغة والأدب والمصطلحات، والفكر، وغيرها.

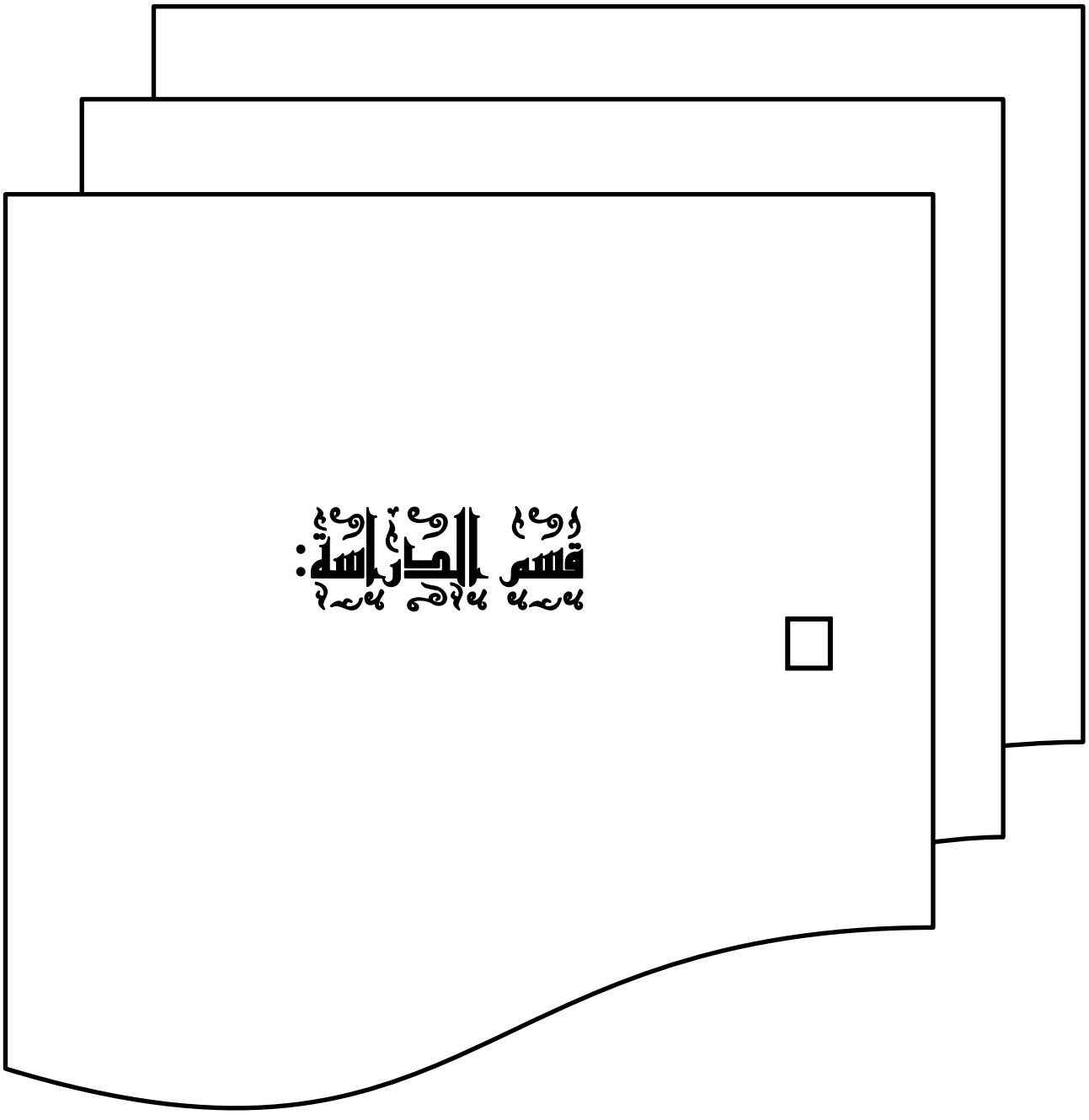
هذا؛ وككل عمل، لم يخل البحث من بعض العقبات، والصعوبات التي اعترضت سرعة تقدمه، كقلة الدراسات حول المؤلِّف، والمؤلَّف عنه، وبعض المسائل التي يعرفها أهل الاختصاص في علم التحقيق، بالإضافة إلى توظيف المؤلف ابن يخلف مجموعة من الكلمات والعبارات باللسان الدارج المغربي بمنطقة الشمال، والذي يبعد عما يسود عندنا في منطقة الجنوب الشرقي التي عشت فيها، بحيث تتداول عندنا كلمات وعبارات مختلفة عنها؛ مما جعلني أفصح في كثير من الأحيان ذلك

الدارج عند وضع العلامات الإعرابية للكلمات الواردة عنده في النص، بالرغم من أنها باللسان الدارج في المخطوط. وقد يؤدي ذلك إلى بعض الأخطاء النحوية غير المقصودة. إلا أن لكل هذه الصعوبات طعمها وحلاوتها، فبدونها لا قيمة لهذا العمل، ولا متعة فيه، ولا لغيره.

وختاما فإن هذا العمل؛ لا يزعم الإحاطة بكل جانب، أو السلامة من كل نقص، أوالقصور؛ فكرا ولغة، أو تحقيقا ودراسة، أو علما ومنهجا، ولكن حسبه ما توصل إليه، فالكمال لكتاب الله تعالى وحده، ثم لحديث نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعلى آله.

فما كان فيه من صواب، فمن الله وفضله، ومن تدخل الأستاذ المشرف وتوجيهاته، وما كان فيه من نقص أو أخطإ، فمني ومن تقصيري، وإني لأبرأ من حولي وقوتي، إلى حول وقوة من عليه توكلي واعتمادي، في كل أموري.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾، النمل: [19].


قسم الدراسة:

الفصل الأول: ترجمة المؤلف

والتعريف بالكتاب

المبحث الأول: ترجمة المؤلف[1]، وعصره

المطلب الأول: شخصيته

الفرع الأول: اسمه ونسبه وعلمه

هو أبو محمد سيدي عبد الله بن محمد؛ المدعو: ابن يخلف، الأنصاري نسبا، الأندلسي أصلا، الفاسي دارا ومنشأ. العلامة الفقيه الأجل، الإمام المقرئ المجود الأفضل، الأستاذ الجامع الأكمل، السني الواعظ الأحفل، الصوفي الصالح البركة.

كان – رحمه الله – من أئمة الوقت، المعتمدين في علم القراءات، مرجوعا إليه في علم القراءات العشر، وكان لقراءته حلاوة، وعليها طلاوة، المؤدب، كثير الصمت، حسن السمت، كريم الأخلاق، ذا حياء وهيبة وهمة، ووقار وسكينة، تعتريه الأحوال الربانية عند الذكر ونحوه، حدث عنه بكرامات، وخوارق عادات.

ولم تذكر المصادر ولا المراجع، التي عرفت به، شيئا عن سنة ميلاده.

---

[1]- بخصوص ما سنورده من معلومات حول المؤلف ينظر: **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تأليف محمد بن الطيب القادري (ت1187هـ)، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق، نشر وتوزيع مكتبة الطالب (منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر والتوزيع) - الرباط، ط1، 1407 - 1976، 67/4. و**التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، لمحمد بن الطيب القادري (ت 1187هـ - 1773م)، تح: هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط1، 1403هـ - 1983م، ص409. و**سلوك الطريق الوارية** في الشيخ والمريد والزاوية، لأبي عبد الله محمد المنالي الزبادي الفاسي (1209هـ)، تح: عبد الحي اليملاحي، سلسلة التراث والفكر بالمغرب (1) جمعية تطوان أسمير- تطوان، 1433هـ - 2012م، صص220-221-222-227-228. و**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، لأبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (1274 - 1345)، تح: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع - الدار البيضاء، ط1، 1425هـ - 2004م، 337/1. **وشجرة النور الزكية** في طبقات المالكية، تأليف: محمد بن محمد مخلوف (ت1941م)، المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة، 1349، ر: 1309، ص334. و**مؤرخو الشرفاء**، تأليف: لڤي بروڤانصال (ت1956م)، تعريب: عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر - الرباط، 1397 - 1977، ص221-222. و**دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، تأليف عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري (1400هـ)، ضبط واستدراك مكتبة البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1418هـ - 1997م، ص161. و**معجم المؤلفين** (تراجم مصنفي الكتب العربية)، تأليف: عمر رضا كحالة (ت1987م)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط1، 1414هـ - 1993م، 294/2. و**المصادر العربية لتاريخ المغرب** (من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث)، لمحمد المنوني (ت1420هـ)، 1404 - 1983، 170/1. و**موسوعة أعلام المغرب**، تنسيق محمد حجي (ت2003م)، نشر دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1، 1417هـ - 1996م، 2153/6.

الفرع الثاني: مهامه ووظائفه

كان يقرئ الصبيان بمكتب باب زنقة الجياد من حومة البليدة، ويؤم الناس في صلاة تراويح رمضان بمسجد مولانا إدريس، ويورق كتب الوعظ عند الفجر به أيضا، والتفسير بعد صلاة الصبح عند محراب القرويين، و"الحلية" بظهر صومعتها عند العصر، وتصدر لتلقي الشهادات بسماط عدول القرويين...

الفرع الثالث: شيوخه وتلامذته

أخذ علم القراءات عن العلامة الأستاذ البركة سيدي إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة الشريف الحسني الإدريسي، وطريقة التصوف عن الشيخ العارف بالله سيدي محمد ابن الفقيه، وبه تربى وتهذب، وتخلق وتأدب.

كما أخذ عنه خلق كثير من فاس وغيرها، وخصوصا في علم القراءات والإقراء، والتجويد والتفسير، والسوك...، وعلى رأسهم ابنه محمد بن عبد الله بن يخلف الفقيه الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، وصاحب كتاب سلوك الطريق الوارية؛ كما ذكر ذلك هو بنفسه في كتابه: "سلكت عليه، رحمه الله تعالى، بعضا من القرآن، واغتنمت منه بعض الدعوات، والتمسنا منه بعض البركات"[1]. هذا ولم يذكر المترجمون له عددا محددا لا لشيوخه، ولا لتلامذته؛ وإنما يذكرون عبارة دالة فقط كما نلمس ذلك من قولهم مثلا: "أخذ عنه خلق كثير".

الفرع الرابع: وفاته

توفي ابن يخلف لما لبى داعي ربه في سابع وعشرين من ذي القعدة سنة اثنين وستين ومائة وألف للهجرة (27- ذي القعدة - 1162)[2] الموافق (8 نونبر 1749م)، بزاوية سيدي محمد ابن الفقيه بعقبة العيون من عدوة فاس القرويين، وجعل عليه دربوز[3] وثياب رفيعة كعادة ضرائح الأولياء رحمه الله تعالى.

---

[1]- سلوك الطريق الوارية، م س، ص227.

[2]- أرخ صاحب سلوك الطريق الوارية وفاة ابن يخلف بأواخر ذي الحجة 1163ه، ولعل الصواب ما ذهب إليه غيره خصوصا من عاصره لمدة أطول كالقادري. كما أن صاحب الدليل أرخ لوفاته بسنة 1748، والأمر ليس كذلك كما عند غير واحد، ولعله وهم، كما وهم في ذكره أن الكتاب نسج في سبعة أبواب، وإنما هي ستة فقط مع مقدمة كما هو موجود في النسختين وعند من ذكر ستة أبواب فقط.

[3]- الإطار الخشبي الذي يعلو القبر.

المطلب الثاني: عصره[1]

على الرغم من عدم ذكر المصادر والمراجع – التي اطلعنا عليها – لولادة ابن يخلف؛ فذلك لا يمنع من تحديد فترتين بارزتين تزامنتا مع حياته، وهما: فترة من حكم السلطان مولاي إسماعيل، ومعظم زمن الاضطرابات والفتن بعد وفاته، أو ما يصطلح عليه بزمن (الفترة)؛ التي دامت ثلاثين سنة، وعليه يمكن القول بأن هذه المدة الزمنية المقدرة تميزت بأحوال وأوضاع سياسية وأخرى اجتماعية واقتصادية، وثالثة فكرية، نجليها بإيجاز في المحاور القادمة على الشكل الآتي:

الفرع الأول: الظروف السياسية

أولا: زمن المولى إسماعيل

عرفت حقبة حكم المولى إسماعيل؛ مناوشات داخلية وأخرى خارجية، إلا أن الحنكة السياسية الصارمة للسلطان مولاي إسماعيل، دفعت كل ذلك، وأبعدته؛ مما أدى إلى استقرار سياسي للبلاد، فعلى المستوى الداخلي قام بتصفية كل الثورات التي وقفت أمامه، وعلى المستوى الخارجي استعاد مجموعة من الثغور التي كانت بيد النصارى؛ لذلك استطاع تأسيس دولة قوية، بحيث" تمهدت له البلاد، ودان له قريبها وبعيدها، مع محاربات طويلة ومنازلات عديدة مع الثوار"[2]، وذلك استنادا لجيش قوي من العبيد يدعى: (جيش البخاري).

---

[1]- للتفصيل في الحديث عن هذا العصر، ينظر المصادر والمراجع الآتية: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، لمحيي الدين أبي محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (ت647هـ)، عناية: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة - القاهرة، ط1، 1368هـ - 1949م. **والأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، لأبي الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي (ت726هـ)، وقيل لأبي محمد صالح ابن عبد الحليم غرناطي، عناية: كارل يوحن تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، أوبسالة، 1833. **وروضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**، لمحمد الصغير اليفرني (ت1156هـ)، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية - الرباط، ط2، 1415 - 1995. و**نزهة الحادي لأخبار ملوك القرن الحادي**، لمحمد الصغير الإفراني (ت1156هـ)، تح: عبد اللطيف الشاذلي، الطبعة الأولى، 1419-1998. و**تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)**، لمحمد الضعيف الرباطي (1165 - 1233هـ)، تح: أحمد العماري، دار المأثورات - الرباط، ط1، 1406 - 1986. **والبستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف**، تأليف أبو القاسم الزياني (ت1249هـ)، تح: رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث - الريصاني. و**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** (الدولة العلوية)، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ)، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، 1418هـ - 1997م، ج7. **والحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**، لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي (ت1324هـ)، تح: إدريس بوهليلة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط، ط1، 2005، ج1. **والنبوغ المغربي في الأدب العربي**، تأليف: عبد الله كنون (ت1989م)، ج1-2-3. و**تاريخ الأدب العربي**: عصر الدول والإمارات (الجزائر - المغرب الأقصى - موريتانيا - السودان)، لشوق ضيف (ت2005م)، دار المعارف - القاهرة، ط10/1.. **والحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية**، لمحمد الأخضر (ت2005م)، دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء، ط1، 1977. و**المغرب عبر التاريخ**، لإبراهيم حركات (ت2020هـ)، دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء، ط2، 1415 - 1994، ج3. و**مجمل تاريخ المغرب**، لعبد الله العروي (ت2021هـ)، المركز الثقفي العربي - الدار البيضاء، ط2، 1996، ج3.

[2]- نزهة الحادي، م س، ص305.

وبهذا تمكن المولى إسماعيل من بسط نفوذه، وفرض سلطته داخليا وخارجيا؛ حتى دَخَلَتِ الناسَ الخشيةُ، وخيم عليهم الرعبُ، فلما "افتتح مراكش جاء أهلها كبارا وصغارا في روع كادوا أن يتمزقوا منه خوفا ورعبا، فأزال روعهم في الحين، حتى كاد أن يعانقهم ويبكي معهم"[1].

وعلى العموم فعهد السلطان مولاي إسماعيل، اتسم بالاستقرار السياسي في المغرب الأقصى، وهو ما أفضى إلى القول بأن: "عهد مولاي إسماعيل يمثل بحق أوج المجد السياسي"[2].

ثانيا: زمن (الفترة)

دخل المغرب خلال هذه المرحلة نوعا من التقلب وعدم الاستقرار، بوفاة السلطان مولاي إسماعيل، وتنافس أبنائه على العرش، وما أضفاه جيش العبيد من حدة هذا التوتر السياسي؛ الذي دام لمدة ثلاثين سنة، حيث "اضطربت فيها أمواج الفساد، وصار الشر هو دين العباد"[3]، فانهارت على إثر ذلك قوة الدولة، وعمت الفوضى والانقسام، واستولى جيش العبيد على دولة الحكم، فأصبحوا هم هل الحل والعقد، يعينون ويعزلون الأمراء حسب أهوائهم، فتنافس هؤلاء على الملك، وتصارعوا على الحكم، ونسفوا كل ما شيده والدهم المولى إسماعيل من أمجاد"[4]، وبَدَّلُوا أمن البلاد خوفا، وقوتها ضعفا، وعزها ذلا.

---

[1]- روضة التعريف، م س، ص78.
[2]- المغرب عبر التاريخ، م س، 32/3.
[3]- نزهة الحادي، م س، ص435.
[4]- تاريخ الدولة السعيدة، م س، ص103.

الفرع الثاني: الظروف الاجتماعية والاقتصادية

أولا: زمن المولى إسماعيل

تميز هذا العصر بالرخاء والازدهار الاقتصادي، والاستقرار الاجتماعي، فبعد وفاة "الرشيد سنة 1082هـ – 1672م، وخلفه أخوه إسماعيل؛ وهو من أعظم سلاطين العلويين، وطال حكمه نحو سبعة وخمسين عاما حتى سنة 1139هـ – 1727م، وكانت سنوات رخاء وخير وبركة للمغرب الأقصى"[1]. و"عم الهناء في أيام كثير من الضعفاء والأيتام"[2]. كما "أصدر ظهيرا بإلغاء المكوس في جميع أنحاء مملكته سنة 1107هـ"[3].

لكن سرعان ما عرفت الأوضاع تموجات اقتصادية بسبب بعض الكوارث الطبيعية، والأوبئة، والفيضانات، وغيرها، فـ"ظهر الطاعون بتطوان، وفي حوز بني زيات، ثم فشا في البلاد ووقع الموت، فبلغ القمح أثمنة مرتفعة، وغلا ثمن الشاة حتى بلغت الشاة الواحدة ثمنا لم يعهده أصلا، وعدمت الغنم، وبقي الكثير من غير أضحية"[4].

ثانيا: زمن (الفترة)

تبعا للأوضاع السياسية بعد وفاة المولى إسماعيل، تأثرت القطاعات الاقتصادية والاجتماعية؛ بحيث "كثر أهل الفساد في الحاضر والباد، وعم جميعَ أنحاءِ المغربِ الغلاءُ، وعظم البلاء وأكل القويُّ الضعيفَ، وصارت أموال الناس غنيمة [...]، وغلت الأسعار في جميع الأمصار، ولا سيما مدينتي مكناس وفاس، وكانتا محصورتين من كل جهة من الناس، وكثر في المدينتين الخراب، وضيعت عليها من كل جهة البرابر والأعراب"[5]. فكان السبب – كما ذكرنا سابقا – وراء ذلك هو: تنازع أبنائه على الحكم، وتدخل جيش البخاري، "فأخذ يختل الأمن وينتشر الفساد، وتشيع الفوضى وتسوء حالة البلاد الاقتصادية"[6]، والشواهد على هذا كثيرة جدا، وفي ما ذكر غنية وكفاية للتعبير عن عن حال، وأوضاع هذه الحقبة اقتصاديا واجتماعيا.

---

[1]- تاريخ الأدب العربي، م س، 296/10.
[2]- الحلل البهية، م س، ص329.
[3]- نشر المثاني، م س، 73/3.
[4]- نشر المثاني، م س، 232/2.
[5]- تاريخ الضعيف، ص124.
[6]- تاريخ الأدب العربي، م س، ص297.

الفرع الثالث: الظروف العلمية الفكرية

أولا: زمن المولى إسماعيل

اتسمت مرحلة المولى إسماعيل، بنشاط علمي وفكري نتيجة تشجيعه للعلم تعلما وتعليما، بحيث دلت على ذلك مجموعة من القرائن؛ منها أحد خطاباته – التي ذكرها صاحب المنزع – قائلا: "اعلم أن بالعِلْمِ ساد من ساد، وانتظمت مصالح الدين والدنيا والمعاد، وبه تتنور بصائر أهل العرفان، ويتضح الحق من الباطل، ويتبين الرشد من الغي، ويظهر الإيمان، ويحصل التقدم في المحافل، وترفع به الدرجات في العاجل والآجل، العالِمُ من اتقى الله، وأنتم علماء المسلمين وأئمة الدين، طرق سمعَنا أنكم اشتغلتم باللذات واتبعتم الشهوات، واتبعت العامة والخاصة طريقكم، وسلكوا سبيلكم، وبلغني أنه حصل منكم تقصير في التعليم؛ حتى كاد أن يضيع العلم من فاس، وهي أم مدن المغرب، فيكون في غيرها أضيع، فنأمركم أن ترجعوا لما كنتم عليه من الاجتهاد ونفع الحاضر والباد، واعملوا بما ينفعكم يوم المعاد"[1].

فهذا أكبر دليل على رفع شأن العلم وأهله، كما ورد في سياق آخر ما يدل على تقريبه لأهل العلم ما مفاده: "وكان المولى إسماعيل يستدعي العلماء لحضور بعض المجالس العلمية في قصره، وينبسط لهم ويكرمهم"[2]، بل ويمنحهم العطايا والهدايا تشجيعا لهم، حيث يقول: "وستعمكم منا عطايا، تعم المعلم والمتعلم متبوعة بغيرها من غير ألم الانتظار و الإبعاد، ولا تسويف ولا تخصيص زيد أو عمرو، ونعم من ظهر فيه الجد في المطلوب والمراد، أخصصه بصلات، وزيادة رفع القدر، وينال مرغوبه في كل أمر"[3].

فلاشك أن هذا العصرَ؛ عصرُ علم بامتياز، في مختلف العلوم والفنون، الذي نتج عن تقريب المولى إسماعيل؛ للعلم وأهله، وحضهم على طلبه، ونشره.

---

[1]- المنزع اللطيف، م س، ص106.

[2]- المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية، لأبي عبد الله محمد الصغير الفاسي (ت1134هـ)، تح: محمد الصقلي الحسني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، 40/1.

[3]- المنزع اللطيف، م س، ص106.

ثانيا: زمن (الفترة)

على الرغم مما عرفته هذه الحقبة من تحولات سياسية وفكرية وغيرها، إلا أننا نجد بعض الزوايا، لعبت دورا مهما في نشر العلم، والدعوة إليه، كما أن المولى عبد الله بن المولى إسماعيل واصل جهود أبيه للنهوض بهذا الجانب؛ بحيث عرف عهده ازدهارا، وتقدما ملموسا، في شتى العلوم والفنون، خصوصا الشرعية منها، وفي ما أوردناه من مصادر ومراجع؛ تفصيل لكلامنا، ودليل عليه، والشاهد له.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب

المطلب الأول: {تحقيق العنوان، ونسبته إلى المصنف/ وسبب تأليفه/ وموضوعه/ ومنهجه/ ومصادره}.

الفرع الأول: توثيق نسبة الكتاب إلى صاحبه، وتحقيق عنوانه

نسبة الكتاب إلى عبد الله بن يخلف، ثابتة ثبوتا قطعيا لا ريب فيه، فقد ورد ذكره عند كل من ترجم له؛ سواء طالت هذه الترجمة أم قصرت، وهذه النسبة ثابتة في النسختين رغم الاختلاف الطفيف في كلمة "ابن الفقيه" التي جاءت في النسخة (أ)، و "بن الفقيه" في (ب)؛ وذلك في صدر مقدمة المصنف.

عما أن هذا العنوان جاء عند من نسبوه إلى المصنِّف، تارة بصيغته نصا بلا زيادة أو نقصان، كما أثبت ذلك العلامة المحقق المدقق محمد المنوني في مصادره ما نصه: "سلوة المحبين والمريدين، ونكاية الحاسدين والجاحدين، في مناقب سيدي محمد ابن الفقيه أحد الأفراد العارفين"[1]، وهو أصحها لتطابقه مع ما في النسخة (أ) حرفا بحرف، وعند صاحب التقاط الدرر ما نصه: "سلوة المحبين والمريدين، ونكاية الحاسدين والجاحدين، في مناقب سيدي محمد بن الفقيه أحد الأفراد العارفين"[2]، وهو طبق ما ورد في النسخة (ب)، لكن "بن الفقيه" ليست هي "ابن الفقيه" في المعنى الصحيح، كما سيأتي بيانه في المقابلة لاحقا.

هذا وقد ورد العنوان بصيغ اختلفت قليلا عن الصحيح، كما نجد عند صاحب الدليل ما نصه: " سلوة المحبين والمريدين ونكاية الحاسدين؛ في مناقب سيدي محمد ابن الفقيه أحد الأفراد العارفين"[3]، أو ما نجده عند صاحب مؤرخو الشرفاء ما مفاده: "سلوة المحبين/ في مناقب سيدي محمد ابن الفقيه أحد الأفراد العارفين"[4]، وفي معجم المؤلفين: "سلوة المجيب والمريدين ونكاية الحاسدين في مناقب فتحا"[5]، وهذا أبعدها.

---

[1]- المصادر العربية لتاريخ المغرب، م س، ص170.
[2]- التقاط الدرر، م س، ص409.
[3]- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، م س، ص161.
[4]- مؤرخو الشرفاء، م س، ص222.
[5]- معجم المؤلفين، م س، ص294.

الفرع الثاني: سبب تأليفه

ذكر المؤلف، رحمه الله تعالى، سبب تأليفه للكتاب، فقال: "...، وكان قد صدر كلام من بعض الجهلة الغافلين، والظلمة المعتدين، الذين: يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم بإذايتهم لأولياء الله الصالحين، فباءو بغضب من الله وكانوا من الخاسرين، نعوذ بالله أن أكون من: المغضوب عليهم أو الضالين.

وشاع أيضا عن بعض أعيان الوقت وعلمائه، فضلا عن أرذليته وعوامه؛ أنه لم يكن في زمننا هذا ولي له برهان قاطع، وتصرف واسع، وكان في هذه المقالة من الفساد، ما لا يخفى على ذوي العقول السليمة والرشاد.

فلما أظهر الله تعالى على يدي هذا الشيخ بركات كثيرة بلغت الحد الأقصا؛ التي لا تكاد أن تعد أو تستقصى، وكانت كل كرامة ظهرت لولي، فهي معجزة لنبي، هممت أن أجمع من كرامات هذا الولي رضي الله عنه مؤلفا كالنزر اليسير من البحر الغزير، لأن تبع ذلك بتمامه لا يمكن الطلاب..."[1].

من هنا يتبين لنا أن سبب تأليفه للكتاب؛ هو الرد على بعض الذين صدر منهم كلام يؤذي أولياء الله تعالى، وعلى من ينكر – في زمانه – وجود ولي وصاحب تصرف، علاوة على القصد إلى تأليف كتاب، يضم بعض كرامات سيدي محمد ابن الفقيه؛ لتكون عبارة عن حجج وأدلة، لإفحام الخصم وإلجامه.

---

[1]- ينظر ل: /3أ/ - وص163 من هذا العمل.

الفرع الثالث: موضوعه

يتبين من خلال مطالعة الكتاب وعنوانه؛ أنه يتناول جانبا كبيرا من حياة الشيخ سيدي محمد ابن الفقيه الزجني، وما يتعلق بها من نسب ومناقب وكرامات، بالإضافة إلى بعض الأحداث والقضايا: التاريخية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

الفرع الرابع: منهجه ومصادره

أولا: منهجه

ركب ابن يخلف، في عرض غرضه من تأليف الكتاب، وبسط فكره فيه؛ منهجا دقيقا رصينا تتفاعل فيه مجموعة من المناهج؛ كالمنهج التاريخي التوثيقي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج الحجاجي...، بانيا ذلك كله في مقدمة وستة أبواب؛ فيورد المسألة ثم يستقصي عليها شواهد عدة، لإثباتها أو دحضها، مستندا في ذلك إلى مصادر وموارد مختلفة.

ثانيا: مصادره

تنوعت إلى مصادر صريحة، وأخرى ضمنية، مع العلم أن المكتوبة منها تبقى ضئيلة جدا مقارنة بالشفهية؛ لأن هذه الأخيرة هي المعول عليها:

1- المصادر المكتوبة الصريحة:

- الأنساب للسيوطي.
- التاريخ لابن خلدون.
- النفح للمقري.
- تحفة أهل الصديقية في أسانيد أهل الطائفة الجزولية للمهدي الفاسي.
- شجرة قديمة كتبت عام 974.
- شجرة كتبت في أوائل المائة العاشرة.

2- المصادر المكتوبة الضمنية:

- القرآن الكريم.
- الحديث النبوي الشريف.
- الشعر والزجل.

- بعض الأقوال والنقول.

3- التجربة الشخصية:

أي التكوين العلمي للمؤلف، أو سماعه، أو رؤيته ومعاينته المباشرة للأحداث والوقائع، من ذلك قوله: "وأعتمد في ذلك على ما رأيته عيانا، أو حفظته من الثقات بالسماع، أو نقلته من خط أيدهم مما كان مفترقا في الأوراق عرضة للضياع"[1].

4- الأخذ الشفهي:

حيث تعتبر المصادر الشفوية عماد هذا الكتاب وأساسه، ففي غياب المعلومة المكتوبة؛ تأتي هذه الوسيلة لتسد مسدها، ولا تقل عنها، بل لربما تفوقها أحيانا في التوثيق والدقة والصحة، كما أنها من أحسن طرق أخذ العلم.

5- الرؤيا:

تعتبر الرؤيا كما - هو معلوم في الفقه الإسلامي - من مصادر التلقي، وبذلك تأخذ مصداقيتها في اعتمادها رافدا من روافد العلم؛ لهذا نجد بن يخلف يوظفها كثيرا في إثبات العديد من القضايا والمسائل، كالكرامات، وشاهد هذا مما أورده ما يلي: "حدثنا المرابط الخير السيد عبد الله السوسي المستوطن مولانا إدريس الأكبر رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، قال: "كنت نائما في ضريح سيدي أبي شتاء الخمار رضي الله ونفعنا به، فرأيت جمعا من الناس، وفيهم ولي الله الكامل سيدي محمد بن الفقيه، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له: يا محمد بن الفقيه - بلسان فصيح عربي مبين -: "أنا مأذون والكاذب ملعون؛ وكررها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثا، فامتثل الأمر السيد المذكور، وقالها ثلاثا كما قالها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك، هكذا قيدت عمن رآها أواخر رمضان المعظم سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف[1123هـ]"[2].

---

[1]- ينظر ل: /3أ/ - وص164 من هذا العمل.
[2]- ينظر ل: /57أ/ - وص233 من هذا العمل.

مثال آخر، ما مفاده: "وعن الفقيه الإمام العالم الورع الزاهد سيدي داوود التواتي أحد تلامذة الشيخ رضي الله عنه، أنه سمع رجلا ثقة يقول: سمعت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يأذن سيدي محمد بـن الفقيه ويقول له: لا تجعل واسطة بيني وبينك"[1].

[1]- ينظر ص:/57أ/ - 233 من هذا العمل.

المطلب الثاني: وصف نسختي المخطوط وعرض نماذج منها

الفرع الأول: النسختان المعتمدتان في التحقيق ووصفهما

لم نعثر - بعد استقصاء البحث والتنقيب - إلا على نسختين اثنتين من المخطوط، وهما:

النسخة التي وسمناها بـ: (أ)، وهي الأصل المعتمد في التحقيق لأسباب ترجيحية منها:

- لأن (أ) أقل سقطا من (ب).
- لأن (أ) أقل أخطاء لغوية من (ب).
- لأن (أ) أكمل من (ب)، من حيث عدد اللوحات.
- لأن (أ) أوضح من (ب) من، حيث الخط، في مواضع كثيرة.

والنسخة (ب) التي قابلنا بها (أ).

معطيات النسخة (أ):

✓ عنوانها: سلوة المحبين والمريدين ونكاية الحاسدين والجاحدين في مناقب سيدي محمد ابن الفقيه أحد الأفراد العارفين.

✓ مكان وجودها: مكتبة آل سعود بالدار البيضاء تحت رقم: 4643 د.

✓ خالية من اسم الناسخ وسنة النسخ.

✓ بدايتها: "باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم، قال الشيخ الإمام الأستاذ سيدي عبد ابن يخلف الأندلسي رحمه الله تعالى ورضي عنه، ونفعنا ببركاته آمين: الحمد لله الكريم الوهاب، الفاتح الأبواب؛ الذي رفع عن قلوب من شاء من عباده المؤمنين حجب الران والارتياب...".

✓ نهايتها: "...وارحم بفضلك جميع المسلمين والمسلمات يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين" انتهى.

✓ عدد لوحاتها: (120 لوحة)، عليها خاتم مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز – الدار البيضاء، وكلمة هدية.

✓ نوع الخط: المجوهر المغربي المليح، معياري؛ لقيامه على أوزان. بينما كتب التشهد بخط الثلث المغربي لتمييزه عن خط المتن، مما يدل على أن الناسخ له معرفة بعلم الخط، وعلى دراية بصناعته.

✓ حالتها: جيدة مع بعض السقط.

✓ المقياس (بحسب النسخة المصورة): حجم متوسط، (21.2×14.3)، بمعدل: (23 سطرا)، و(12 كلمة في كل سطر) على العموم.

✓ بها رقاص (تعقيبة)؛ ضابط لتوالي اللوحات.

معطيات النسخة (ب):

✓ عنوانها: سلوة المحبين والمريدين ونكاية الحاسدين والجاحدين في مناقب سيدي محمد بن الفقيه أحد الأفراد العارفين.

✓ مكان وجودها: المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم: ك – 2306.

✓ خالية من اسم الناسخ وسنة النسخ.

✓ بدايتها: "باسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله، الحمد لله الكريم الوهاب، الفاتح الأبواب؛ الذي رفع عن قلوب من شاء من عباده المؤمنين حجب الران والارتياب...".

✓ نهايتها: "...وارحم بفضلك جميع المسلمين والمسلمات يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين".

✓ عدد لوحاتها: (131 لوحة)، عليها خاتم المكتبة الوطنية للمملكة المغربية.

✓ نوع الخط: مغربي مجوهر تدويني اعتيادي، أو زمامي، كما يطلق عليه.

✓ حالتها: جيدة مع بعض السقط.

✓ المقياس: حجم متوسط، (22.9×17.1)، بمعدل: (23 سطرا)، و(12 كلمة في كل سطر) على العموم.

✓ بها رقاص (تعقيبة)؛ ضابط لتوالي اللوحات، وبها إطار، وبعض الكلمات، وعلامات الترقيم بالأحمر، ثم بعض الكلمات بالأزرق.

الفرع الثاني: خصائص الكتابة من حيث الرسم في النسختين

تميز رسم الخط في النسختين بميزات وخصائص، وعلى رأسها: الكتابة بالرسم العثماني، وتسهيل الهمز. ونقدم هنا نماذج منها، مقارنة بالرسم الحالي المتداول:

رسم بعض الكلمات في المخطوط	ما يقابها بالرسم القياسي المتداول
القرءان	القرآن
المئاب	المآب
المومنين	المؤمنين
مملوة	مملؤة
البير	البئر
اليل	الليل
رحمت	رحمة
نسئله	نسأله
آمين	آمين
ءاله	آله
ذالك	ذلك
داوود	داود
كذالك	كذلك
الأندلوسي	الأندلسي
وازان	وزان
السحراء	الصحراء
الرءيا	الرؤيا
رءا	رأى

فقد ورد رسم هذه الكلمات في النسختين مرارا؛ إلا أننا سنشير إليها لأول ورود لها، مع التنبيه عليها، ثم نكتبها في المواطن الأخرى كتابة عادية.

كما أن من خصائص المخطوط من حيث اللغة؛ أنه جمع بين الفصحى والكلام العامي الدارج، من قبيل: يا ودي، كتفونا/ البريح/ أعلايا/ قول/ ينگاس/ السبنية/ أها/ الشرگي/ زغرتت- لعند/ للا/ العلام الأخضر/ ايش/ الله الأحد/ الدردارة/ اتهلا/ ما انقيل/ يتسبب/ كدية/ اطف النار/ نوارتنا/ الحبوب/ خلف/ ما اتطير مني/ سلامة/ حرثت/ تويزة/ والله لا فلتنا صاحبك/ سر يا بو علي حنا طلقناك/ شقف/ الحركة/ أصدقة/ دوركم/ جناتكم/ الطلبة/ ارفدوه/ الأطبة/ تمه/ الشواري/ أقراب/ الليم/ الجرة/ وراني/ أزيد/ ينصر/ لا جزت/ اجر هذ الماء/ الغيار/ .../ .

الفرع الثالث: نماذج من لوحات نسختي المخطوطتين



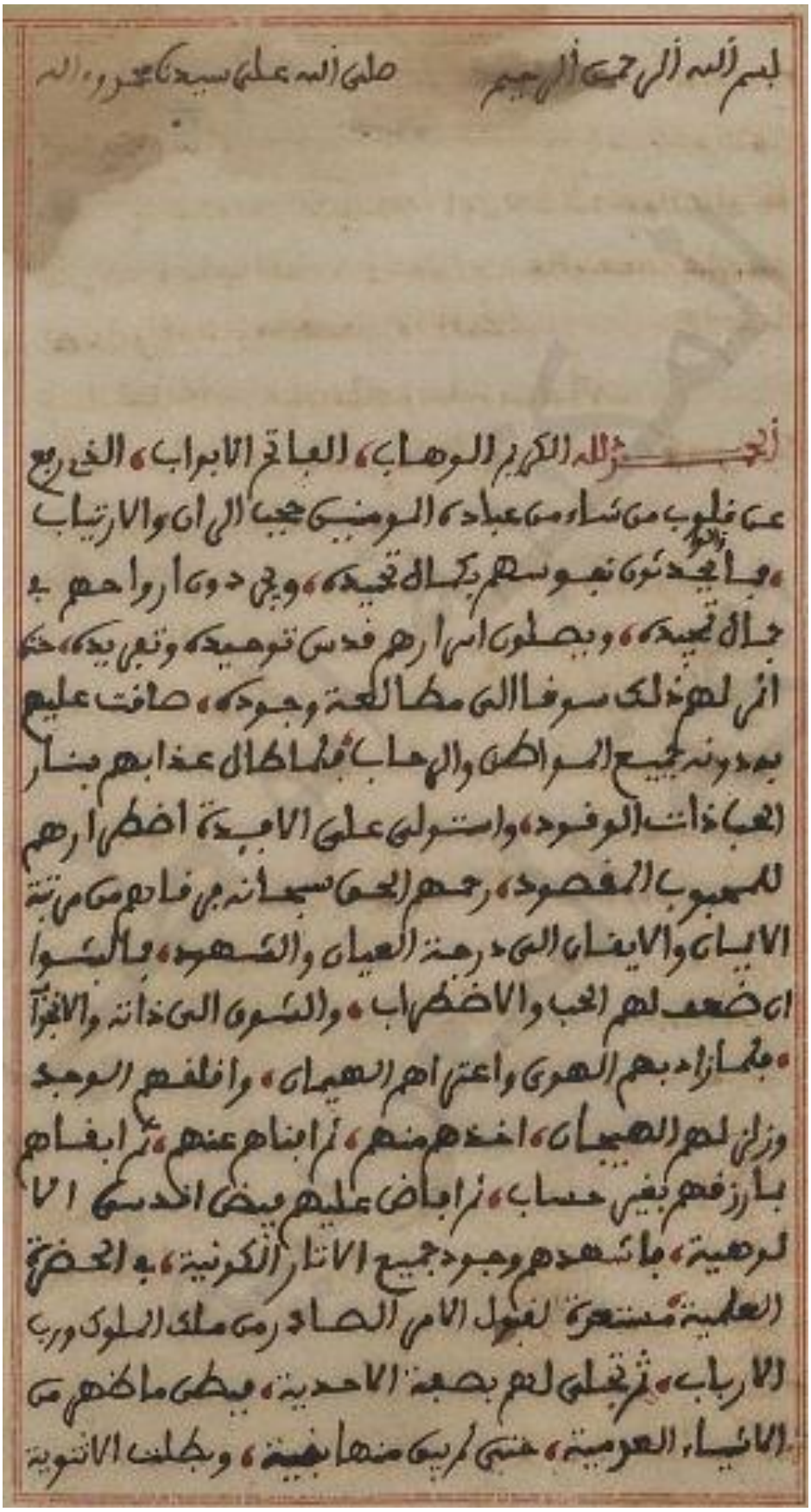
بداية النسخة (أ)



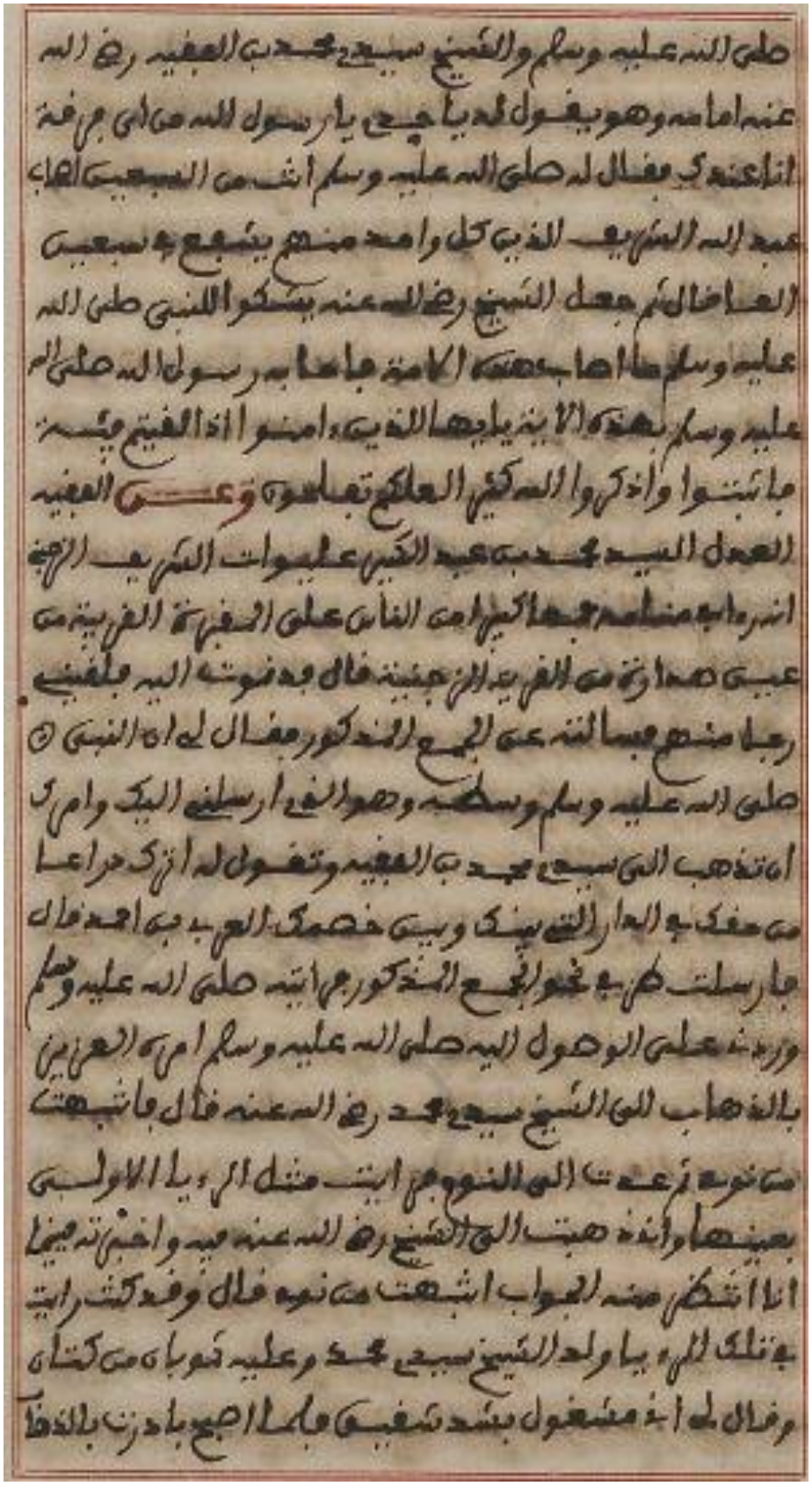
من وسط النسخة (أ)



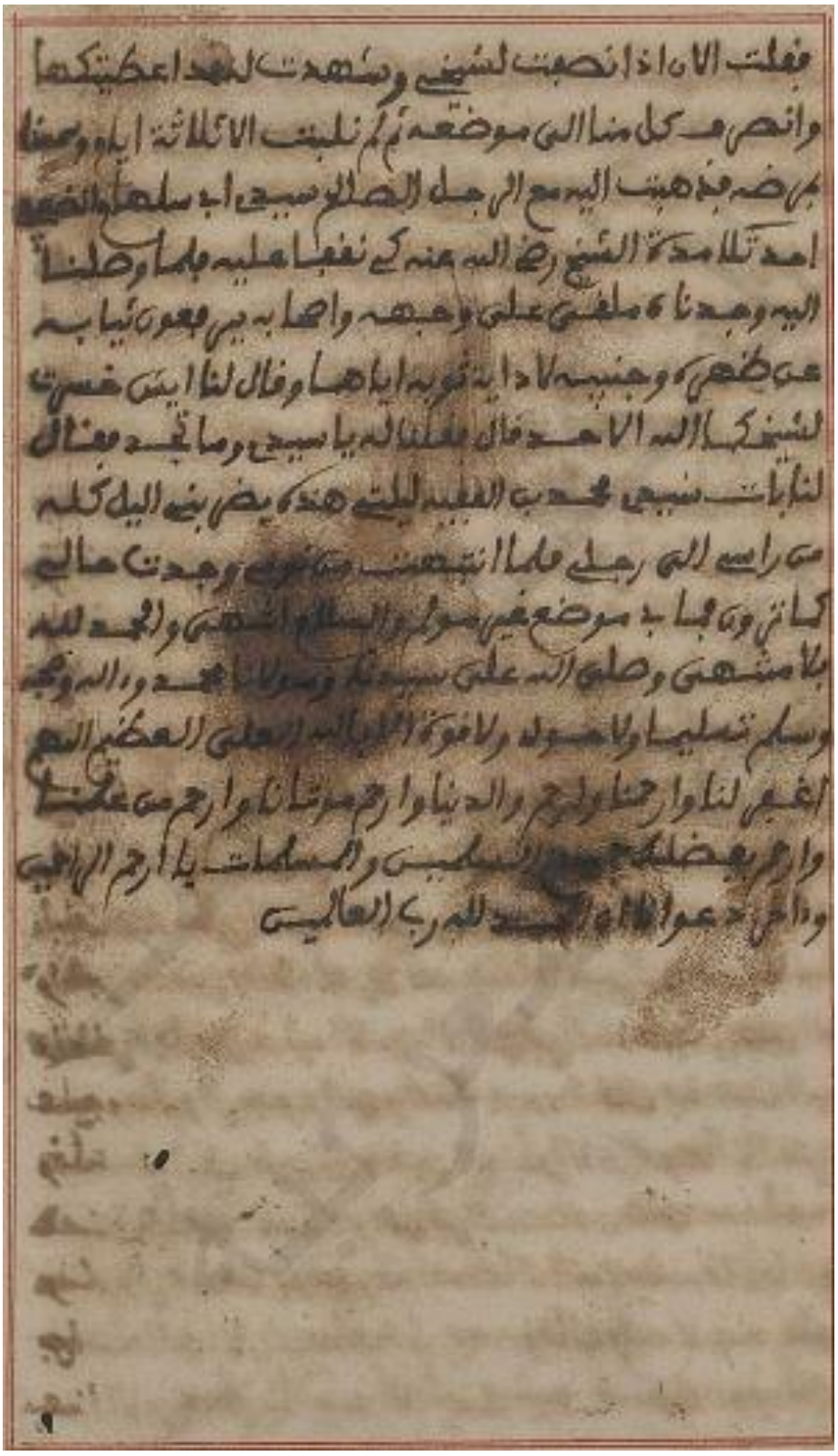
نهاية النسخة (أ)



بداية النسخة (ب)



من وسط النسخة (ب)



نهاية النسخة (ب)

الفصل الثاني: المقومات الجمالية

والفكرية للكتاب

المبحث الأول: المقومات الجمالية {بلاغة الحجاج وأساليبه الإقناعية، وتجلياتها في الكتاب}.

يعتبر الحجاج عنصرا فعالا وحيويا، بل وضروريا لنجاح كل عملية تواصلية وناجحة، خصوصا إذا تعلق الأمر بالخطاب الإقناعي؛ حيث إن المرسل يحرص على إقناع متلقيه، قصد التأثير فيه فكرا وسلوكا؛ لذلك يلجأ إلى مجموعة من الأساليب والآليات - التي يتكون منها الحجاج - لتحقيق المراد والغاية المنشودة.

وكما هو معلوم، أن دراسة الخطاب في الدراسات الحديثة؛ عرفت نقلة نوعية واهتماما كبيرا، فولت وجهتها نحو دراسة الحجاج...، وهو ما أصبح يعرف بـ:"البلاغة الجيدة"، التي ركزت على "الحجاج" و"البيان"، باعتبارهما من أبرز وأقوى الوسائل الضرورية، لتحقيق عملية اتصالية مؤثرة ومقنعة في الآن نفسه.

ونظرا لكثرة الدراسات حول الحجاج قديما وحديثا، عند الغرب والعرب...عبر مسار تاريخي طويل، وكذلك لتشعب ميادينه ومجالاته، فكل تلك التفريعات والمقاربات لا تعنينا، خصوصا وأن السابقين لهذه الدراسات ممن يعسر عدهم وحصرهم، ومن يريد الاطلاع أكثر - على مقارباته عبر مساره التاريخي - ما عليه إلا الرجوع إلى كتبهم وتآليفهم؛ فهي موجودة وغزيرة، ولهذا سنتطرق - فقط - إلى ما له صلة وطيدة بعملنا وبحثنا.

والباحث في كتاب السلوة لابن يخلف، يجده زاخرا بالحجاج، عبر أساليبه المجلية فيه؛ هنا، وهنا، وهناك.

فما المقصود بالحجاج؟ وأين تتجلى أساليبه من خلال الكتاب؟ هذا ما سيجيب عنه هذا المبحث عبر محاوره الآتية.

المطلب الأول: مفهوم الحجاج، وأساليبه الإقناعية

الفرع الأول: مفهوم الحجاج

أولا: في اللغة

1- الدلالة العربية:

الحجاج – عند ابن منظور – من "حاجه محاجة وحجاجا: أي نازعه الحجة"[1]. وحسب – المعجم الوسيط – من: "غلبه بالحجة، أو حاجه محاجة، حجاجا: جادله، واحتج عليه، أقام عليه الحجة، وعارضه مستنكرا فعله، وتحاجوا: تجادلوا، والحجة الدليل والبرهان"[2]. ونجد "حاج " بمعنى خاصم، والتحاج أي التخاصم كما ورد عند الفيروزبادي[3].

ومن هنا نلحظ أن الدلالة اللغوية العربية لمادة "حجج"، تعني الجدال والخصومة بسبب خلاف الوجهة أو الرأي أو ما شاكل ذلك، وهو المعنى الوارد – كذلك – عند الزمخشري في قوله: "حاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج"؛ أي مغلوب.

2- الدلالة الأجنبية:

فكلمة "argument" تشير إلى عدة حسب معجم "Le Robert" معان منها:

القيام باستعمال الحجج، وكذلك هو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، وهو كذلك فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة، كما نجدها تشير إلى الدفاع عن اعتراض بواسطة حجج[4].

وحسب قاموس "كامبريدج "Cambrige" فلفظة "argument"، "أن الحجاج هو الحجة التي تعلل أو مساندتك أو معارضتك لفكرة ما"[5].

وإذا نظرنا إلى هذه التعاريف الأجنبية ألفيناها تعطي للحجاج معنى: "الجدل أو دحض اعتراض أو الدفاع عن رأي".

---

[1]- لسان العرب، للإمام ابن منظور، دار صادر - بيروت، مادة "حجج"، 226/1.

[2]- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المكتبة الإسلامية، ط2، 107-106/1.

[3]- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، دار الهداية، مادة "حجج"، 460/5.

[4]- Le grand Robert, Dictionnaire de la langue français, 1er rédaction, paris, 1989, p535.

[5]- Cambridge Advanced Learners: dictionary, Cambridge University Press, 2nd Pub, 2004, p56.

ثانيا: في الاصطلاح

الحجاج عبارة عن "خطاب إقناعي أي أن هدفه التأثير في المتلقي إما لتدعيم موقفه، وإما لتغيير رأيه فيتبنى موقف جديد، سواء كان هذا الموقف يقتصر على الاقتناع الذاتي أو يقضي فعلا ما"[1].

ففي منظور بعض هذه الكتابات نجد الحجاج أو التدليل يشيران إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والإفحام معا، مهما كان متلقي هذا الخطاب، ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك"[2].

قال [أبو الوليد الباجي]: "وهذا العلم من أشرف العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال ولو لا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"[3].

ومن منظور آخر هو "تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متوليات بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها، إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع (LES FAITS) المعبر عنها داخل الأقوال وحدها فقط، ولكنها محددة أيضا، وأساسا، بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها"[4].

نخلص من خلال هذه التعاريف، إلى أن الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين مرسل ومرسل إليه (سواء بشكل مباشر أو غير مباشر)، حول مسألة ما، متكلم يدعم كلامه بالحجج والبراهين لإقناع الآخر؛ أي أن للحجاج وظيفة – بليغة الأهمية – من وظائف اللغة كما أنه من أهم الأساليب

---

[1]- الحجاج في المقام المدرسي، كورنيلا فون راد، صكوحي، منشورات كلية الآداب منوبة، 2003، ص13.
[2]- الحجاج والاستدلال الحجاجي (مناصر استقصاء نظري)، حبيب أعراب، مجلة عالم المعرفة، ع1، يوليو، 2001، ص99.
[3]- المنهاج في ترتيب الحجاج، لأبي الوليد الباجي، تح: هبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي - المغرب، ط2، 1987م، ص8.
[4]- الحجاج: مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، لحافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديثة - الأردن، 2010، 56/1.

الخطابية والكتابية، بحيث يسعى فيه المحاجج بتقديم مجموعة من الحجج للتأثير في المتلقي، قصد اقتناعه ثم إقناعه لتفنيد زعم، أو تعديل سلوك، أو تغيير رأي، أو زرع يقين.

وعليه يمكن القول بأن الحجاج هو: "درس تقنيات الخطاب، والتي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[1].

أو هو "عملية يبحث بها المتلفظ لنقل، أو تحويل نسق معتقداته، وتمثلاته للمخاطب عبر آليات وصيغ لسانية"[2].

وهو - حسب كه عبد الرحمن - "الملفوظ أو المنطوق، موجه إلى الغير، لإفحامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[3].

هذا وللحِجَاجِ مجموعة؛ من الآيات والوسائل والأساليب، لتحقيق ذاك الغرض، وهو ما سيجيب عنه الفرع الموالي على وجه الإجمال، ليتأتى تفصيله فيما بعد، من محار.

---

[1]- في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات)، لعبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع - تونس، ط1، 20011، ص13.

[2] -Essais Sur l'argumentation. Introduction linguistique à la parole argumentative. plautin. 1990. p146.

[3]- اللسان والميزان (أو التكوثر العقلي)، لطه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ط1، 1998، ص226.

الفرع الثاني: الأساليب الحجاجية الواردة في الكتاب

أولا: حجاجية العنوان

ثانيا: حجاجية التناص

ثالثا: حجاجية الخطاب البلاغي

رابعا: حجاجية الخطاب السردي

خامسا: أساليب علماء الحديث، وأسلوب المشاهدة والمعاينة

سادسا: المصادر المكتوبة

سابعا: الاحتجاج برأي المنكر والمخالف

هذه أبرز الأساليب الحجاجية، الواردة في الكتاب المدروس، فما هي تجلياتها؟.

المطلب الثاني: تجليات الأساليب الحجاجية في الكتاب

الفرع الأول: حجاجية العنوان؛ {قراءة سيميائية لعنوان الكتاب}

[سلوة المحبين والمريدين، ونكاية الحاسدين والجاحدين في مناقب سيدي محمد ابن الفقيه أحد الأفراد العارفين، لابن يخلف الأغدلمي (ت:1162هـ)].

يحظى علم السيمياء أو العلامات أو ما يسمى بـ"السيموطيقا" ... - في العصر الحديث - باهتمام كبير من طرف الدارسين والنقاد عربا وأعاجم، والذين يمموا وجهتهم نحو دراسة هذا الجانب، لما رأوا فيه من سبر أغوار النص الإبداعي، والكشف عن الخلفية الكامنة وراء انتاجه، بدءا بالعنوان الذي يشكل أولى عتباته، إلى جانب اسم المؤلف، ثم باقي العتبات، وبذلك أخذ العنوان عناية بالغة من طرف هذا العلم - السيميولوجيا - باعتباره مصطلحا إجرائيا مهما في مقاربة النص الإبداعي، ومن ثم مفتاحا أساسيا يستطيع به المتلقي - سواء أكان ناقدا أو قارئا أو...- الدخول إليه قصد فهمه أو تفسيره أو تأويله...، ومعرفة تمفصلاته ومراميه، وفك مغاليقه.

ولا إن كثر الحديث عنه في الأزمنة المتأخرة، والقول بازدهاره ، وأنه علم جديد، فهذا لا يعني عدم وجود مؤشرات تدل عليه، بالمرة، عند المتقدمين، وإنما يعود هذا التفكير السيميائي إلى عصور سحيقة جدا، ذلكم وأن "الباحث في تاريخ السيمياء لن يعثر على ملامح واضحة لهذا العلم، بل سيعثر على شذرات متفرقة تدل على أن الإنسان قد تأمل في العلامة منذ بدأ التأمل و التفكير فيما حوله"[1].

بل وتؤكد دراسات وأبحاث في التراث العربي القديم؛ أن "العرب قد عرفوا ما يسمى اليوم بعلم السيميولوجيا (...)، وحقا فتراثنا العربي قد خلف لنا أفكارا سيميائية عميقة وقيمة، لا تنتظر إلا التصفية والترتيب لنحصل على سيميائيات بأصول وقواعد عربية خالصة، وليس هذا الكلام تعصبا منا للتراث، وإنما هي الحقيقة التي لمسناها ونحن نبحث بسطحية تامة في هذه الإشارات، فما بالك لو تعمقنا البحث؟"[2].

ويعزز هذا بما ذهب إليه [أمبرتو إيكو] - وهو يتكلم عن السيميائيات القديمة - حين قال: "إن الرواقيين هم أول من قال باسم العلامة دالا ومدلولا، فهو بذلك يقصد كل أنواع العلامات،

---

[1]- معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون - الجزائر، ط1، 1431هـ - 2010م، ص21.

[2]- معجم السيميائيات، م س، ص29.

ليس العلامة اللغوية فقط، إنما أيضا العلامة المنتشرة في شتى مناحي الحياة الاجتماعية في اللباس و نظام الأزياء و الموضة السائدة في مجتمع ما، وهي علامات و أنظمة تختلف من مجتمع لأخر"[1].

وسيتأكد هذا الكلام من خلال الشواهد التي نوردها لاحقا. لكن قبل أن نشرع في تحليل مغزى العنوان المدروس، يلزمنا أولا تحديد بعض المصطلحات من قبيل: سيمياء/ علامة/ عنوان.

[1]- السيميائية (الأصول، القواعد، التاريخ)، إينو وآخرون، تر: رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم: عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، 2008، ص26.

أولا: مفهوم السيمياء في الدلالتين اللغوية والاصطلاحية

1- في الدلالة اللغوية

أ- الدلالة العربية

+ في القرآن:

إذا نظرنا إلى ما يشير لمعنى لفظة "سيمياء" في كتاب الله عز وجل؛ نجد مثلا قوله تعالى: ﴿تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا﴾، البقرة/ 273، وفي قوله جل وعلا: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾، الأعراف/ 46، وعند قوله جل شأنه: ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم﴾، محمد/ 30، وكقوله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾، الفتح/ 29، وفي قوله سبحانه: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾، الرحمن/ 41. وقوله تعالى: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾، النحل/ 16.

وإذا تأملنا في دلالة "سمة" – حسب هذا التعبير القرآني – ألفيناها بلا همز وهي تدور حول معنى "علامة" أو "نعت" لهؤلاء الموصوفين، فسماتهم هي علاماتهم التي يُعْرَفُون بها؛ وهذا ما ذهب إليه علماء التفسير بما مفاده: "يعني السمت الحسن وهو الأثر في الوجه"[1]. والعلامة أو الأمارة عند تفسير قوله تعالى: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾[2].

+ في كتب التفسير:

جاء في كتب التفسير ما مفاده: "أن السيما هي العلامة التي يعرف بها الشيء، وأصله الارتفاع، لأنه علامة رفعت للظهور، ومنه السوم في البيع، وهو الزيادة في مقدار الثمن للارتفاع فيه عن الحدود، ومنه سوم الخسف للرفع فيه بتحميل ما يشق، ومنه سوم الماشية إرسالها في المراعي"[3].

+ في الشعر:

والأمر نفسه في الشعر العربي القديم، حيث نجده إشارات إلى هذه "السيمياء"، بصيغ مختلفة من ذلك مثلا قول الشاعر:

غلام رماه الله بالحسن يافعا ... له سيمياء لا تشق على البصر

كأن الثريا علقت فوق نحره ... وفي جيده الشعرى وفي وجهه القمر[4]

---

[1]- تفسير القرآن الكريم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار ابن حزم - لبنان، ط1، 2000، ص1741.

[2]- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تح: هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 127/5.

[3]- مجمع البيان في تفسير القرآن، م س، ص127.

[4]- لسان العرب، م س، مادة "سوم"، 312/12.

وقول آخر:

ولهم سيما، إذا تبصرهم بينهم ريبة من كان سأل[1]

وقال ثالث:

وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مسومينا[2]

وبهذا يتضح أن التراث العربي زاخر بالدلالات على لفظة "سيمياء" سواء في القرآن الكريم، أو كتب الحديث أو التفسير، أو الشعر أو النثر...

+ في المعاجم:

ورد عند ابن منظور أن "السومة والسيمة والسيماء والسيمياء: العلامة، وسوم الفرس: جعل عليه السيمة، وقوله عز وجل: حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين؛ قال الزجاج: روي عن الحسن أنها معلمة ببياض وحمرة، وقال غيره: مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا ويعلم بسيماها أنها مما عذب الله بها؛ الجوهري: مسومة أي عليها أمثال الخواتيم،(...)، قال أبو بكر: قولهم عليه سيما حسنة معناه علامة، وهي مأخوذة من وسمت أسم، (...)، وقيل: الخيل المسومة هي التي عليها السيما والسومة وهي العلامة. وقال ابن الأعرابي: السيم العلامات على صوف الغنم. وقال تعالى: من الملائكة مسومين؛ قرئ بالفتح الواو، أراد معلمين. (...)، وفي الحديث قال يوم بدر سوموا فإن الملائكة قد سومت أي اعملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم بعضا. (...)، الليث: سوم فلان فرسه إذ أعلم عليه بحريرة أو بشيء يعرف به، قال: "والسيما ياؤها في الأصل واو، وهي علامة يعرف بها الخير والشر. قال تعالى: تعرفهم بسيماهم..."[3].

ب- الدلالة الأجنبية:

يتكون مصطلح "السيميائية" حسب صيغته الأجنبية **Sémiotique** أو **Sémiotics** من جذرين (**Sémio**) و(**tique**)؛ إذ أن الجذر الأول الوارد في اللاتينية على صورتين هما: (**Sémio**) و(**Sema**)، يعني: إشارة أو علامة، أو ما يسمى بالفرنسية **Signe**، وبالإنجليزية **Sing**...في حين أن الجذر الثاني يعني – كما هو معروف –: علم.

---

[1]- ديوان الجعدي، جمع وتحقيق: عبد العزيز رباح، المكتب الإسلامي للنشر - مكة المكرمة، 1384هـ - 1964م، صص85-86.

[2]- ديوان عبد الله بن رواحة، جمع وتحقيق: وليد إبراهيم قصاب، دار الضياء - عمان، ط2، 1988، ص216.

[3]- لسان العرب، م س، مادة "سوم"، 312/12.

ونشير كذلك إلى الجذر الـذي يعنـي (علـم) في اللغـات الأجنبيـة واللاتينيـة خاصـة وهـو **logie**"[1].

كـما "أن كلمـة سـيميولوجيا (**Sémiologie**) مـن الأصـل اليونـاني (**Sémion**) أو (**Sémaino**) والمتولدة هي الأخرى من الكلمة (**Séma**) وتعني العلامـة (الـدليل) (**Signe**) وهي بالأساس الصفة المنسوبة إلى الكلمة الأصل (**Sens**) أي المعنى. أمـا عـن لفظـة "لوجيـا" (**logie**) فتعني العلم، وبالتالي فإن كلمة السيميولوجيا، أو السيميوطيقا من الناحية اللغوية تعني علم العلامات [...]، أو العلم الذي يقوم بتحليل المعاني عن طريق العلامات (**Bignell**. 1997. P1)"[2].

[1]- المصطلح السيميائي بين الفكر الغربي والفكر العربي، رسالة ماستر، ليلى فالي، إشراف: جميلة روباش، جامعة محمد بوضياف، المسيلة - الجزائر، 1437هـ - 2016م، ص17، بتصرف.

[2]- مدخل إلى السيميولوجيا، عبيدة صبحي ونجيب بوخوش، دار الخلدونية للنشر والتوزيع - الجزائر، 2009، ص14.

2- في الدلالة الاصطلاحية

لم يبرز علم "السيميائيات" بشكل محدد – كما يقول المختصون – إلا في غضون القرن العشرين مع مجموعة من الرواد والدارسين. ونظرا لاستمداد أصوله من معارف مختلفة، مما جعل حده من الصعب بمكان؛ ولهذا السبب تعددت تعريفاته، بين الدلالتين العجمية والعربية.

أ- الدلالة العجمية

سيميولوجيا [سوسير]؛ وهو الذي رجح لفظة "سيميولوجيا"؛ لذلك يراها عبارة عن "علم يدرس حياة العلامات في قلب الاجتماعية"[1]. ويقول في موضع آخر: "إن العلم الذي يدرس حياة الإشارة في مجتمع من المجتمعات يمكن أن يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، وبهذا سوف أدعو هذا العلم سيميولوجيا"[2].

سيميائية أو سيميوطيقا [بيرس] والتي أردفها للفظة "منطق"، وذلك من خلال قوله: "إن المنطق، بالمعنى الواسع للكلمة ... تسمية أخرى للسيمياء (...)، الدستور شبه الضروري والشكلاني للإشارات"[3].

فـ [رولان بارت] ذهب إلى "أن السيميولوجيا هي علم الدلائل، وأنها استمدت مفاهيمها من اللسانيات"[4].

وعرفها [بيير جيرو] بقوله: "السيميائيات علم يدرس أنساق العلامات: لغات، أنماط، علامات المرور، إلى آخره"[5].

وأما [دنيال]، فيراها عبارة عن: "دراسة الإشارات"[6].

---

[1]- السيميائيات، بيير جيرو (دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية)، تر: منذر عياشي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق - سورية، ط1، 1437ه - 2016م، ص5. وينظر كذلك:
Cours de Linguistique général. Ferdinand De Saussure. Général. Ed2 Enag. Editions Alger.1994.p33.

[2]- سيمياء العنوان، بسام موسى قطوس، عمان - الأردن، 2001، ص14. وينظر كذلك:
Course in Général Lingustics. F. De Sausure. Translated. By W. Baskin. New York. 1959. P16.

[3]- أسس السيميائية، لدنيال تشاندلر، تر: طلال وهبه، مراجعة: مشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط1، أكتوبر، 2008، ص30.

[4]- درس السيميولوجيا، رولان بارت، تر: عبد السلام بن عبد العال، دار توبقال، المعرفة الأدبية، 1994، ص21.

[5]- السيميائيات، م س، ص5.

[6]- أسس السيميائية، م س، ص27.

وذهب [برنار توسان] إلى أن: "علم العلامات يهدف دراسة العلاقات بين الدلالات والمدلولات"[1].

وقال عنها [أمبرتو إيكو]: "تعنى السيميائية بكل ما يمكن اعتباره إشارة"[2] .

في حين نظر إليها [شولز] على "أنها دراسة الإشارات والشفرات، أي الأنظمة التي تمكن الكائنات البشرية من فهم الأحداث بوصفها علامات تحمل معنى"[3].

وهكذا نجد هذه التعاريف تتقارب أحيانا، وتختلف حينا؛ وذلك راجع إلى الزاوية التي يَنْظُر منها كل باحث، لكنها تكاد تجمع على اعتبارها علم يدرس الإشارات، وإن اختلفت التفاصيل.

ب- الدلالة العربية

تحفل الثقافة العربية بالعديد من التعاريف الاصطلاحية، للفظة "السيمياء"، نورد بعضها على النحو الآتي:

[ابن سينا]، يرى بأن علم السيميا: "علم يقصد به كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي، ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب"[4].

[ابن خلدون]، وهو يتحدث عن علم أسرار الحروف، فحددها قائلا: "وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا، (...)، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله، (...)، ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الأجوبة من الأسئلة "[5].

و يراها [صلاح فضل]: "بأنها العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة"[6].

في حين ذهب [سعيد علوش]، تعريفها قائلا: "هي دراسة لكل مظاهر الثقافة، كما لو كانت أنظمة للعلامة، اعتمادا على افتراض مظاهر الثقافة، كأنظمة علامات في الواقع"[1].

---

[1]- ما هي السيميولوجيا، برنار توسان، تر: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، المغرب - الدار البيضاء، ط2، 1994، ص19.
[2]- أسس السيميائية، م س، ص28.
[3]- سيميولوجيا الصورة بين النظرية والتطبيق، رضوان بالخيري، قرطبة للنشر والتوزيع - الجزائر، ط1، 1433هـ - 2012م، ص11.
[4]- السيميائية (الأصول، والقواعد، والتاريخ)، م س، ص28.
[5]- المقدمة، لعبد الرحمن بن خلدون (ت808ه)، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1421هـ - 2001م، صص664 و668.
[6]- الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، عصام خلف كامل، دار فرحة للنشر والتوزيع، ص19.

وحددها [محمد السرغيني]، بأنها ذاك "العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيا كان مصدرها لغويا أو سننيا أو مؤشريا"[2].

يتضح من خلال قراءة، التعاريف المعطاة لمفهوم السيميائيات، أنها كلها أشارت إلى ما يسمى "بعلم السيمياء"، وإن اختلفت في الدلالة عليه، فمعناه – مثلا – عند [ابن سينا] أو عند [ابن خلدون] يختلف عما هو عند غيرهما، وهكذا؛ لكن المعنى الغالب لكلمة "السيمياء"، والمقصود هو "العلامة"، وهذا مؤشر كاف لتكون العلامات وأنساقها؛ هي الموضوع الرئيس للسميائيات.

---

[1]- الاتجاه السيميولوجي، م س، ص19.
[2]- الاتجاه السيميولوجي، م س، ص19.

ثانيا: مفهوم العلامة

تعتبر العلامة أهم مكون من مكونات علم "السيميوطيقا"؛ لذلك حظيت بعناية خاصة في هذا العلم، فما مفهومها؟

هي الشيء الذي يحيل إلى شيء ليس هو، أو هي البديل عن شيء أو فكرة، البديل الذي يجعل التلمس الرمزي لهذه الفكرة سهلا، إنها شيء يعادل شيئا آخر مختلفا عنه يقوم مقامه وينوب عنه"[1].

فتعدد الدلالات للعلامة الواحدة؛ هي ما يجعل القراءة تنقيبا مستمرا عن الأشكال الدلالية الضمنية المتخفية وراء الدلالات التقريرية المتحققة مباشرة، وهذا ما نريد الإشارة إليه من خلال دراسة دلالة العنوان في المحور الموالي.

ثالثا: العنوان {مفهومه/ أنواعه/ مكانه وعلاقته بالنص/ تحليله}.

يعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يسهم في توضيح دلالات النص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية فهما وتفسيرا وتفكيكا وتركيبا؛ ومن ثم فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص، والتحليق في أجوائه، والتجوال بين ضفافه. فهو "أول عتبة يمكن أن يطأها الباحث السيميولوجي قصد استنطاقه واستقرائه بصريا ولسانيا، وأفقيا وعموديا"[2]

كما أن العنوان؛ هو الأداة التي يتحقق بها اتساق النص وانسجامه، وبها تبرز مقروئيته، وتنكشف مقاصده ومراميه المصرحة والمضمرة. ولهذا يرى البعض أن النص هو العنوان، والعنوان هو النص، وبينهما علاقات متبادلة، كالعموم والخصوص، أو الكلية والجزئية...؛ من هنا أدرك الباحثون المعاصرون أهمية دراسته، فما معناه لغة واصطلاحا؟.

---

[1]- القيم في الإشهار التلفزيوني الجزائري، رسالة لنيل شهادة الماستر، من إعداد الطالبتين: العرباوي مكية وميطرة اسمهان، تحت إشراف: بلغيثية سميرة، 2013-2013، نقلا عن: السيميولوجيا بقراءة رولان بارث، وائل بركات، مجلة جامعة دمشق، مج18، ع2، 2002، صص56-57.

[2]- السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، المج25، ع3، يناير، مارس 1997، ص97.

1- مفهومه:

أ- في اللغة:

يرجع العنوان – من حيث كونه – علامة لغوية إلى جذر "عنن" و"عنا" و"علن" ...، بحيث تشترك في دلالتها على نفس المعنى، فجذر "عنن" مثلا، ورد في اللسان: "... وعن الكتاب يعنه عنا وعننه: كعنونه، (...)، وقال اللحياني: عننت الكتاب تعنينا وعنيته تعنية إذا عنونته، (...)، سمي عنوانا لأنه يعن الكتاب من ناحيته، (...)، قال ابن بري: والعنوان الأثر"[1]. فهذا الجذر يتضمن معنى الظهور.

وجذر "عنا"، قال ابن سيدا: "العنوان والعنيان سمة الكتاب. وعنونه عنونة وعنوانا وعناه، كلاهما: وسمه بالعنوان. وقال أيضا: والعنيان سمة الكتاب، وقد عناه وأعناه، وعنونت الكتاب وعلونته. قال يعقوب: وسمعت من يقول أطن وأعن أي عنونه واختمه. وقال ابن سيده: وفي جبهته عنوان من كثرة السجود أي أثر؛ حكاه اللحياني..."[2].

أما جذر "علن": فورد في معناها: "وعلوان الكتاب: يجوز أن يكون فعله "فعولت" من العلانية. يقال: علونت الكتاب إذا عنونته. وعلوان الكتاب: عنوانه"[3].

وعند التدقيق في هذه الجذور أو الأصول – نجدها – تحوم حوم معنى واحدا هو الوشم/ الوسم أو الإبراز أو التعيين.

ب- في الاصطلاح:

وردت مجموعة من التعاريف الاصطلاحية للفظة "عنوان"، لدارسين عربا وأجانب، نوردها بعضها كالآتي:

فـ [جاك فونتاني] يري بأن العنوان مع علامات أخرى هو من الأقسام النادرة في النص التي تظهر على الغلاف، وهو نص موازي له"[4]. بمعنى أن العنوان يرتبط أشد الارتباط بالنص الذي يعنونه فهو بمثابة نص مختصر يتعامل مع نص كبير يعكس كل أغواره وأبعاده.

---

[1]- لسان العرب، م س، 294/13.
[2]- لسان العرب، م س، 106/15.
[3]- لسان العرب، م س، 289/13.
[4]- شعرية عنوان كتاب: الساق على الساق، محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، مج: 28، العدد:01 - الكويت، 1999، ص4.

في حين يرى[رولان بارت] أن العناوين عبارة عن أنظمة دلالية سيميائية تحمل في طياتها قيما أخلاقية، واجتماعية، وإيديولوجية، وهي رسائل مسكوكة مضمنة بعلامات دالة، مشبعة برؤية العالم، يغلب عليها الطابع الإيحائي"[1].

وعرفه [السيوطي] بقوله: "عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله"[2] وترى "بشرى البستاني" بأنه: "رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها، و تجذب القارئ إليها و تغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه "[3].

في حين نجد [محمد فكري الجزار] يقول: "العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار إليه، و يدل به عليه، يحمل وسم كتابه، وفي الوقت نفسه يسمه العنوان – بإيجاز يناسب البداية – علامة ليست من الكتاب جعلت لكي تدل عليه"[4].

وما نستخلصه من هذه المفاهيم؛ هو أن العنوان مرتبط ارتباطا وثيقا بالنص الذي يعنونه فيكمله، وهو ما يوضع على رأس النص ليعرف به ويحيل على فحواه، باعتباره علامة لغوية تسم النص وتحدده، وتجذب القارئ لقراءته، من هنا تتجلى الأهمية الكبرى للعنوان باعتبار عتبة من عتبات فهمه.

ولكن هذا لا يعني أن العتبات – بما فيها العنوان – ستغني عن النص أو تعوضه، وإنما ينبغي أن يوضع في الحسبان أن النص هو الأساس، وهذه العتبات – ومن بينها العنوان – ما هي إلا بوابة العبور إليه، وهذا ما أشار إليه [يوسف الإدريسي] بقوله: "لقد كان سياق ظهور الكتابات المهتمة بدراسة عتبات النص محكوما بالرغبة في التنبيه على قيمة الموازيات النصية، وأهميتها في كشف جوانب من معنى النص وبيان خصائصه الجمالية، انطلاقا من موقعها الاستهلالي، دون أن يعني ذلك إطلاقا إحلال العتبات محل النص والانشغال بدراستها على حساب كشف خصائصه الفنية ومميزاته الدلالية والوظيفية. ولعل في تسميتها عتبات النص أو الهوامش النصية ما يشير إلى ذلك،

---

[1]- معجم السيميائيات، م س، ص226.

[2]- العنوان في الثقافة العربية (التشكيل ومسالك التأويل)، محمد بازي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم - الجزائر، ط1، 2012، ص16.

[3]- علم العنونة، لعبد القادر رحيم، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر - سوريا، ط1، 2010، ص43.

[4]- في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، خالد حسين حسين، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر - دمشق، 2007، ص77.

ويشي بكونها مجرد نقط للعبور والولوج إلى عوالم أرحب وفضاءات متمفصلة بقوة وبكيفية أكثر تعقيدا"[1].

هذا ما يتعلق بمفهوم العنوان، فماذا عن أنواعه؟.

2- أنواعه

لن نشير في هذا المحور – من أنواع العنوان – إلا لما نحتاجه في بحثنا المدروس؛ لأن هذه التسمية – العناوين – تثير معان كثيرة من قبيل: العنوان الرئيس/ الفرعي/ الثانوي/ الخارجي/ الداخلي/ الإخباري/ الموضوعاتي/ ... وكل هذا غير مقصود من بحثنا.

أ- العنوان الرئيس:

إذا كان العنوان الخارجي يعنون الكتاب ككل، فإن العناوين الداخلية تسم الأجزاء الصغرى الداخلية وتحدد مضامينها، أو توحي بها، أو ترتبط بها بأي شكل من أشكال الارتباط التام أو الجزئي، وهو العنوان الذي يتصدر الكتاب، أو العمل الأدبي فيعطي للعمل هويته لذلك يجد الكاتب صعوبة في صياغته، ذلك أنه أول ما يقع عليه بصر المتلقي ولا يقتصر العنوان الرئيس على المؤلفات بل قد يكون في مجلة أو جريدة لأنه أداة إبراز للخبر"[2].

ب- العنوان الداخلي:

يقصد بالعناوين الداخلية تلك التي بمقتضاها يمفصل "الكاتب" الشريط اللغوي أو مساحة النص اللغوية بعضه عن بعض، لغايات مختلفة بمؤشرات لغوية أو طباعية، و هي في العموم تؤدي وظائف مشابهة ومتماثلة لما يؤديه العنوان العام"[3].

3- مكان وجوده وعلاقته بالنص

قبل الإشارة إلى موضع العنوان، لابد من ذكر حقيقة هامة، وهي أن العنوان خصيصة الخطابين النثري والعلمي دون الشعري؛ لأن الشعر يمكنه الاستغناء عن هذا العنوان من جهة، ولأن النثر يرتبط به أشد الارتباط من جهة أخرى؛ وهذا ما ذهب إليه [جون كوهن] حين قال:

---

[1]- عتبات النص (بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر)، يوسف الإدريسي، منشورات مقاربات، ط1، 2008، ص16.

[2]- سيميائية الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح للشاعر عبد الله العشي، شادية شقروش، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط1، 2010، ص31.

[3]- في نظرية العنوان، م س، ص82.

"نلاحظ مباشرة أن كل خطاب نثري علميا كان أم أدبيا يتوفر دائما على عنوان، في حين أن الشعر يقبل الاستغناء عنه"[1].

أما عن مكان وجود العنوان، فلم تكن من قبل في الصفحة الأولى بالضرورة كما هو عليه الأمر حاليا، لأن هذه الصفحة – صفحة العنوان – لم تظهر إلا في السنين التي تطورت فيها صناعة الكتب ثم ظهور الغلاف المطبوع، بحيث كان يلتمس العنوان ويعرف إما في مطلع أو خاتمة المؤلفات، وعلى رأسها المخطوطات، "فكان العنوان يعرف إما من بداية النص أو من نهايته، حيث كانت المخطوطات قبل ظهور الطباعة لا تحمل صفحة العنوان، لهذا يبحث عن العنوان في نهاية المخطوط مع اسم الناسخ وتاريخ نسخه"[2].

إلى هنا نكون قد أشرنا إلى بعض ما يخص العنوان، وما يرتبط به من مفهوم، وعلاقة بالنص، ومكان وجود، لننتقل إلى قراءته سيميائيا، مع المحور الموالي.

---

[1]- سردية النص الأدبي، ضياء غني لفته وعواد كاظم لفته، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، 2011، ص 112. والسيميوطيقا والعنونة، م س، ص97.

[2]- عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون - الجزائر، ط1، 2008، ص69.

4- قراءة سيميائية للعنوان المدروس (التحليل)[1]:

"سلوة المحبين والمريدين ونكاية الحاسدين والحاقدين في مناقب سيدي محمد ابن الفقيه أحد الأفراد العارفين".

انبنى كتاب السلوة، على عنوان رئيسي، ومقدمة، وستة أبواب، ثم اختتام، تحت عنوان: (سلوة المحبين والمريدين، ونكاية الحاسدين والجاحدين في مناقب سيدي محمد ابن الفقيه أحد الأفراد العارفين)، على الشكل الآتي:

مقدمة: وهي عبارة عن خطبة مثلها مثل خطب المصنفات القديمة، وما تتسم به من قوة حجاجية تعكس فلسفة النص وغاياته الصريحة والمضمرة، تستهوي المتلقي، وتهيئه لقبول ما سيرد فيما بعد من أفكار ومواقف، عبر رزنامة لغوية مكثفة؛ وهذا ما نلمسه بعد البسملة والصلاة من قوله: "الحمد لله الكريم الوهاب، الفاتح الأبواب، الذي رفع عن قلوب من شاء من عباده المؤمنين حجب الران والارتياب، فمازالوا يحدثون نفوسهم بكمال تحميده، ويجردون أرواحهم في جمال تمجيده، ويصلون أسرارهم قدس توحيده وتفريده، حتى أتم لهم ذلك شوقا إلى مطالعة وجوده، فضاقت عليهم به دونه جميع المواطن والرحاب...".

ثم تلت هذه المقدمة الأبواب الآتية:

الباب الأول: فيما يرجع إليه رضي الله عنه ويختص به من استقامة، ومتابعة وحسن سريرة، وذكر وحال وشوق وذوق ومحبة، إلى غير ذلك مما يلائم هذا النوع.

الباب الثاني: في أخباره رضي الله عنه بمراتبه وكتابته لبعض أهل الوقت أو لأصحابه، وثناء أهل الفضل والصلاح عليه قديما وحديثا؛ في البداية والنهاية، ومكاتبتهم له وإخبارهم بمراتبه وعلو شأنه، وأنه صاحب الوقت، فريد العصر.

الباب الثالث: فيما يرجع للثناء عليه، والإشعار بمزيته وخصوصيته رضي الله عنه؛ بإخبار أرباب المكاشفات برؤيتهم له مع النبي صلى الله عليه وسلم، وما قال فيه صلى الله عليه وسلم، أو قيل له بحضرته فأقره عليه الصلاة والسلام.

---

[1]- في هذا المحور ستتطرق إلى قراءة عتبة العنوان (أساسا)، مع إشارة خفيفة للعتبات الأخرى.

الباب الرابع: في إغاثة الملهوفين، وفك المأسورين، ونجاة الغارقين والمتوغلين في الشدائد، والمستصرخين به رضي الله عنه برا وبحرا.

الباب الخامس: فيما جرىٰ له رضي الله عنه من أنواع القربات، واستفيد بمدده من العلوم والمكاشفات؛ بالأنوار الربانية والأسرار الإلهية.

الباب السادس: فيمن انتقم الله منه؛ ممن حك بساحته بأنواع العذاب والنكال، وصيرورة من طاف حوله من مريدي إذايته إلىٰ بيس مصير، وأسوأ حال.

واختتم الكتاب بإشارة مفادها: "انتهىٰ والحمد لله بلا منتهىٰ، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم اغفر لنا وارحمنا، وارحم والدينا، وارحم موتانا، وارحم من علمنا، وارحم بفضلك جميع المسلمين والمسلمات يا أرحم الرحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين".

شكلت المقدمة ما يسمىٰ "ببراعة الاستهلال"؛ وهي بذلك عبارة عن إشعار وإيذان بما سيأتي بعدها مبسوطا ومفصلا في الأبواب، وقبل ذلك مجملا ومكثفا في العنوان.

العنوان الرئيس.

سبق وأن أشرنا إلى أن العنوان يشكل أول عتبة، وأوسع باب، وأعلى نافذة، وأجذب نظر بالنسبة للمتلقي عموما؛ من هنا تتجلى مزيته، وهو بذلك أحرى – بحصة الأسد من غيره – قراءة وتحليلا سيميائيا، مع عدم إغفال بعض العتبات الأخرى ك: (اسم المؤلف/ الغلاف/ الصور/ العناوين الأخرى بمختلف أنواعها/ المقدمة/ الخاتمة/ ...).

ونعزز قولنا هنا برأي (أندريه مارتنيه) الذي ذهب إلى أن العنوان "يشكل مرتكزا دلاليا يجب أن ينبني عليه فعل التلقي، بوصفه أعلى سلطة تلق ممكنة، ولتميز بأعلى اقتصاد لغوي ممكن، ولاكتنازه بعلامات إحالة (مقصدية) حرة إلى العالم، وإلى النص، وإلى المرسل..."[1].

وعلى ضوء هذه الأهمية، سيتم تحليل هذا العنوان وقراءته قراءة سيميائية؛ وذلك بتفكيكه وشرحه عبر الدلالات الآتية:

أ- الدلالة البصرية:

نلحظ أن هذا العنوان كتب بخط واضح مميز عن الخط الذي كتب به المؤلف (الكتاب)، وهو ما كتبت به الأبواب أيضا، كما نرى أن العنوان مكون من طرفي نقيض وهما: "سلوة المحبين والمريدين/ ونكاية الحاسدين والجاحدين"، وبهذا نجد كل طرف له معنى ومغزى مقصود. وقد تم نسجه في ستة كلمات وهي:

{(سلوة + المحبين + المريدين) + (نكاية + الحاسدين + الجاحدين)} = (القصد والغاية) = (مناقب سيدي محمد ابن الفقيه أحد الأفراد العارفين)؛ فهي عبارة عن دوال صغرى، مجتمعة لتكون دلالة كبرى ذات معنى ومقصد، وبمعنى آخر: سيميائيات صغرى + روابط = سيميائية كبرى.

فلا شك أن مجموع هذه الدوال التي تحملها هذه الألفاظ الخمسة تضمنت واحتوت الهدف والغاية المنشودة والمدلول عليه. فهذه الدوال هي التي تستهوي المتلقي وتجذبه، ثم تؤثر فيه سلبا أو إيجابا؛ وبهذا تكون سيميائية العنوان تعبيرا عما يخالج الذات المبدعة نفسيا وفكريا ووجدانيا...، عبر طرفين متعارضين ومتناقضين. وهذا ما سيبينه الجانب المعجمي.

---

[1]- مبادئ ألسنية عامة، أندريه مارتنيه، تر: ريمون رزق، دار الحداثة - بيروت، 1990، ص223.

ب- الدلالة المعجمية:

يحيل العنوان – قيد الدراسة – على معاني معجمية متنوعة، فـ:

سلوة: هي كل ما يسلي، ويطيب النفس ويجبر الخاطر[1].

المحبين: أي من المحبة والوداد والوئام، وهو نقيض البغض والكراهية[2].

المريدين: ج مريد وهو هنا بمعنى التلميذ أو التابع للنهج والطريقة، والمقتدي بغيره.

نكاية: وهي الغلبة والنصر، والإفحام والإلجام والمنع والإسكات[3].

الحاسدين: ج حاسد وهو الذي يتمنى زوال نعمة المحسود، والسبب في ذلك الحقد والكراهية[4].

الجاحدين: ج جاحد وهو المنكر رغم معرفته وعلمه بما ينكره، وهو ضد الإقرار والاعتراف[5].

مناقب: ج منقبة وهي الفعلة الكريمة، و المفخرة[6].

الأفراد: ج فرد؛ قيل: "وفرد تفريدا: تفقه، واعتزل الناس، وخلا لمراعاة الأمر والنهي، ومنه (طوبى للمفردين)، و(سبق المفردون): وهم المهتزون بذكر الله تعالى، وهم أيضا الذين هلكت لذاتهم، وبقوا هم"[7].

العارفين: ج عارف، أي "بمعنى مثل عليم وعالم"[8]. وهو "من أشهده الرب نفسه، فظهرت عليه الأحوال، والمعرفة حاله"[9].

وبهذا تكشف لنا هذه الدلالة المعجمية، على العديد من المرامي التي في ذهن المؤلف، والتي يريد توصيلها إلى المخاطب. هذه الدلالة التي تضافرت مع الدلالة البصرية في نفس المنحى، وستزداد التحاما بالدلالة التركيبية اللاحقة.

---

[1]- المقاييس، م س، 92/3. والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ - 2004م، ص447.

[2]- لسان العرب، 289/1-290.

[3]- كتاب العين، تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 266/4. والمقاييس، م س، 473/5. والمعجم الوسيط، م س، ص953.

[4]- لسان العرب 148/3.

[5]- لسان العرب، 106/3.

[6]- المقاييس، كتاب النون، 466/5. والقاموس المحيط، ص139.

[7]- القاموس المحيط، ص305.

[8]- لسان العرب، 236/9.

[9]- التوقيف على مهمات التعاريف، للشيخ عبد الرءوف بن المناوي، (ت952هـ - 1031م)، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب - القاهرة، ط1، 1410هـ - 1990م، ص233.

ج- الدلالة التركيبية (النحوية):

في هذه الدلالة النحوية نجد المؤلف، نظم عنوانه في التركيبة الاسمية التي تدل على الثبات والتقرير، فـ:

سلوة: خبر لمبتدأ محذوف مرفوع، تقديره هم أو هي أو هو، وهي مضاف.

المحبين: مضاف إليه مجرور بالياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم.

الواو: حرف عطف يتضمن معنى المشاركة في حكم الجملة.

المريدين: معطوف على المضاف إليه مجرور.

الواو: للاستئناف وهي هنا للمقابلة والضد والنقيض.

نكاية: عطف على ما قبله (خبر المبتدأ المحذوف) مرفوع، وهو مضاف.

الحاسدين: مضاف إليه بالياء؛ لأنه جمع مذكر سالم.

الواو: حرف عطف يتضمن معنى المشاركة في حكم الجملة.

الجاحدين: معطوف على المضاف إليه، مجرور.

في: حرف جر مبني على السكون.

مناقب: مجرور بالكسرة الظاهرة في آخره.

سيدي: بدل أو عطف بيان من سلوة مرفوع بالضمة المقدرة قبل ياء المتكلم المانع من ظهورها اشتغال المحل.

محمد: بيان مرفوع بالضمة الظاهرة في آخره، وهو مضاف.

ابن: عطف بيان مرفوع وعلامة رفعه الضمة

الفقيه: مضاف إلى ما قبله مجرور بها.

أحد: نعت أو صفة للفقيه مجرور، وهو مضاف.

الأفراد: مضاف إليه مجرور.

العارفين: معطوف عليه مجرور.

لنرى ما ستعرب عنه الدلالة البلاغية، قبل أن نقول؛ كلمة جامعة لهذا التكامل بين كل الدلالات.

د- الدلالة البلاغية:

سبك العنوان - المدروس - في عبارة بديعية جامعة لمحسنات معنوية ولفظية؛ من سجع وجناس، وطباق ومقابلة، فهناك سجع في قوله: "المحبين والمريدين - الحاسدين والحاقدين"، ونلمس الجناس الناقص على مستوى الجرس الصوتي في: "المريدين/ الحاقدين/ العارفين"، ونجد الطباق بين "سلوة ونكاية/ المحبين والحاسدين"، كما نرى المقابلة بين "سلوة المحبين والمريدين/ ونكاية الحاسدين والجادين". هذا النسج البديعي الذي يطرق أذن السامع مرورا إلى قلبه، فيستهويه ويجذبه.

وهكذا تتآزر كل الدلالات في اتجاه تشيكل (رؤيا ورؤية) عامة عن قصدية الكتاب ومراميه، علاوة على الدلالة العميقة؛ والتي سينكشف معها المراد انكشافا ويتضح اتضاحا.

هـ* الدلالة العميقة:

حيث لا يكتمل المعنى ويتضح أكثر فأكثر إلا بعد الرجوع إلى النص الذي تمفصل إلى مقدمة وستة أبواب؛ فالمعنى العام والغاية المنشودة من تأليف الكتاب، لا تنجلي إلا بعد الاطلاع على ما تضمنته هذه المقدمة مع الأبواب الستة، فكل واحد منها ينفرد بجزئية مما شمله العنوان الرئيس.

هذا، إلى جانب شيء مهم جدا لا يمكن إغفاله أو تغافله؛ وهو هذه النفحة الصوفية، أو المشرب الأخلاقي السلوكي الذي يعبر عنه العنوان من خلال مصطلحاته التي تشكل منها، وهذا ما تعرب عنه الكلمات: "سلوة/ المحبين/ المريدين/ مناقب/ الأفراد/ العارفين"، فكلها تنتمي إلى حقل التصوف، وتروج فيه ....

بهذا يمكن القول: إن العنوان جاء ليثبت ويقرر حقيقة؛ وهي التدليل على ما اختص به ابن الفقيه من مزايا وفضائل ومناقب وكرامات...، مواساة للأتباع: تلاميذ ومريدين. ورد ما قاله الحاسدون والجاحدون - لهذه الفضائل والمزايا، والمناقب والكرامات...- وبيان فسادها وبطلانها.

ألا نرى أنه ابتدأ العنوان بلفظة "سلوة"، التي يراد بها تسلية وتطييب نفس محبي وأتباع الشيخ والدفاع عنهم، وفي الوقت نفسه يعلن اعتراضه ومواجهته للحاسدين والجاحدين لمناقب الشيخ؛ حيث نجده وظف لفظة "نكاية" التي تدل على التنكيل والإلجام؛ لإسكاتهم وإفحامهم.

من ذلك نستشف؛ أن العنوان ذو بعد حجاجي بارز، يروم التقرير والإثبات من جهة، ثم النفي والدحض من جهة ثانية.

هذا ولا يمكن أن تتضح الصورة الكلية للكتاب – كما أسلفنا قوله وتنجلي بشكل أبين – إلا إذا تم النظر في العناوين الداخلية كذلك، والوقوف على جزئياتها وتمفصلاتها، وهذا ما سنعرج عليه بإيجاز فيما يلي:

العناوين الداخلية:

إن لهذه العناوين الداخلية، دورا بارزا في خدمة الدلالة العامة للكتاب، وتفاديا للتكرار، لن نوردها هاهنا بكامل رسمها، وإنما سنكتفي بذكر ما اختصت به في خدمة القصد والدافع من تأليف الكتاب.

فالباب الأول: فيما يرجع إليه رضي الله عنه ويختص به من استقامة، ومتابعة وحسن سريرة، وذكر...، وهي عبارات كافية معبرة أيما تعبير؛ فلو أخذنا الدوال: (استقامة/ حسن سريرة/ ذكر)، فهي تروم نعت ما اتصف به الشيخ من مزايا وفضائل، وبذلك يزداد المحب المريد محبة واطمئنانا، ويرجع عن جحوده وحسده المخالف له. فإذا كان هذا هو حال الشيخ فإنه لا يختلف اثنان في هذه المسألة، والذي خالف معاند مستكبر، وإذا لم يكن حاله كما وصف، فالمتبع له غبي أحمق، مقلد تقليدا أعمى.

الباب الثاني: لنأخذ هذا المقطع: "...وثناء أهل الفضل والصلاح عليه قديما وحديثا (...)، وإخبارهم بمراتبه وعلو شأنه، وأنه صاحب الوقت، فريد العصر".

فلا شك أن عتبة هذا الباب، تحمل في طياتها معاني خاصة غير التي في الأبواب الأخرى، هذه المعاني نستخلصها من بعض الدوال الواردة فيه من قبيل: (ثناء أهل الفضل/ إخبارهم بمراتبه/ علو شأنه/ صاحب الوقت/ فريد العصر)، فهذه الدوال مرشدة إلى معنى أعم من الخصوص، وأخص من العموم؛ إذ تخبرنا بمقام الشيخ شريعة وطريقة وحقيقة، ولكنها لا تجمل الكلام عنه إجمالا، وإنما تحتاج إلى العتبات الأخرى.

الباب الثالث: فيما يرجع للثناء عليه، والإشعار بمزيته وخصوصيته رضي الله عنه؛ بإخبار أرباب المكاشفات برؤيتهم له مع النبي صلى الله عليه وسلم، وما قال فيه صلى الله عليه وسلم، أو

قيل له بحضرته فأقره عليه الصلاة والسلام. فإذا نظرت إلى عتبة هذا الباب، ألفيتها تشير إلى سيميائية صغرى ضمن السيميائية الكبرى، ألا وهي إضفاء نوع من القداسة على الشيخ، من خلال الرؤيا مع سيد العالمين والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليه، وهذه الدلالة كافية لوحدها في هذه العتبة الفرعية، لتتعزز مع باقي العتبات في بناء التصور العام للكتاب.

الباب الرابع: في إغاثة الملهوفين، وفك المأسورين، ونجاة الغارقين والمتوغلين في الشدائد، والمستصرخين به رضي الله عنه برا وبحرا.

أنظر يرعاك الله إلى الدوال المكونة لهذا الباب، فهي ترمز إلى كرامات الشيخ؛ ومن ثم فذكرها يواسي أناسا (المحبون والمريدون)، ويقدم حججا لآخرين (الحاسدون والحاقدون)، فعتبة هذا الباب وردت خاصة لهذا القصد.

الباب الخامس: فيما جرى له رضي الله عنه من أنواع القربات، واستفيد بمدده من العلوم والمكاشفات؛ بالأنوار الربانية والأسرار الإلهية.

نقول إن عتبة هذا الباب قريبة جدا إلى درجة التشابه مع العتبة التي قبلها، لكنها لا تطابقها، بل تمايزها وتنفرد عنها، وهذا ما يدفع مرة أخرى إلى الدعوة بضرورة تضافر العتبات الصغرى (السيميائيات الجزئية) لبناء العتبة الكبرى (السيميائية العامة).

الباب السادس: فيمن انتقم الله منه؛ ممن حك بساحته بأنواع العذاب والنكال، وصيرورة من طاف حوله من مريدي إذايته إلى بيس مصير، وأسوأ حال.

جاءت هذه العتبة بالجديد، والمتمثل في تقديم دوال دالة على معاني أخرى غير التي في العتبات السابقة، وذلك من خلال مصير ومآل كل من ضايق الشيخ أو أذاه بأي نوع من الإذاية، وفي هذا رمزية وإيحاء مفاده تقديم الحجة والدليل.

وبهذا نخلص إلى الآتي:

المقدمة + الباب 1 + الباب 2 + الباب 3 + الباب 4 + الباب 5 + الباب 6 = العنوان = النص = القصد والغاية من تأليف الكتاب.

وبتعبير آخر:

دالة المقدمة

+ دالة الباب الأول

+ دالة الباب الثاني

+ دالة الباب الثالث

+ دالة الباب الرابع

+ دالة الباب الخامس

+ دالة الباب السادس

= الدلالة العامة = العنوان = النص = القصد والغاية من تأليف الكتاب.

وبهذا يكون العنوان قد أدى وظيفته التي نسج من أجلها، وعلى رأسها تهييئ القارئ نفسيا لولوج عالم القداسة.

الفرع الثاني: حجاجية التناص

إن المتمعن في الإبداع الأدبي للمؤلفين القدامى؛ يجدها تزخر بمجموعة من المعارف والأفكار المنسوجة في جمالية التعبير وحسن البيان، منشئين بذلك براعة في النظم والنثر والتأليف؛ الأمر الذي نجد معه منظري الكتابة يضعون شروطا ينبغي توفرها في الكاتب لبلوغ قصده ومرماه.

ولهذا ينبغي للكاتب أن يتسلح بالآليات والوسائل الضرورية من أجل التغلب على العراقيل التي يمكن أن تواجهه وتتحكم في إبداعه، لأن الكتابة الجيدة والجميلة تحتاج إلى أدوات كثيرة ووسائل مختلفة وعلى رأسها امتلاك ناصية اللغة العربية بأساليبها المتنوعة.

ومن هذه الوسائل ما أصبح يعرف بالتناص، لما يضفيه هذا الأخير من جمالية إمتاع وبلاغة إقناع على أدب الأديب.

هذا ما نجده عند ابن يخلف في سلوته؛ حيث توسل بهذا المقوم وهو يؤلف كتابه، قاصدا إيصال فكرته إلى المتلقين من أجل شد انتباههم، ثم إقناعهم بما يريد تبليغم إياه.

فيا ترى ما معنى التناص لغة واصطلاحا؟ وماهي أنواعه؟ وأين يتجلى لدى ابن يخلف من خلال كتابه السلوة؟.

أولا: مفهوم التناص

1- في اللغة

يقول ابن فارس في معجم المقاييس في مادة "نص" إن "النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء..." و"منه قولهم نص الحديث إلى فلان: رفعه إليه... ومنصة العروس منه أيضا. وبات فلان منتصا على بعيره، أي منتصبا. ونص كل شيء: منتهاه"[1]. أما عند صاحب اللسان، فهو من "نصصت: إذا جعلت بعضه على بعض، ومنها ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره ومنه قول الفقهاء: نص القرآن ونص السنة، أي ما دل ظاهر لفظها عليه من الأحكام"[2].

المستفاد من هذين التعريفين، أن التناص يدل على الرفعة والظهور والتداخل.

---

[1]- معجم مقاييس اللغة، م س، ج 3/ 356.

[2]- لسان العرب، م س،442/6.

2- في الاصطلاح:

حظي مفهوم التناص بعناية كبيرة من طرف دارسين ونقاد - عربا وغربيين – فعرفوه بتعاريف عديدة نذكر منها:

أ- لدى الغربيين:

- **جوليا كريستيفا:** ذهبت إلى أن التناص هو: "التفاعل النصي في نص بعينه"[1]. وتقول في موضع آخر هو: "التقاطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائدة إلى نصوص مختلفة"[2].
- **جرار جنيت:** يرى جرار أن التناص عبارة عن "تلاقح النصوص عبر المحاورة والاستلهام والاستنساخ بطريقة واعية أو غير مقصودة كما هو الشأن لدى كريستيفا وباختين"[3].
- **لوران جيني:** الذي يعتبر التناص "تحويلا وتذويبا لنصوص عديدة مكتشفة من طرف نص مركز هو يحتف بقيادة المعنى"[4].

من خلال هذه التعاريف، نستشف أن مفهوم التناص؛ يحوم حول مفاهيم محددة كالتفاعل التحاور/ التلاقح/ التداخل/ الذوبان...؛ وهي مفاهيم متجاورة وغير متباعدة دلاليا.

ب- عند العرب:

هناك العديد من الدارسين والنقاد العرب الذين اهتموا بظاهرة التناص بحكم الجسور الممتدة والانفتاح الثقافي على الغرب من أمثال: [سعيد يقطين] و[علال الزعيم]، و[محمد مفتاح] وغيرهم.

مع العلم أن مفهوم التناص ونشأته في النقد العربي – وإن كان مصطلحا جديدا – فإنه ذو أصول أدبية ونقدية قديمة، فالمتأمل في طبيعة التأليفات النقدية العربية القديمة يعطينا صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناص فيه؛ ولكن تحت مسميات أخرى وبأشكال تقترب من المصطلح الحديث، ذلكم وأن "الشعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية، وضرب مثلا بالمقدمة الطللية؛ والتي تعكس شكلا لسلطة النص وقراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها وللتداخل النصي بينها"[5].

---

[1]- م س، ص20

[2]- التناص "اقتحام الذات عالم الآخر"، حسن فلاح أوغيلي، مجلة الموقف الأدبي - دمشق، ع 355، نيسان 2001، ص1.

[3]- السيميوطيقا والعنونة، ص103.

[4]- لذة النص أو مغامرة الكتابة لدى بارت، عمر أوكان، افريقيا الشرق - الدار البيضاء، 1991، ص298.

[5]- التناص (النشأة والمفهوم) "جدارية محمود درويش نموذجا"، إيمان الشنيني، مجلة أفق إلكترونية، ص10.

وهذه بعض تعاريفهم:

- **سعيد يقطين:** الذي يرى أن "الاقتباس، والتضمين والاستشهاد مفاهيم يشتمل عليها التعالق النصي"[1].
- **علال الزعيم:** الذي يقول في نص طويل: "يعرف التناص كآثار نص سابق في نص لاحق سواء كان ذلك النص لنفس الكاتب أم لغيره. منه ما هو صريح أو مباشر حين يحمل إشارات أو تلميحات إلى مصادره فيكون من السهل التعرف على النص السابق، ومنه ما هو غير مباشر وضمني وهو ما يتعذر أحيانا إدراكه والوقوف على مصدره"[2].
- **محمد مفتاح:** يقول في حده للتناص الذي يراه عبارة عن "فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة. أو هو ممتص لها يجعلها من عندياته وتصييرها منسجمة مع فضاء بنائه، ومع مقاصده، أو هو محول لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالتها، أو يهدف تعضيدها، والتناص أيضا هو ترابط نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"[3] .

ما يستفاد من هذه التعاريف – كسابقتها – دورانها حول معان محددة للتناص من قبيل التأثير والتأثر/ التعالق/ الامتصاص/ إلى غيرها من المفاهيم المتآلفة.

والناظر في تعاريف – هؤلاء النقاد سواء أكانوا عربا أم غربيين – يجدها تصب في كيان واحد؛ هو أن التناص يمثل "تبادلا، حوارا، رباطا، اتحادا، تفاعلا بين نصين أو عدة نصوص"[4].

وعلى الرغم مما وجه للتناص من نقد إلى درجة نعته بأوصاف شنيعة وقبيحة مثل: "الاصطراف، والسرقة، والسلخ والاجتلاب، والانتحال، والإغارة، والغصب، والمرادفة... والاختلاس... والالتقاط"[5].

---

[1]- انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز العربي - بيروت، ط1، 1989، ص316.

[2]- مقال: الترجمة والتناص، علال الزعيم علال الزعيم، ضمن أعمال الندوة الوطنية للدراسات الإسبانية في المغرب، الحصيلة والآفاق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز - فاس، 2010، ص57.

[3]- تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، محمد مفتاح، ط 2، 1986م، ص121.

[4]- لذة النص، م س، ص29.

[5]- عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، تح: عباس الستار، مراجعة منعم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1982، ص79 وما بعدها.

وما يمكن أن يسلم به لهذا التوجه من صحة وصواب، إلا أنه يبقى نسبيا وغير مطلق ومجحف – حقيقة – ومنكر للأهمية الكبيرة والدور الذي يضفيه التناص على أدب الأديب إقناعا وإمتاعا، حيث

يشكل: "وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونه"[1].

علاوة على أنه "ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم"[2].

زيادة على أن إخراج أي نص إلى الوجود من غير الاستناد إلى نصوص سابقة من الأمر العسير، بل "لابد للكاتب المرتقي إلى درجة الاجتهاد في الكتابة من حفظ القرآن الكريم، والاستكثار من حفظ الأخبار النبوية، والأشعار المختارة، ومن العلم بأدوات الكتابة، وآلات البيان (...) فالمجتهد في الكتابة يستخرج المعاني من مضانها؛ من القرآن الكريم والأخبار النبوية، والأشعار والأمثال وغير ذلك، بواسطة آلة الاجتهاد"[3].

نكتفي بما ذكر من تعاريف، ولننتقل إلى محور آخر يهم؛ أنواع التناص وتجلياته في كتاب السلوة لابن يخلف.

---

[1]- م ن، ص134- 135.

[2]- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1340هـ 1922م، 321/2.

[3]- م. ن، ص343.

الفرع الثاني: أنواع التناص

أولا : الاقتباس {المفهوم و التجليات}

1- مفهومه:

أ- الدلالة اللغوية:

يعرفه ابن منظور بقوله: "القبس، النار، والقابس، طالب النار.. وكذلك اقتبست منه نارا، واقتبست منه علما أي استفدته، قال الكسائي: واقتبست منه علما ونارا سواء"[1] فالاقتباس في اللغة هو النفع والإعانة.

ب- الدلالة الاصطلاحية:

والاقتباس في اصطلاح البلاغيين – كما في الشكاف – هو: "أن يضمن الكلام نثرا كان أو نظما شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه، أي على وجه لا يكون فيه اشعار بأنه من القرآن أو الحديث وهذا احتراز عما يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى كذا أو قال النبي صلى الله عليه وسلم كذا"[2].

ثم أضاف الضبي إلى هذين الرافدين – القرآن والحديث – "الأخذ من مسائل الفقه، وقد اعترض عليه آخرون ثم أضافوا غيره من العلوم، وكان الاقتباس ضمن حسن التضمين ولم يستقل إلا عند المتأخرين من البلاغيين"[3].

يتجلى لنا من خلال التعريفين أن الاقتباس هو اقتطاع نص "من القرآن أو السنة"، للاستشهاد به في موضع ما، أو لإدراجه في نص بلا إشارة، وهذا ما تثبت عند ابن يخلف في كتابه – قيد الدراسة – حين تجند بهذا السلاح بكل أشكاله؛ فكان يقتبس حيثما وكيفما يريد، على علم ووعي من أجل الإقناع والتواصل، وتظهر هذه الاقتباسات وملامحها عنده من خلال تجلياتها في الكتاب.

---

[1]- لسان العرب، مادة قبس، 167/6.

[2]- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تح: علي خروج، مكتبة لبنان، ط1، 1996، 242/1.

[3]- معجم آيات الاقتباس، صنع وترتيب حكمت فرج البدري، دار الحرية للطباعة - بغداد، 1980، ص8 وما بعدها.

2- تجلياته

نشير في هذا المحور إلى قضية الاقتباس القرآني كاستشهاد بشكل عام - سواء أكان صريحا أو إدراجا أو إشارة - وكذا الأمر نفسه مع الحديث.

أ- الاستشهاد بالقرآن

يعد القرآن الكريم من أسمى المصادر وأشرف المنابع والأصول التي ينبغي الاستشهاد والاحتجاج بها، فلا نص أصح منه ولا أوثق، تطمئن إلى سماعه القلوب ويستهوي الآذان، كلامه في قمة الفصاحة، مفحم ومعجز ببلاغته؛ ولهذا السبب خلص الدارسون إلى أن: "من شرف الاستشهاد بالقرآن الكريم إقامة الحجة وقطع النزاع وإذعان الخصم"[1]. كما أن الشاهد القرآني: "يورث الكلام البهاء والوقار، والرقة والإحساس، وسلس الموقع"[2].

والناظر في كتاب السلوة لابن يخلف؛ يجده موشحا بآي من القرآن الكريم استشهادا؛ من أجل تعزيز القول وبلوغ القصد، من هذه الآيات المقتبس منها نجد:

* قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾، البروج/ (14-16).

* قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُّطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، التوبة/ (32).

* قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾، نوح/ (10-12).

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾، البقرة/ (225).

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُّشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ﴾، النساء/ (47).

---

[1]- صبح الأعشى، م س، 231/1.

[2] البيان والتبيين، تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط7، 1418هـ - 1998م، 118/1.

تحليل نموذجين على سبيل المثال:

خذ معي مثلا اقتباسه من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، التوبة/ 32، ألا تر أن سياقها في معرض كلامه عن جحود وإنكار أن تكون للشيخ مناقب وكرامات، فإذا كان سبب الآية الكريمة الأصلي هو الصد عن الحق والإعراض عنه والجحود، كما بين علماء التفسير، فإن المؤلف توسل بها ليقرب المقصد المستفاد بين أصل الآية، وما يستند عليه هاهنا في معناها ومغزاها؛ ولهذا السبب أوردها كمعزز لقوله، تسلية للأتباع والمريدين، وتوبيخا للجاحدين والحاقدين لمزايا وفضائل الشيخ.

مثال آخر في سياق الحض على الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار، لاحظ الأسلوب الذي سلكه في ذلك – وما يمكن أن يتركه في المخاطب من تأثير عقلا وقلبا – حين اقتبس من كلام الله تعالى قوله: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾، نوح/ (10–12)، وقاله عز من قائل: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾، النور/ (31)، وقوله جل شأنه: ﴿وَهُوَ ٱلذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، الشورى/ (25)، وقاله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾، البقرة/ (225).

بهذا نلحظ؛ هذه الشواهد، وما تحدثه في النفوس، والأفئدة من آثار الإقدام وعدم الإحجام، والمبادرة وعدم التراخي، خصوصا لما تقرع – هذه الآيات – سمع وعقل ووجدان المقصر في حق الله، ويعلم بأن المستغفر والتائب ينال من البركات ما لا حصر له ولا عد؛ من قبيل المدد بالمال والولد والجنات والأنهار، والمغفرة والعفو عن السيئات؛ بل وأكثر من ذلك نيل محبة الله تعالى ورضاه. وأي شيء يريده الإنسان بعد هذا كله، سوى لذة النظر إلى وجهه الكريم.

من هنا يتبين مدى قوة الدليل والحجة التي يراد تقديمها لتعزيز التوجه وبالأخص إذا اسمدت من كلام الله تعالى الماتع والمقنع.

نكتفي بهاذين المثالين؛ لأن جل الكتاب مطرز وموشح ومحلى بالآيات القرآنية التي اقتبس منها؛ من أجل التواصل والإفهام والإقناع، ومنه سداد الرأي وتقوية المبدأ. لمسنا هذا عندما أراد أن

يدحض مزاعم الجاحدين والحاقدين لكرامات شيخيه، كما لاحظنا ذلك في سياق الحديث عن التوبة والاستغفار.

ب- الاستشهاد بالحديث:

حظي الحديث النبوي الشريف بالمرتبة الثانية إلى جانب القرآن الكريم وذلك من خلال تكفله بشرح وبيان وتوضيح القرآن الكريم؛ من هنا كانت له الأحقية في قوة الاحتجاج لأن صاحبه لا يتكلم إلا بالحق؛ فهو صادر من المعصوم بمفرده صلوات ربي وسلامه عليه؛ ولأنه مؤيد بالوحي متكلم به لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾، النجم/ (3-4).

إلا أنه ينبغي - طبعا - تمييز الحديث وتحري الصحة فيه؛ حتى لا يحصل الإقناع والاقتناع بالباطل، نظرا لما يمكن أن ينسب إليه، مما لم يثبت عنه عليه السلام.

وإذا دققنا النظر في كتاب ابن يخلف وجدناه حلى - كذلك - بمجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة؛ التي أضفت على الكتاب جمالية وإقناعا، من تلك الأحاديث - المقتبسة على سبيل المثال سواء استشهادا أو إدراجا أو إشارة - نورد منها ما يلي:

+ <المحجة البيضاء> (سبق تخريجه/164).
+ <لو علم الناس ما فيه لأتوه حبوا> (سبق تخريجه/206).
+ <الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر>، (سبق تخريجه/226).
+ <يسروا ولا تعسروا>، (سبق تخريجه).
+ <ما لا عين رأت ولا أذن سمعت>، (سبق تخريجه/287).
+ <اتقوا النار ولو بشق تمرة>، (سبق تخريجه/291).

تحليل أنموذجين منها:

لنأخذ مثلا الاقتباس أمامه: <ثابت القدم في المحجة البيضاء>، فالمحجة البيضاء كما هو معلوم في موضعها الأصلي الحديثي هي شريعة الإسلام الصافية المبنية على القرآن والسنة؛ ولهذا استدعاها هنا لبيان معتقد وعلم شيخه، قاصدا بذلك التدليل والبرهان على كلامه الذي يرمي إليه من صفاء مشرب الشيخ الشرعي الصحيح، الذي يستهوي الأتباع، ولا يترك للمنكرين مجالا للنقد والتعيير والجحود.

مثال آخر ورد في سياق الحديث عن بركات الشيخ وكراماته وفضائله ومزاياه، هو: <لو علم الناس ما فيه لأتوه حبوا>، فالاقتباس في ورود الحديث كان حول الحض والتشويق على المبادرة لأداء الصلاة في العتمة والصبح، وما يحققه هذا السعي للصلاة في وقت العتمة والصبح من مزايا وفضائل، وخيرات وبركات، وأجر وثواب دنيا وأخرى.

فهذا التنويه كله لم يكن مقصودا هنا لعينه ولذاته؛ وإنما قصد لغيره، فاستدعاه الكاتب ليعزز توجهه الذي ينشده في بين مزايا ومناقب الشيخ للانتفاع به، وبما وهبه الله تعالى، وما آتاه من علم الحقيقة والشريعة والطريقة.

كما أن هذه الأحاديث، لم تأت إلا خادمة للدلالة التي ألف من أجلها الكتاب – مبنى ومعنى – سواء ما يتعلق بسيرة الشيخ، أو بمعتقده ومنهجه، أو باتباع طريقته، أو تسلية له هو نفسه ...أو بنصح أو تفنيد زعم ...

إلى هنا يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، لنعرج نحو رافد آخر من روافد التناص، والأمر يتعلق هذه المرة بالتضمين، فأين يتجلى ذلك؟ هذا ما سنحاول الكشف عنه في المحور الموالي.

ثانيا: التضمين {مفهومه وتجلياته}

1- مفهومه:

أ- في اللغة:

حسب ابن فارس من "ضمن" يقول: "الضاد والميم والنون أصل صحيح، وهو جعل الشيء في شيء يحويه، من قولهم. ضمنت "الشيء"، إذا جعلته في وعائه"[1].

مفاد هذا التعريف هو أن التضمين إدخال شيء في شيء وحشوه فيه.

ب- في الاصطلاح:

له عدة معان عند أهل العربية، منها "إدراج كلام الغير في أثناء كلامه لقصد تأكيد المعنى أو تركيب النظم، وهذا هو النوع البديعي"[2].

نستشف من هذا التعريف أن التضمين هو مزج الكاتب أو الناظم كلامه بكلام غيره، لنرى هذا في التجليات.

2- تجلياته في كتاب السلوة:

يشمل التضمين عدة أنواع من بينها الشعر والمثل والرواية والحكاية وأقوال العلماء والعارفين. وسنقتصر على بعضها.

أ- الاستشهاد بالشعر

الشعر علم العرب وديوان علمها، به حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه أخذت اللغة؛ لأن الوحي نزل بكلام أهله متحديا لهم، لذا كان جدير بالعناية والاهتمام. وبمجيء الإسلام استطاع القرآن أن "يحتوي الشعر وينزله منزلة الوسيلة والأداة التي تدعم ما جاء فيه، وتقوم مقام الشهادة للغته بأنها جاءت على لغة العرب"[3]. فأضحى الشعر في خدمة الدين عندما "أصبح – لغة – وسيلة أو وثيقة لتفسير لغة القرآن وفهمها، وليكون شاهدا على إعجازها"[4]؛ ولهذا نوه عمر بن الخطاب

---

[1]- المقاييس، م س، ص372.
[2]- الكشاف، م س، ص470.
[3]- التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، حمادي صمود منشورات الجامعة التونسية - تونس، ط1981، 54/21.
[4]- م س، ص54.

رضي الله عنه بقوله: "عليكم بديوانكم لا تضلوا"، فقالوا: "وما ديواننا؟"، قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم"[1].

كما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "أنه ما كان يفسر آية من القرآن الكريم إلا ويورد عليها شاهدا من الشعر"[2].

انطلاقا من هذه التوجيهات، تظهر لنا قيمة الاستشهاد بالشعر، والتي اتبعها ابن يخلف في كتابه، فللشعر قوة بلاغية فنية وإقناعية على مستوى الخطاب، وهو حاضر في كتاب السلوة بنوعيه: الفصيح أو العامي:

من (الفصيح) نذكر البيت التالي:

ما ضر شمس الضحى في الجو طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

فالذي يمعن النظر في هذا البيت يجده يحمل رسالة مفادها؛ أن الشمس لا ينقص من قيمتها إذا لم ير – هذا الشعاع والضوء الوقاد – من لا يبصر أصلا، يمكن أن يحدث ذلك إذا صدر من مبصر، لكن ليس هذا هو المقصود، وإنما المقصود هو إسقاط معانيها على الشيخ ذودا عنه، ودفعا لما وجه إليه من اتهام، فشأن من فعل ذلك في حقه معه، مثله مثل من ليس له بصر في حق ضوء الشمس الطالعة؛ ولهذا لا ينبغي الالتفات إلى كلامه، لأنه غير مؤسس على يقين، وخال من الحجة والدليل.

لنضرب مثالا آخر؛ من الشعر العامي الآتي:

أنا غصني من شجرا عظيما ويل من هو تالـــــــــــف

امحبتي مع الله مستقيما يوم نلقاه عـــــــــــارف

فهذا النظم لم يورده المؤلف في الكتاب عبثا، وإنما أورده للدلالة على أصل الشيخ السلالي، وسيرته مع الله تعالى؛ فالنظم الأول جاء لبيان أصل الشيخ ومعدنه، الذي أشار إليه بالشجرة العظيمة، وهي ذات الدلالات المتعددة: عراقة نسب، وغزارة علم، ونبل سلوك...، أما النظم الثاني، فكانت الغاية منه، هي بيان الدين والتدين؛ تصورا وسلوكا.

---

[1]- الثابت والمتحول (بحث في الإبداع والإتباع عند العرب)، أدونيس، دار الساقي، 1/ 158.

[2]- الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1427- 2006، 111/10.

ولا شك أن إيراد هذا النظم وغيره، كان وراء تحقيق الغاية المنشودة من تأليف الكتاب وإضفاء الحجية عليه؛ تسلية من جهة، ونكاية من جهة أخرى.

ب- الشاهد بالمثل وبأقوال أهل العلم.

- بالمثل:

الأمثال نوع من أنواع الشاهد، وضربها في سياق الكلام نوع من الاستدلال، لقوة نفاذها في السمع، فالأمثال كلام جامع مانع مقنع، وكتاب السلوة لم يخل منها، وما تحمله من دروس وعبر، وللتدليل والبرهان على هذا نضرب النموذج الآتي: "**وليس الخبر كالعيان**"[1]، وإن كان هذا القول يدخل ضمن الأحاديث – باعتباره أسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم – إلا أنه يصنف ضمن دائرة الأمثال.

أما عن دوره في هذا السياق، فلا غبار على فنيته اللغوية، وحجيته الإقناعية، التي أضفاها على الكلام المراد توصيله للمخاطب، فالخبر مهما بلغ في تقريب الحقيقة؛ إلا أنه لا يرقى إلى درجة المعاينة والمشهادة، تلكم الحقيقة التي سيوقن بها المعني بالأمر هنا، والموجه إليه الخطاب.

وهي الوظيفة نفسها التي يمكن أن يؤديها المثل الثاني: "**لا يزاحم على الشغل إلا من لا عندو عقل**".

- بأقوال أهل العلم والعارفين:

لنأخذ القول الآتي: "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، أدام الله تعالى لكم العز والنعماء، وأسعدكم سعادته التي تدوم وتبقى، وجعلكم في كفالة أولياء الله تعالى غربا وشرقا بحرمة: ﴿طَهٰ ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾، طه/ 1؛ أعني بذلك سيدي وسندي، ومن على الله، ثم عليه اعتمادي، أعز الناس كلهم عندي: سيدي ومولاي سيدي محمد بن الفقيه؛ الشريف الزجني الأشهر الواضح، الولي الصالح، مد الله حياته مدا، ومكن له في القلوب ودا...".

وإننا لَنَلْحَظُ هذه الكلمات، وما تكشف عنه من سيرة وسريرة المنعوت والموصوف هاهنا؛ الذي هو ابن الفقيه الزجني، فلاشك أنها روحت عن فئة وهم المريدون، وأسكتت فئة أخرى وهم الحاسدون، وهذا هو التوجه والقصد العام من تأليف الكتاب.

هذه بعض النماذج الواردة في الكتاب لتقريب المعنى إلى المخاطب، ليقتنع ويتفهم المراد.

---

[1]- سبق تخريجه.

وختاما نعود ونقول: إن الاستشهاد بأنماطه وأشكاله؛ سواء بالقرآن أو الحديث أو الشعر أو الأمثال والحكم وغيرها، يبقى أمرا ضروريا وهدفا منشودا؛ لكونه يدعم النص بالحجج والأدلة والبراهين، كما يضفي عليه حسنا وجمالا بلاغيين، بحيث إن: "هذه النصوص الخارجية تقوم بوظائف متعددة داخل النص: أهمها اتخاذها حجة للإقناع، ويأتي في مقدمتها القرآن والتصوف، والمأثورات الشعبية، والثقافة العامة، واتخاذها وسيلة لتحقيق المتعة بتقديم صور بلاغية"[1]، كما أن الشواهد عبارة عن "حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصادرها، ومن مصادقة الناس عليها وتواترها"[2].

فالنص يتشكل من ثلاثة قضايا وهي: "النصية والعبرنصية والتناصية"، وهذه الأخيرة هي التي عنيت في هذا المقال، والشاهد بأنواعه وأصنافه؛ وهو التناص الذي لا عيب معه في اجتماع معارف قديمة إلى جانب أخرى حديثة في إطار الخدمة والتوظيف، والملاءمة والمزج الذي لا يؤدي إلى درجة التماهي والذوبان والاجترار، بل إلى الإبداع والتميز؛ لأنه: "لا يتنافى إطلاقا وجود عناصر قديمة مع وجود أصالة فنية وشخصية أدبية لها كيانها ولها مميزاتها الخاصة بها"[3].

بناء على ما سبق؛ نخلص إلى أن ابن يخلف استطاع أن يثبت ما لديه من حجج وشواهد، للوصول إلى مسعاه والبرهنة على امتلاكه لأدوات الإقناع والتحكم فيها بتقليب مواقعها، واستدعائها في أوقاتها المناسبة، بحسب السياق التعبيري في توجيه الخطاب.

فللشاهد – إذن – دور مهم جدا في التواصل الناجح ، والحوار المقنع والبناء الأمر الذي جعل ابن يخلف يتخذه دعامة أساسية لكتابه؛ لأن الشاهد يزرع اليقين في المتلقي، وينفي الشك عنه.

---

[1]- آليات تناسل الخطاب الشعري، محمد مفتاح مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - فاس، ع 9، 1987، ص25.
[2]- في بلاغة الخطاب الإقناعي "مدخل نظري وتطبيقي لدراسة البلاغة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا" محمد العمري، دار الثقافة - الدار البيضاء، ط1، 1406- 1986، ص90.
[3]- مشكلة السرقات في النقد العربي، محمد مصطفى هدارة - بيروت، ط3، 1981، ص295.

الفرع الثالث: حجاجية الخطاب البلاغي

إن البلاغة هي فن القول؛ لأنها تقوم على التأثير في السامعين، بحيث تسعى إلى مواجهتهم بالحجج، وإقناعهم بالأدلة والبراهين في اعتمادها التصور والبناء المنطقي، وعلى جمالية اللغة كأساس للتواصل، فهي "أداة محاجة، ووسيلة تفكير، وتقنية للإقناع، إضافة إلى كونها فن القول وجودة الحديث"[1] تلك اللغة المكونة من ثلاثة أساليب وهي: المعاني والبيان والبديع، وهذا ما سنراه في الآتي:

أولا: علم المعاني

علم المعاني؛ هو العلم الذي "يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من السياق، وما يحيط به من القرائن، أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبرة عن المعنى المقصود"[2].

وبما أن مباحثه عديدة؛ من خبر وإنشاء، وذكر وحذف، وتقديم وتأخير إلى غيرها من المباحث؛ فإن الدراسة ستقتصر على تناول أسلوبي الخبر والإنشاء، مع الاكتفاء ببعض النماذج فقط لوفرتها في المحاور الآتية.

---

[1]- رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، 1994، ص7.

[2]- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، للخطيب القزويني (ت739)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م، ص4.

1- أسلوب الخبر:

تنوعت معاني الخبر عند الدارسين والنقاد قديما وحديثا، واشتهر من بينها ما ذهب إليه القزويني وحاصله؛ أن الخبر هو "كل كلام يحتمل الصدق والكذب"[1].

والأصل في الخبر "أن يقصد به إفادة المخاطب، وقد يخرج عن غرضه الأصلي للدلالة على معان أخرى، كالتمني والوعيد، والإنكار، والدعاء، وغيرها من المعاني التي تفهم من السياق"[2].

وأبرز تجليات الأسلوب الخبري، تكمن في الجمل الاسمية والفعلية، في حالات النفي والإثبات والتوكيد؛ هذا ما نلمسه من خلال كتاب السلوة في التعابير الآتية:

الأسلوب الخبري التقريري؛ الذي تنوع بين توالي الجمل الفعلية والاسمية.

فمن قبيل الجمل الفعلية المثبتة والمنفية والمؤكدة، سواء بصيغة الماضي أو المضارع أو الأمر، وهذه بعضها:

فمن الماضي: "طال عذابهم بنار الحب ذات الوقود"/ "رحمهم الحق سبحانه".

ومن المضارع: "يحدثون نفوسهم بكمال تحميده"/ يجردون أرواحهم في جمال تمجيده/ "يصلون أسرارهم قدس توحيده وتفريده".

ومن الأمر: "أقرأه مني السلام وبشره".

ومن المنفية: "لا يخفى على ذوي العقول السليمة والرشاد".

ومن المؤكدة: "أن أجمع من كرامات هذا الولي رضي الله عنه"/ "إنه لقيني بعض من يستحق أمره التعظيم والتشريف".

وأما من قبيل الجمل الاسمية، والتي جاءت بتعابير مختلفة - كذلك - المؤكدة، وغير المؤكدة مثل:

"الشيخ الشهير، والغوث الكبير"/ "فارس العارفين، وقدوة الصديقين"/ "أن الشيخ رضي الله عنه شريف النسب، عظيم الجاه".

---

[1]- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف السكاكي (ت626هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1420هـ - 2000م، ص81. والأساليب الإنشائية في النحو العربي، لعبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص13.

[2]- مفتاح العلوم، م س، ص72 وما بعدها.

فإذا كان دور الفعلية هو التحول والتغير، وكانت الاسمية تهدف إلى الديمومة والثبات؛ فإنهما تضافرتا معا؛ ليكونا أسلوبا خبريا تقريريا تأكيديا، زاوج بين الجمل الفعلية والاسمية، وكلاهما كان الغرض منه واحدا، ألا وهو التعبير عما في العقل والقلب، بقصد التأثير في المخاطب، ومن ثمة إقناعه ثم اقتناعه.

2- أسلوب الإنشاء

الإنشاء شريك للخبر في بناء الكلام، إلا أنه يختلف عنه من جهة الحكم عليه بالصدق أو الكذب؛ فلا يصح أن يقال لصاحبه أنت صادق أو كاذب. والإنشاء في اللغة بمعنى الابتداء والخلق والإبداع[1]، وأنشأ الشيء أحدثه وأوجده[2]،

كما أن للإنشاء أساليب متنوعة مثل: الأمر/ والنهي/ والنداء/ والحسرة والتوجع/ والقسم/ والاستفهام/ والتمني/ والتعجب/ ...، ستكتفي الدراسة بالإشارة إلى بعضها فيما يلي:

أ- الأمر

الأمر هو "طلب فعل شيء لم يكن حادثا وقت الطلب، ومن شأنه أن يكون صادرا من الأعلى إلى الأدنى ولو اعتبارا، وأن يكون فيه إلزام للصادر إليه"[3]. وأبرز صيغه: "افعل"، كما يخرج عن هذا المعنى الأصلي؛ ليؤدي معاني وأغراض أخرى تفهم من السياق، كالدعاء والالتماس والنصح والإرشاد، إلى غير ذلك من الأغراض؛ وذلك بحسب المرتبة بين (المتكلم/ المتلقي).

وللأمر وظيفة بلاغية تزيد الكلام حسنا وجمالا؛ فإذا نظرنا في كتاب السلوة، ألفيناه موجودا في مواطن كثيرة، من ذلك على سبيل المثال ما يلي:

- "...فانظر رحمك الله وتفكر في مقام هذا الولي...".
- "...أقرأه مني السلام وبشره بأن الوعد الذي وعده الله سبحانه قد قرب...".
- "...عليك بقطب الأذكار الذي عليه المدار...".
- "...امض حيث شئت فإنك محروس بعين العناية...".

---

[1]- اللسان، مادة "نشأ".

[2]- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية استامبول - تركيا، ط2، (د.ن)، 920/2.

[3]- العروض والبلاغة، تأليف إبراهيم عبد الرحيم يوسف - محمد الطيب محمد النادي، مكتبة الوحدة العربية - الدار البيضاء، مطابع دار العلم للملايين، بيروت، ص96. ومفتاح العلوم، م س، ص318، وجمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، لحسين جمعة، اتحاد الكتاب العربي - دمشق، 2005م، ص105.

- "...اعلم بأننا على عهد الله تعالى...".

- "...واتهلا في حامل الكتاب محمد العساوي، وادع له بخير...".

نلحظ من خلال هذه الأوامر؛ أنها ترمي إلى غايات ومقاصد، وعلى رأسها: النصح والتوجيه والإرشاد والدعاء والالتماس، كما نلحظ من خلال الأمثلة: (انظر رحمك الله التي تفيد الدعاء/ واقرأه مني السلام وبشره بأن الوعد...التي تفيد الالتماس/ وعليك بقطب الأذكار؛ والتي أفادت النصح والإرشاد والتوجيه/ وامض حيث شئت التي تفيد التخيير والتسوية/ ... فهي أغراض ظاهرة وجلية بينها سياق الكلام.

ب- النهي

النهي لغة؛ هو طلب الكف عن الفعل، وصيغته "لا تفعل"، لكنه قد يفيد أغراضا بلاغية أخرى مجازية تفهم من سياق الكلام "كالكراهة، والدعاء، والإرشاد، والتسوية، والاحتقار، والتقليل، وبيان العاقبة، واليأس، والإهانة..."[1].

وفي الاصطلاح، هو طلب الكف عن الفعل، أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، من ذلك نشير إلى ما ورد منه في الكتاب حسب ما يلي:

- "...يا شرف الدين الباب انفتح تقدم ولا تمهل...".

- "...ولا تنسانا من صالح دعائك...".

- "...يا حاج لا تخف...".

هذا وعند التدقيق نجد هذه الأفعال؛ تؤدي أغراضا تسير في اتجاه الجو العام للكتاب، كما يظهر ذلك في أمثلتها المدروسة: (فتقدم ولا تمهل تفيد الإرشاد والتوجيه/ ولا تنسانا من صالح دعائك، التي تفيد الالتماس/ ولا تخف التي أفادت الاطمئنان/ ...).

وحاصل الكلام أن كلا من الأمر والنهي؛ جاءا لخدمة الكتاب قلبا وقالبا.

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن، تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 220/3. معترك الأقران في إعجاز القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بم أبي بكر السيوطي، تح: علي محمد البجاوي، مكتبة الدراسات القرآنية، دار الفكر العربي، 279/1. في البلاغة العربية: علم البيان، لبعد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت، 1405هـ - 1957م، ص90.

ج- الاستفهام:

عرفه السيوطي بقوله: "ومن أقسام الإنشاء الاستفهام، وهو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار، وقيل: الاستخبار ما سبق أولا، ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما حكاه ابن فارس في فقه اللغة"[1].

من هذا القبيل نشير إلى الأمثلة الآتية:

- "...أتعرف سيدي محمد بن الفقيه؟...".
- "...إلى أين تخرج هذه الطريق؟...".
- "...ألست تريد زيارة أبي يعزى؟...".

وأغلبها جاءت بأداة "الهمزة" التي تفيد التقرير، وتم توظيفها في الكتاب لغرض تقرير المخاطب على أمر قد ثبت وعرف واشتهر؛ من هنا دعت الحاجة لاستدعاء الاستفهام وتوظيفه، شكلا ومضمونا، لما له من فنية وقوة تأثير.

د- التمني

وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة، ولا يشترط إمكان المتمنى بخلاف المترجى، لكن توزع في تسمية تمنى المحال طلبا بأن ما لا يتوقع كيف يطلب؟ قال في عروس الأفراح: فالأحسن ما ذكره الإمام وأتباعه من أن التمني والترجي والنداء والقسم، ليس فيها طلب، بل هو تنبيه ولا بدعة في تسميته إنشاء"[2] .

وكنموذج عنه في السلوة ما مفاده:

- "...فما كانت تلك الأيام إلا حلما، فيا ليتها لو دامت أو عادت...".
- "...فيا لها من نعمة لو عادت إلينا...".

ففي المثال الأول نجد المتكلم يتمنى عودة أيام الصحبة؛ لما كان فيها من خير ونفع وفائدة، ولكن هل سيتحقق له هذا الأمر، طبعا لا، وألف لا؛ ألا تر لفظة "ليت" التي تمنى بها المأمول، فهي من أبرز تعابير التمني المستحيل الحصول، أو الضفر به.

---

[1]- الإتقان، م س، 211/3.
[2]- م ن، 221/3.

والأمر نفسه مع المثال الثاني، فهو يتحسر على مرور فترة كان فيها من النعماء ما كان، ولكن هل ستعود إليه كما يبرز ذلك السياق؟ الجواب: لا ولن تعود إليه تلك الأيام؛ ولهذا استعملت لفظة "لو" للدلالة على هذا القصد وهذا الاستبعاد.

هـ - الدعاء:

وهو الطلب على سبيل الاستغاثة والعون والتضرع والعفو، ويكون صادرا من الأدنى نحو الأعلى، ومن أمثلته في – الكتاب – ما يأتي:

- "...فالله تبارك وتعالى يجعلنا من المحسوبين عليه دنيا وأخرى...".
- "...وأمدنا من مدده آمين...".
- "...أمنه الله تعالى...".
- "...عافانا الله سبحانه من العمى عن سواء الطريق، وسلك بنا مسالك ذوي التحقيق...".
- "...بلغك الله غاية المسئول والمقصود...".
- "...زادك الله نورا على نور، وقوى حرمك، ولا أفجعنا مولانا ببعدك عنا".
- "...أعزك الله...".
- "...أبقاك الله تعالى لنا محفوظا...".
- "...أسأل الله تعالى أن ينتقم من أيام النزاع برد أيام الاستمتاع بالاجتماع...".
- "...ونفعنا وإياكم ببركاته، اللهم كما أطعمتهم فأطعمنا، وكما أمنتهم فأمنا واجعلنا من الشاكرين...".

فالناظر في هذه الأمثلة، وفي غيرها، يلمس الوظيفة البلاغية للدعاء، والتي تتجلى في إضفاء رونق بهيج، واخضرار منظر على التعبير الكلامي، ثم تسير به نحو الاقتناع، وبعده الإقناع الذي يحصل للمستمع عموما وللمخاطب خصوصا.

و- القسم:

القسم لغة هو الحلف واليمين، واصطلاحا هو "ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادا"[1]، كما أن القسم يعتبر من أساليب التوكيد الإقناعية؛ ولهذا الغرض وظف في كتاب السلوة بأشهر استعمالاته، إليك بعضها:

- "...إي والله لقد تجرد هذا الشيخ رضي الله عنه لحب المصطفى صلى الله عليه وسلم والثناء عليه...".
- "...والله إنه لفي مقام مولاي عبد القادر الجيلاني...".
- "...والله إن سيدي محمد بن الفقيه ليسمع كلامك...".
- "...فو الله ما رأيته من يومئذ...".
- "...بالله عليك يا سيدي إلا ما أخبرتنا ما هذا الأمر...".
- "...بالله العظيم، وتالله الكريم لو ترنمت لكم بحالي...".

فإذا نظرت إلى هذا الأسلوب، بمختلف صيغه ألفيته مؤديا دوره البلاغي الجمالي والإقناعي، فالقسم أعلى مراتب التوكيد، فالغرض منه "تأكيد الجملة الخبرية"[2]، أي "تأكيد الأخبار به لتستقر في النفس، ويتزعزع فيها ما يخالفها، وإذا كان القسم لا ينجح أحيانا في حمل المخاطب على التصديق، فإنه كثيرا ما يوهن في النفس الفكرة المخالفة، ويدفع إلى الشك فيها، ويبعث المرء على التفكير القوي فيما ورد القسم من أجله"[3] – كما في الأمثلة أعلاه – مما يؤدي إلى البرهان الذي يستدرج المخاطب إلى الاعتراف بما يجحد.

ي- التكرار:

يعد التكرار أسلوبا من أساليب التأكيد، فهو بذلك عبارة عن وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس المتلقين، واعتناقهم لفحوى الخطاب، وكما يقال: "الشيء إذا تكرر تقرر"، ولهذا نجده حاضرا بكثافة في الكتاب المدروس، وإليك بعض نماذجه:

- "...أنت من أصحاب بن الفقيه؟...الله الله فيه واصلوه...".

---

[1]- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة - القاهرة، ط11، 2000، ص291.

[2]- البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، لعبد الرحمن حبنكه الميداني، دار القلم - دمشق، الدار الشاملة - بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م، 227/1.

[3]- من بلاغة القرآن، تأليف أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، 2005م، ص132.

- "...واصلوه، الله الله فيه، إنه صاحب سر...".

- "اذهب إلى سيدي محمد ابن الفقيه: هو أعلى مني مقام، هو أعلى مني مقام، هو أعلى مني مقام..."

- "...سلم لنا عليه، والله الله أطلب لنا منه المدد...".

فمما لا شك فيه أن هذه الأمثلة تعبر عما قلناه عن دور التكرار في تأكيد المعنى، وتحسين المبنى، فجمالية المبنى واضحة في مظهر أسلوب الكلام، وكذلك الأمر في معنى الكلام المؤكد بتكرار الحروف والألفاظ والعبارات، مما لا يحتاج إلى شرح أو بيان.

وعلى العموم؛ فكتاب السلوة جاء حافلا بالأساليب الخبرية بنوعيها الفعلية والاسمية، وبالأساليب الإنشائية بقسميها الطلبية وغير الطلبية كالأمر والنهي، والدعاء والقسم والتمني، والحسرة والتكرار،...، كل ذلك من أجل؛ مد الجسور في محاورة المخاطب، ومشاركته الجوانب الفكرية والنفسية والوجدانية للمتكلم، وبهذا كانت هذه الأساليب المختلفة مناسبة لغرض الكتاب ومقصده العام.

ثانيا: علم البيان

في هذا المحور ستتناول الدراسة ما يسمى بالتصوير البلاغي (التصوير البياني)؛ من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز...، والتي هي مبثوثة في ثنايا كتاب السلوة؛ باعتبارها مقوما من المقومات الجمالية لهذا الكتاب.

لكن في البداية سنشير إلى بعض التعاريف التي أعطيت لهذا العِلْم، باعتباره صورة تعددت مسمياتها بين: "الصورة البيانية"/ و"الصورة البلاغية"/ و"الصورة الفنية/ و"الصورة الأدبية"، نظرا لاهتمام الدارسين بها، وإليك بعضها:

فـ[عبد القاهر الجرجاني] يعرفها بقوله: "واعلم أن قولنا الصورة، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"[1].

بينما نظر إليها [جابر عصفور] باعتبارها "طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير"[2].

في حين يراها [VAN] عبارة عن "كلام مشحون شحنا قويا، يتألف عادة من عناصر محسوسة، خطوط، ألوان، حركة، ظلال، تحمل في تضاعيفها فكرة أو عاطفة، أي أنها توحي بأكثر من المعنى الظاهر، وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي، وتؤلف في مجموعة كلا منسجما"[3].

أما [BOND] فحصرها في "ما ينقل عقدة فكرية أو عاطفية في لحظة زمنية"[4]؛ فهي بهذا المعنى عبارة عن وسيلة لنقل فكرة، أو إحساس مرتبطين بزمن خاص.

وهي "الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه وسامعيه"[5].

وحدها [داود سلوم] بقوله: "إن امتزاج المعنى والألفاظ والخيال، كلها، هو الذي يسمى بالصورة الأدبية..."[6].

---

[1]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح وتقديم: محمد رضوان الداية وفايز الداية، مكتبة سعد الدين، ط 2، 1987م، ص508.

[2]- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، لجابر عصفور، المركز الثقافي العربي - بيروت، ط3، 1992، ص323.

[3]- تمهيد في النقد الحديث، روز غريب، ديناميك غرافيك للطباعة، 1999، ص192.

[4]- ن م، ص198.

[5]- أصول النقد الأدبي، ص242.

[6]- النقد الأدبي الحديث، لمحمد غنمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، 1997م، ص81.

كما تستعمل عادة للدلالة – حسب [مصطفى ناصف] – "على كل ما له صلة بالتعبير الحسي، وتطلق أحيانا رادفة للاستعمال الاستعاري"[1].

ومفهوم التصوير الذي نقصده هو "التعبير الذي يعتمد على الصورة البلاغية، من خلال التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو الكناية"[2].

وقد يطول بنا الحديث؛ إذا أردنا استقصاء كل ما قيل، عن الصورة البيانية، وما حام حولها، فلنكتف بما ذكرناه سلفا.

واعتبارا لهذه الصورة كجانب بلاغي، ومقوم من المقومات الجمالية للكتابة الإبداعية؛ لما تضمه من مباحث وفروع عدة، سنقتصر على بعض أمثلتها الآتية:

1- التشبيه:

للتشبيه قيمة بلاغية وصناعية، حيث ينقل القارئ من التجريد إلى التصوير، وهو من أمتع جماليات النص الأدبي عامة،

وعرف التشبيه بتعاريف متعددة، نورد بعضها:

ففي اللغة – حسب ابن منظور – "الشبه والشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء ماثله، وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم، وأشبهت فلانا وشابهته، واشتبه علي، وتشابها الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، وشبهه إياه وشبهه به: مثله. والتشبيه: التمثيل"[3].

أما في الاصطلاح فنجد:

[الرماني (ت384هـ)] يعرفه بقوله: "التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل"[4]، وعند أبي هلال (ت395هـ) هو: "الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب"[5]،

---

[1]- تمهيد في النقد الحديث، م س، ص190.

[2]- الخطابة العربية الإسلامية (دراسة في المتن والفن)، عبد الرحيم الرحموني، مطبعة: أنفو- برانت - فاس، 2005، ص126.

[3]- لسان العرب، مادة "شبه".

[4]- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط3 - ط3، 1976، ص74.

[5]- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تصنيف أبي هلال العسكر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1371 - 1952، ص239.

في حين يرى [ابن رشيق (ت456هـ)] أنه عبارة عن "صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه[1].

وفي النقد الحديث، ينظر إليه على أنه: "علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة وحالة، ومجموعة من الصفات والأحوال، هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم، والمقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية، أو في كثير من الصفات المحسوسة[2].

بناء على هذه التعاريف يتبين أن التشبيه عند علماء البيان؛ هو استحضار شيئين أو أكثر يقتربان في المعنى بواسطة الكاف أو ما ينوب عنها.

وأما عن التشبيه – الوارد في الكتاب – نشير إلى: ".. ويشرق وجهه حتى كأنه قمر "/ "..وتارة يظهر في وجهه طلعة الحسن يتمايل تمايل الغصن..."/ "...انقلب ليل جهلهم نهارا"/ "ضربني بسيف لامع كالبرق"/ "أحجار مثل الجوهر"/ "ولقد تركت حالي بعدك حال غصن ذوى بعد ارتوائه، ونجم هدى بعد اعتلائه، ما حال ذو نبات غاب عنه مطره؟!، وسار في ليل ذهب عنه قمره؟!،..."/ "بقصد اصطياد النصارى"/ "لعظمة فيض ذلك النور كفيض البحر بالأمواج"/ "...رداء من الزمان رقيق ما لبسناه حتى خلعناه...".

تحليل ثلاثة نماذج:

- النموذج الأول: التشبيه التام، وهو التشبيه الذي يحتوي جميع أركانه، من قبيل: "لعظمة فيض ذلك النور كفيض البحر بالأمواج".

أركان التشبيه	الصورة
المشبه	فيض النور
المشبه به	أمواج البحر
الأداة	الكاف
الوجه	العظمة

[1]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط5، 1981، 488/1.

[2]- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، م س، ص323.

• النموذج الثاني: التشبيه المجمل؛ وهو ما يحذف منه وجه الشبه نحو: "أحجار مثل الجوهر"، فهذه الصورة التشبيهية تضمنت من أركان التشبيه: المشبه (أحجار)/ والمشبه به (الجوهر)/ والأداة (مثل) وحذف وجه الشبه (الحسن والبهاء)؛ فشبهت الأحجار بالجوهر بأداة التشبيه "مثل" وحذف وجه الشبه الجامع بينهما في الحسن والجمال.

• النموذج الثالث: التشبيه المركب أو ما يسمى بالتمثيلي.

"ولقد تركت حالي بعدك حال غصن ذوى بعد ارتوائه، ونجم هدى بعد اعتلائه، ما حال ذو نبات غاب عنه مطره؟!، وسار في ليل ذهب عنه قمره؟!،...".

في هذا المقطع صورة بيانية تندرج تحت مسمى "التشبيه المركب" أو "التمثلي"؛ وهو تشبيه صورة بصورة، إلا هنا تشبيه تمثيلي بليغ نظرا لحذف أداة ووجه الشبه، فقد شبه حال المتكلم عند فراقه للشيخ، بحال الغصن العطشان، والنجم لما يغرب، والنبات الذي انقطع عنه المطر، والماشي في الظلام.

وللمزيد من الإيضاح نقترح الجدول أسفله:

المشبه	الأداة	المشبه به	وجه الشبه
حال المتكلم عند فراقه لشيخه	محذوفة	حال الغصن العطشان والنجم بعد غروبه والنبات المنقطع عنه المطر والسائر في الظلام	محذوف

فهذا الجدول؛ يبين بجلاء، ما قلناه من تركيب وتمثيل، فأطراف المشبه والمشبه به متعددة مكونة تشبيه صورة بصورة فأطراف الصورة من جهة أولى المتكلم والغصن والنجم، وأطرافها من جهة ثانية هما حال المتكم بعد الفراق، وحال النبات والسائر ليلا، في حين حذفت الأداة، ووجه الشبه الذي يبرز من خلال – السياق – في الأفول والحزن والتيه...

ثم إن هذه النماذج – كغيرها من الأمثلة التشبيهية – أضفت حسنا وجمالا على الكتاب، بل تعدى دورها إلى مستوى الإقناع والإفهام والتواصل، عبر تقريب المعنى بالتمثيل؛ فالمعاني المحسوسة قربت المعاني المجردة، مما أفضى بها إلى الإقناع وزرع اليقين وهو ما يسمى بلاغة الإقناع والامتاع.

فإذا كان التشبيه يكسب الخطاب بلاغة جمالية، فإنه يكسبه – كذلك – بلاغة حجاجية كبيرة لأننا "نستنتج صحة أمر أو فساده من صحة أو فساد أمر آخر يشبهه"[1].

نتوقف هنا، ونتحول إلى مقوم تصويري آخر يرتبط بالاستعارة.

[1]- كتاب علم الأدب، للأب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت، 1886، ص40.

2- الاستعارة:

في اللغة: من العارية؛ وهي نقل الشيء من حيازة شخص إلى شخص آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار له والإلصاق به، ففي اللسان: "الاستعارة من العارية، وتعور واستعار: طلب العارية، واستعار الشيء واستعاره منه، طلب منه أن يعاره إياه، واستعار فلان سهما من كنانته: رفعه وحوله منها إلى يده"[1].

أما تعريفها في الاصطلاح فلا يبعد عما جاء في اللغة، فهي "تسمية الشيء بغير اسم غيره إذا قام مقامه"[2]. وبتعبير آخر يمكن القول إن الاستعارة هي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه، وهي من أفضل المجازات؛ بحيث تزيد الكلام حسنا كما نص على ذلك القيرواني بقوله: "الاستعارة أفضل المجاز عندهم، وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام، إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها"[3].

لذلك اهتم بها النقاد والدارسون أيما اهتمام، كما ينص على ذلك [محمد مفتاح] بقوله: "قد لا يبالغ المرء إذا قال: إن أهم ما يشغل الدارسين للغات الإنسانية حاليا هو الاستعارة، فهي موضع اهتمام من قبل اللسانيين وفلاسفة اللغة والمناطقة وعلماء النفس والأنثروبولوجيين..."[4].

وكتاب السلوة حافل بمجموعة من الاستعارات، ستعمد الدراسة إلى تحليل نموذجين منها: "أقلقهم الشوق وزلزلهم الهيجان"/ "فطارت عقولهم"/ "أخذني حال عظيم بالبكاء"/ "وجه الأرض..."/ "أقبل الليل وأظلم"/ "دخل علينا نور يتكوكب"/ "جاءنا أسد وجعل يطوف بنا".

النموذج الأول:

مفاده: "جاءنا أسد وجعل يطوف بنا".

التحليل:

في هذا النموذج استعارة مكنية وهي التي يحذف منها المشبه به، وتبقى صفة من صفاته ترمز إليه. فالمستعار له "الأسد" ذكر لكن لا يجيء ولا يطوف حقيقة، فالذي يمكن أن يجيء ويطوف هو الإنسان، فحذف هذا الإنسان وذكرت صفته "المجيء الطواف" التي رمزت إليه، فكان المستعار منه

---

[1]- لسن العرب، مادة "عور".
[2]- البيان والتبيين، م س،153/1.
[3]- العمدة، م س، ص460.
[4]- تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، م س، ص81.

هو الإنسان الذي حذف وبقيت صفته الدالة عليه فاستعيرت منه صفة {المجيء والطواف} للمستعار له {الأسد} على سبيل الاستعارة المكنية، أما المناسبة بينهما يمكن أن تظهر في أن يمكن أن يأتي ويطوف أي يحوم كما الإنسان.

النموذج الثاني:

مفاده: "فطارت عقولهم".

في هذا النموذج استعارة مكنية – أيضا – فالمستعار له "عقل الإنسان" ذكر لكن عقل الإنسان لا يطير، فالذي يمكن أن يطير هو الطائر، فحذف هذا الطائر وذكرت صفته "الطيران" التي رمزت إليه، فكان المستعار منه هو الطائر الذي حذف وبقيت صفته الدالة عليه فاستعيرت منه صفة {الطيران} للمستعار له {العقل} على سبيل الاستعارة المكنية، أما المناسبة بينهما فتظهر في العقول يمكن أن تدهش وتطيش بما يشبه الطيران جراء ما تجده من حقائق عرفانية وأحاسيس وجدانية.

وإليك هذه الخطاطة الآتية لتوضيح النموذجين السابقين:

1ـ المستعار له ← الأسد | المستعار منه ← الإنسان | المناسبة ← المجيء والدوران

2ـ المستعار له ← عقل الإنسان | المستعار منه ← الطيور | المناسبة ← التحليق.

فالاستعارة آلية بديعية تزيد الكلام حسنا وتطريزا، كما أنها وسيلة حجاجية؛ لأنها تعمل وتساعد على توصيل الكلام، وإفهام المخاطب عبر توضيح المعنى وتشخيصه، وتقديم الحجة والدليل؛ من هنا كانت لها الشرعية في التوظيف الكلامي.

3- الكناية:

الكناية عند علماء البيان؛ هي "أن يعبر عن شيء لفظا كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه، لغرض من الأغراض، كالإبهام على السامع نحو: جاء فلان، أو لنوع فصاحة نحو: فلان كثير القرى"[1].

أو هي: "التعبير عن المراد بلفظ غير الموضوع له، لضرب من الإيجاز والاستحسان"[2]. أو هي "ترك التصريح بذكر التصريح على ما ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور على المتروك"[3].

وهي من أجمل فنون البلاغة العربية؛ لأنها ترمز لمراد البليغ بشكل يعجب المتلقي، ويسافر بخياله، إذ تجعل النص مكثفا، له ظاهر وباطن، لا يقوى على الوصول إليه، إلا المتمرس الذي لطف طبعه وصفت قريحته.

والكناية أنواع لم يخل منها الكتاب، وإليك نماذج عنها:

"مشمرا على ساعد الجد"/ "يكسوه العرق"/ "الفخار مشقوق"/ "عاري الرأس"/ "قدم رجلا وأخر أخرى"/ "قرن بين أسنانه".

فصورة: "مشمرا على ساعد الجد"، لها مدلولان: الأول؛ أي أنه جامع لثياب يديه، وهذا غير مقصود، خصوصا وأن لفظة "الجد" جعلته ينصرف إلى مدلول آخر. والثاني؛ أي مستعد كل الاستعداد، وعازم كل العزم على القيام بالمهمة التي طلبت منه، وكانت تخالج فكره ووجدانه...، وهذا المدلول الأخير؛ هو المراد بهذه الصورة، لكنه كنى عنها ولم يفصح، ولمح ولم يصرح، وذلك أبلغ في التعبير وأجود.

وصورة: "قدم رجلا وأخر أخرى"؛ فهي كناية عمن يتردد في أمره ويحتار، وهذا هو المدلول الثاني لهذه الصورة، وهو المقصود، وليس الملول الأول الذي يتبادر إلى الذهن أول مرة؛ من تقديم رجل أو تأخير أخرى.

---

[1]- التعريفات، للجرجاني، م س، ص187.

[2]- الأشباه والنظائر في النحو: لجلال الدين السيوطي، تح: عبد العالي سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط1، 1406-1985، 35/1.

[3]- مفتاح العلوم، م س، ص402.

وكذلك الشأن نفسه مع صورة: "عاري الرأس"، فمعناها الحقيقي الذي وظفت من أجله هو رأس خال من الشعر، أما عريان الرأس كتعبير مجازي؛ أي ليس عليه غطاء، فشيء عادي خصوصا وأن الخطاب ورد في سياق الحديث عن ذكر وليس عن أنثى حتى يكون هناك إشكال.

وهكذا نكون مع الكناية بنوعيها؛ سواء "عن صفة"، أو "عن موصوف"، وبذلك نلحظ دورها ووظيفتها العملية على المستويين الجمالي والدلالي، كما ذهب إلى ذلك غير واحد من الدارسين، ومنهم صاحب الطراز حيث قال: "اعلم أن الكناية متى وقعت في الكلام أفادته بلاغة، وأكسبته فصاحة، وكانت داعية للنفوس إلى عملها، ومحركة للخواطر إلى التشوق إليها، لما فيها من الإبهام الذي يكون متشوقا للنفوس، ومطمحا لنظرها، وارتياحا للأفئدة..."[1].

وبهذا تكون الكناية قد أدت وظيفتيها؛ الإمتاعية، والإقناعية.

فماذا عن علم البديع؛ مفهوما وتجليات؟.

[1]- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف - مصر، 1332هـ - 1912م، 219/1.

ثالثا: علم البديع

البديع أحد علوم البلاغة إلى جانب البيان والمعاني، وهو علم "تعرف به الوجوه والخصائص التي تكسب الكلام حسنا وجمالا، بعد أن يكون قد استوفى دلالته، ومطابقته لمقتضى الحال ووضوحه"[1].

أو هو "علم يبحث في طرق تحسين الكلام، وتزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي"[2]

يلعب البديع بأضربه المتنوعة، دورا كبيرا في البنية الصوتية للغة، من خلال الجرس الموسيقي الذي يتركه على أذن المتلقي، وأسر السامع.

كما له أهمية بليغة في ذاك الجرس الموسيقي الذي يعد عنصرا مهما في جمالية الإمتاع، ولا ينبغي الخلط هنا بين الجرس والوزن الذي يرتبط بالشعر؛ لأن الإيقاع أشمل من الوزن، ولأن لكل من الشعر والنثر إيقاع وجرس موسيقي، وهذا ما أقره الشكلانيون الروس، حيث نجدهم يميزون بين الإيقاع الشعري والنثري، فإذا كان "الإيقاع في الشعر عاملا بنائيا، فإنه في النثر قد يصبح عاملا تحسينيا"[3]، بل هناك من أقر – منهم أي الشكلانيين – أن الإيقاع يكون حاضرا وفارضا نفسه سواء في اللغة النثرية أو في اللغة الشعرية، وهذا ما نلحظه من كلام – جون كوهن – بقوله: "وأنه بين نثر موقع، ونظم موقع، لا نكاد نرى أية فوارق"[4].

وينقسم علم البديع إلى قسمين كبيرين: محسنات لفظية من: { سجع وجناس...}، ومحسنات معنوية من {طباق ومقابلة...}، هذا ما ستبينه الدراسة في الآتي:

---

[1]- العروض والبلاغة، م س، ص157.

[2]- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني البيان البديع)، تأليف الخطيب القزويني، (ت739هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م، ص5.

[3]- Le vers luis même les problèmes du vers. Tynianov. l. p52.

[4]- بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، 2015، ص54.

1- المحسنات اللفظية.

أ-السجع:

السجع في اللغة: "من سجع فلان في سيره أي استوى واستقام، وسجع الحمام إذا ردد صوته على طريقة واحدة، وسجعه إذا قصده، وسجع الخطيب إذا تكلم بكلام مقفى غير موزون، والسجع هو الكلام غير الموزون المقفى وجمعه أسجاع وسجوع، والسجعة هي القطعة من الكلام المسجع"[1].

وفي الاصطلاح هو "توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره، والفاصلة هي الكلمة الأخيرة من كل فقرة، وتسكن الفاصلة دائما في النثر للوقف"[2].

وتكمن أهميته فيما يحدثه من صدى موسيقي، بين الكلمات والجمل والفقرات، بالإضافة إلى إحداث تناسق صوتي ناتج عن التكرار التطريبي، ثم الوظيفة الدلالية لفحوى الخطاب، وعند البحث عنه من خلال الكتاب المطروق، نجده عنصرا لافتا للنظر والسمع والوجدان، يطول ويقصر بحسب عدد ألفاظه.

ففي المثال أدناه، نلحظ سجعا متساوي الفواصل:

"...وأما هو رضي الله عنه فكان من السباق، ومن أهل الإغاثة في البر والبحر، وذي الأحوال العجيبة والأسرار الغريبة، والجذب القائم والقلب الهائم، والبركات الظاهرة والكرامات الوافرة...".

ونلمس السجع هنا بين الآتي:

(الأحوال العجيبة – والأسرار الغريبة/ الجذب القائم – القلب القائم/ البركات الظاهرة – الكرامات الوافرة)، حيث سجع بين حرفي الباء مع الباء، والميم مع الميم والراء مع الراء كما هو مبين أعلاه.

يظهر من خلال المثال المقدم وغيره؛ مدى دور السجع الفني الإيقاعي النغمي، هذا المقوم الجمالي الذي يدل "على قوة التمكن وإحكام الصنعة"[3].

---

[1]- لسان العرب، مادة "سجع".

[2]- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ)، دار صادر- بيروت،ط1، 1412هـ - 1966م، ص224. والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تح: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1411هـ، 1990م، 120/1.

[3]- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1340هـ - م1922، 2/ 308.

ب- الجناس:

الجناس أحد أقسام البديع اللفظي، وهو أن تتشابه الكلمات في اللفظ وتختلف في المعنى، وكثرت حوله المصنفات كما يقول صاحب المثل السائر: "اعلم أن التجنيس غرة شادخة في وجه الكلام وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا ولاسيما المحدثين منهم، وصنف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوه أبوابا متعددة. وحقيقته أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا..."[1]. ووظيفته تقريب الجرس الصوتي وتباعد الهوة الدلالية على حد قول أبو ديب: "أما الجناس فإنه ظاهرة إبراز للفرق عبر درجة قصوى من التشابه: أي أنه تعميق للفرق والتشابه ولأنه كذلك فإن الفجوة: مسافة التوتر فيه أكثر حدة وبروزا، وهو أكثر خلخلة لبنية التوقعات لدى المتلقي"[2].

فالجناس إذن؛ شبيه بالقافية من الناحية الصوتية والإيقاعية، وهو نوعان: جناس تام، وجناس غير تام (ناقص).

فمن قبيل الجناس التام (المماثل) ما مفاده: "فسافرنا لزيارته حتى بلغنا أزجن، وأنزلنا الحوائج بباب الدار، فكانت حوائجي في الشواري وأقراب معها فيه، وحوائج الشرفاء كلهم فوقه (...)، إذ يرى في منانه كأنه يخدم الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، ويذهب في حوائجه (...)، ثم لما تفرقوا وذهبوا إلى حوائجهم...".

حيث نجد كلمتي "حوائج" ركنان للجناس وقد جمعتهما مماثلة صوتية واختلاف دلالي كما هو مبين في الصورة الآتية:

حوائج

مماثلة صوتية واختلاف دلالي

حوائج

فحوائج الأولى والثانية بمعنى: الأحمال والمئونة والثياب/ والثالثة والرابعة بمعنى: المصالح والأغراض والمآرب، كما دل على ذلك سياق الكلام.

---

[1]- المثل السائر، م س، صص153-161.

[2]- في الشعرية، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت، ط1، 1987م، ص102.

والأمر نفسه مع المثال التالي: "...فساعة يضحك وساعة يبكي..."؛ فلفظة "ساعة" الأولى، ليست هي الثانية، رغم توحد الكلمة صورة وصوتا؛ لأن المعنى الدلالي يختلف، فالأولى تعرب عن السرور والبهجة، والثانية تعبر عن الحزن والأسى، كما يفهم من سياق الكلام.

والكلام عينه مع لفظة "طرفه" التي اتحدت في هذا اللفظ مبنى، واختلفت معنى، فالأولى مرتبطة بالنظر والرؤية، والثانية متعلقة بالجانب والحافة، وهذا ما يفهم من ظاهر الكلام وسياقه.

أما عن الجناس غير التام فنشير إلى ما جاء في الكتاب على سبيل التمثيل لا الحصر ما نصه: " ... أعني بذلك سيدي وسندي، ومن على الله، ثم عليه اعتمادي، أعز الناس كلهم عندي: سيدي ومولاي سيدي محمد بن الفقيه؛ الشريف الزجني الأشهر الواضح، الولي الصالح، مد الله حياته مدا، ومكن له في القلوب ودا، وقد يعلم الله تعالى؛ أن العين لكم رامقة، والنفس (لمرافقتكم) شائقة، والشوق قدح في قلبي زناده، ولكم عندي من المحبة زيادة، ولولا التعلل بلعل وعسى، لذابت النفس من شدة الأسى، فلما طال في الحب عذابي، قلت: يا عظيم ما في قلبي (...) وجريان دموعي، وكثرة خضوعي، ولو وصفت الأشواق، لم تسعها الأوراق؛ كما قال بعض الحداق..."

نلحظ من خلال هذا المثال؛ أن هناك تجانس بين الكلمات الآتية:

(بين: سيدي، سندي، واعتمادي، عندي/ وبين: الواضح، الصالح/ وبين: رامقة، شائقة/ وبين: زناده، زيادة/ وبين: عسى، الأسى/ وبين: عذابي، قلبي/ وبين: دموعي، خضوعي/ وبين: الأشواق، الأوراق...).

نأخذ مثلا لفظة (سيدي - سندي/ الواضح - الصالح/ دموعي – خضوعي). فنجد التجانس الصوتي واضحا بينها. في حين نجدها توحي بتقابل دلالي رغم تشابهها الصوتي.

فالتجانس وقع بين كلمتي (عسى والأسى). فالتقارب الصوتي والتباعد الدلالي جد جلي؛ لكن لذلك انعكاس نغمي إيقاعي في النص، يظهر أثره في أذن القارئ والمتلقي على حد سواء.

ولهذا نجد هذا الجناس بأنواعه المختلفة قد أدى أدوارا متعددة في خدمة النص، سواء دلاليا بالنسبة للمعنى، أو نغميا بالنسبة للصوت، أو تأثيريا بالنسبة للمتلقي.

هذه بعض الأمثلة، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق. ولننتقل إلى المحسنات المعنوية.

2- المحسنات المعنوية

سنكتفي بمثالين في هذا الفرع، كما في الذي سبقه، والأمر بعده، يهم الطباق والمقابلة، ودورهما في الجانب الصوتي.

أ - الطباق:

وهو أن تجمع في أسلوب واحد، بين الشيء وضده كما ذهب إلى ذلك صاحب العمدة بقوله: هو "جمعك بين الضدين في كلام أو بيت شعر إلا قدامة ومن تبعه، فإنهم يجعلون الطباق اجتماع المعنيين في لفظة واحدة متكررة"[1].

وله اسم آخر وهو التطبيق، كما ورد عند الجرجاني وغيره "وأما التطبيق فأمره أبين وكونه معنويا أجلى وأظهر، فهو مقابلة الشيء بضده"[2]

وهذا الطباق وارد بغزارة في السلوة، سواء أكان سلبيا أم إيجابيا، هذا ما سنجليه على نحو ما ورد في الأمثلة التالية:

"... في البداية والنهاية...".

"...إلى المحب الحبيب الذي تعطر نسيم ذكره على البعيد والقريب...".

"...صاحب البرهان القاطع في مشارق الأرض ومغاربها، جوفها وبحرها...".

"...فإذا بالشيخ سيدي محمد بن الفقيه قام مسرعا وأقبل وأدبر...".

"...وأنا واقف للدعاء للمسلمين بالليل والنهار...".

إذا تأملنا هذه الأمثلة، فإننا نجدها قد اشتملت على ألفاظ وأضدادها، فالمثال الأول جمع بين (البداية، النهاية).

والمثال الثاني يضم (البعيد، القريب).

أما المثال الثالث فيحوي لفظتي (مشارق، مغارب).

في حين جاء في المثال الرابع كلمتي (أقبل، أدبر)، في الخامس (الليل، النهار)

---

[1]- العمدة، م س، ص 576.

[2]- كتاب أسرار البلاغة، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة، ص20. والتبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، لابن الزملكاني (651هـ)، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني - بغداد، ط1، 1383 - 1964، ص170.

فالمتأمل في الأمثلة أعلاه يلحظ أن هذا الطباق أدى دورا جماليا من الناحية الموسيقية للفظ، كما لعب الدور نفسه على مستوى التأثير والإقناع، كما يقال " وبأضدادها تعرف الأشياء".

ب - المقابلة:

المقابلة هي "ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولا، وآخره ما يليق به آخرا، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه"[1] .

المقابلة كالطباق، إلا أنها تزيد عنه بحيث تكون بين معنيين فأكثر، ولها من القيمة البديعية والموسيقية مالها؛ لذلك وجدت في الكتاب، ولك بعض النماذج منها:

"... وهدانا إلى الحق بباطن الإشارة وظاهر العبارة...".

"... وثناء أهل الفضل والصلاح عليه قديما وحديثا...".

من خلال هذه الأمثلة يتضح الفرق بين الطباق والمقابلة التي تتعدى الموازنة بين المفردات إلى الموازنة بين الثنائيات فأكثر كما في المثال الأول: "بباطن الإشارة وظاهر العبارة"، حيث نجد الموازنة بين: (باطن/ ظاهر)، وبين: (الإشارة/ العبارة).

كما أن المقابلة يمكن أن تكون - بالإضافة إلى إيراد المتضادين - بزيادة معنى آخر بالشرح والتفسير والبيان، كما في المثال الثاني الذي لم تقف المقابلة عند ذكر المتضادين: (قديما، حديثا)، وإنما أضافت - علاوة على ذلك - معنى المدح والثناء على الشيخ من طرف أهل الصلاح والفضل.

بناء على ما سبق فإن كلا من؛ الطباق والمقابلة يزيدان الكلام قوة ورونقا، حيث إنهما يجعلان الشيء إزاء ضده فيمكنه في النفس ويشدها، كما أنهما لا يقفا عند هذا الدور التحسيني، بل يتعديانه إلى تأدية دور الإبلاغ والتبليغ.

وصفوة القول: إن كتاب السلوة حافل بالمحسنات البديعية؛ التي زادت جماله رونقا وبهاء، ومن ثم كان لها دور كبير في المتلقي، وشد انتباهه لما تطرق سمعه، لتؤثر فيه، وتأسره ثم تجعله يقتنع بغرض المتكلم، فكان هذا الجانب البديعي؛ خادما لقصدية تأليف الكتاب ومرماه.

---

[1]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، م س، 15/2.

الفرع الرابع: حجاجية السرد

من أبرز الأنماط اللغوية التي تتطلب الحجاج وتستدعيه نجد السرد، الذي هو سرد مجموعة من الأحداث والوقائع، عبر استعمال تقنياته الأساسية، وبينها: الشخصيات، والحوار، والوصف، و الزمان والمكان؛ هذه المكونات التي تسهم في بناء الحكاية أو القصة أو الملحمة، والتي يمكن أن تكون واقعية كما يمكن أن تكون خيالية.

من هنا يظهر لنا التداخل والترابط بين السرد والحجاج، والوظيفة المتبادلة بينهما؛ لأن السرد في حد ذاته حجة قائمة بنفسها، لكنها تبرز أكثر لما تعانق الحجاج، فما مفهوم السرد؟ وأين تتجلى بعض مكوناته في الكتاب المدروس؟.

أولا: مفهوم السرد

1- الدلالة اللغوية

السرد لغة: من الجذر (سرد) "والسرد الثقب"، وقال الزجاج: السرد: السمر، وهو غير خارج عن اللغة، لأن السرد تقديرك طرف الحلقة إلى طرفها الآخر (جودة سياق الحديث)، سرد الحديث ونحوه يسرده سردا؛ إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سردا وسرده إذا كان جيد السياق، وسرد القرآن تابع قراءته في حذر منه..."[1]. فالسرد في اللغة؛ هو التشابك والنسيج.

2- الدلالة الاصطلاحية

واصلاحا: هو "قص حدث أو أحداث سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم الخيال"[2]. أو بتعبير آخر هو " القص المباشر الذي يؤديه الكاتب، أو الشخصية في النتاج الفني، يهدف إلى تصوير الظروف التفصيلية للإحداث والأزمات"[3]، وكونه فنا أدبيا لا ينفي عنه، اختلافه عن باقي الفنون الأدبية الأخرى – كالحكاية مثلا– في الواقعية التي تميزه.

---

[1]- تاج العروس من جواهر القاموس، م س، 374/2 - 375.

[2]- أطياف النص، دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، لمحمد سالم سعد الله، سلسلة النقد المعرفي (2)، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن. وعالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، إربد - الأردن، ط1، 2007، ص151.

[3]- البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، لميساء سليمان الإبراهيم، الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق، 2011، ص15.

كما أن السرد "فعل لا حدود له، يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء أكانت أدبية أو غير أدبية، يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان، وهو مرتبط بأي نظام لساني أو غير لساني، وتختلف تجلياته باختلاف النظام الذي استعمل فيه"[1].

وبذلك نستشف أن التراث العربي قدم إبداعات سردية في مختلف الخطابات الأدبية لتحقيق أغراض بلاغية شكلا ومضمونا.

وبما أن السرد هو عبارات، وجمل، وطريقة قص حكاية أو قصة؛ في شكل خطاب، فلابد من الاهتمام بعناصر ذلك الخطاب، وانسجامها في نظم معين لتشكيل لغة؛ واضحة المعالم.

وإذا كانت العملية السردية قائمة على عدة تقنيات وأساليب في سرد الأخبار، فإن من أبرزها أسلوبا الوصف والحوار، اللذين لا يخل منهما سرد. وهذا ما سنشير إليه في المحور الموالي.

فما ذا نعني بالوصف أولا؛ ثم ما هي مؤشراته ووظائفه من خلال الكتاب – المدروس – ثانيا؟ وأين يتجلى ذلك يا ترى؟.

ثانيا: تجليات السرد في الكتاب من خلال أسلوبي الوصف والحوار:

1- أسلوب الوصف {المفهوم والتجليات}

أ- دلالته في اللغة:

ورد في العين: "الوصف: وصفك الشيء بحلته ونعته. ويقال للمهر إذا توجه لشيء من حسن السيرة قد وصفه معناه: أنه قد وصف المشي، أي وصفه لمن يريد منه، ويقال: هذا مهر حين وصف"[2]

وفي الصحاح: "وصفت الشيء وصفا وصفة الهاء عوض الواو. وتواصفوا الشيء من الوصف. واتصف الشيء أي صار متواصفا"[3]

نستشف من خلال المعنى اللغوي للوصف؛ أن من معانيه: الحسن/ الإظهار/ الجودة/ المطابقة/ المعيارية/ .../ .

---

[1]- الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)، لسعيد يقطين، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ط1، 1997، ص19.

[2]- كتاب العين (مرتبا على حروف المعجم)، تصنيف الخليل الفراهيدي بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م، ص162.

[3]- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تأليف أبي نصر بن حماد الجوهري (ت398هـ)، مراجعة: محمد محمد تامر - وأنس محمد الشامي - وزكريا جابر أحمد، دار الحديث - القاهرة، 1430هـ - 2009م، ص1439.

ب- دلالته في الاصطلاح:

الوصف كما حدده – قدامة – هو "ذكر الشيء كما فيه من الأقوال والهيئات... يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم..."[1].

وهو "الخطاب الذي يسم كل ما هو موجود، فيعطيه تميز الخاص وتفرده داخل نسق الموجودات المشابهة له أو المختلفة عنه"[2].

كما أن الوصف؛ يعد عنصرا هاما في أي نسق لغوي تواصلي، وتزداد هذه الأهمية أكثر؛ إذا ما ارتبط – هذا الوصف – بالعمل الإبداعي، حيث إنه يضطلع "بوظيفة هامة في خلق الدلالة الكلية للنص الأدبي"[3].

من هنا نستنتج؛ أن الوصف في الاصطلاح، لا يبعد عن معناه اللغوي في كشف وبيان ملامح وخصائص الموصوف؛ ولهذا كان الوصف ركيزة من ركائز الخطاب، ولما نتأمل في محتوى الكتاب – قيد الدراسة – نجده واردا وبقوة، مع وظائفه التي يحققها، من ذلك:

وصف الأشخاص، نحو: (...وهنالك أناس كثيرون حسان الوجوه والثياب وهم متجهون إلى رجلين أمامهم على محل مرتفع كأنهما يتحدثان مع الجمع المذكور؛ أحدهما لم ير قط مثله والآخر عن يمينه/ فبقيت مدة من أيام وأنا كلما ذكرت وجهه صلى الله عليه وسلم؛ التي ليس لها مثيل في كمال الحسن وجميل محاسن الصفات/ وهؤلاء الناس حسان الصور وجوههم كالبدور النيرات، وقاماتهم كالنخل الباسقات/ إذ جاء رجل من أهل الجبل؛ أحمر اللون طويل مشعر الذراعين، ونظر إليهم واستقبل القبلة ونادى بأعلى صوته: الله ينصر مولاي إسماعيل/ فبعث معي رجل؛ قصير أبيض حسن الثياب والوجه على رأسه عمامة...). فهذا الوصف يقربك من تصور الأشكال والهيئات، وكأنك تراها أمامك؛ فلا تتخيل من قول القائل: "حسان الوجوه والثياب"، إلا أناسا هيئتهم حسنة ومظهرهم جميل. ولا من قوله: "هؤلاء الناس حسان الصور وجوههم كالبدور النيرات"، الذي يعبر عن شدة محاسنهم وجمالهم. وقس على ذلك باقي الأمثلة.

---

[1]- بناء الرواية، سيزا قاسم، مهرجان القراءة للجميع، 2004، مكتبة الأسرة، سلسلة إبداع المرأة - القاهرة، 1978، ص111.

[2]- وظيفة الوصف في الرواية، لعبد اللطيف محمود، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون - الجزائر، ط1، 1430هـ - 2009م، ص13.

[3]- وظيفة الوصف في الرواية، م س، ص30.

وصف الأمكنة: ومثاله: (...فإذا به في موضع أخضر بشيء رطب يشبه الربيع وليس بربيع/ ورأيت فيما يرىٰ النائم كأني في بطاح من الأرض، عن يميني جبل عظيم، وعن شمالي جبل لا نبات فيه/ إلىٰ أن بلغنا غابة عبد الله، ضل عنا جميع ما معنا من الإبل فيها؛ لكبرها، فو الله لو دخلت الآلاف ما ظهرت/ إذا أنا بدار عظيمة أمامي في الطريق (...) فدخلتها؛ فوجدتها ذات بناء عجيب مشيد، شديدة البياض لم ير الراءون مثلها قط في الدنيا، فجعلت أسير فيها، من هذا الموضع إلىٰ هذا الموضع، ومن هذه السارية إلىٰ هذه السارية...). فوصف هذه الأمكنة يضعك أمامها تنظر إليها وتراها، إن علىٰ مستوىٰ الحجم أو علىٰ مستوىٰ النضارة أو علىٰ مستوىٰ الكيفية أو...، فلا تتخيل – وهو يصف الدار التي دخلها – من قوله: "فوجدتها ذات بناء عجيب مشيد، شديدة البياض..."؛ إلا دارا بديعة الصنع محكمة البناء مزخرفة ذات بهجة، وكذلك شساعة الغابة الكبيرة.

وصف الأزمنة: مثل: (...، وكان ذلك اليوم شديد الحر، كثير الشرگي/ حدثنا بذلك صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين من رمضان المعظم عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف/ وكان ذلك قرب المغرب/ فلما جن الليل/ ثم مر السبت والأحد، والإثنين ليلة توضأت وصليت وطيبت منزلي...).

إن هذا الوصف يعرب عن الفترات الزمنية، التي دارت فيها تلك الأحداث، سواء من حيث الطقس؛ أهو بارد أم ساخن/ ممطر أم غير ممطر، أو من حيث الزمن؛ أهو الليل أم النهار، وأي فترة من الليل أو النهار، ما اليوم؟ ما الشهر؟ ما السنة؟؛ وبهذا يضعك في تلك الفترة بكل حذافرها، إلىٰ درجة شعورك؛ وكأنك موجود بينهم ومعهم.

وصف الأحوال المادية والمعنوية: وشاهده: (...والناس قد تواجدوا، ودخلهم حال عظيم وخشوع وبكاء، مع سرور وبهاء، لا يوجد مثله إلا من الفيض النبوي/ فما ذكرت من كلامك حرفا إلا ووجدت علىٰ قلبي خفا شقت منه بالنعيم الأبيض والعيش الأخضر، واستلمته استلام الحجر فكان كالمشتري أضاء للمسير، أو قميص يوسف جاء به البشير، فشرح النفس وبسط الأنس، وبرد الأكباد والقلوب، وعاد قميصا علىٰ أجفان يعقوب، تناولته كما يتناول الكتاب المرقوم، وفضضته كما يفض الرحيق المختوم/ وربما قام قلقا وجلس وصاح، فيجد حاضروه عند ذلك من الشوق والذوق ما تكاد به أنفسهم أن تحرق وأرواحهم أن تزهق؛ وهذا كان يقع للحاضرين في حالة بسطه ومعاملته لهم بلحظات التعرف بالفرح والسرور، وربما كان يعتريه قبض عند السماع فيلزم

الحاضرون السكون وعدم الحركة والصياح لتمام هيبته عليهم وغلبة وقته أوقاتهم وقهرهم تحت ثقل همته/ وأضر بنا الجوع/ فاشتد بنا العطش/ ولما ضاق الحال بالمسلمين من حبس المطر وخيف على الزرع...).

يبرز في هذا الشق من الوصف؛ عن الأحاسيس والمشاعر التي يعيشها هؤلاء الموصوف حالهم، وما يتذوقونه حال وجدهم وتواجدهم، وسكرهم وغيبتهم، وما يعقب ذلك من انشراح نفس، وبسط أنس، وبرد الأكباد والقلوب، والسكون والحركة والبكاء والفرح، وغيرها، فيجعلك هذا الوصف تعيش وكأنك بينهم، وتحضر معهم؛ وإن كنت غائبا عنهم، فتشاهد بإحساسك لا ببصرك؛ هذه الأحوال التي كانت تعتريهم، وتسكن بداخلهم.

وهكذا نرى هذه التجليات من الوصف، قد أسهمت في خدمة الدلالة، وتراكم الحدث، مما يقود إلى التأثير في المتلقي وإقناعه بالفكرة الهدف.

ولهذا يستعمل الوصف لخلق إيقاع للسرد، فيكون إما استرخاء وتجاذبا من النفس إلى الموصوف، أو مثيرا توترا وتنافرا..."[1].

نتوقف عند هذا الحد مع السرد، لنشير إلى مقوم آخر، والأمر يهم الحوار، فما مفهومه؟ وأين يتجلى في الكتاب؟.

2- أسلوب الحوار {المفهوم والتجليات}

أ- الدلالة اللغوية

الحوار في اللغة من "حار بمعنى رجع. وهم يتحاورون أي يتراجعون، وحاورته: راجعته الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وكلمته فما حار جوابا"[2].

ويأتي الحوار بمعنى المجاوبة. والتحاور التجاوب. ويقال كلمته فما أحار إلي جوابا. وما رجع إلى حويراء ولا محورا ولا حوارا. أي ما رد جوابا"[3]. كما أنه ورد بمعنى المخاطبة.

---

[1]- السرد العربي القديم، "الأشكال والمضامين"، لخلف الله حنان، جامعة محمد البشير الإبراهيمي - بورج بوعريريج، 2016، ص3.

[2]- لسان العرب، 217/4. والقاموس، 15/2.

[3]- الصحاح، 638/2.

ب- الدلالة الاصطلاحية

والحوار في الاصطلاح: هو "مناقشة بين طرفين أو أطراف، ويقصد بها تصحيح الكلام، وإظهار الحجة، إثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي"[1]، أهو الحديث بين اثنين أو أكثر، يتم فيه تبادل الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر. ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"[2].

وهكذا نرى أن كلا التعريفين اللغوي والاصطلاحي متجاورين إلا قليلا، في تحديد معنى الحوار. ومن تجلياته في الكاتب بنوعيه نقدم الآتي:

***الحوار الخارجي:** "Le dialogue"، وهو ما يدور من كلام وتخاطب بين طرفين أو أطراف؛ أي من جهتين، المتكلم والمستمع/ المخاطب والمخاطب/ المبدع والمتلقي/ ...

ومن نماذجه ما مفاده: (.../ فقال له الحاكم: لا نفعل ولو رددتني خنزيرا، فقال له: كن كذلك، فرجع خنزيرا؛ وصار يحفر في الأرض من جملة الخنازير، قال: فتشفع الناس فيه إلى سيدي أبي العباس، فقال لهم: اقبضوه من أذنه ولا تأتونه من بين عينيه، ففعلوا، فقال لهم: احفروا له حفرة، واجعلوه فيها ما عدا الزنفورة ، ففعلوا، فرجع إلى حاله كما كان أول مرة/ ثم قال: "ألم أكن نهيته عن طعام المصادفة؟ ثم قال: قد كنت هيأت له دواء حين قلت له ذلك، قال: ثم وقف عليه ولده سيدي محمد بعيدا منه ولم يتكلم، فقال له الشيخ رضي الله عنه: لم لم تشتر شيئا؟ فقال له: يا سيدي لم نجد من يبيعه لي بست مزونات، فقال له: اذهب إلى موضع كذا من السوق؛ من ناحية كذا، تجد رجلا يبيعه لك بتلك القيمة"...).

هكذا نرى هذا الحوار الخارجي الدائر بين فردين أو أكثر، فهذا يبدي رأيه وذاك يرد عليه، أو هذا يسأل والآخر يجيب، أو أولئك يفشون السلام، والآخر يرد عليهم التحية،

من هنا نجد بأن الحوار قد أدى وظائفه، وبالذات الوظيفة الابتدارية: وهي التي تطرح الزامات على المخاطب مثل: طلب الخبر، الدعوة...، والوظيفة الارتدادية: وهي أساس القسم المولد

---

[1]- أصول الحوار وآدابه في الإسلام، لصالح بن عبد الله بن حميد، دار النارة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1994، ص6.

[2]- م ن، ص11.

للأجوبة، والتي تنقسم بدورها إلى قسمين: موجبة؛ وهي اتفاق الطرفين، وسالبة؛ وهي اخلاف أو تعارض الطرفين"[1]

*الحوار الداخلي: "Le monologue"، وهو ما يكون بين الذات ونفسها؛ أي ما يخالجها من أفكار وخواطر، فتحاور نفسها معها، ويمثله ما مفاده: (...فجعلت أقول في نفسي ندخل بعضها وننام، فتذكرت قول سيدي المفضل وقلت: هذه قلة النية/ وقلت في نفسي: كيف حتى يقول الشيخ هذا وليس من عادته أن يقول ذلك؟!

فقالت في نفسها: "من الرجل الراكب الحسن الوجه؟/ قال: فقلت في نفسي: الله يهديك يا عم محمد وما تكثر من الكلام/ فقلت في نفسي: هذا شيء لا علم لي به...).

لنتمعن في ما يكشف عنه هذا الحوار الداخلي من خبايا النفس، ويظهر ما يدور فيها ويخالج كيانها، فلولا هذا الإفصاح من طرف المتكلم ما كان لنا أن نطلع على ما كانت تكنه وتخفيه، مما ورد في التعابير: "ندخل بعضها وننام- هذه قلة النية- كيف حتى يقول الشيخ هذا؟- من الرجل الراكب الحسن الوجه – الله يهديك يا عم – هذا شيء لا علم لي به".

من هنا تكمن أهمية الحوار بالنسبة للسرد لكونه محورا "تستقطب حوله فكرة القصة، ومضمونها العميق، ويمكن أن يكون هدفا فنيا كبيرا، بكونه معيارا نفسيا دقيقا، يستطيع أن يضيف نفسيات الشخصيات الفنية بذكاء وحذق"[2].

وهكذا نكون قد سلطنا الضوء على كل من؛ الوصف والحوار في علاقتهما بالسرد من جهة، وعلاقة السرد بالحجاج، وما يربطهما من تناغم وانسجام من جهة ثانية، كل ذلك لخدمة الدلالة المحورية للكتاب – إلى جانب الأساليب الأخرى – سواء على مستوى الشكل أو المضمون.

ومن تلك الأساليب الأخرى، نجد ما يسمى بأساليب المحدثين، فما ذا نعني بذلك؟، هذا ما سيفصح عنه المحور الموالي.

---

[1]- بلاغة الإقناع في المناظرة، لعبد اللطيف عادل، دار الأمان - الرباط، ط1، 1434هـ - 2013م، ص112.
[2]- السرد العربي القديم، م س، ص3.

الفرع الخامس: أساليب علماء الحديث

ونعني بذلك؛ طرق تحمل الحديث؛ أي الأساليب التي ارتضاها علماء الحديث، وبالأخص علماء الجرح والتعديل، في قبول الأحاديث أو ردها، وعلى رأسها أسلوبا الرواية الشفهية والكتابية؛ لأنهما يعدان من مصادر العلم وطرق تحصيله، بل ومن أدقها، وهو ما ذهب إليه صاحب المقدمة بقوله: "إن البشر إنما يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والفضائل؛ تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين؛ أشد استحكاما وأقوى رسوخا"[1]، كما أن توظيف مثل هذه الأساليب، ناتج عن اشتراك النص المنقبي مع كثير من الأجناس في مجموعة من الخصائص، ويقيم معها أكثر من علاقة، ومنها كتب الحديث التي استمد منها هذه الأساليب قيد هذا الفرع.

أولا: المشافهة

المشافهة طريقة من طرق أخذ الحديث، ومعيار من معايير درجة صحته، بل هي أعلى مرتبة وأقوى طريق، وهذا ما قرره أصحاب هذا الشأن كما ورد في كلامهم عند حديثهم عن الأخذ من اللفظ ما مفاده: "وهو أرفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرين"[2]، ونقصد بذلك ألفاظ الأخذ أو التحمل التي يروي بها الراوي خبره أو روايته، كما يبرز من قول القائل: "ولا خلاف أنه يجوز في هذا أن يقول السامع منه: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، وسمعت فلانا يقول، وقال لنا فلان، وذكر لنا فلان"[3].

وإذا نظرنا في الكتاب المدروس، ألفيناه غزيرا بهذه الأساليب، تدليلا على مراد مؤلفه وغايته من تأليفه، وإضفاء المصداقية عليه، وإليك أبرزها:

- "سمعنا من غير واحد يقول.../حدثنا الجم الغفير.../حدثنا غير واحد من الفقهاء والشرفاء..."

---

[1]- مقدمة ابن خلدون (العبر ديوان المبتدأ والخبر)، تأليف: العلامة عبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ)، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1421هـ - 2001م، 744/1.

[2]- مأخذ العلم، لابن فارس، تح: محمد بن ناصر العجمي، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الإصدار مائة وأربعة - الكويت، 1436هـ - 2015م، ص48. وعلوم الحديث، لابن الصلاح (ت643هـ)، تح: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان/ ودار الفكر، دمشق - سوريا، ص312.

[3]- الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض(ت544هـ)، تح: أبي همام محمد بن علي الصومعي البيضاني، سلسلة قرة عيون المحدثين(3)، ص148. وعلوم الحديث، م س، ص132.

- "حدثني بعض الثقات..."
- "حدثني من أثيق به عن..."
- "سمعنا منه.../ سمعت الحاج الأبر الزكي الأطهر..."
- "حدثني المكرم.../ عن الفقيه العدل الخير..."
- حدثني الفقيه النزيه الخير الدين...."
- "حدثتني امرأة صادقة من أهل الدين..."
- "وكتب له الشاب الأنجد التقي الأمجد..."
- "عن الأثبت الدين التقي..."
- "عن الإمام العالم الورع الزاهد...سمع رجلا ثقة يقول...".

فهذه الأساليب – لا شك أنها – تسجل الحدث، وتوثق المعلومة، بصدق وأمانة، ولا يخالطها شك؛ فتدفع المخاطب إلى التسليم والتصديق، وعدم الاعتراض.

ومما يلحق بهذه الأساليب، ويمكن أن يندرج تحتها؛ ما يسمى بأسلوب المشاهدة والمعاينة الذاتية والشخصية للمؤلف، هذا ما سنراه مع العنصر الموالي:

ثانيا: أسلوب المشاهدة والمعاينة (التجربة الشخصية)

يعد أسلوب المشاهدة والمعاينة – أو ما يمكن أن يطلق عليه بالتجربة الشخصية – من أبرز وسائل العلم والمعرفة والثقافة، بل وأقواها؛ لأنه يعتمد على ذات المشاهد أو المعاين، فيرى الحقائق بأعينه أو يسمعها بأذنيه، ولا يوجد أوثق من هذا، ولا أيقن منه في استقطاب المعارف والأخبار والمهارات، لأن المشاهد والمعاين يعيش وسط الأحداث والظروف مباشرة، ولا تصله بالواسطة التي يمكن أن تحرف أو تغير وتبدل؛ ولهذا قيل: "ليس الخبر كالمعاينة"، لما في ذلك من دقة وموثوقية.

ومن شواهد ذلك في الكتاب نجد مثلا:

"بمحضرنا.../ شاهدنا ذلك المرة بعد المرة.../ شهدت ذلك بعيني.../ ومما وقع بمحضرنا.../ سمعته يقول.../ رأيته يوما.../ وجدت بخط الفقيه النزيه الزكي العام.../ نقلت من خط بعض الثقات.../ ومما وقع للعبد المذنب مؤلف هذه الكرامات وجامعها.../ ومما وقع لمؤلف

هذه الكرامات.../ كل ذلك بمحضري وأنا أنظر.../ "نقلت من خط الفقيه الحاج الأبر المرابط الخير.../ نقلت من خط الفقيه العالم القاضي الأعدل.../ ولقد رأيت...".

وكما تلحظ عزيزي القارئ - سواء فيما يتعلق بأساليب المحدثين أو ما يرتبط بأسلوب المشاهدة والمعاينة – فإن المؤلف لم يكتف بي إيراد هذه الألفاظ والأساليب الحديثية ولا ما اعتمده في تجربته بشكل مجرد، وإنما أتبعها بما يزيدها وثوقا وإقناعا لدى المتلقي، حيث نجده أضفى عليها أوصاف ونعوت استعملها علماء الحديث؛ ليكشفوا بها عن عدالة من يقبل خبره وروايته أو جرح من يرد خبره وروايته؛ من قبيل: الثقة/ الأثبت/ الأعدل/ النزيه/ الفقيه/ العالم/ الورع/ الزاهد/ التقي/ ...، بل إنه وظف ما يشبه التواتر في الرواية كقوله الجم الغفير/ غير واحد/ ...، وكل هذا يأتي خادما للمقصد العام للكتاب.

لنرى رافدا آخر من روافد المصنِّف في التدليل على رأيه، والأمر يهم المصادر والمراجع التي استند إليها. وبيانها في المحور القادم.

الفرع السادس: المصادر والمراجع المكتوبة

تعد المصادر والمراجع المكتوبة – أيضا – أسلوبا من أساليب المعرفة والعلم والثقافة، ويراد بها المصادر والمراجع التي يستند إليها المؤلف في تعزيز رأيه وتقوية مذهبه أو دحض كلام معارضيه وتفنيده.

فتوظيف المصادر والمراجع وتضمينها في الكلام؛ يعد ذلك بمثابة الشاهد للقول والحجة على الخصم، لما تضفيه من شرعية على الكلام، وهي في بحثنا هذا؛ مصادر المؤلف التي استند إليها، فأوردها بشكل مباشر، أو غير مباشر؛ كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر، والأنساب للسيوطي، والتاريخ لابن خلدون، وبعض المخطوطات، كبعض النسخ من تحفة أهل الصديقية في أسانيد الطائفة الجزولية للفقيه سيدي المهدي الفاسي، وشجرة قديمة كتبت عام 974، وشجرة كتبت في أوائل المائة العاشرة، أو ما يشير إلى بعض المكتوبات، والتي تفهم من سياق كلامه من قبيل: " نقلت من خط الفقيه سيدي العربي الوجاري.../ نقلت من خط الفقيه النبيه.../ نقلت من خط الفقيه الحاج الأبر المرابط الخير.../ وكتب له الشاب الأنجد التقي الأمجد العرف بربه المقتطف من نور نبيه.../ ونقلت من خط يده الشريفة.../ ونقلت من خطه أيضا.../ وجدت بخط الفقيه.../ نقلت من خط بعض الثقات.../ وجدت بخط الفقيه النزيه الزكي العالم.../ وجدت بخط الفقيه النبيه العالم.../ نقلت من خط الفقيه العالم القاضي الأعدل.../ وجدت بخط الفقيه الأجل الخير الأفضل.../ نقلت من خط الفقيه الأديب.../ وجدت بخط الشريف سيدي محمد.../ وجدت بخط بعض الفضلاء ما نصه.../ نقلت من خط الفقيه الأديب سيدي محمد بن علي ابغلي التطواني.../ وجدت بخط الشريف سيدي محمد الغالي ابن ريسون الحسني العلمي.../ وجدت بخط بعض الفضلاء ما نصه...".

وهكذا شكلت هذه المصار والمراجع بمختلف أصنافها؛ مورد علم، ومنبع معرفة، استند عليها المؤلف في؛ بناء أطروحته، والدفاع عنها. لننتقل إلى رافد آخر، اعتمده المؤلف؛ لبلوغ قصده، ويهم الاحتجاج برأي المنكر والمخالف، وهو ما سيبينه المحور الآتي.

الفرع السابع: الاحتجاج برأي المنكر والمخالف

من الأدلة التي أوردها المؤلف؛ لدعم موقفه، وإثبات فكرته، ما يمكن أن يطلق عليه؛ باعتراف المعارض أو المنكر والجاحد، ولاشك أن الاستشهاد بهذا النوع من الأدلة، يزيد القول قوة، ورسوخا في نفوس المخاطبين، أو المتلقين عموما. وقد قيل قديما: "الحق ما شهدت به الأعداء"؛ فلا شك أن لهذه المقولة ما يبرر معقوليتها، حتى وإن لم تكن آية أو حديثا أو إجماعا أو شاهد شعر؛ إلا أن فيها من الحكمة ما فيها، والحكمة ضالة المؤمن؛ يأخذها حيثما وجدها.

والعدو أو المنكر أو الحاقد أو الجاحد، لا يعترف بما لخصمه من فضائل، أو محاسن، وكيف يعترف له بذلك؛ وهو إما جاهل لها، أو مكابر، أو لا يسلم للأمور التي يسمعها إلا بدليل؛ فالجاهل يحجبه جهله، والمكابر يمنعه كبره، والذي يطلب الدليل من حقه ذلك؛ لكنه إذا اعترف، أو نطق بالإنصاف، فلا شك أن في ذلك اقناعا، ومن ثمت اقتناعا لدى الحكم، أو الطرف الثالث (المحبون والمريدون أو الحاسدون والجاحدون).

لنرى بعض النماذج على ذلك:

النموذج الأول:

ما مفاده: "ذهب مرة إلى مكناسة الزيتون فاجتمعوا عليه، وكان فيمن اجتمع عليه منهم؛ الإمام العلامة الدراكة سيدي سعيد العميري فسأله وقال له: يا سيدي محمد، لماذا لا تحبون إلا من يأتيكم بشيء من أمور الدنيا؟ فقال له رضي الله عنه: إنا إذا أتانا إنسان بشيء من أمور الدنيا؛ علمنا زهده وعدم حرصه فيها فأحببناه لذلك، لا لما يأتينا به، وإذا لم يأتنا بشيء، علمنا حرصه وعدم زهده فيها، وأنها بقلبه بمكان، فلم نحبه لأجل ذلك، فقال سيدي سعيد: أشهدكم على أني قد سلمت إليه، وإنه لولي الله حقا؛ وكان سيدي سعيد هذا لا يسلم لمطلق الناس"[1].

النموذج الثاني:

ما مفاده: "حدثني المرابط الخير السيد مسعود بن محمد الزجني، وقال: إنه حضر ذات يوم مع الفقيه العلامة القاضي؛ سيدي أبي المعالي الشريف الحسني، [...]، ولقد لقي الفقيه المذكور، الشيخ مولاي التهامي بن محمد رضي الله عنهما، ونفعنا ببركاتهما، قد جاء من عند الشيخ؛ سيدي محمد من أزجن، فقبض سيدي أبو المعالي لجام بغلة مولاي التهامي وقال له: لم تأت إلى هذا الرجل سيدي محمد بن

---

[1]- ينظر ل: /21أ/ - وص188 من هذا العمل.

الفقيه، ثم قد يخرج إليك وقد لا يخرج؛ إن كان وليا فأنت ولي أيضا، قال: فرفع إليه رأسه مولاي التهامي وقال له: نقول لك؟ فقال: قل، ثم طأطأ برأسه إلى الأرض، ثم رفع ثانيا، ثم قال له: نقول لك: بأرفع من صوته أولا، فقال له: قل، ثم طأطأ برأسه إلى الأرض ثانيا، ثم رفعه، ثم قال له: نقول لك بأرفع من صوته ثانيا، فقال له القاضي المذكور: وجدد في قبض لجام البغلة؛ تقول لي، فنظر إليه مولاي التهامي وسكت، ثم أعاد سيدي أبو المعالي، وقال له: تقول لي؟ فنظر إليه مولاي التهامي وسكت، ثم أعاد سيدي أبو المعالي ثالثا، وقال له: والله لا نسرح بغلتك حتى تقول لي، فقال له مولاي التهامي: كيف لا أذهب إليه؟ وهو الذي قبضني وأجلسني بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: يا رسول الله هذا ولدك تهلا فيه، قال: فأرسل حينئذ سيدي أبو المعالي البغلة، وذهب مولاي التهامي، قال: فالتفت إلى سيدي أبو المعالي، وقال: إن سيدي محمد بن الفقيه من الأكابر، وقد كان سيدي أبو المعالي؛ ممن لا يسلم للشيخ سيدي محمد فأقلع حينئذ عن ذلك"[1].

النموذج الثالث:

ما مفاده: "حدثنا الفقيه الأمثل، الشريف الأفضل، الأستاذ المبجل؛ سيدي محمد، بن سيدي أحمد، بن الفقيه، [...]، قال: "كنت ذات يوم بسوق الثلاثة، بأزجن مع الشيخ سيدي محمد بن الفقيه؛ وهو جالس بموضع منه، والناس يأتونه للزيارة ويذهبون؛ فبينما نحن كذلك؛ إذ أخذ الشيخ، حال عظيم، وقام، وجعل يذهب يمينا وشمالا، ويقول: "اطف النار اطف النار"؛ ويكررها، قال: فقلت في نفسي: "الله يهديك يا عم محمد، وما تكثر من الكلام"، وكنت ممن لم يسلم له، وشأن الاعتراض عليه، في كل ما يفعل ويقول"[2].

وبهذا نخلص إلى أن المؤلف لم يوظف هذا النوع من الاستدلال؛ حشوا للكلام، وإطنابا للقول، وإنما لغاية منشودة، ألا وهي قطع الشك، والريبة عن المعارضين، وإفحام المخالفين من جهة، وزرع اليقين والثبات في نفوس المؤيدين من جهة أخرى.

---

[1]- ينظر ل: /33 - 34أ/ - وص210 من هذا العمل.
[2]- ينظر ل: /89أ/ - وص264 من هذا العمل.

المبحث الثاني: المقومات الفكرية للكتاب {القضايا والمسايل العقدية والفقهية الواردة في الكتاب}.

يحفل كتاب السلوة بالعديد من القضايا والمسائل الفكرية؛ عقدية وفقهية، ك: الاستغاثة والتوسل والشفاعة والتبرك، والذبح والنذر والدعاء، وهي من المسائل التي يجب الوقوف عندها؛ بالكشف عنها، ثم دراستها، نقدا وتقويما؛ نظرا لما يمكن أن تطرحه من إشكالات، ونقاش فكري عقدي، وعوضا عن الإشارة إليها في هامش قسم التحقيق، ارتأينا أن نفرد لها مبحثا خاصا في قسم الدراسة ها هنا؛ لأن الهامش لن يتسع لها، لما تحتاج إليه من تفصيل، ولتكون جوابا عما ورد في الكتاب، من تلك القضايا والمسائل. هذا ما ستجليه المحاور الآتية.

المطلب الأول: القضايا العقدية {الكرامة/ الاستغاثة، والتوسل، والشفاعة، والتبرك/ مسايل غيبية مختلفة}.

الفرع الأول: في الكرامة

أولا: مفهومها

1+ في اللغة:

من (كرم)، يقول ابن فارس: "الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما (وهو المقصود هنا) شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق. يقال رجل كريم، وفرس كريم، ونبت كريم. وأكرم الرجل إذا أتى بأولاد كرام،..."[1]، "وتكرم عن الشيء وتكارم: تنزه. الليث: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عن الشائنات، والكرامة: اسم يوضع للإكرام، كما وضعت الطاعة موضع الإطاعة، والغارة موضع الإغارة. والمكرم: الرجل الكريم على كل أحد. ويقال: كرم الشيء الكريم كرما، وكرم فلان علينا كرامة..."[2]، وفي أساس البلاغة: "كرم علينا فلان كرامة، وله علينا كرامة، وأكرمه الله وكرمه. وأكرم نفسه بالتقوى، وأكرمها عن المعاصي. وهو يتكرم عن الشوائن (..)، وإن أجل المكارم اجتناب المحارم. وهم الأطيبون الأكارم..."[3].

من هنا نستشف؛ أن الكرامة تعني؛ العطية والمزية، والتقوى، واجتناب المحرمات...

2+ في الاصطلاح:

لا يبعد المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي؛ حيث نجد الكرامة هي: "ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة"[4].

أو هي: "أمر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد من عباده الصالحين حيا أو ميتا إكراما له فيدفع عنه ضرا أو يحقق له نفعا أو ينصر به حقا"[5].

وتعني حسب الكشاف: "ما يظهر على يد الأولياء من خرق العادة"[6].

---

[1]- معجم مقاييس اللغة، م س، 5/171-172.
[2]- لسان العرب، 12/512، والعين، 4/24.
[3]- أساس البلاغة، 2/131.
[4]- معجم التعريفات للجرجاني، م س، ص154، التوقيف، م س، ص281.
[5]- كتاب التعريفات الاعتقادية، تأليف سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، دار الوطن للنشر، ط2، 1432هـ - 2011م، ص269.
[6]- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، م س، ص1360.

والمستفاد من هذه التعاريف؛ هو أن الكرامة هي الأمر الخارق للعادة، فهي ليست بمعجزة من المعجزات التي خص بها الأنبياء والرسل، ولا هي باستدراج يهم العصاة من الطغاة؛ بل هي مكرمة يهبها الله تعالى لعباده الصالحين الخلص إكراما لهم.

ثانيا: حجيتها وآراء بعض أهل العلم فيها

1- الحجية

ثبتت حجية الكرامات بنصوص الوحي، وآراء علماء الأمة، وبالعقل كذلك.

فمن القرآن، نجد قوله تعالى حكاية عن قصة مريم عليها السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّآءُ ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾، [آل عمران/37]، وقوله تعالى حكاية عن قصة سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ﴾، [النمل/ 40].

2- أراء أهل العلم فيها

[الإمام الطحاوي (ت321هـ)]: "ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم"[1].

[العلامة الكلاباذي (ت380هـ)]: "وأجمعوا على إثبات كرامات الأولياء، وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء، وكلام البهائم وطي الأرض، وظهور الشيء في غير موضعه ووقته، وقد جاءت الأخبار بها، وصحت الروايات، ونطق بها التنزيل"[2].

[الإمام القشيري (ت465هـ)]: "ظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدليل على جوازه أمر موهوم حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول، فواجب وصفه، سبحانه، بالقدرة على إيجاده، وإذا وجب كومه مقدورا لله، سبحانه، فلا شيء يمنع من حصوله.

---

[1]- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تح: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي - بيروت، ط8، 1404هـ - 1984م، ص746.

[2]- كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، تصنيف الإمام أبو بكر الكلاباذي (ت380هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة، صص87 - 88.

وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقا فظهور مثلها عليه لا يجوز. والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا، حتىٰ نفرق من كان صادقا في أحواله، وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه، وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها.

ولابد أن تكون هذه الكرامة فعلا ناقضا للعادة في أيام التكليف، ظاهرا علىٰ موصوف بالولاية في معنىٰ تصديقه في حاله."[1]

[العارف ابن عربي (ت638هـ)]: "اعلم أيدك الله أن الكرامة من الحق من اسمه البر ولا تكون إلا للأبرار من عباده جزاء وفاقا"[2].

[شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ)]: "ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء، وما جرىٰ الله علىٰ أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلىٰ يوم القيامة"[3].

[الإمام الشاطبي (790هـ)]، يقول – عن الكرامات – هي: "خوارق العادات"[4]، وهي مزية من المزايا"[5] التي أعطيتها هاته الأمة؛ "مقتبسة من مشكاة نبينا صلىٰ الله عليه وسلم لكن علىٰ مقدار الاتباع"[6].

فالشاطبي جعل الكرامة أمرا خارقا للعادة، والشيء الخارق للعادة يأتي علىٰ غير المألوف في حياة الناس وواقعهم؛ مما يجعل التصديق به عقلا ومنطقا أمرا فوق إدراك العقل. كما أنه اعتبر الكرامة مزية وفضيلة من الفضائل التي أعطيت لأمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم وهاته الفضيلة تتحقق باتباع شرع الله عز وجل والسير علىٰ هديه صلىٰ الله عليه وسلم؛ لأنها مقتبسة من مشكاته،

---

[1]- الرسالة القشيرية، م س، 295/1.

[2]- الفتوحات المكية، لمحيي الدين بن عربي (ت638هـ)، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص552.

[3]- العقيدة الواسطية، تصنيف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية (ت828هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة، ط9، ص26.

[4]- الموافقات في أصول الشريعة، للعلامة المحقق أبي إسحاق الشاطبي (ت790هـ)، ضبط وتقديم وشرح: عبد الله دراز - عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1425هـ - 2004م، 193/2.

[5]- م ن، 197/2.

[6]- م ن، 197/2.

وتحققها لا يكون إلا "بواسطة نبوية (لأنه) هو السراج المنير الذي يستضيء به الجميع، والعلم الأعلى الذي به، يهتدى في سلوك الطريق"[1]. وقد اشترط في اقتباس مزية الكرامة أن تكون على "مقدار اتباع" سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ حتى لا يغتر الإنسان المؤمن، ويظن أن ما حصل له من تميز، ناتج عما قام به من مجهود وليس من فضل الله على عبده. لذلك نبه الشاطبي إلى التعامل مع حدوث الكرامة بحذر فقد يلحق العبد "بسبب الالتفات إليها عجب، أو غير ذلك، (لأن) الكرامة كما أنها خصوصية، كذلك هي فتنة واختبار، لينظر كيف تعملون"[2]. فالكرامة فتنة لما يمكن أن يحدث من التباس، وغرور فيما وقع للعبد، واختبار لإيمانه أيكون من الشاكرين لنعم ربه والعابدين له، أم من الجاحدين لذلك. فالله عز وجل يعرفنا عليه به، وعلى قدر المعرفة يتم الخضوع والامتثال.

[العلامة ابن خلدون (808هـ)].

دفاعا عن الكرامة: ذهب ابن خلدون إلى الذود عن الصوفية وأحوالهم، وإظهار الصحيح من أفعالهم، وتوضيح ما أشكل على غيرهم؛ مما ظهر عليهم حيث قال: "وأما الكلام في كرامات القوم وإخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات فأمر صحيح غير منكر"[3] في القرآن وفي السنة فالقرآن الكريم حكى عن أخبار الصالحين من الأمم السابقة من غير الأنبياء كمريم والخضر عليهما السلام. والسنة الشريفة تحكي قصصا كثيرة وقع فيها خرق العادة لأناس صالحين أمثال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأصحاب الغار والمتكلمين في المهد وكلها وقائع وأحداث حكاها القرآن والسنة في إطار بناء التصور العقدي الشرعي السليم. وفق مقاصد الشريعة وأحكامها لا إفراط ولا تفريط. وقد استشكل على البعض حدوث الكرامات: لما عني المتأخرون بهذا النوع من الكشف وتكلموا في حقائق الموجودات العلوية والسلفية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك وقصرت مدارك من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم أذواقهم ومواجدهم في ذلك، وأهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل بنافع في هذا الطريق ردا وقبولا إذ هي من قبيل الوجدانيات"[4]. غير المعارضة لأصول الشريعة، والهادمة لها. وهي من الأمور التي يسلم فيها العقل

---

[1]- م س، 197/2.
[2]- م ن، 208/2.
[3]- تاريخ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون (808هـ)، عناية: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، 474/1.
[4]- م ن، 470/1.

بالغيب المستند، على الأدلة الشرعية؛ لأن الكشف غير معتاد ولا مألوف، فالعقل البشري يستعين في إدراك الأشياء بالحسيات القابلة للتحقق، أو بالعقليات المبنية على الاستدلال والبرهان لإظهار الحقائق وإثباتها، والخوارق ليست من هذا النوع لذلك حتى الصوفية اعتبروا شرط الاستقامة أمرا مهما في التسليم بحدوث الكرامة قال ابن خلدون: "إن هذا الكشف لا يكون كاملا صحيحا عندهم إلا إذا كان ناشئا عن الاستقامة؛ لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة، وإن لم يكن هناك استقامة كالسحرة وغيرهم من المرتاضين، وليس مرادنا إلا الكشف الناشئ عن الاستقامة"[1]. "وإذا وقع تقصير في النتيجة، أو خلل فنعلم أنه إنما أتى من قبل التقصير في الذي قبله؛ لأن حصول النتائج عن الأعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها"[2].

نظرا لأهمية هذا المحور، أوردنا العديد من آراء أهل العلم باختلاف مشاربهم، حتى نبين إجماعهم على إمكانية وقوع الكرامة؛ لمن صلح مع الله ظاهره وباطنه، ولا يلتفت بعد هذا، إلى من شذ في زعمه، فأنكر وقوعها، وكيفما علل ذلك.

ثالثا: أنواعها وفوائدها

1- أنواعها:

تنقسم الكرامة إلى نوعين اثنين، وهما: كرامة حسية، وكرامة معنوية.

- الحسية: وهي المعروفة عند عوام الناس؛ كالمشي على الماء، واختراق الهواء، وطي الأرض، والاحتجاب عن الأبصار، وإجابة الدعاء في الحال، وحصول ماء في وقت عطش، أو إظهار طعام في أوان فائقة...

- المعنوية: ولا يعرفها إلا الخواص من عباد الله تعالى؛ كالمحافظة على آداب الشريعة، والكشف عن الأمور الغائبة التي لا تكشف لغيره، والتوفيق لإتيان مكارم الأخلاق، واجتناب سفسافها، والمحافظة على آداء الواجبات، والمسارعة إلى فعل الخيرات، وتطهير القلب من الغل والحسد، ومحاسبة النفس على الأنفاس..."[3].

---

[1]- م س، 468/1.

[2]- م ن، 470/1.

[3]- الفتوحات المكية، ص552-553، وموسوعة مصطلحات التصوف، ص111، وبستان العارفين، للإمام أبي زكريا النووي (ت672هـ)، تح: محمد الحجار، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط6، 1427هـ - 2006م، ص222، ومعجم ألفاظ العقيدة، ص333، بتصرف.

2- فوائدها:

للكرامة فوائد كثيرة منها:

- بيان قدرة الله تعالى.
- نصرة الدين.
- تكريم للولي.
- زيادة الإيمان وثباتا له على الدين أو لغيره.
- بشارة للولي الذي ظهرت له.
- برهان للولي على أنه على الحق ونهج النبي صلى الله عليه وسلم"[1].

رابعا: حدودها وضوابطها

1- حدودها:

للكرامة حدودا لا يمكن تخطيها، ولا تجاوزها، من ذلك أن:

- الكرامات لا ترقى إلى المعجزات.
- الكرامة لا تعني العصمة.
- وقوع الكرامة لا يعني الأفضلية بإطلاق.
- القصور عن معرفة الغيب المطلق.
- عدم القدرة على إحياء الموتى بالإرادة الذاتية.

2- ضوابطها:

للكرامة ضوابط تمكن من الحكم على من صدرت منه، أهو محق أم كاذب، وقد ذكرها العنقري في كتابه: [كرامات الأولياء]، بتفصيل وشرح، نجملها في الآتي:

- الاستقامة على شرع الله تعالى.
- خرق العادة ليس دليلا مستقلا على الكرامة.
- عدم معارضة القصة للشرع.
- تحقق الإكرام في الكرامة.

---

[1]- معجم ألفاظ العقيدة، ص333.

- **ثبوت سند رواية الكرامة.**
- **نقل الجم الغفير لها إذا كانت حادثة عظيمة.**
- **عرض قصص الكرامات علىٰ سير الأنبياء صلىٰ الله عليهم وسلم.**
- **مجال العقل في تقييم قصص الكرامات[1].**

[1]- كرامات الأولياء (دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)، لعبد الله بن عبد العزيز العنقري، دار التوحيد للنشر - الرياض، ط1، 1433هـ - 2012م، باختصار من ص177 إلى ص233.

خامسا: الكرامة وتمييزها عن غيرها من المشابهات (المجاورات)

يمكن القول: على أن هناك تشابها وتمايزا، وعموما وخصوصا – في الآن نفسه – بين الكرامة وبعض المجاورات لها؛ كالمعجزة، والمنقبة، والاستدراج، والسحر، وغيرها؛ نجمل الكلام عن ذلك في الآتي:

1- الكرامة والمعجزة:

- فكل من المعجزة، والكرامة خارق للعادة.
- كلاهما؛ إكرام وقربة، وتفضيل لمن ظهرت عليه بضوابطها.
- المعجزة؛ أعم من الكرامة.
- كلا منهما؛ يجوز سمعا، وعقلا.
- المعجزات يجب إظهارها، والكرامات يجب سترها وإخفاؤها إلا للضرورة.
- المعجزات خاصة بالأنبياء، والكرامات تشمل الأنبياء والأولياء.
- المعجزة مقرونة بدعوى النبوة، والكرامة غير مقرونة بدعوى النبوة.
- الكرامة أمر خارق للعادة، يظهر على يدي الولي؛ فهي غير مقرونة بدعوى النبـوة، وأما المعجزة؛ فهي تكون مقرونة بدعوى النبوة[1].

[1]- الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، للعلامة طاهر الجزائري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط1، 1407هـ - 1986م، ص45، بتصرف يسير.

2- الكرامة والمنقبة:

لم يفصل بعض المتقدمين والمتأخرين بين المنقبة والكرامة؛ فأردفوهما في المعنى، والحال: أن الثانية أخص من الأولى، من حيث إن "المنقبة تستوعب كثيرا من نصوص الكرامات والمنازع والأخبار والأحاديث، وتعكس هاجسا دينيا أو عقديا غير مفصول، في الغالب عن الوعي الصوفي الإسلامي، أو الأسطوري بالمعنى الرحب لكلمة أسطورة"[1].

كما جعلت المنقبة من الكرامة الصوفية عنصرا جوهريا في خطابها، وعدتها قضية القضايا؛ فعقدت لها فصولا للدفاع عن مشروعيتها، وحشدت لذلك الأدلة على إمكانيتها عقلا، وجوازها شرعا، في جل كتب المناقب، قاصدة ذلك كله؛ إفحام والمنكرين لكرامة الأولياء.

والحاصل بعد هذا؛ أن بين الكرامة والمنقبة عموم وخصوص، ومشاكلة واختلاف.

3- الكرامة والاستدراج

الاستدراج كما في الكشاف: "هو أن تظهر الخوارق على يد بعض من كان مردودا عن طاعة الله تعالى"[2].

فإذا كان إكرام الله تعالى ورضاه على العبد الصالح؛ ناجم عن الطاعة، فإن الاستدراج؛ هو أن يعطي الله تعالى للعبد الطالح "كل ما أراد في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده، فيزداد كل يوم بعدا عن الله"[3].

فهو إذن لا يظهر إلا على يد "الكفار وأهل الأهواء والفساق"[4].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى، في سياقات مختلفة؛ منها قول الله جل شأنه وتعالى اسمه: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾. القلم: 44-45.

---

[1]- المناقب المغربية بين التصنيف والتجنيس، بحث لنيل دكتوراه الدولة في اللغة العربية وآدابها، مرقونة، العمري محمد - تطوان، 2003 - 2004م، ص153.

[2]- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، م س، ص731.

[3]- م ن، الصفحة نفسها.

[4]- م ن، ص149.

يقول [ابن كثير] في تفسير هذه الآية: "...؛ ولهذا قال: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي: وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو في نفس الأمر إهانة"[1].

وقال [ابن عطية]: "والاستدراج: هو الحمل من مرتبة إلى مرتبة، حتى يصير المحمول إلى شر وإنما يستعمل الاستدراج في الشر، وهو مأخوذ من الدرج، قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعم، ويمنعون الشكر، وقال غيره: كلما زادوا ذنبا زادوا نعمة"[2].

وقال [الطبري] :"وقوله: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)، يقول جل ثناؤه: سنكيدهم من حيث لا يعلمون، وذلك بأن يمتهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله، فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون"[3].

كما أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار إلى المعنى نفسه بقوله: <إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته>[4].

من خلال ما ذكر يتبين أن الله تعالى يستدرج العبد – المغضوب عليه – بتسخير النعم والإمهال؛ حتى إذا أخذه يلم يفلته، وانتقم منه أشد انتقام.

4- الكرامة والسحر

ورد في الكشاف: "هو فعل يخفى سببه ويوهم قلب الشيء عن حقيقته"[5]. ومنه التخيلي، ومنه الشيطاني. والجامع بينه وبين الكرامة؛ هو الخارق للعادة على من يجهل أسبابه. وأما الفارق بينه وبين الكرامة؛ فإن كانت الكرامة – كما مر سابقا – لا تظهر إلا على يدي عبد صالح، فإن "السحر لا يظهر إلا على فاسق"[6].

كما أن الكرامة إمداد من الله، بينما السحر استعانة بالشيطان والنفوس الخبيثة.

---

[1]- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير (ت 774هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، طبعة جديدة ومنقحة، ط1، 1420هـ - 2000م، ص1908.

[2]- المحرر الوجيز، م س، 353/5.

[3]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري، تح: عواد معروف - عصام فارس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1415هـ - 1994م، 353/7.

[4]- حديث صحيح، رواه أبو موسى الأشعري، أخرجه مسلم: ر: 2583، ص1544، والبخاري: ج8، ر: 4501، ص212، واللفظ له.

[5]- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، م س، ص935.

[6]- بستان العارفين، م س، ص323. كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني (419 (419 - 478هـ)، تح: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي - مصر، 1950م، ص323.

هكذا يكون ذكر هذه المجاورات للكرامة، بعزلها وفرزها لمن يخلط بينها أو تختط عليه، بجامع المشترك الذي هو الخارق للعادة؛ فإذا صدر عن العبد العاصي: (كان استدراجا أو سحرا)، أو عن العبد الطائع (فهو الكرامة أو المنقبة)، أو (المعجزة) التي تخص الرسل عليهم السلام.

الفرع الثاني: الاستغاثة والتوسل والشفاعة والتبرك

أولا: الاستغاثة

1- مفهومها:

الاستغاثة مصدر، وهي عبارة عن المناداة كما يرى ذلك النحاة، ولغة: هي أن يطلب المنادي الإغاثة من غيره، أي: "طلب الغوث وهو كشف الشدة، كالاستنصار طلب النصر، وكالاستجارة والاستعاذة، فكلها من أنواع الطلب والدعاء (...)، والدعاء والنداء بمعنى واحد"[1].

أما في الاصطلاح؛ فهي عبارة عن: "طلب الإغاثة والتخليص من الكربة والشدة، أو بمعنى آخر هي: طلب العون وهو التخليص من الشدة والنقمة، والعون على الفكاك والشدائد"[2].

2- أقسامها:

استغاثة صحيحة ثابتة، وهي:" الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين)، الأنفال/ 9"[3].

استغاثة غير صحيحة منفية، وهي "نوعان أحدهما الاستغاثة بالميت مطلقا في كل شيء، والثاني الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق"[4]. بل إن هذه من أنواع الشرك، حيث يجعل لهم حظ من الربوبية، قال الله تعالى: (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون)، النمل/ 62.

استغاثة جايزة ممكنة، وهي: "الاستغاثة بالأحياء القادرين على الإغاثة (...)، كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه)، القصص/ 15"[5]. وهذه الاستغاثة على المجاز لا على الحقيقة، لأن الإغاثة على الحقيقة هي لله تعالى، وعلى المجاز توفيق منه للمغيث من خلقه، هذا ما يشير إليه بن تيمية بقوله:

---

[1]- الاستغاثة في الرد على البكري، لابن تيمية، تح: عبد الله بن دجين السهيلي، دار الوطن، ط1، 1417هـ - 1997م، 57/1.

[2]- كتاب التعريفات الاعتقادية، تأليف: سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، مدار الوطن للنشر، ط2، 1432هـ - 2011م، ص33 - 34، معجم ألفاظ العقيدة، تصنيف: أبي عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكة، ط1، 1417هـ - 1997م، ص36.

[3]- معجم ألفاظ العقيدة، م ن، ص36.

[4]- كتاب التعريفات الاعتقادية، م س، ص34، الاستغاثة في الرد على البكري، م س، ص246.

[5]- معجم ألفاظ العقيدة، م س، ص37.

"ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى: يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله، وأن كل غوث فمن عنده، وأن كان جعل ذلك على يد غيره، فالحقيقة له سبحانه وتعالى، ولغيره مجاز"[1].

والشاهد على ذلك من قوله – عليه الصلاة والسلام – كثير؛ منه على سبيل المثال: قصة المنافق الذي كان يؤذي المؤمنين، "فقال أبو بكر الصديق: قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: <إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله>؛ فهذا إنما راد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني، وهو أن يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا اللهن وألا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به، كما في صحيح البخاري..."[2].

من هنا يمكن القول: بأن هذا النوع من الاستغاثة، والذي يخرج عن مقدور الأنبياء والمرسلين، بدليل قول المعصوم بمفرده عليه السلام، ففي حق غيرهم أولى وأظهر.

ثانيا: التوسل

1- مفهومه

لغة: "الوسيلة: المنزلة عند الملك، والوسيلة: الدرجة، والوسيلة: القربة، ووسل فلان إلى الله وسيلة: إذا عمل عملا تقرب به إليه...وتوسل إليه وسيلة: إذا تقرب إليه بعمل"[3].

وعند الجوهري في صحاحه: "ما يتقرب به إلى الغير. والجمع: الوسيل والوسائل. والتوسيل والتوسل واحد. وسل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه بوسيلة، أي تقرب إليه بعمل"[4].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَابْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾، المائدة/ 35. قال ابن جرير الطبري: "وابتغوا إليه الوسيلة (أي)، واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه"[5].

---

[1]- مجموع الرسائل الكبرى، لابن تيمية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 483/1.
[2]- م ن، ص483.
[3]- لسان العرب، م س، 724/11.
[4]- التوصل إلى حقيقة التوسل: المشروع والممنوع، لمحمد نسيب الرفاعي، طبعة ومزيدة ومنقحة، ط3، 1399هـ - 1979م، ص19.
[5]- تفسير ابن كثير، 56/2.

أما اصطلاحا، فمعناه: "هو أن يتخذ الإنسان وسيلة توصله إلى مقصوده، فأصله طلب الوصول إلى الغاية المقصودة"[1]. لكن هذا التعريف اتسع حتى شمل كل الوسائل بما فيها الوسائل الكونية، وهي غير مقصودة في عملنا هذا، وإنما المقصود الوسائل الشرعية، التي يمكن تقريب معناها بالتعريف الآتي: "فهي كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالى، وبينه في كتابه وسنة نبيه، وهي خاصة بالمؤمن المتبع أمر الله ورسوله"[2].

وفي ضوء هذا التعريف، يمكن الحديث عن معنيين للتوسل أو الوسيلة، عام وخاص.

المعنى العام:

حيث تعني: "التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله"[3]. فهي: "ما يتقرب به إلى الله تعالى من صالح القول والعمل"[4]. وهي: "فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي"[5].

المعنى الخاص:

يقول ابن عثيمين في هذا المعنى: "والتوسل في دعاء الله تعالى أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سببا في قبوله دعائه"[6]. وفي السياق نفسه، يقول السعدي: "فإذا أتى العبد بالسبب والوسيلة، وهو الدعاء لله المقرون بالاستجابة له بالإيمان به والانقياد لطاعته"[7].

وهذا المعنى الثاني (الخاص)، هو الذي "يتخذ وسيلة لإجابة الدعاء"[8].

2- أقسامه:

قسم صحيح مشروع: وهو التوسل بالوسيلة، أو الوسائل الصحيحة الموصلة إلى المطلوب والمقصود، وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التوسل بأسماء الله تعالى الحسنى، فردا كما في الدعاء: "اللهم إني أسألك باسم الأعظم" مثلا أو أي اسم، بحسب المطلوب والمرغوب، أو جمعا كما قال عليه السلام: "اللهم إني

---

[1]- معجم ألفاظ العقيدة، م س، ص104.

[2]- التوسل: أنواعه وأحكامه، لناصر الدين الألباني، تنسيق: محمد عيد العبادي، الطبعة الشرعية الوحيدة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، 1421ه، ص17.

[3]- كتاب التعريفات الاعتقادية، م س، ص133. مجموع الفتاوى، 247/1.

[4]- كتاب التعريفات الاعتقادية، م س، ص133. جامع الأصول، لابن الأثير، 380/9.

[5]- تفسير أبي السعود، 47/2، وتفسير البغوي، 51/6، وتفسير السعدي، 285/2.

[6]- كتاب التعريفات الاعتقادية، ص134، كذلك: فتاوى ابن عثيمين، 340/2.

[7]- كتاب التعريفات الاعتقادية، م س، ص134، كذلك: تيسير اللطيف المنان، ص76.

[8]- كتاب التعريفات الاعتقادية، ص134. كذلك: فتاوى ابن عثيمين، 280/5.

أسألك بكل اسم هو لك"[1]. وهذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، الأعراف/ 180.

الفوع الثاني: التوسل بصفات الله العليا كما ورد في الحديث: "اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي"[2]، فهنا توسل بصفتي العلم والقدرة وهما مناسبتان للطلب.

ويمكن اقتران التوسل بالأسماء والصفات، كما في دعاء: "اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى".

الفوع الثالث: وهذا النوع جامع لأنواع عديدة من الوسائل؛ كالإيمان بالله وبرسوله وبكل أمور الغيب، وكذلك كل قول أو فعل أو حال يدخل في الطاعات، وفي هذا شواهد منها: قصة أصحاب الغار...، كما يمكن هنا إدراج التوسل بدعاء الصالحين الذين ترجى إجابتهم، وقد وقع هذا في سيرة الصحابة رضوان الله عليهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث كانوا يلتمسون منه الدعاء خاصا وعاما في حياته، ومع فعل مع عمه العباس بعد موته عليه السلام.

قسم غير مشروع وغير صحيح: وهو أن يتوسل الإنسان إلى الله بما ليس وسيلة، أي بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة، لأن التوسل بمثل ذلك من اللغو والباطل المخالف للمعقول والمنقول، ومن ذلك أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بدعاء ميت يطلب من هذا الميت أن يدعو الله له، لأن هذا ليس وسيلة شرعية صحيحة"[3]. أو يتوسل إلى الله تعالى "بذوات مخلوقات في السماوات والأرض من الملائكة والنبيين والصالحين من غير متابعة لهم في أعمالهم الصالحة، ومن الأمكنة الفاضلة كالكعبة والمشعر الحرام والأزمنة الفاضلة كشهر رمضان وليلة القدر أشهر الحج والأشهر الحرم من غير إعطائها ما شرع الله فيها من العمل، وما قضى فيها من الحرمة"[4].

هذا؛ وقد بين العلماء سبب فساد التوسل الممنوع، وقدموا عن ذلك أدلة دامغة، فيها كفاية.

لنرى أقوال أهل العلم حول التوسل في الآتي.

---

[1]- أخرجه الإمام أحمد في المسند، 391/1.
[2]- صحيح الجامع الصغير، للألباني، ر: 1301.
[3]- معجم ألفاظ العقيدة، م س، ص106، ومجموع فتاوى العقيدة، محمد بن صالح العثيمين، 335/2.
[4]- التوصل إلى حقيقة التوسل، م س، ص184.

3- أقوال بعض أهل العلم في التوسل:

قول [أبي حنيفة النعمان] رحمه الله تعالى، في الدر المختار: "وفي التتار خانية معزية للمنتقى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به. والدعاء المأذون فيه المأمور به: ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، الأعراف/ 180"[1].

قول [ابن عربي] رحمه الله تعالى، في الفتوحات المكية (ج4/ 226، ط، بولاق): "إن الله تعالى لم يترك لعبده حجة عليه، بل لله الحجة البالغة، فلا يتوسل إليه بغيره، فإن التوسل إنما هو طلب القرب وقد أخبرنا أنه قريب وخبره صدق"[2].

وفي هذا الذي ذكر؛ ميزان وقيد، لمن أراد أن يعرف الوسيلة التي يريد أن يتوسل بها إلى الله تعالى؛ أهي مشروعة؟، أم غير مشروعة؟ ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، والله الهادي إلى الصواب.

ثالثا: الشفاعة

1- مفهومها:

لغة: ضم الشيء إلى مثله، مأخوذة من (الشفع) ضد الوتر. جاء في اللسان: الشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره. وشفع إليه: في معنى طلب إليه. والشافع: الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب، يقال: تشفعت بفلان إلى فلان، فشفعني فيه...[3].

أما في الاصطلاح، فلا تبعد عما ورد في اللغة، فهي: "السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم"[4]. وهي: "التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة"[5]. وهي: "سؤال الخير للغير"[6].

2- أقسامها:

شفاعة ثابتة، وهي "الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده"[7].

---

[1]- م س، ص188.
[2]- م ن، الصفحة نفسها.
[3]- لسان العرب، م س، 183/8 - 184.
[4]- التعريفات الاعتقادية، م س، ص213، كذلك النهاية لابن الأثير، 485/2.
[5]- معجم ألفاظ العقيدة، م س، ص228.
[6]- التعريفات الاعتقادية، م س، ص212. كذلك: لوائح الأنوار للسفاريني، 246/2.
[7]- مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، 369/1، كذلك: الدرر السنية، 158/2.

شفاعة منفية، وهي "الشفاعة الشركية، التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء"[1].

بالنسبة للشفاعة الثابتة، منها ما هو أصلي كشفاعة الله تعالى، قال عز من قائل: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾، الزمر/ 44. ومنها ما هو تبعي، كشفاعة الملائكة، والمرسلين، والصاحين من عباده، وهذه مقيدة بإذنه لمن يشاء، مصداقا لقوله عز شأنه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، البقرة/ 255. وقوله تبارك اسمه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾، النجم/ 26. وقوله تعالى جده: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾، طه/ 104.

وكما يُلْحَظ، فإننا لم نشر إلى الشفاعة الدنيوية – التي هي شفاعة الحي للحي في شيء يقدر عليه ويملكه فيبذله – بقدر ما أولينا اهتماما أكثر للشفاعة الأخروية التي تثير جدلا أكبر؛ وهي شفاعة من انتقل إلى دار البقاء، لكنها مشروطة، كما ذكرنا في الآيات الكريمة أعلاه، كما يمكن الحديث في تلك الدار الآخرة عن الشفاعة العظمى، ألا وهي شفاعة سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم.

على ضوء ما سبق يمكن الخلوص إلى مجموعة من الضوابط، وهي:

- أن الشفاعة ملك لله تعالى لا تطلب إلا منه، فلا تطلب من ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا من غيرهما.
- أن الشافع لا يشفع إلا بشرطين: إذن الله له أن يشفع. ورضاه عن المشفوع له.
- أن الشفاعة لا تكون إلا في الآخرة.
- أن الله لا يأذن للشافع أن يشفع إلا فيمن رضي الله قوله وعمله[2].

---

[1]- م س، الصفحة نفسها.

[2]- دليل المسلم في الاعتقاد على ضوء الكتاب والسنة، عبد الله خياط، طبعة منقحة ومزيدة، ط4، 1405هـ - 1985م، ص76.

وكل شفاعة خلا هذه الضوابط فهي وهمية لا أثر لها، "وذلك كتعلق الجاهلين في شفاعة أوثانهم ومعبوديهم، كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰؤُلآءِ شُفَعَـٰؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، يونس/ 18"[1].

رابعا: التبرك

1- مفهومه:

لغة: التيمن، يقال تبرك به أي تيمن، وفاز منه بالبركة. والبركة: النماء والزيادة"[2]. ويمكن عد هذا التعريف اللغوي، منطلقا رئيسيا للمعنى الاصطلاحي؛ حيث لا يخرج عنه، فهو التماس الخير والبركة من الأفاضل والخيار، وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والتي لا خلاف فيها بإجماع علماء الأمة.

2- مسألة (تنبيه):

لا خلاف بين الأمة، في عدم جواز التبرك بالأشجار والأوثان والأحجار؛ كما كان يفعل في الجاهلية، ولا التبرك بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهرهم، أو بآثاره، لكن الخلاف حصل في التبرك بالأولياء والصالحين أو بآثارهم، حيث ذهب كل من الشوكاني وابن حجر إلى القول بالجواز، وأنه لا بأس في ذلك كما يقول الشوكاني: "وفيه أنه يشرع لمن دعي من الصالحين للتبرك به الإجابة"[3].

وذهبت الأغلبية إلى عدم جوازه، وأنه لا يقاس على النبي صلى الله عليه وسلم أحد من الصالحين فيتبرك به أو بآثاره، وحجتهم في ذلك، "أنه لا يوجد هناك أي دليل على جواز التبرك بغير النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بالتبرك بغيره من الصحابة رضي الله عنهم أو غيرهم، سواء بذواتهم، أو بآثارهم، أو أرشد إلى شيء من ذلك (...)، وأنه لم ينقل حصول ذلك من الصحابة رضوان الله عليهم بغيره عليه السلام (...)؛ ولهذا ذهب

---

[1]- م س، الصفحة نفسها.
[2]- لسان العرب، 396/10.
[3]- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، للشوكاني، تح: محمد بن حسن حلاق، دار ابن الجوزي، ط1، شوال 1424هـ، 262/5.

المحققون من علماء السنة والجماعة إلى أن التبرك بالصالحين وبآثارهم غير مشروع، بل هو من التبرك الممنوع"[1].

كما أنهم استندوا إلى مجموعة من الأدلة والحجج، منها: "أن أكثر الشرك الذي وقع فيه أهل الأمم السابقة، إنما نشأ من غلوهم في الصالحين، وتبركهم بهم حتى أفضى بهم الأمر إلى اتخاذهم آلهة تعبد من دون الله، كما في سورة نوح؛ إذ حكى الله سبحانه قول المشركين من قوم نوح فقال: ﴿وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وُدّاً ولاَ سُوَاعاً ﴿٢٣﴾ وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴿٢٤﴾﴾، نوح/ 23. ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره، أن هؤلاء – أي ودا وسواعا...– كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذ ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر. فعبدوهم"[2].

وحتى لا تقع الأمة في مثل هذه الأخطاء والانزلاقات العقدية؛ ذهب أهل العلم إلى سد هذه الذريعة، التي تأتي من التبرك بالصالحين، أو بآثارهم.

---

[1]- نيل الأوطار، م ن، هامش، ص263.
[2]- دليل المسلم في الاعتقاد، م س، ص86 - 87.

الفرع الثالث: مسائل غيبية مختلفة {تحليل ومناقشة}

أثيرت – في الكتاب المدروس أيضا – مجموعة من القضايا والمسائل العقدية؛ التي تتصل بعالم الغيب، ولا شك أنها؛ ستدفع الباحث إلى الوقوف عندها، لدراستها ومناقشتها، في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية نقدا وتقويما؛ وذلك بعرضها مجتمعة نظرا لترابطها، ثم إيراد الأدلة الشرعية التي تتعلق بها، وبعد ذلك نقدها وتقويمها، بناء على تلك الأدلة الشرعية، والله المستعان.

أولا: عرض للمسائل الغيبية الواردة في الكتاب

المسألة (1): {كانت تنعى من حضر أجله من أهل الدار؛ وهو صحيح يذهب حيث شاء، وتسميه باسمه، وتبكي عليه حتى تقول لها: "فما هذا البكاء يا للا الهاشمية؟ إن فلانا الذي تبكي عليه صحيح لا بأس ، فترفع رأسها إلينا وتنظر وتقول: "لا يا أختي، هو ذاهب إلى سيده"؛ وتكرر هذا منها؛ حتى أنها ما بكت على أحد وسلم}[1].

المسألة (2): {والله إني لأعرف بالطرق في السماء في من الأرض"، وسمعناه أيضا يقول: "والله إني لأعرف الطرق (في) السماء، أكثر من حوائج دارنا}[2].

المسألة (3): {إني أدفن هنا}[3].

المسألة (4): {والله لأنفع صاحبي وأنا ميت، أكثر مما أنفعه وأنا حي}[4].

المسألة (5): {وكان رضي الله عنه يقول: "الناس يسألون جهنم، ويقولون لها: هل فيك أحد من أصحابنا؟ وأنا والله ما لها علي، ولا على أحد من أصحابي سبيل، لأني سعيد ومن عرفني سعيد، وإذا كان واحد في الدار محسوبا علي، فالدار كلها محسوبة علي}[5].

المسألة (6): {وكان يقول: "إن شيخي مولاي عبد الله الشريف كان يقول: اعلا يا الموت اليوم، والبعث غدا، وترى مقام الرجال عند سيدها. وأنا أقول: اعلا يا الموت اليوم، والبعث اليوم، وترى مقام الرجال عند سيدها}[6].

---

[1]- ينظر ل: /17أ/ - وص182 من هذا العمل.
[2]- ينظر ل: /23أ/ - وص190 من هذا العمل.
[3]- ينظر ل: /23أ/ - وص191 من هذا العمل.
[4]- ينظر ل: /28أ/ - وص197 من هذا العمل.
[5]- ينظر ل: /28أ/ - وص197 من هذا العمل.
[6]- ينظر ل: /28أ/ - وص197 من هذا العمل.

المسألة (7): {والله لأجوزن الصراط مع أصحابي بالعلوم، والجلالة؛ حتى يقال: من هذا؟، فيقال: إنه محمد بن الفقيه وأصحابه}[1].

المسألة (8): {نقف مع صاحبي عند أربع عقبات: عند خروج روحه، وعند سؤال الملكين، وعند الميزان، وعند الصراط}[2].

المسألة (9): {لا يدخل النار؛ من حضر جنازتي، وإن كان يهوديا، أسلم}[3].

المسألة (10): {نحشر يوم القيامة، ومعي أصحابي في مكان مرتفع، وبأيدنا راية بيضاء، فيقول أهل المحشر: "من هؤلاء؟"، فيقال لهم: "محمد بن الفقيه وأصحابه}[4].

المسألة (11): {والله؛ لأصحابي مع أصحب النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحدا بواحد، وقال رضي الله عنه: قال لي جدي رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هذا موضعك في الجنة، وموضع أولادك}[5].

المسألة (12): {وقال رضي الله عنه: قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اكتب لي أسماء أصحابك؛ فكتب الفقراء أسماءهم في رقعة ودفعوها له، ثم قال لنا رضي الله عنه: والله ما دفعتها؛ إلا في يد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}[6].

المسألة (13): {فقال له رضي الله عنه: نحن نقول: من رءا من رآنا لا تأكله النار، فكيف بمن صلى وراءنا؟!، فقال له الشيخ؛ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه حينئذ: وأنا أقول: من رءا من رآنا إلى عشر، لم تحرق عظامه النار}[7].

المسألة (14): {يا سيدي محمد بن الفقيه، والله من رأى من رآك إلى عشر لا أحرقته النار}[8].

المسألة (15): {إن من صلى خلف، سيدي محمد بن الفقيه، ابن العافية الشريف الزجني المصمودي، لم تأكل لحمه النار}[9].

---

[1]- ينظر ل: /28أ/ - وص198 من هذا العمل.
[2]- ينظر ل: /29أ/ - وص198 من هذا العمل.
[3]- ينظر ل: /29أ/ - وص198 من هذا العمل.
[4]- ينظر ل: /29أ/ - وص198 من هذا العمل.
[5]- ينظر ل: /29أ/ - وص198 من هذا العمل.
[6]- ينظر ل: /29أ/ - وص198 من هذا العمل.
[7]- ينظر ل: /34ب/ - وص201 من هذا العمل.
[8]- ينظر ل: /41ب/ - وص206 من هذا العمل.
[9]- ينظر ل: /42ب + 31أ/ - وص207 من هذا العمل.

المسألة (16): {ولقينا أيضا أخونا شرف الدين وقال لي: "يا أخي، لما سمعت بك، وبخبرك أتيت امرأة يقال لها أم عمر معروفة - عندنا هنا بالإسكندرية - بالولاية والصلاح وبأخبار المغيبات}[1].

المسألة (17): {قلت في نفسك كذا وكذا للكلام الذي تقدم؛ وهذه هي النار التي كنت أطفئ، وآمر بإطفائها}[2].

المسألة (18): {واطلاعه على المغيبات}[3].

ثانيا: بعض الأدلة الشرعية المسند إليها في التحليل والمناقشة:

الآيات القرآنية الصريحة

1- ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنُ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾، المائدة: 119.

2- ﴿قُل لآَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلآَ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾، الأنعام: 51.

3- ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَـٰتِ ٱلأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾، الأنعام: 60.

4- ﴿قُل لآَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوۤءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾، الأعراف: 188.

5- ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾، النمل: 67.

6- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾، لقمان: 33.

7- ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَداً ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَداً ﴿٢٧﴾﴾، الجن: 26 – 27.

---

[1]- ينظر ص: /43أ/ - و221 من هذا العمل.
[2]- ينظر ص: /89أ/ - 264 من هذا العمل.
[3]- ينظر ص: /96أ/ - 272 من هذا العمل.

1+ < .... ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول سحقا سحقا.>[1].

2+ < .... تحشرون حفاة عراة غرلا. ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْداً عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ فأول من يكسى إبراهيم. ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول أصحابي، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.>[2].

3+ < ...، لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا،... >[3].

4+ < .... إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له >[4].

5+ < .... تحشرون عراة حفاة غرلا، قالت عائشة: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك. >[5].

6+ < .... يا عباس ابن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا. >[6].

7+ < قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد افترى على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلاَّ ٱللَّهُ﴾، النمل: (67)>[7].

---

[1] حديث صحيح، أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام الحافظ محيي الدين أبي زكريا النووي (ت676هـ)، بيت الأفكار الدولية، كتاب الطهارة، ر249، ص265.

[2]- حديث صحيح، أخرجه البخاري من رواية ابن عباس: فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تح: عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض، ط1، 1421هـ - 2001م، ج6، كتاب أحاديث الأنبياء، ر3447، ص551. ومسلم، ر2860.

[3]- حديث صحيح، أخرجه البخاري من رواية أبي هريرة: فتح الباري، م س، ج10، ر5673، ص132. والمنهاج، م س، ر2816، ص1649.

[4]- حديث صحيح، أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة: المنهاج، م س، ر1631، ص1038.

[5]- حديث صحيح، أخرجه البخاري من رواية عائشة: فتح الباري، م س، ج11، ر6527، ص385، والمنهاج، م س، ر2859، ص1664.

[6]- حديث صحيح، أخرجه البخاري من رواية أبي هريرة: فتح الباري، م س، ج8، ر4771، ص370. والمنهاج: ر206، ص242. مع اختلاف طفيف في اللفظ دون المعنى.

[7]- المنهاج، م س، ر177، ص213.

ثالثا: التحليل والمناقشة:

تفسير وشرح بعض الآيات والأحاديث للاستيناس بمعانيها

1+ تفسير بعض الآيات:

الآية (1): "﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾، يقول: ولا أعلم أنا ما أخفيته عني فلم تطلعني عليه، لأني إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه = ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾، يقول: إنك أنت العالم بخفيات الأمور التي لا يطلع عليها سواك، ولا يعلمها غيرك [...]،﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم﴾، يقول: وكنت علىٰ ما يفعلون وأنا بين أظهرهم شاهدا عليهم وعلىٰ أفعالهم وعلىٰ أقوالهم = ﴿فلما توفيتني﴾، يقول: فلما قبضتني إليك = ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾، يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني، لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم"[1].

الآية (2): يقول صاحب أضواء البيان: "هذه الآية تدل علىٰ أنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يكن يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، وقد أمره تعالىٰ أن يقول: إنه لا يعلم الغيب في قوله تعالىٰ في (الأنعام): ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾"[2].

الآية (4): "﴿لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا﴾، يقول: لا أقدر علىٰ اجتلاب نفع إلىٰ نفسي، ولا دفع ضر عنها، إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك، بأن يقويني عليه ويعينني = ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾، يقول: لو منت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد = ﴿لاستكثرت من الخير﴾، يقول: لأعددت الكثير من الخير"[3].

الآية (5): "قوله تعالىٰ: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾. وعن بعضهم: أخفىٰ غيبه علىٰ الخلق، ولم يطلع عليه أحد، لئلا يأمن أحد من عبيده مكره، [...]، وقالت عائشة: من زعم أن محمدا يعلم ما في غد فقد أعظم علىٰ الله الفرية، والله تعالىٰ يقول: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلاَّ ٱللَّهُ﴾، خرجه مسلم، [في صحيحه، 177]"[4].

---

[1]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، 238/11 - 239.

[2]- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت1393هـ)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 400/2.

[3]- جامع البيان، م س، 301/13 - 302.

[4]- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تأليف: أبي عبد محمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ)، (ت671هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1427هـ - 2006م، 196/16 - 197.

الآية (6): "قال ابن عباس: هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله، ولا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل. فمن ادعى أنه يعلم شيئا من هذه فقد كفر بالقرآن؛ لأنه خالفه، [...]، وروي أن يهوديا كان يحسب حساب النجوم، فقال لابن عباس: إن شئت نبأتك نجم ابنك، وأنه يموت بعد عشرة أيام، وأنت لا تموت حتى تعمى، وأنا لا يحول علي الحول حتى أموت. قال: فأين موتك يا يهودي؟ فقال لا أدري. فقال ابن عباس: صدق الله ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾"[1].

2+ شرح الحديثين رقم (4)، و(5) على سبيل المثال:

الحديث رقم (4): يقول الشارح (الإمام النووي): "قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها؛ فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم، وكذلك الصدقة الجارية..."، (مصدر الحديث نفسه، والصفحة نفسها).

الحديث رقم (5): قال الشارح (الإمام ابن حجر): "وأفرد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هؤلاء لشدة قرابتهم". (المصدر نفسه، الصفحة نفسها). فالمعنى المستفاد هو عدم النفع أو الغنى بالنيابة في أعمال البر الموصية إلى رضوان الله تعالى، صحيح أن هذا قبل أن يخبره الله تعالى بالشفاعة، "وتعقب بأن هذا كان قبل أن يعلمه الله تعالى بأنه يشفع فيمن أراد وتقبل شفاعته"، [اللهم اجعلنا منهم]"، (فتح الباري؛ مصدر الحديث نفسه، والصفحة نفسها)، لكن الحديث يبقى على أصله، ولا يدفع بما بعده.

[1]- الجامع لأحكام القرآن، م س، ص497.

3+ النقد والتقويم:

يتضح لنا من خلال الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، مع معانيها التي ذكرها أهل العلم والاختصاص؛ على أنها تتحدث عن علم الغيب، هذا العلم الذي لا يعلمه سوى الله تبارك وتعالى، ولا يستطيع إدراكه أي مخلوق مهما بلغت مرتبته، ودنت مكانته، سواء من الملائكة المقربين، أو من الرسل المصطفين، اللهم ما يرتضيه الله من هذا الغيب لمن يشاء؛ وهو قليل قليل، من كثير كثير، أما المفاتح الخمسة، فمعرفتها تقتصر على الله وحده، كما تبين في نصوص الوحي، وعلى هذا فالحاصل؛ أمور هي كالآتي:

- إذا كان سيد الخلق، ومن قبله من الرسل - عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام - لا يعرفون ما يجري في دار الفناء، وأن علم الغيب - وبالأخص المطلق - لا يعرفه سوى المولى جل وعلا وحده، بل وعَلَّمَهُم أن يقولوا بعدم معرفته، وأما ما يطلعهم عليه الله، من يسيره فمشروط - فقط - بالرسالة؛ لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، لينظر في كل ما ذكر: {الآية (1) و(2) و(3) و(5) و(6) و(7)/ والحديث (1) و(2) و(7)}؛ فهل يعقل؛ أن يعرف من هو دونهم: ما يجري في دار البقاء؟ فهل يقبل ادعاء معرفة الغيب، خصوصا المطلق منه؛ ممن ليسوا رسلا؟!: {المسألة: (1) و(2) و(3) و(5) و(6) و(7) و(9) و(10) و(11) و(12) و(13) و(14)/ و(15) و(16) و(17) و(18)}، طبعا لا يمكن ذلك بحال، ولا يعقل كيفما كان.

- وإذا كان أقرب المقربين عند الله؛ صلوات ربي وسلامه عليه، لا يقدر على نفع أحد يوم القيامة - إلا بعد إذن الله تعالى له بالشاعة - ولو لأعز ما عنده (ابنته مثلا): {الآية (4)/ والحديث (4) و(5) و(6)}؛ فكيف يقدر على ذلك، من لم يكن في مقام، ولا مرتبة سيد الخلق عليه السلام؟!: {المسألة: (4)/ و(8)}؛ والعقل لا يسلم فيما عجز عليه الأقوى، بأن يقدر على ذلك الأضعف.

- إذا لم يكن لأحد من الخلق - حتى المرسلون - في مقدورهم أن يأمنوا أو يضمنوا مصيرهم يوم القيامة بأعمالهم، كما ورد عن سيد الخلق عليه السلام، وعاشوا بين الخوف والرجاء: {الآية (4)/ والحديث (3)؛ أليس من الأولى والأحرى؛ أن يقع ذلك من غيرهم؟!: {المسألة: (5) و(7) و(8) و(9) و(10) و(11) و(12) و(13) و(14)/ و(15)}، حقا؛ فالمبدأ، يحكم بأولوية الأدنى قبل

الأعلى، في لزوم العيش بين الخوف والرجاء. وفي هذا السياق، نورد ما ذكره صاحب العرائس القدسية عن الإمام الشافعي:

"ثم لما دنت وفاته، سئل كيف حالك يا أبا عبد الله؟ فقال: كيف حال من أصبح من الدنيا راحلا، ولأهلها مفارقا ولسوء عمله ملاقيا، ثم أنشد:

ولما قسى قلبي وضاقت مواهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنتـــــه بعفوك ربي كان عفوك أعظـــما

فذنبي عظيم من قديم وحادث وعفوك يا ذا الجود أعلى وأجسما

فعلم مما قررناه، أنه ينبغي للمؤمن أن يكون له عينان؛ لينظر إلى عين الله تعالى بعين الرجاء والخوف، ولولا أمر الله تعالى عبده بشكره على ما أعطاه، لما تجرأ على ذكر شيء من الفاخر والمآثر؛ لعدم الأمان من السلب وسوء الخاتمة، نسأل الله حسن الخاتمة"[1].

أما التحقيق في القول بمعرفة الغيب، ففي هذا تفصيل؛ وذلك بالتسليم وعدم إنكار ما يظهره الله على أيدي أوليائه؛ من الكرامات والبركات، والمكاشفات الغيبية التي لا ينالها غيرهم؛ كما يذكر ذلك صاحب المقدمة بقوله: "...، وكذلك أهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة"[2].

لكن هذا الغيب، يقصد به - بلا شك – الغيب النسبي المسموح به؛ لأن علم الغيب علمان: نسبي ومطلق، نسبي أطلع الله عليه من شاء من عباده، ومطلق، خاص بالله – تعالى اسمه وتقدست صفاته – لا يعلمه سواه؛ وهو مما لا تدركه كل المخلوقات ولا تستطيعه – ملائكتها ورسلها، جنها وإنسها – مهما بلغت درجة إيمانها وورعها وتقواها، وقربها من الله تعالى. وقد ذكر القرآن الكريم ذلك، وحسمه في قوله عز شأنه: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾، آل عمران: 179.

---

[1]- العرائس القدسية المفصحة عن الدسائس النفسية، للقطب العارف مصطفى بن كمال البكري الصديقي (ت1162هـ)، تح: أحمد فريد المزيدي، وناصر صابر الزيات، ومحمد عبد القادر ناصر، دارة الكرزة، القاهرة - مصر، ط1، 1429هـ - 2008م، ص310.

[2]- مقدمة ابن خلدون، تأليف: عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ - 1406م)، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1421هـ - 2001م، 132/1.

وعليه؛ فالآيات صريحة في هذا الباب، والأحاديث صحيحة، وبذلك يبقى علم الغيب، وخاصة المطلق؛ من علم الله تعالى وحده، ولا يمكن لأي مخلوق أن يعرفه أو يطلع عليه، كما لا يجوز له - شرعا - أن يدعيه.

4- تعقيب على المسائل: {(9)/ و(13)/ و(14)/ و(15)}.

تثير هذه المسائل المذكورة زيادة إشكال، مفاده؛ أن القول: برؤية الشيخ (13) و(14)/ أو الصلاة خلفه (15)/ أو حضور جنازته (9)؛ مما يكون سببا للنجاة من النار، دخولا أو إحراقا. ترى أليس هذا فتح لباب ترك العمل، أو التساهل فيه؟! مع العلم أن نصوص الشريعة تحض على المسابقة والمسارعة، والجد والاجتهاد، والإكثار من فعل الطاعات، واجتناب المنهيات، وما أكثر شواهدها من القرآن والأحاديث؛ هذا من جهة.

ومن جهة أخرى لو افترضنا أو سلمنا بهذا القول، أليس من الأولى أن يكون كل ذلك؛ (من صلاة أو حضور جنازة أو رؤية) في حق الأنبياء والرسل، وعلى رأسهم سيد الخلق عليهم جميعا الصلاة والسلام؟! فقد رآه الكثير، وصلى خلفه الكثير، وحضر جنازته الكثير، ومن بينهم وعلى رأسهم المنافقون؛ الذين أعد الله لهم أسوأ ما في جهم من مقام، فهل نقول، أو بالأحرى يمكننا القول: أنهم سينجون من النار، بعد ما تتواتر الأدلة في وعيدهم؟!، هذا مثال واحد، ولتقاس على هذا أمثلة عدة، والله هو الهادي للصواب.

رابعا: توابع {ملحقات}

من المسائل التي لا بد من إثارتها، ومناقشتها؛ ما يلي:

المسألة (أ): {وقرن بين أصابعه الثلاث وقال: الله تعالىٰ، وسيدنا محمد رسول الله، وسيدي محمد بن الفقيه}[1]. استعمال حرف العطف هنا (الواو)، لا يليق، ولا يقبل؛ حتىٰ لا يسوىٰ بالله غيره؛ لأن "الواو" من معانيها كما عند أهل اللغة التسوية والتكافؤ والمعادلة، وذلك لا يستقيم في هذا السياق مع الله تعالىٰ.

المسألة (ب): {واختلط الرجال بالنساء؛ حتىٰ كادت نفوس الجميع أن تزهق، وجعل الشيخ رضي الله عنه يقبض علىٰ يدي، ويقول: والله لمن يد رسول الله ليدك، والله لمن يد رسول الله ليدك}[2]. هذه المسألة تثير نقاشا فقهيا مفاده: كيف لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يحضر مجلس اختلاط كهذا؟!. والذي تقرر بنصوص الشريعة عكس ذلك، وهو الحق والصواب، والله أعلم بالأمر.

المسألة (ت): {أن رجلا يقال له التومي – من أصحاب الشيخ الكامل؛ مولاي التهامي رضي الله عنه – كان كثير الذكر (للجلالة وولوعا بها، وكان يذكر معها شيخه وأولاده) ، كما هي عادة الفقراء في ذكرهم لهم معها، وكان الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه لا يحب ذلك، ويكره أن يذكر مع الله تعالىٰ غير نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فنهاه عن ذلك}[3]. هذه المسألة هي الأخرىٰ، وقع فيها غلط في الذكر؛ ذكر اسم الخالق مقرونا باسم المخلوقين، لكن – الشيخ ابن الفقيه رحمه الله تعالىٰ - كفانا التعليق عليها، بانتقاده وإنكاره علىٰ من كان يفعل ذلك.

المسألة (ث): {وجعلت أستغيث بالشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، وبولده سيدي المفضل رضي الله عنهما، ونويت لهما وعدة؛ إن رد الله علي متاعي}[4]. هنا عندنا كلمة "وعدة" والتي تدل علىٰ ما يسمىٰ شرعا بالنذر؛ ومعناه "إلزام مكلف مختار نفسه لله تعالىٰ شيئا غير محال بكل قول يدل عليه، والنذر لا يجوز إلا لله عز وجل، فمن نذر لمخلوق حي أو ميت فقد أشرك بالله شركا أكبر مخرجا عن الملة"[5]؛ ولهذا فلا يصح النذر، إلا لله تعالىٰ وحده.

---

[1]- ينظر ل: /31أ/ - وص208 من هذا العمل.
[2]- ينظر ل: /64أ/ - وص239 من هذا العمل.
[3]- ينظر ل: /81أ/ - وص254 من هذا العمل.
[4]- ينظر ل: /90أ/ - وص265 من هذا العمل.
[5]- معجم ألفاظ العقيدة، م س، ص405، والتعريفات الاعتقادية، ص315 - 316.

المسألة (ج): {كانوا يذبحون عليه كثيرا}[1]، هذه المسألة تتعلق بالذبح؛ ومعناه: "إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص"، ومنه الجائز ومنه الممنوع؛ بحسب ما يكون وسيلة له، فيكون محرما أو عبادة، فيقع عبادة "بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله، وصرفه لغير الله شرك أكبر ودليله: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾، الأنعام: 162"[2]، وإن قال قائل: "يذبحون عليه، ليست هي يذبحون له"؛ لأن (يذبحون له) ظاهرة المعنى في التحريم، و(يذبحون عليه) تحتمل التأويل، يجاب عن ذلك بالاجتناب؛ درءا للشبهة، وسدا للذريعة، ولأن المفضي إلى محرم، فهو محرم.

المسألة (ح): {بقصد أن تطلب عليه ولدا}[3]. تتصل هذه المسألة بالطلب أو الدعاء، وما قيل في المسألة (ج)، يمكن أن يقال في هذه المسألة، فالدعاء أو الطلب لا يكون إلا لله تعالى وحده، وصرفه لغير الله تعالى لا يجوز بحال، وإن قال قائل: "أن تطلب عليه ليست هي تطلب منه"؛ لأن (تطلب منه) ظاهرة في المنع، بينما (تطلب عليه) تحتمل التأويل، يجاب عن ذلك بعدم الجواز درءا للشبهة، وسدا للذريعة. 111، 303

المسألة (خ – 1): {وقال: لما قدر الله تعالى؛ وقتل النفس التي حرم الله عليه}. 103–296 295

المسألة (خ – 2): {وفكه الله من هذه الورطة، والمصيبة التي قدرها الله عليه}. 104–296

أما عن هاتين المسألتين الأخيرتين، فهما يشتركان في نفس الغلط؛ وذلك بنسبة الجرم إلى الباري تعالى، وهذا غير مقبول بأي حال؛ لأن الله تعالى لا يكره أحدا من عباده على فعل الشر، صحيح أن الله خلق الخير والشر معا، لكن الإنسان "له الكسب" على حد تعبير إمام أهل السنة والجماعة: أبو الحسن الأشعري، ولو جاز قبول مثل هذا الزعم؛ لفعل من شاء ما شاء، ثم نسب ذلك إلى الله تعالى، وتهرب من المسؤولية – كما ادعت القدرية مجوس هذه الأمة كما سماهم رسول الله عليه السلام – ووقع العبث في خطاب الشارع، حيث لا يعقل أن يترتب العقاب على الفاعل، ما دام الله هو الذي قدره عليه ودفعه إلى ارتكابه، وهذا باب غلط كبير ينبغي إغلاقه.

---

[1]- ينظر ل: /6أ/ - وص168 من هذا العمل.
[2]- معجم ألفاظ العقيدة، ص182.
[3]- ينظر ل: /111أ/ - وص288 من هذا العمل.

وحاصل الكلام؛ فالدعاء والنذر والذبح وغيرها من أفعال العبد، والتي تندرج تحت توحيد الألوهية؛ فهي بذلك توجه إلى الله تعالى وحده، أما صرفها لغيره فلا يجوز بحال من الأحوال.

المطلب الثاني: القضايا الفقهية {السماع/ الرقص/ التصفيق}.

يتضمن الكتاب - المدروس - مجموعة من القضايا والمسائل الفقهية؛ كالسماع والرقص والتصفيق، والتي تضاربت - حول أحكامها الشرعية - أراء الفقهاء والمتصوفة قديما وحديثا، وأثارت إشكالات مختلفة، أدت إلى القول بحرمتها جملة وتفصيلا، أو إلى إباحتها إلى أبعد الحدود، بل هناك من أفردها بالتأليف لبيان حرمتها، وفي المقابل نجد من يؤلف في الدفاع عن إباحتها وندبها، كما سيشار إليه لاحق، مما أدى إلى الإجحاف في الحكم عليها، إما استهجانا بلا شرط، أو استحسانا دون قيد. لكن الحق في الوسط بين هذا وذاك، وهذا ما سينجلي في نقاط المحور الموالي.

الفرع الأول: في السماع

أولا: مفهومه

قبل إيراد المواقف والأحكام المتباينة حول السماع، نشير أولا؛ إلى مفهومه، وبخاصة الاصطلاحي عند بعض من عرفوه، من ذلك:

[الجنيد] الذي يرى أن السماع عبارة عن "وقود، تشتعل به مشاعر الطيبين من ذوي الهمم العالية، والنفوس الزكية..."[1].

[أبو عبيد الله الناجي] الذي ذهب إلى أن السماع "ما أثار فكرة، واكتسب عبرة، وما سواه فتنة"[2].

[أبو القاسم البغدادي] يعرفه بما نصه: "السماع على ضربين، فطائفة سمعت الكلام، وهو ما يتلقاه الذاكرون والمريدون، من مواعظ تسمو بها النفس وتسمو، فاستخرجت منه عبرة، وهو صلاح أمرها؛ وهذا لا يسمع إلا بالتمييز وحضور القلب.

وطائفة سمعت النغمة، وهي قوت الروح، فإذا ظفر الروح بقوته أشرف على مقامه، وأعرض عن تدبير الجسم، فظهر عند ذلك من المستمع الاضطراب والحركة"[3].

ويعرفه [بعض المتصوفة] – على حد قول الملحوني - بـ"ما يوقظ النفس اللاهية بالأشعار والمواعظ التي تنشد بالآلات المطربة. تتخللها نغمات الموسيقى الحالمة من طرف أحد العازفين الماهرين، فإذا تيقظت المشاعر بفعل سماع السماع، وطاب بها خلق سامعها، فسماعها حلال، وإذا سفلت نفس سامعه، كان السماع لهوا، واللهو مضيعة للوقت، ومرتع وخيم للنفس الأمارة بالسوء وبه يحرم سماع السماع"[4].

---

[1]- حكم الإسلام في سماع السماع وآلات الغناء (زبدة آراء فيما اختلف فيه المتصوفة والفقهاء حول حكم الإسلام في سماع السماع وآلات الغناء جولة في فقه الغناء والموسيقى)، عبد الرحمن الملحوني، دار أبي رقراق للطباعة والنشر - الرباط، ط1، 2011، الج1و64/2.

[2]- م ن، ص64.

[3]- م ن، ص64.

[4]- م س، ص71، وفتح الباري، 51/10، وأبو داود، 319/3.

ثانيا: حكمه

اختلفت وجهات النظر حول حكم السماع؛ بين جماعة الفقهاء والمتصوفة، وأحيانا تتباين الآراء داخل الجماعة نفسها كذلك؛ بين من يمنعه ويحرمه، وبين من يكرهه، ومن يراه مباحا أو مستحبا. ولكل حججه وأدلته التي يستند إليها، إما من الكتاب والسنة، أو من أقوال أهل العلم، أو بالقواعد الأصولية والفقهية، أو غيرها. علما أن النص الصريح في هذه المسألة، غير موجود، أو مظنون الدلالة.

لكن هذا لا يمنع من إيراد بعض أقوال أهل العلم، أو المؤلفات التي اهتمت بموضوع السماع، وهذه بعضها نوردها كالآتي:

1- مذهب المانعين:

أفرد العديد من العلماء كتبا؛ لبيان حرمة السماع، وناقشوه من زوايا عدة، واعتمدوا في ذلك على مجموعة من الشواهد والأدلة المشار إلى أهمها سابقا، منها تفسير قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير ويتخذها هزؤا، أولئك لهم عذاب مهين﴾، لقمان: 6، وأشهر علماء التفسير يذكرون على أن المراد بلهو الحديث هو: الغناء.

ومن الأحاديث ما رواه أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: <**تبيت طائفة من أمتي على أكل وشرب، ولهو ولعب، ثم يصبحون قردة وخنازير، وتبعث على أحياء من أحيائهم ريح فتنسفهم كما نسفت من قبلهم باستحلالهم الخمر، وضربهم بالدفوف، واتخاذهم القينات**>، أخرجه أحمد[1].

ومن بين المؤلفات في هذا الباب نجد:

+ [الكلام على مسألة السماع] و[إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان]، لابن قيم الجوزية.

+ [رسالة في السماع والرقص] للمنبجي الحنبلي،

+ [الزجر والإقماع، بزواجر الشرع المطاع، لمن يؤمن بالله ورسوله ويوم الاجتماع، عن آلات اللهو والسماع]، لأبي عبد الله محمد بن المدني كنون (ت1302هـ).

+ [تحريم الغناء والسماع]، لأبي بكر الطرطوشي المالكي.

---

[1]- ينظر: فقه الغناء والموسيقى في ضوء القرآن والسنة للقرضاوي، ص47.

+ [إمتاع الأسماع بتحرير ما التبس من السماع]، لمحمد بن أحمد الرهوني المالكي (ت1230هـ).

+ [السيف اليماني لمن أفتىٰ بحل سماع الالآت والأغاني]، لمصطفىٰ بن رمضان بن عبد الكريم البرلسي المالكي الشهير بالبولاقي (ت1263هـ).

+ [إسكات الرعاع بأدلة تحريم الغناء والسماع...]، لمحمد أحمد بامشبال.

+ [الإعلام بأن العزف والغناء حرام]، لأبي بكر الجزائري.

هذه بعض الكتب المؤلفة في تحريم السماع، ونذكر ما يشهد من كلامهم علىٰ منعه، في الآتي:

قول [ابن قيم الجوزية]؛ وهو يقارن بين المتقدمين والمتأخرين، في سلوكهم نحو السماع ما نصه: "والسلف الصالح كانوا يجدون الأذواق الصحيحة المتصلة بالله في الأعمال الصحيحة المشروعة، وفي قراءة كتاب الله وتدبره واستماعه، وفي مزاحمة العلماء بالركب، وفي الجهاد في سبيل الله، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الحب في الله والبغض فيه، وتوابع ذلك.

فصار ذوق المتأخرين إلا من رحم الله في اليراع والدف والمواصيل، والأغاني المطربة من الصور المستحسنة، والرقص والزعقات، وتعطيل ما يحبه الله ويرضاه من عبوديته المخالفة لهوىٰ النفوس.

فشتان بين ذوق الألحان وذوق القرآن، وبين ذوق العود والطنبور، وذوق المؤمنين والنور، وبين ذوق الزمر وذوق الزمر، وبين ذوق الناي وذوق (اقتربت الساعة وانشق القمر)..."[1].

وفي موضع آخر؛ وهو يتحدث عن الغناء ويصفه بأشنع الأوصاف، ويسميه بأبشع الأسماء منها: "أنه ينبت النفاق"، وساق شاهدا علىٰ ذلك، هذا نصه: "فقال علي بن الجعد: حدثنا محمد بن طلحة عن سعيد بن كعب المروزي عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه قال: (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع)"[2].

---

[1]- الكلام على مسألة السماع، لابن قيم الجوزية، تح: محمد غريد شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.ط/ د.ت)، ص79.

[2]- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تح: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط2، 1395هـ - 1975م، 247/1.

و[المنبجي] الذي يسير في الاتجاه نفسه مع ابن القيم في حظر سماع السماع حيث يقول: "وأما اتخاذ التصفيق والغناء والضرب بالدفوف والنفخ في الشبابات والاجتماع على ذلك دينا وطريقة إلى الله وقربة فهذا ليس من دين الإسلام، وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من خلفائه، ولا استحسن ذلك أحد من أئمة المسلمين، بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا عهد أصحابه، ولا تابعيهم بإحسان، ولا تابعي التابعين، بل لم يكن أحد من أهل الدين من الأعصار الثلاثة؛ لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا خرسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هذا السماع، وإنما ابتدع في الإسلام بعد القرون الثلاثة..."[1].

وعليه؛ يتبين لنا – من خلال كلام كل من ابن القيم والمنبجي – أن الغناء (السماع) واحترافه مذموم شرعا، فإذا نظر إليه الأول باعتباره ليس من الدين، بل إنه يبعد عن شرع الله تعالى في عواقبه، فأن الثاني يراه كذلك، وأن الممارس له يتشبه بالنساء؛ لأنه من خواصهن، وليس من عمل الرجال.

2- مذهب المجيزين:

وعلى طرفي نقيض، من الكتب التي ألفت أصالة في تحريم السماع، نجد كتبا أخرى ذهب أصحابها إلى إباحة السماع أصالة، وقبل ذكر بعض مؤلفاتهم، نشير أولا إلى ما استندوا إليه في مذهبهم هذا، من القرآن أو الحديث، أو غيرها من الأدلة، فمن القرآن اعتمدوا قوله تعالى: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾، الأعراف/ 157. وقوله تعالى: ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾، لقمان/ 19، ومن الحديث، قوله عليه السلام فيما رواه البخاري في صحيحه، عن الربيع بنت معوذ، قالت: "جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل علي صبيحة عرسي، فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضربن بدف لهن، ويندبن من قبل آبائي يوم بدر، على أن قالت إحداهن: ...وفينا نبي يعلم ما في غد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <دعي هذا وقولي ما كنت تقولين>"[2].

---

[1]- رسالة في السماع والرقص، جمع الشيخ محمد بن محمد المنبجي الحنبلي، تعليق وتخريج: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن حزم، ص74.

[2]- رواه البخاري في المغازي (4001) وفي النكاح (51749)، وأبو داود في الأدب (4922)، والترمذي في النكاح (1090)، وغيرهم.

هذا في ما يخص هذا المذهب، وأما عن المؤلفات في التوجه نفسه؛ فنجد على سبيل المثال لا الحصر:

+ [الإحياء]، للإمام الغزالي.

+ [السماع]، لأبي عبد الرحمن السلمي.

+ [إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع]، للإمام الشوكاني.

+ [المحلى]، لابن حزم.

+ [مواهب الأرب المبرئة من الجرب في السماع وآلات الطرب]، لجعفر بن إدريس الكتاني (ت 1246هـ).

+ [حكم الغناء والموسيقى على ضوء الكتاب والسنة]، ليوسف القرضاوي.

هذه نماذج من المؤلفات في إباحة السماع، ومن أمثلة ما قالوا في تجويزه ما يلي:

[أبو حامد الغزالي] الذي يرى أن: "السماع سبب لصفاء القلب، وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء"[1]. وقال في موطن آخر: "فإذا؛ تأثير السماع في القلب محسوس، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص، مائل عن الاعتدال، بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور، بل على جميع البهائم؛ فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة"[2].

[أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني]، الذي يقول: "الحمد لله المقدس بالأصوات الطيبة والنغمات، المتذكر بما يقرأ بهما من القرآن لرقَّةِ القلوب العَبَرَات، واكتساب الخشوع والاتعاظ بكلماته المنزلة للرحمات، الممتن على من يشاء من عباده بالسماع منه وإقالة العثرات.

نحمده تعالى ونشكره على استرواح الأرواح والقلوب لهذه النغمات، واشتياقها وتَقَوُّتِها وذوقها في تلك الحضرات، المرفعة بالطرب والرقص والزعقات والشطحات. ونستعينُه على سلوك طريق الجادة المصحوبة بالبر والبركات، ونستغفره من قبيح أعمالنا وسوء الظن بإخواننا في الحركات والسكنات. ونؤمن به ونتوكل عليه في جميع الأوقات واللحظات..."[3].

---

[1]- إحياء علوم الدين، للغزالي، بقلم: بدوي طبانه، مكتبة ومطبعة: "كرياطه فوترا"، سماراغ، 320/2.

[2]- الإحياء، 273/2.

[3]- مواهب الأرب المبرئة من الجرب في السماع وآلات الطرب، لأبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الحسني، تح: هشام بن محمد حيجر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1971، 143/1 - 144.

وبهذا نستشف من خلال كلام؛ الغزالي وجعفر بن إدريس الكتاني، جواز سماع السماع، حيث إن الأول اعتبره من طبيعة الإنسان السوي المعتدل، في حين عده الثاني من نعم الله تعالى على عباده.

والذي يباعد أكثر بين المذهبين الأول والثاني؛ هو استعمال عبارات فيها نوع من التراشق بينهما، والتي تدل على تعصب كل واحد لرأيه، وهذا ما دفع إلى إيراد المذهب الوسط، الذي يوفق بينهما، مقيدا هذا السماع حتى لا يتجاوز الحد الشرعي، وشارطا له شروطا كي يكون مقبولا شرعا.

3- مذهب وسط

هذا المذهب؛ هو الذي تميل إليه النفس، ويطمئن إليه القلب، وهو الراجح، والله أعلم بالصواب؛ لأنه توسط واعتدال في طرحه، فلم يذهب لا إلى أقصى اليمين محرما للسماع جملة وتفصيلا دون قيد، ولا إلى أقصى اليسار مبيحا له دون شرط، وإنما نظرا إلى السماع؛ باعتباره مجردا من أي حكم شرعي صريح بالتعيين، يمكن أن يقبل، أو يرفض بحسب مآله وعاقبته، ولهذا نجد مع هذا التوجه مجموعة من الضوابط والقيود؛ إذا خلا منها السماع أصبح محرما، وإذا انتفت عنه مجموعة من الشروط؛ أضحى غير مقبول كذلك، وهذا ما سيتضح في الموالي:

ثالثا: ضوابطه وشروطه

للسماع مجموعة من الضوابط والشروط، والتي يجب توفرها فيه كي لا يخرج عن مقاصد الشرع؛ منها على سبيل المثال:

- "سلامة مضمون الغناء من المخالفة الشرعية.
- سلامة طريقة الأداء من التكسر والإغراء.
- عدم اقتران الغناء بمحرم.
- تجنب الإسراف في السماع.
- حسن سيرة وسريرة المسمع"[1].

ولكي نزيد هذا الأمر وضوحا، نقدم بعض الآراء التي ناقشته بوسطية واعتدال.

رأي [الحسن بن مسعود اليوسي] الذي ناقش الموضوع في إحدى رسائله قائلا: "وحاصل الأمر أن السماع منهل مورود قديما وحديثا، ولكنه قد يصفو وذلك لأهله، فيستريحون به من الأثقال ويستفيدون به نفائس الأحوال. (...)، وقد يخبث وذلك لغير أهله وهو الغالب. ولا سيما في هذه الأزمنة، نسأل الله العافية فيقع كل ذلك، إما عن وارد شيطاني، وإما اختيارا كذبا ودعوى، والأمر في ذلك مشتبه، وحاصل الفتوى فيه على الاختصار:

أما بحسب الفاعل في نفسه، فإن نزل به أمر غالب لم يبق له معه تمييز أو اختيار فلا كلام عليه حتى يفيق، وحتى يرجع إلى اختياره، وهو مدفوع لما قضي عليه من محمود أو مذموم، وحقه بعد الإفاقة أن يخاف من المكر وتلاعب الشيطان، ويتعوذ بالله من شر الشيطان ويهرب عن مظانه. ومتى أعجب به، أو افتخر به أو عده درجة وقربا، فهو دليل خسرانه عياذا بالله. وإن هو تعاطى ذلك باختياره واشتغل بأسبابه، فإن كان يرى ذلك فرضا أو سنة، أو شرطا من شروط السلوك فهو جاهل مبتدع إذ قد زاد في الدين ما ليس فيه. (...)، وإن اشتغاله في وقت يضيع فيه فريضة كالصلاة أو يؤدي إلى تضييعها في المستقبل، أو مع كيفيات لا تحل شرعا، ككشف العورة أو كاجتماع الرجال والنساء، أو قصدا في باطنه إلى التظاهر بالصلاح والأحوال الشريفة مع الخلو عن ذلك، أو

---

[1]- حكم الإسلام في سماع السماع وآلات الغناء، م س، صص343-344-345-346، بتصرف، وكف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع (حكم الإسلام في الغناء والموسيقى والشطرنج)، أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي، تح: عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، بولاق - القاهرة، (د.ت)، ص12.

استجلاب حظوظ الدنيا من مال أو جاه وغيرهما، وإيهام العوام أن ذلك هو الناس وشأن الصالحين، أو داخله لذلك اغترار في نفسه، أو تكبر على أبناء جنسه، أو وقيعة فيمن لا يفعل ذلك، أو وسمه بالجمود إلى غير ذلك من العوارض المذمومة، فكل ذلك حرام، فاعله مخدوع تجب عليه التوبة من ذلك والإقلاع والإنابة إلى الله، والاشتغال بما يعني.

وإن كان عارفا بهذه الأحكام ناجيا من هذه الورطات، وإنما يقصد بذلك مباسطة الإخوان أحيانا من غير إكثار، أو يطمع في استجلاب حال رباني، أو يساعد من هو من أهله أدبا معه، فهذا كله لا بأس به، وإن كان دعاه إلى ذلك حال رباني وباعث من الله تعالى يعرفه، فهو متعين عليه ولا يتعرض لأمثال هؤلاء، فهو أعرف بأحوالهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم."[1] انتهى كلامه.

ويضيف في موضع آخر؛ وهو يتحدث عن السماع بالآلات خصوصا في ما ينطبق على زماننا ما نصه: "وأما بالآلات كالدف والشبابة فقد حكي فيه عن بعض السلف الصالح التوسعة، والجمهور يكرهونه وهو الحق. وذاك أن أكثر السماع ولا سيما في زماننا هذا لهو ولعب، ولذا قال بعض المشايخ: إن السماع في زماننا لا يقول به مسلم، ولا يقتدى بشيخ يقول به انتهى"[2].

ففي كلامه ما يغنينا عن إيراد أمثلة وشواهد على حال السماع اليوم، وما يتخلله من مجون وسفور واختلاط، وفحش قول ومضيعة وقت، وتفويت واجب، وإسراف وتبذير مال، وهلم جرا.

رأي [عبد الغاني النابلسي]، الذي يكاد يتماشى في نفس هذا الاتجاه المعتدل، حيث نلمس هذا من خلال قوله: "لا يجوز أن نقول بتحريم الغناء على الإطلاق، ولا بإباحته على الإطلاق، بل يختلف ذلك باختلاف الأحوال، والأشخاص، وأرباب الرياء والإخلاص"[3].

وهذا التوسط والاعتدال وارد عند المذاهب الفقهية الأربعة، كما يبدو من خلال أقوال أصحابها، وعند ابن تيمية في فتاواه، على حد قوله: "فإن السماع الذي يفعل كما تفعل سائر الأفعال

---

[1]- رسائل ابن علي الحسن بن مسعود اليوسي، تح: فاطمة خليل قبلي، دار الثقافة - الدار البيضاء، ط1، 1401 - 1981، 2/430 -431 - 432.

[2]- م ن، ص435.

[3]- إيضاح الدلالات في سماع الآلات، لعبد الغاني النابلسي، نقلا عن حكم الإسلام في سماع السماع وآلات الغناء، م س، ص126.

التي تلتذ بها النفوس، وإن كان فيها نوع من اللهو واللعب، كسماع الأعراس وغيرها، مما يفعله الناس لقصد اللذة واللهو، ولا لقصد العبادة والتقرب إلى الله فهو من المباحات"[1].

وعليه؛ فالسماع القبيح هو الذي يصدر من الفساق، أو ينشد في مكان اختلاط وسفور، أو يتضمن كلاما فيه خدش للحياء...، لكن ما أحلى السماع وما أبهاه؛ إذا توفرت شروطه، والتي يمكن أن يستدل عليها بما حكي عن الجنيد: "أنه كان يقول: من سمع السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء، وإلا فلا يسمع، قيل له: وما تلك الثلاثة؟ قال: الزمان، والمكان، والإخوان"[2].

هذا ما يمكن قوله باختصار حول السماع، لنرى ماذا عن الرقص والتصفيق؛ اللذين لم يخلوا – كما السماع – من الأخذ والرد، والقبول والرفض بين الفقهاء والمتصوفة من جهة، وبين الجماعة الواحدة من جهة ثانية.

ذلك ما سنبينه في المحور الآتي:

---

[1]- الغناء والموسيقى: حلال .. أم حرام، تأليف: محمد عمارة، سلسلة: في التنوير الإسلامي (33)، دار نهضة مصر - القاهرة، 1999م، ص36-37.

[2]- اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، تح: عبد الحليم محمود - طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، 1380- 1960، ص342.

الفرع الثاني: في الرقص والتصفيق

أولا: الرقص

1- مفهومه:

يكاد يرادف الرقص الشطح، وإن كان بينهما شيء من التمايز، فحاول بعضهم تقريب بمعناه بما نصه: "للشطح معنى خاص، فهو ترجمة اللسان عن وجد يفيض عن معدته، مقرونا بالدعوى، وهو مرتبط عندهم (بالحال) الذي يعرفونه بما يرد على القلب من غير تعمد، لكن مدلوله توسع عند المغاربة حتى خالط (الرقص)، وصار اللفظان يرتبطان للدلالة على حركة الجسم منضبطة، أو غير منضبطة"[1].

2- حكمه:

يتردد حكم الرقص، بين الاستحسان والاستهجان:

أ- في استحسان الرقص وتبريره:

هناك من يرى أن يصدر الرقص أو التمايل عن صاحب حال أو مغلوب عن أمره، وفي هذه الحالة ينبغي أن يعذر فيما صدر منه، ولا بأس برقصه أو تمايله، يقول اليوسي في هذا السياق: "فأما الرقص فقد قلنا أنه يمكن أن يكون عن حال واردة، فلا يذم"[2].

ونفس المعنى يقرره جعفر بن إدريس الكتاني فيما ذكره بقوله: "قلت: أما التمايل يمينا وشمالا؛ فلا يدل على الضعف. والله تعالى أعلم. وقد ذكر ابن عرضون في (مقنعه) أن الصحابة رضوان الله عليهم: كانوا إذا ذكروا الله؛ مال بعضهم على بعض كالشجرة في يوم الريح العاصف، أو ما هذا معناه"[3].

وسئل [يحيى بن معاذ] عن الرقص فأنشأ يقول:

دققنا الأرض بالرقص على غيب معانيكا
ولا عيب على الرقص لعبد هائم فيكا
وهذا دقنا الأرض إذا طفنا بواديكا[4]

---

[1]- التصوف والمجتمع، لعبد اللطيف الشاذلي، نقلا عن: حكم الإسلام في سماع السماع وآلات الغناء، م س، ص71-72.

[2]- رسائل اليوسي، 434/2.

[3]- مواهب الأرب المبرئة من الجرب، 455/2-456.

[4]- تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان، حمدون بن محمد الطاهري الجوطي الفاسي، تح: محمد العمراني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، سلسلة رسائل وأطروحات، ر: 14، مطبعة سايس كرافيك - فاس، ط1، 1432هـ-2011م، ص123.

ب- في استهجان الرقص وذمه، وتعليل ذلك:

على عكس ما يراه البعض، من إباحة للرقص وأن له ما يبرره، نجد من يستقبحه ويذم فاعله، وأنه من الخصال المشوشة على استقامة المرء، هذا ما يعبر عنه الشيخ الهادي بن عيسى؛ وهو يحذر من خلطه بالسماع، فيضيع الغاية منه حيث قال: "السماع ذكر، والذكر سماع، وإني أخاف عليكم من تحريك الرؤوس، واهتزاز الأطراف طربا، وبهذا تحولون بين السماع ومقاصده، ومن مقاصد السماع، حضور القلب مع الله، والإصغاء إلى الإنشاد بالروح"[1].

وهو ما يشير إليه الناظم بقوله:

ليس التصوف لبس الصوفي ترقعه ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا[2]

وقال آخر:

ألا قل لهم قول عبد نصوح وحق النصيحة أن تستمع
متى علم الناس في ديننا بأن الغنا سنة تتبع
وأن يأكل المرء أكل الحمار ويرقص في الجمع حتى يقع
وقالو: سكرنا بحب الإله وما أسكر القوم إلا القصع
كذالك البهائم إن أشبعت يرقصها ريها والشبع[3]

كما سئل العز بن عبد السلام عن استماع الإنشاد في المحبة والرقص، فقال: "الرقص بدعة لا يتعطاه إلا ناقص العقل، ولا يصلح إلا للنساء"[4].

---

[1]- حكم الإسلام في سماع السماع وآلات الغناء، م س، ص240.
[2]- تحفة الإخوان، م س، ص97.
[3]- رسالة في السماع والرقص، جمع: الشيخ محمد بن محمد المنبجي الحنبلي، تعليق: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن ابن حزم - بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م، ص8.
[4]- كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، م س، ص27.

ج- رأي وسط: [ابن عجيبة ومذهبه في الرقص]

ذهب أبو العباس أحمد ابن عجيبة مذهب توسط واعتدال في مسألة حكم الرقص بقوله: "الرقص فيه اضطراب كبير بين الصوفية وعلماء الشريعة، والتحرير في المسألة أن تقول: الأصل في الرقص هو الإباحة؛ إذ هي الأصل في الأشياء، وقيل الوقف حتى يأتي الحظر، ولم يرد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقتضي التحريم، وإنما حرمته الأئمة؛ لما قارنه من تعاطي أهل الفساد بجمع النساء والشبان، وآلة اللهو. والعلة تدور مع المعلول وجودا وعدما"[1].

وقد قسمه بناء على ذلك؛ إلى ثلاثة أقسام:

"حرام؛ وهو رقص العوام بمحضر النساء والشبان، لما يؤديه من مفاسد كثيرة، ومباح؛ وهو رقص الصالحين وأهل النسبة من غير وجد ولا تواجد، بل راحة لنفوسهم، وتنشيطا لقلوبهم، شريطة الزمان والمكان والإخوان، وغياب الشبان والنسوان، ومطلوب؛ وهو رقص الصوفية أهل الذوق والحال، وجدا أو تواجدا،..."[2].

ويبقى هذا الرأي - في الحقيقة - أقرب الآراء إلى الصواب، والمعقولية.

فماذا عن التصفيق باعتباره شريك الرقص وقريبه؟.

---

[1]- مواهب الأرب المبرئة من الجرب، م س، 2/460-461.

[2]- مواهب الأرب، م ن، 2/461، بتصرف.

الفرع الثالث: في التصفيق

وما قيل في الرقص، يمكن قوله عن التصفيق، فلإن رآه بعضهم صادر عن غلبة، مثله مثل حركة الرجل أو صعقة الفم، أو غيرها كما يشير إلى ذلك قول اليوسي: "والحال عندهم إذا نزلت فقد تقتضي صياحا، وقد تقتضي بكاء، وقد تقتضي ضحكا وطربا، وقد تقتضي حركات للجسد إما دورانا، وإما رقصا، وإما تصفيقا وإما غشيا إلى غير ذلك مما هو مفصل عندهم، وواقع يعرفه من نزل به، وذو البصيرة من غيره"[1].

وعلى خلاف ذلك، هناك من نظر إليه نظرة دونية تحقيرية في شأن من يفعله، وخير شاهد على ذلك جواب أبي العباس أحمد بن عبد المومن الغماري حين قال: "وأما المسمع؛ فينبغي أن يكون عارفا بمشارب القوم ومقاماتهم، وأن ينشد ما يناسب حالهم، وليحذر من أن يشوش عليهم أو يجد أحد في نفسه عليه، وليحذر التصفيق واللحن ومخالفة الوزن..."[2].

وفي الأمر نفسه يشير إليه أبو عبد الله الساحلي، في معرض حديثه عما يخرج السماع عن دائرة القبول، حيث قال: "ومنها أن جميع الآلات المطربة؛ كالشبابة والطار، والطنجهارات، وتصفيق الأكف، والشيزان...ونحو ذلك، لو فرضنا أن قوما اجتمعوا على ذلك ولم يزيدوا عليه غناء ولا خالطوه بقول، أكان هذا محسوبا من قبيل الجد أو من قبيل اللعب؟ أو من قبيل التدين أو من قبيل اللهو؟ أو من قبيل العبادة أو من قبيل الباطل؟ لاشك أنه هزل غير جد، ولعب غير تدين، ولهو غير عبادة، وباطل غي حق"[3].

ويضيف قائلا في السياق نفسه: "لأن الطباع إذا تحركت عند سماع نغمات الأوزان، ربما وجد الإنسان لذلك من نفسه ما يحمله على استحسان بعض المستقبحات؛ كالفرقة بالأصابع، والتصفيق بالأكف، والاهتزاز والرقص... وغير ذلك مما يدل على سخافة العقل، وخلع حجاب الوقار، وخلع ثوب المروءة"[4].

والحاصل، أن هذه المسائل؛ من سماع، أو رقص، أو تصفيق، أو غيرها، فينبغي التسليم فيها لأهلها، وأن يوكل أمرهم إلى الله تعالى، ويلتمس لهم العذر فيها، خصوصا إذا أتبعت بآداب ووقار،

---

[1]- رسائل اليوسي، 430/2.
[2]- مواهب الأرب المبرئة من الجرب، م س، 503/2.
[3]- مواهب، 414، بغية السالك 597-614.
[4]- مواهب، ص415-416.

ثم ضوابط شرعية، أما صدورها عن غير أهلها، فلا تقبل منهم، ويجب نصحهم، وعليهم بتقوىٰ الله تعالىٰ فيما يزعمونه، أو يتصنعون فيه، ويزداد التشديد؛ إن فعل ذلك من ليس له خلق سليم، وتدين قويم.

لكن ما أحلىٰ السماع وما أنفعه، إن عدم من تلك المفاسد كلها، فكان دون اختلاط ولا آلات مشوشة، وكان الكلام هادفا؛ بإنشاد أهل الفضل والصلاح، وبلا إفراط، مع التزام الأدب...؛ هذا باختصار ما يمكن قوله في هذا المبحث، والله الهادي للصواب.

قسم التحقيق:

[استهلال المؤلف]

/ 1أ/ بسم الله الرحمن الرحيم، (وصلى)[1] الله على سيدنا *ومولانا*[2] محمد، وآله[3] *وصحبه وسلم*[4].

*قال الشيخ الإمام الأستاذ سيدي عبد الله

ابن يخلف الأندلسي رحمه الله تعالى ورضي

عنه ونفعنا ببركاته (آمين)[5]*[6]

الحمد لله الكريم الوهاب، الفاتح الأبواب، الذي رفع عن قلوب[7] من شاء من عباده المؤمنين[8] حجب[9] الران[10] والارتياب[11]، فمازالوا يحدثون نفوسهم[12] بكمال تحميده، ويجردون[13] أرواحهم[14] في جمال[15] تمجيده، ويصلون أسرارهم[16] قدس[17] توحيده وتفريده[18]، حتى أتم لهم ذلك (شوقا)[1] إلى

---

[1]- في (ب) "صلى".
[2]- سقطت من (ب).
[3]- كذا كتبت: "وآله" في سائر النسختين.
[4]- سقط من (ب).
[5]- كذا كتبت: "ءامين" في النسختين.
[6]- سقط من (ب).
[7]- قلوب: ج قلب، وله معنيان الأول: وهو العضو المكون من لحم ودم، والثاني عبارة عن لطيفة ربانية لها بالمعنى الأول الأول تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان؛ وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب...: إحياء علوم الدين، م س، 3/3، بتصرف.
[8]- كذا كتبت: "المومنين" في سائر النسختين.
[9]- حجب: ج حجاب، والحجاب هو كل ما ستر مطلوبك عن عينك: اصطلاحات الصوفية، لابن عربي (ت638هـ)، مكتبة مكتبة عالم الفكر، ميدان الحسين - القاهرة./23، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، م س، 620/1،
[10]- الران: هو الحجاب الحائل بين القلب وبين العالم القدسي باستيلاء الهيئات النفسانية عليه، ورسوخ الظلمات الجسمانية فيه بحيث يحتجب عن أنوار الهوية بالكلية، معجم اصطلاحات الصوفية، تصنيف: عبد الرزاق الكاشاني، (ت730هـ تقريبا)، تح: عبد العال شاهين، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ميدان الحسين - القاهرة، ط1، 1413هـ - 1992م، ص164، التوقيف، م س، ص173، الكشاف، 839/1.
[11]- الارتياب: من الريب؛ وهو التردد بين موقعي تهمة بحيث يمتنع من الطمأنينة على كل منهما. وأصله قلق النفس واضطرابها، ومنه ريب الزمان لنوائبه المزعجة ومصائبه المقلقة، التوقيف/184.
[12]- نفوسهم: ج نفس وهي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم: الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن، التعريفات، م س، ص204، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، لرفيق العجم، سلسلة المصطلحات العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط1، 1999، ص969 وما بعدها.
[13]- يجردون: من التجريد؛ وهو إماطة السوء، والكون عن القلب والسر، اصطلاحات الصوفية/17، كذلك: التوقيف/91،
[14]- أرواحهم: ج روح وهي عبارة عن النور الذي به أحيا الله الخلق، وهو كما ذكر الله تعالى؛ أن الروح من أمره، وقوام الروح بالله، والنفس قائمة بالروح، الموسوعة/ 412 وما بعدها، كذلك: اصطلاحات الصوفية، ص 15، ومعجم الاصطلاحات، ص168.
[15]- جمال: هو نعوت الرحمة والألطاف من الحضرة الإلهية، اصطلاحات الصوفية/12، والموسوعة/250.
[16]- أسرارهم: ج سر وهو عبارة عن لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن، وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة، التعريفات، ص102، والتوقيف، ص192، قاموس المصطلحات الصوفية، لأيمن حمدي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، 2000، ص66.
[17]- قدس: أي القدس وهو العلم الذي يطهر النفس من دنس الطبائع، ونجس الرذائل، أو الشهود الحقيقي بتجلي القديم الرافع للحدث فإن الحدث نجس، الموسوعة، ص750-751، والتوقيف، ص269.
[18]- تفريده: التفريد هو وقوفك بالحق معك، اصطلاحات الصوفية/16، التعريفات/57.

مطالعة وجوده، (ضاقت)[2] عليهم به دونه جميع المواطن والرحاب، فلما طال عذابهم بنار الحب[3] ﴿ذَاتِ ٱلْوَدُودِ ۝﴾[4]، واستولى على الأفئدة اضطرارهم للمحبوب المقصود، رحمهم الحق سبحانه فرقاهم من مرتبة الإيمان[5] والإيقان[6] إلى درجة العيان والشهود[7]، فما لبثوا أن ضعف لهم الحب والاضطراب، والشوق[8] إلى ذاته والانجذاب، فلما زاد بهم الهوى[9] واعتراهم الهيمان[10]، وأقلقهم (الشوق)[11] وزلزلهم الهيجان، أخذهم منهم، ثم أفناهم[12] عنهم، ثم أبقاهم[13] بما رزقهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝﴾[14]، ثم أفاض عليهم فيض[15] أقدسي الألوهية[16]، فأشهدهم + وجود +[17] جميع (الآثار)[18] الكونية، في الحضرة العلمية[19]، مستعدة لقبول الأمر الصادر من ملك الملوك ورب الأرباب، ثم تجلى[20] لهم بصفة الأحدية[21]، فبطن[22] ما ظهر[23] من الأشياء العدمية[1]، حتى لم يبق منها بقية، وبطلت الأثنوية[2]

---

[1]- في (ب) "سوقا".
[2]- في (ب) "صاقت".
[3]- الحب: الحب مقام إلهي فإنه وصف به نفسه وتسمى بالودود وفي الخبر بالمحب ومما أوحى الله به إلى موسى في التوراة يا ابن آدم إني وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محبا، الموسوعة/275.
[4]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝﴾، البروج/ (5).
[5]- الإيمان: أصله إقرار اللسان بتصديق القلب وفرعه العمل بالفرائض، الموسوعة/128 وما بعدها.
[6]- الإيقان: هو صفاء العلم عن كدر تطرق الريب لاجتماع شاهدي السمع والعين، التعريفات/37، والتوقيف/68.
[7]- الشهود: هو رؤية الحق بالحق، التعريفات/111، الكشاف، 1044/1.
[8]- الشوق: هو توجه القلب إلى لقاء الرب، وقيل: هيجان السر لفقد الصبر، وقيل: تعطش القلب إلى لقاء المحبوب، وقيل: عدم القرار لبعد المزار، التعريفات/110، التوقيف/210.
[9]- الهوى: هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع والإعراض عن الجهة العلوية بالتوجه إلى الجهة السفلية، معجم الاصطلاحات/72، التعريفات/216، الموسوعة/1013.
[10]- الهيمان: هو إفراط الحب الذاتي الساري في جميع الموجودات، الموسوعة/1016.
[11]- في (ب) "الوجد"، والوجد: هو ما يصادف القلب من الأحوال المغيبة له عن شهود الوجود، بوجدان الحق في الوجد، اصطلاحات الصوفية/12، الموسوعة/1018.
[12]- أفناهم: من الفناء؛ وهو فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله عز وجل على ذلك، اصطلاحات الصوفية/13، كذلك: التوقيف/264، الموسوعة/730 وما بعدها.
[13]- أبقاهم: من؛ البقاء وهو رؤية العبد قيام الله على كل شيء، اصطلاحات الصوفية/13، كذلك: الموسوعة/150.
[14]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝﴾، البقرة/ (212).
[15]- فيض: الفيض هو التجلي الدائم الذي لم يزل ولا يزال؛ فالعالم المسوى بدون الروح الإلهي بمنزلة المرآة الغير صقيلة وبالروح الإلهي بمنزلة الصقيلة. فكما أن المرآة بسبب جلائها تقبل صورة من يحاذيها وتعطيها لصاحبها، كذلك العالم بسبب قبول الروح الإلهي يقبل التجلي الدائم الذي هو ظهور عينه إليه في ذلك المحل المكمل، الكشاف، 1294/2. الموسوعة/741.
[16]- الألوهية: هي اسم مرتبة جامعة لمراتب الأسماء والصفات كلها، الكشاف، 257/1، القاموس/47.
[17]- زيادة من (ب).
[18]- في (ب) "الآثار"، والصواب ما في (أ).
[19]- الحضرة العلمية: هي إحدى الحضرات الخمسة الإلهية؛ والتي تتضمن حضرة الغيب المطلق، التعريفات/78، التوقيف/141، الموسوعة/289 وما بعدها.
[20]- تجلى: من التجلي؛ وهو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب: اصطلاحات الصوفية/17، والتعريفات/46.
[21]- الأحدية: اعتبارها مع إسقاط الجميع: معجم الاصطلاحات/51، والتعريفات/14.
[22]- بطن: لغة أي خفي وهو ضد ظهر، وعند أهل الحقيقة يطلق على أعمال القلوب التي هي المقامات والأحوال؛ كالتصديق والإيمان والإخلاص...: الموسوعة/173 وما بعدها.
[23]- ظهر: لغة تجلى، وهو عن أهل الحقيقة من الظهور أو الظاهر الذي قد يطلق عليه ظاهر الوجود: معجم الاصطلاحات/184، والموسوعة/589.

المخيلة للعقول والألباب، فلما رسخوا في أبطن البواطن، فمنهم من اختاره لخصوص[3] حضرته؛ فهو أبدا في سر السر[4] كامن، ومنهم من أمده بنور[5] التخصيص الأولي، (حال)[6] الدنو[7] والتدلي[8] / 2أ/ خالص السر ولباب اللباب[9]، ثم استخلفه في الوجود على حكم العدل والجود، وجعله دائرة الأقطاب[10].

نحمده سبحانه حمدا يليق بذاته، على ما هو عليه من كمالاته[11]، ونشكره تعالى شكرا يقتضي لنا منه دوام المزيد، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[12]، ونستعينه ونلجأ إليه، ونتوكل في الأمور كلها عليه، فهو الهادي إلى (الصواب)[13]، ونبرأ من الحول والقوة إليه، ونقر بالعجز المطلق لديه، ونفر من كل شيء سواه إليه، إليه المرجع والمآب.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة (نغتنيها)[14] لموقف الجزاء والحساب، ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا (محمدا)[15] عبده ورسوله، (ومصطفاه)[16] من خلقه وخليله، اختاره

---

[1]- العدمية: من العدم؛ وهو فناء الآلة المذمومة والصفة المرذولة في طلب الصفة المحمودة، لا عدم المعنى بوجود آلة الطلب: الكشاف، 1170/2، الموسوعة/632.

[2]- الأثنوية: ضد الأحدية.

[3]- خصوص: بمعنى أحدية كل شيء عن كل شيء بتعينه، ولكل شيء وحدة تخصه، التعريفات/87: التوقيف/155، والموسوعة/324.

[4]- سر السر: ما تفرد به الحق عن العبد: اصطلاحات الصوفية/28، والتعريفات/102.

[5]- نور: النور هو كل وارد إلهي بطريق الكون عن القلب: اصطلاحات الصوفية/24، معجم الاصطلاحات/118، التوقيف/331.

[6]- في (ب) "محل".

[7]- الدنو: دائرة الضبط لحقيقة حق الحقائق، في دقيقة دقة الدقائق، من شواهق الشواهق، بوصف ترياق التائق، برؤية قطع العلائق، في نمارق الصفائق، بإبقاء البوائق، بتبيين الدقائق، بلفظ الخلاص، من سبيل الخاص، من حيث الأشخاص: الموسوعة/351-352.

[8]- التدلي: نزول المقربين بوجود الصحو المفيق بعد ارتقائهم إلى منتهى مناهجهم، التعريفات/49، كذلك: الموسوعة/171.

[9]- لباب اللباب: اللب هو العقل المنور بنور القدس الصافي عن قشور الأوهام والتخيلات، ولب اللباب هو مادة النور الإلهي القدسي الذي يتأيد به العقل فيصفو به عن القشور المذكورة، ويدرك العلوم المتعالية، عن إدراك القلب المتعلق بالكون المصونة عن الفهم المحجوب بالعلم الرسمي، وذلك من حسن السابقة المقتضي لخير الخاتمة: معجم الاصطلاحات/90، والموسوعة/806.

[10]- الأقطاب: جمع قطب؛ وهو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى، من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام: اصطلاحات الصوفية/10، ومعجم المصطلحات/217-218.

[11]- كمالاته: الكمال التنزيل عن الصفات وآثارها، وكمال الله عبارة عن ماهيته، وماهيته غير قابلة للإدراك والغاية، فليس لكماله غاية ولا نهاية، وكماله سبحانه لا يشبه كمال المخلوقات، لأن كمال المخلوقات بمعان موجودة في ذواتهم، وتلك المعاني مغايرة لذواتهم، وكماله سبحانه بذاته لا بمعان زائدة عليه: معجم المصطلحات/226، واصطلاحات الصوفية/26.

[12]- البروج/ (14- 15- 16).

[13]- في (ب) "الرشاد والصواب".

[14]- في (ب) "تغتنيها"، والصواب ما في (أ).

[15]- في (ب) "محمد" والصواب ما في (أ).

[16]- في (ب) "ومصطفيه" والصواب ما في (أ).

على علم أقوم سبيل إليه وأعظم باب، وعلى آله وأصحابه ومقتفي سبيله، صلاة وسلاما لائقين بعلى منصبه ورفيع جنابه، دائمين مجددين طول الدهور والأحقاب،

وبعد، فيقول العبد الفقير، المعترف بالعجز[1] والتقصير، المتوكل على مولاه، الملتجئ في أموره كلها إليه، لا إلى سواه؛ عبد الله بن محمد بن يخلف الأندلسي[2] أصلا، الأنصاري نسبا، الفاسي دارا ومنشئا: "أن من منن الله علي أن وفقني إلى معرفة الشيخ[3] الشهير، والغوث[4] الكبير، العارف[5] الكامل[6]، المحقق[7] الواصل[8]، حجة الطريقة[9]، وترجمان الحقيقة[10]، فارس العارفين، وقدوة الصديقين[11]، الصديقين[11]، ذي[12] الهمة العالية، والمفاخر السنية، والمحبة السابقة، والحجة الصادقة، العالم العامل، الزاهد[13] الورع[14] الولي[1] الصالح، البار الناصح، شيخنا ووسيلتنا[2] إلى ربنا؛ أبي عبد الله سيدي ومولاي

---

[1]- العجز: أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره، وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة...وقيل العجز الضعف، التوقيف/236-237، كذلك: الكشاف، 1165/2.

[2]- "الأندلوسي" كذا وردت في غالب النسختين.

[3]- الشيخ: هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، البالغ إلى حد التكميل فيها؛ لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها، ومعرفته بذواتها، وقدرته على شفائها والقيام بهداها؛ إن استعدت ووفقت لهداها: معجم الاصطلاحات/172، والقاموس/74.

[4]- الغوث: هو القطب حين ما يلتجأ إليه ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثا: اصطلاحات الصوفية/21، معجم الاصطلاحات/185، معجم مصطلحات الصوفية، تأليف: عبد المنعم الحنفي، دار المسيرة - بيروت، ط2، 1407هـ - 1987م، ص197.

[5]- العارف: هو من أشهده الرب بنفسه، فظهرت عليه الأحوال، والمعرفة حاله: اصطلاحات الصوفية/25، معجم اصطلاحات/124، القاموس/74.

[6]- الكامل: الكمال الخاص بالإنسان هو إدراك حقيقة العقليات على ما هي عليه دون المتوهمات والحسيات التي يشاركه الحيوانات فيها...: الموسوعة/800.

[7]- المحقق: من التحقيق؛ وهو شهود الحق في صور أسمائه التي هي الأكوان، فلا يحجب المحقق، بالحق من الخلق، ولا بالحق عن الحق: معجم الاصطلاحات/174، الكشاف، 392/1، معجم المصطلحات/43.

[8]- الواصل: من الوصل المرادف للوصال والاتصال؛ وهو الانقطاع عما سوى الحق، وليس المراد به اتصال الذات بالذات لأن ذلك يكون بين جسمين، وهذا التوهم في حقه تعالى كفر، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الاتصال بالحق على قدر الانفصال عن الخلق. وقال بعضهم من لم ينفصل لم يتصل، أي من لم ينفصل عن الكونين لم يتصل بمكون الكونين، وأدنى الوصال مشاهدة العبد ربه تعالى بعين القلب، فإذا رفع الحجاب عن قلب السالك وتجلى له يقال إن السالك الآن واصل: الموسوعة/1043.

[9]- الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل، والترقي في المقامات، معجم الاصطلاحات/85، ومعجم المصطلحات/168.

[10]- الحقيقة: هي إقامة العبد في محل الوصال إلى الله، ووقوف سره على محل التنزيه: اصطلاحات الصوفية/14، القاموس/55.

[11]- الصديقين: مفردها صديق؛ وهو الذي كمل في تصديق كل ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، علما وقولا وفعلا، بصفاء باطنه، وقربه بباطن النبيء صلى الله عليه وسلم، لشدة مناسبته له، ولهذا لم تتخلل في كتاب الله تعالى مرتبة بينهما في قوله تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصدقين والشهداء والصالحين: التعريفات/113، التوقيف/213-214، معجم المصطلحات/150.

[12]- "ذو"، كذا كتبت في النسختين، والصواب ما أثبت.

[13]- الزاهد: هو الذي يلحظ إليه لحظة، فيبقى عنده، ثم لا يرجع نظره إلى غيره، الموسوعة/434.

[14]- الورع: هو أن لا يتكلم العبد إلا بالحق، غضب أو رضى، وأن يكون اهتمامه بما يرضي الله: التوقيف/337، الموسوعة/1037، معجم المصطلحات/266.

ومولاي محمد بن الفقيه الشريف الحسني الزجني الدار – (يتعرف)[3] قديما بابن عمر والآن بابن الفقيه – وكان من / 3 أ / أرسخ المحققين في علم الطريقة، وأثبت العارفين في سر الحقيقة[4]، شديد المحافظة علىٰ اتباع السنة الغراء،

ثابت القدم في <المحجة البيضاء>[5]، صادق النية، عالي الهمة، صحيح العزم[6]، واشتهر النفع علىٰ يده لكثير من الفقراء[7] والمريدين[8]، بل وللأشياخ الراسخين، والأفراد[9] المحققين.

وكان قد صدر كلام من بعض الجهلة الغافلين، والظلمة المعتدين، الذين: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُّطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴿٣٢﴾﴾[10] بإذايتهم لأولياء الله الصالحين، (وباءو)[11] ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[12] وكانوا من الخاسرين، نعوذ بالله أن أكون من: "المغضوب عليهم أو الضالين"[13].

وشاع أيضا عن بعض أعيان الوقت وعلمائه، فضلا عن (أرذليه)[14] وعوامه؛ (أنه)[15] لم يكن في زمننا هذا ولي *له*[16] برهان قاطع، وتصرف[1] واسع، وكان في هذه المقالة من الفساد، ما لا يخفىٰ علىٰ علىٰ ذوي العقول السليمة والرشاد.

---

[1]- الولي: هو من يتولى الله سبحانه أمره فلا يكله إلى نفسه لحظة، ومن يتولى عبادة الله بطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، ومن شرط الولي أن يكون محفوظا، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما: معجم الاصطلاحات/79، معجم المصطلحات/269.

[2]- وسيلتنا: الوسيلة هي ما يتقرب به إلى الغير: التعريفات/211، كذلك: التوقيف/337.

[3]- في (ب) "يعرف".

[4]- سر الحقيقة: ما لا يفشى من حقيقة الحق في كل شيء، معجم الاصطلاحات/121، معجم المصطلحات/130.

[5]- اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم: "تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، وعليكم بالطاعة إن كان عبدا حبشيا عضوا عليها بالنواجذ فإنما المؤمن كالجمل الآنف كلما قيد انقاد"، [الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني]، للإمام الشوكاني، ص2229/ إسناده صحيح، أخرجه الترمذي في: [الجامع الصحيح]، (ص433، ر: 2676)، وابن ماجه في: [سننه]، (1/ 15- 16، ر: 42)، وأبو داوود في: [السنن]، (16/7 - 17)، والإمام أحمد في: [المسند]، (28/ 373). وعند ابن عبد البر في: [جامع بيان العلم وفضله]، (1163/2، ر: 2305)، مع اختلافات يسيرة في اللفظ.

[6]- العزم: تحقيق القصد، ورقته الأولى: بناء الحال على العلم، لشيم برق الكشف. الثانية: الاستغراق في المشاهدة. الثالثة: معرفة علة العزم، ثم الخلاص من ترك تكاليف العزم، الموسوعة/640.

[7]- الفقراء: جمع فقير؛ وهو من لا غناء له إلا بالحق كما قال الشبلي: الكشاف، 1282/2، كذلك: معجم المصطلحات/207.

[8]- المريدون: جمع مريد؛ وهو المتجرد عن إرادته: اصطلاحات الصوفية/7، الموسوعة/882.

[9]- الأفراد: عبارة عن الرجال الخارجين عن نظر القطب: إصطلاحات الصوفية/10، ومعجم الاصطلاحات/56.

[10]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُّطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَنْ يُّتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾، التوبة/ (32).

[11]- "فباءوا"، كذا والصواب بحسب رواية ورش ما أثبت.

[12]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، البقرة/61.

[13]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾، الفاتحة/7.

[14]- في (أ) "أرذليته"، والأقرب مَا أثبت.

[15]- مكررة في (ب).

[16]- سقطت من (ب).

فلما أظهر الله تعالىٰ علىٰ يدي هذا الشيخ بركات كثيرة بلغت الحد الأقصا؛ التي لا تكاد أن تعد أو تستقصىٰ، وكانت كل كرامة[2] ظهرت لولي، فهي معجزة[3] لنبي، هممت أن أجمع من كرامات هذا الولي رضي الله عنه مؤلفا كالنزر اليسير من البحر الغزير، لأن (تتبع)[4] ذلك بتمامه لا يمكن الطلاب.

وأعتمد في ذلك علىٰ ما رأيته عيانا، أو حفظته من الثقات بالسماع، أو نقلته من خط أيدهم مما كان مفترقا في الأوراق عرضة للضياع.

ثم إنه لقيني بعض من يستحق أمره التعظيم والتشريف، ممن له يد عالية في التصريف[5]، وأمرني بتنجيز ما كان يتلجلج في صدري من همي، (فاستنشطت)[6] نفسي لأمره، (وقوي)[7] عزمي وحزمي، وانخرطت مشمرا علىٰ ساعد الجد، مبذلا مني غاية القوة والجهد، ممتثلا لأمره بالإسراع والتعجيل، متوكلا علىٰ الله تعالىٰ (أن يهديني إلىٰ سواء السبيل)[8]، هو (حسبي ونعم الوكيل)[9].

فأقول وبالله أستعين، لما تصورت تشكيله وتبينت تعليله، سميته بـ: سلوة[10] المحبين والمريدين،/ 4أ/ ونكاية[11] الحاسدين والجاحدين، في مناقب[12] سيدي محمد (ابن)[13] الفقيه أحد الأفراد العارفين.

وينحصر في مقدمة وستة أبواب:

---

[1]- تصرف: هنا بمعنى التصريف؛ الذي هو عبارة عن مراتب ثلاثة: تصريف بالنفس، وتصريف بالجمادات، وتصريف بالخلق، فالتصرف بالنفس؛ أن يتصرف الفقير بنفسه فلا يبقى عنده إلا الله. والتصريف بالجمادات؛ أن يكون الفقير في السجن، والأبواب مقفلة، فيأتي لأحد الأبواب، ويطرق عليه، فيفتح ويخرج. والتصريف بالخلق؛ فقد كنا ونحن أبناء خمس سنين، نقول: فلان يمرض فيمرض، وفلان يموت فيموت، وفلان يصير غنيا فيصير، وهكذا كما نقول: الموسوعة/176-177.

[2]- الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة: التعريفات، ص154، التوقيف، ص281.

[3]- معجزة: أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله: التعريفات، ص184، التوقيف، ص309، الكشاف، 1575/2.

[4]- في (أ) "تبع".11

[5]- التصريف: ينظر التصرف قبله.

[6]- في (ب) "فانتشطت".

[7]- في (ب) "وقوي به".

[8]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾، القصص21.

[9]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾، آل عمران173.

[10]- سلوة: هي كل ما يسلي ويطيب النفس، ويجبر الخاطر: المقاييس،3/92-91، ولسان العرب 393/14،

[11]- نكاية: وهي الغلبة والنصر، والإفحام والإلجام والمنع والإسكات: كتاب العين، م س، 266/4، والمقاييس، م س، 473/5.

[12]- مناقب: ج منقبة وهي الفعلة الكريمة، و المفخرة: المقاييس، كتاب النون، 466/5. والقاموس المحيط، ص139.

[13]- في (ب) "بن"، والأقرب للصواب ما في (أ).

المقـــدمة: في التعريف بالشيخ ونسبه وورده[1]، وممن أخذ، وربما ذكرت أجداده *و*مراتبهم[2] حسبما ثبت عندي.

البـــاب الأول: فيما يرجع إليه رضي الله عنه ويختص به من استقامة ومتابعة وحسن سيرة وذكر[3] وحال[4] وشوق وذوق[5] ومحبة[6] إلى غير ذلك مما يلائم هذا النوع.

البـــاب الثاني: في أخباره رضي الله عنه بمرتبته، وثناء أهل الفضل والصلاح عليه قديما وحديثا، في البداية والنهاية، وكتابته بخط يده، ومكاتبتهم له، وإخبارهم بمراتبه وعلو شأنه، وأنه صاحب الوقت فريد العصر.

البـــاب الثالث: فيما يرجع للثناء عليه والإشعار بمزيته وخصوصيته رضي الله عنه بأخبار أرباب المكاشفات[7] عنه؛ برؤيتهم له مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وما قال فيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أو قيل له بحضرته فأقره صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

البـــاب الرابع: في إغاثته الملهوفين، وفك المأسورين، (ونجاة)[8] الغارقين والمتوغلين في الشدائد، والمستصرخين به رضي الله عنه برا وبحرا، يقظة ومناما، ظهر مصدقها يقظة.

الباب الخامس: فيما جرى على (يديه)[9] من أنواع (الغرابات)[10]، واستفيد بمدده من العلوم /15/ والمكاشفات بالأنوار الربانية[11] والأسرار الإلهية[12].

الباب السادس: فيمن انتقم الله منه، ممن حك[13] بساحته؛ بأنواع العذاب والنكال، وصيرورة من طافه حوله من مريدي إذايته إلى "بيس مصير"[1] وأسوء حال".

---

[1]- الورد في اللغة هو الشرب، وفي الاصطلاح: ما يرتبه العبد على نفسه أو الشيخ على تلميذه من الأذكار والعبادات، وينقسم الورد إلى ثلاثة أقسام: ورد العباد والزهاد من المجتهدين، وورد أهل السلوك من السائرين، وورد أهل الوصول من العارفين. ينظر: "إيقاظ الهمم في شرح الحكم"، أحمد بن عجيبة التطواني، تقديم ومراجعة محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص266، كذلك: الموسوعة، ص1036.

[2]- سقطت من (ب).

[3]- ذكر: هو امتلاء القلب من المذكور، واستيلاء الاسم على المعمور، وقيل اندراج الذكر في مذكوره واستسلام السرائر عند ظهوره: التوقيف، ص171، الكشاف،825/1، معجم المصطلحات، ص103.

[4]- الحال: هو ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب: اصطلاحات الصوفية، ص9، معجم المصطلحات، ص73.

[5]- الذوق: أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي، فإذا زاد وبلغ أوسط مقام الشهود سمي: مشربا، فإذا بلغ النهاية يسمى: ربا، وذلك بحسب صفاء السر لحظ الغير: معجم الاصطلاحات، ص171، والتوقيف، ص172.

[6]- المحبة: هي أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منه شيء: الموسوعة، ص838 وما بعدها.

[7]- المكاشفات: جمع مكاشفة؛ وهي الحضور بنعت البيان من غير افتقار إلى تأمل البرهان: التوقيف، ص312، الكشاف، 1366/2.

[8]- "ونجات" كذا في النسختين.

[9]- في (ب) "يده".

[10]- في (أ) "الغربات".

[11]- الأنوار الربانية: هي نور ذات الله تعالى، ونور ذاته هو عين ذاته لاستحالة التبعيض والانقسام عليه؛ فهو حق مطلق وهو المعبر عنه بالنفس الكلية، فهو خلق مطلق: الموسوعة، ص999.

[12]- الأسرار الإلهية: هي ما يطلع عليه إلا الأنبياء وأخص الأولياء: الموسوعة، ص462.

[13]- حك بمعنى ضايق أو اعتدى.

المقدمة:

اعلم رحمك الله؛ أن الشيخ رضي الله عنه شريف النسب، عظيم الجاه، نسبه مشهور يشهد به الخاص والعام من أهل بلده وجيرانه، سمعنا ذلك منهم المرة بعد المرة، وهو من أولاد ابن عمر يكنى بذلك، وأما لقبه بابن الفقيه فلأجل جده أبي أبيه؛ كان أستاذا، وكان يقرأ عليه من الطلبة الجم الغفير، حتى إنهم لا يقولون له إلا: "الفقيه"، فلقب أولاده به. وأبناء عمه إلى الآن؛ يكنون (بأبناء ابن عمر)[2].

وكان جده بجزيرة الأندلس[3] بمالقة[4]، ثم خرج منهم من خرج منها، واستوطن غمارة؛ كما هو عند غير واحد من المؤرخين، فقد ذكر المقري التلمساني[5] فيما اختصره من ابن خلدون[6]؛ حين ذكر قبائل الشرفاء، وتفرقهم زمن ابن العافية المكناسي: سيدي يحيى بن علي بن حمود؛ أحد أجداد الشيخ؛ كما ستقف عليه إن شاء الله.

(وقيل)[7]: إنه استوطن مالقة من الأندلس، وكذا ذكر السيوطي؛ في الأنساب الشرفاء وتفرقهم في القبائل، وكان فيمن ذكر منهم: أولاد مولاي عمر بن ادريس، وقال: إنهم (ببني)[8] عمران من غمارة، وكانوا بها معظمين محترمين، إلى أن أراد الله انتقالهم منها، فخرج جده الولي الكبير والغوث

---

[1]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَبِيسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾، الملك/6.

[2]- في (ب) "بأولاد بن عمر".

[3]- نسبة إلى الأندلس؛ عبارة عن جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، محاذية لبلدان المغرب العربي تونس والجزائر. والمغرب، والبحر المحيط...: معجم البلدان، لأبي عبد الله الحموي، دار صادر بيروت، 1397ه-1977م، 262/1 وما بعدها.

[4]- مالقة: مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية: معجم البلدان، 43/5.

[5]- أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني، مؤرخ، فقيه، أديب، حافظ، من مواليد تلمسان، ثم انتقل إلى فاس، حيث استقر بها مدة طويلة قبل أن يتوجه للديار المشرقية، وكانت وفاته بمصر في شهر جمادى الثانية عام 1041هـ: "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، تأليف: العلامة محمد بن محمد مخلوف، المكتبة السلفية ومكتبتها – القاهرة، 1349، ص،300 ر: 1162، و"الأعلام": قاموس تراجم، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت، ط7، 1،1986/237.

[6]- هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، كان يكنى أبا زيد، ويلقب بولي الدين واشتهر بابن خلدون، ولد بتونس في رمضان سنة 732هـ/ مايو سنة 1332م:
الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 507/3. وتاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان، مطبعة الهلال بفجالة - مصر، 1993، 244/3.

[7]- في (ب) "وقال".

[8]- في (أ) "بني"، والأصوب ما أثبت من (ب).

الشهير؛ ذي المقام العلي، والجاه السني؛ سيدي أحمد بن عمر، ونزل قبيلة مصمودة[1]، بمدشر قرب أزجن، يقال له: مدشر ابن عمر؛ سمي باسمه لنزوله فيه، وهو الآن خال.

ثم (انتقل)[2] منه إلى أزجن، واستوطنه إلى أن مات به +رضي الله عنه و+[3] نفعنا *الله*[4] ببركاته، ببركاته، ودفن به، وقبره وضريحه مشهور؛ عليه هيبة عظيمة، لا يكاد يبلغه الإنسان.

/ 6أ/ وترك ولدا اسمه سيدي العافية؛ وكان وليا كبيرا، وقطبا شهيرا، تأتيه الركبان من كل ناحية، ثم مات، ودفن قرب أبيه، في ضريح خارج عنه؛ في موضع ذي أشجار، وترك أولادا ثلاثة سيدي (لحسن)[5]، وسيدي عبد الله، وسيدي عمر.

أما سيدي الحسن، فكان من أكابر أولياء *الله*[6] المشهورين، الذين لهم التصرف الكامل، سمعنا من غير واحد يقول: "إن الشيخ الكامل (مولانا)[7] عبد الله الشريف[8] كان يقول: إن سيدي الحسن بن العافية هو مولى مصمودة".

وسمعنا أيضا عن مولانا عبد الله الشريف؛ أنه قال: (قد شاوره)[9] بعض الناس في زيارة الولي الصالح سيدي أبي يعزى[10]، لا إله إلا الله، سيدي أبو يعزى له بقرة مقيز[11] مزقتهم به، وسيدي الحسن بن العافية[12] له سبع بقرات ارغايتات[1] لا تذهبون إليه كذلك؛ مع أنه رضي الله عنه يأتيه

---

[1]- تقع قبيلة مصمودة قرب مدينة وزان إلى الشمال الغربي من فاس، تحد شرقا بقبيلة بني مستارة وشمالا بأهل سريف ورهونة. وهي تابعة إداريا إلى إقليم سيدي قاسم، ويرجع اسمها إلى مصمود بن برنس أبي شعوب البرانس: قبائل المغرب، عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية - الرباط، 1388 - 1968م، ص322.

[2]- في (ب) "ارتحل".

[3]- زيادة من (ب).

[4]- سقطت من (ب).

[5]- في (ب) "الحسن"، ولعله الصواب لتكراره.

[6]- سقطت من (ب).

[7]- في (ب) "مولاي".

[8]- هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن موسى الشريف الحسني اليملحي الوزاني، الشيخ المؤسس للزاوية الوزانية بالمغرب خلال أواسط القرن 11هـ/17م. ولد بقرية تازروت من حوز جبل العلم سنة 1005هـ/1596م، توفي بوزان 12 شعبان سنة 1089هـ/28 شتنبر 1678م: صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد الصغير الإفراني، تقديم وتحقيق ع المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط1، 2004م، ص334، والاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، 1956م، 107/7.

[9]- في (ب) "وقد شاوروه".

[10]- هو يلنور بن ميمون الهسكوري المشهور عند عامة المغاربة بمولاي بوعزا، وهو من أشهر متصوفة المغرب. توفي سنة 572هـ/1177م: "أنس الفقير وعز الحقير"، لأبي العباس ابن قنفد (ت810هـ)، عناية: محمد الفاسي - أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، مطبعة أكدال - الرباط، صص: 15-26. و"أعلام المغرب العربي" لابن منصور، 2 /211-212.

[11]- "مقيز"، أي البقرة غير الحامل.

[12]- هو الحسن بن العافية بن أحمد بن عمر الزجني الشريف الإدريسي، أحد أكابر الأولياء والصالحين بمنطقة جبالة في عصره، توفي سنة 1018هـ/1609م: "الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر"، لعبد الله الفاسي، تقديم وتحقيق

الناس يوم الثلاثاء من كل ناحية، {ويأتونه بصدقات كثيرة، ويذبحون عليه كثيرا}[2]، شاهدت ذلك مرارا عديدة، ولا ترفع إليه حاجة إلا قضاها[3] الحق سبحانه وتعالى، معروف بسرعة الإجابة".

وكان (مولاي)[4] عبد الله الشريف رضي الله عنه يكثر من زيارته ويوصي بها، وكان ولده سيدي محمد[5] رضي الله عنهما يكثر منها أيضا اقتداء بأبيه، ثم مولانا التهامي[6] كذلك، ثم أخوه مولاي الطيب[7] كذلك رضي الله عنهم، وقد شاهدنا ذلك المرة بعد المرة؛ يذهب (بأخبيائه)[8] وأصحابه وأتباعه، ويجلس فيه الثلاثة الأيام ونحوها، وهو رضي الله عنه مدفون قرب أبيه في ضريح خارج عنه.

ومن كلامه رضي الله عنه:

أنا حسني من (شجرا)[9] عظيما ... ويل من هو تالـــــــــه
امحبتـي مع الله مستقيـــما ... يوم نلقاه عـــــــارفه

ومنه أيضا:

أنا الحسن المسكيـــــــن ... في المسكن نغنو زمـــان

فاطمة نافع، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ودار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008، ص93.

[1]- ارغايتات: صغار وضعاف.

[2]- لمناقشة هذه المسألة، ينظر قسم الدراسة، ص: 141 وما بعدها.

[3]- "قضاه" كذا في النسختين.

[4]- في (ب) "مولانا"، وسيرد هذا الاختلاف في مواطن أخر؛ لذا ننبه عنه هنا.

[5]- هو أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله الشريف الحسني العلمي الوزاني، الشيخ الثاني في هرم شيوخ الزاوية الوزانية، ولد سنة 1040هـ/1630م، ونشأ بوزان وبها درس على يد والده مولاي عبد الله الشريف، وأخذ عنه الطريق الصوفية، توفي بوزان ليلة الجمعة 29 محرم عام 1120هـ/1708م: "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، لعلي ابن أبي زرع الفاسي، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية - الرباط، ط2، 1999م، ص: 144و 145. و"نشر المثاني"، 3/192- 195.

[6]- هو أبو عبد الله مولاي التهامي بن محمد بن عبد الله الشريف الوزاني، ولد بوزان سنة 1061هـ/1650م، وبها تلقى تكوينه العلمي والصوفي على يد والده سيدي محمد وجده مولاي عبد الله الشريف، توفي بوزان صبيحة يوم الاثنين فاتح محرم عام 1117هـ/1705م: "نشر المثاني" 3/219-227، و"الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف"، تح: جعفر بن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، ط1، 2004، ص243.

[7]- هو أبو محمد مولاي الطيب بن محمد بن عبد الله الشريف العلمي الحسني الوزاني، ولد بوزان سنة 1101هـ/1689م ونشأ بها، توفي يوم الأحد 18 ربيع الثاني عام 1181هـ/22 غشت 1767م بوزان: "الفهرسة الكبرى" لابن سودة، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002، صص140-141. و"الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية" للفضيلي، مراجعة ومقابلة: أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، ط1، 1999، 2/86: "الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي"، لمحمد أگنسوس، المطبعة الحجرية - فاس، 1336هـ/1918م، ص148.

[8]- في (ب) "بأخبيائهم".

[9]- في (ب) "شجر".

أنا الحسن (شوكت)[1] الطين نـدق[2] من لا يـــــران

ومنه أيضا:

/17أ/من بطني خرجت الشمـــس نور القمر من ضياهـــــا

كل فتاش[3] راه فتـــــش بلـدنا (ما اوطاهـــــا)

ومنه أيضا:

أنا الحسن المسكيـن والمسكن (أوطايا)[4] (وفراش)[5]

ابحر بنيت عليها (بساتن)[6] قلت انا ما (استحقلـــش)[7]

ومنه أيضا:

اكم[8] ســـرك ودگ[9] في الارض سبعين قاما

خل الناس كلما يشگ حتى لغدا يوم القياما

ومن أولاده: سيدي يحيى؛ من أولياء الله الصالحين المشهود لهم بالكرامة عند الخاص والعام، وهو مدفون قرب جده سيدي العافية رضي الله عن جميعهم.

وأما سيدي عبد الله؛ فكان من الأكابر أيضا، إلا أنه ليس له من الشهرة ما لأخيه سيدي الحسن، ودفن داخل ضريح أبيه سيدي العافية، وترك ولدا اسمه سيدي عيسى، وكان من أكابر أهل الله في الزهد والورع؛ حتى كان لا يدعى إلا (بسيدي)[10] عيسى الزاهد؛ وبهذا اللقب يعرف، ولا تجد أحدا يتكلم عليه ممن يعرفه، إلا وقال فيه: إنه من أزهد أهل الأرض، وهو- والله أعلم – مدفون مع أبيه في ضريح جده رضي الله عن جميعهم.

---

[1]- في (ب) "شكت".
[2]- "ندق" بفاء مثلثة، أي الوخز.
[3]- فتاش: من التفتيش أي البحث والتنقيب.
[4]- في (ب) "وطايا".
[5]- في (ب) "وافراش".
[6]- في (ب) "بساتن".
[7]- في (ب) "استحقليش".
[8]- "اكم": اكتم واخف واستر.
[9]- "دگ" بكاف مثلثة، كلمة عامية بمعنى: ثَبّتْ ومَتّنْ.
[10]- في (ب) "سيدي".

وأما سيدي عمر فكان من السباق لا يقيم بموضع، حيثما تريده تجده، وكان مشهورا بالإجابة، يفر منه الناس خوفا منه، مات رضي الله عنه قريبا من تطوان، ودفن ثمة بموضع لا أذكر الآن اسمه؛ ذكر لنا أن قبره مهاب معظم محترم (عند أهل ذلك البلد)[1].

حدثني بعض الثقات أن رجلا من قواد مولانا إسماعيل[2] – من قواد العبيد ممن يحكم في تلك البلاد – ترامى على رجل منهم، ففر منه ودخل ضريحه، فعمد إليه وأخرجه منه والناس (يحذرونه)[3] من ذلك، فتجرأ وفعل، قال: "فو الله ما استتم النهار حتى دخل قبره".

والشيخ سيدي محمد رضي الله عنه من أولاد سيدي / 8أ/ عبد *الله*[4] لامن، أولاد سيدي لحسن كما يتوهم؛ وهو رضي الله عنه، سيدي محمد، بن سيدي محمد، بن الفقيه الأستاذ سيدي محمد، بن سيدي عيسى، بن سيدي عبد الله، بن المتبرك[5] به حيا وميتا؛ سيدي العافية، بن الولي الصالح الساعي في المصالح، سيدي أحمد، بن سيدي عمر، بن سيدي أحمد، بن سيدي علي، بن سيدي أحمد، بن سيدي محمد، بن سيدي محمد، بن سيدي أحمد، بن سيدي إدريس العالي بالله، بن سيدي يحيى المتعالي بالله، بن سيدي علي الناصر لدين الله، بن سيدي حمود، بن سيدي ميمون، بن سيدي حمود، بن سيدي علي، بن سيدي عبد الله، بن مولانا عمر، بن مولانا إدريس الأصغر، بن مولانا إدريس الأكبر، بن مولانا عبد الله الكامل، بن سيدنا ومولانا الحسن المثنى، بن سيدنا ومولانا الحسن السبط، بن سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب، وسيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنهما.

هكذا سرد الشيخ رضي الله عنه أجداده بمحضرنا – إلى أن بلغ مولانا علي بن أبي طالب – حين تزوج الشريفة السيدة فاطمة بنت الشريف المعظم مولاي عبد الهادي الحسني الشهير بالكتاني.

---

[1]- في (ب) "عند ذلك أهل البلد" تقديم وتأخير، وما في (أ) أقرب.

[2]- هو السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف بن علي الشريف العلوي الحسني، أبو النصر وأبو الفداء، توفي سنة: 1139هـ/1727م: "البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف" لأبي القاسم الزياني، تح: رشيد الزاوية، مرطز الدراسات والبحوث العلوية - الريصاني، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، 1992م، ص174. و"زهر الأكم مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن إسماعيل"، لعبد الكريم الريفي، تح: آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1992م، ص146.

[3]- في (أ) "يجرونه".

[4]- سقطت من (ب).

[5]- التبرك: هو التماس البركة، وطلبها من شخص، أو من بعض آثاره؛ كثيابه أو ما يفضل عنه من مأكل ومشرب وغيرها. وسيأتي الكلام عنه في قسم الدراسة، مبحث المقومات الفكرية.

(وأراد)[1] كتب الصداق، فأحضر مولاي عبد الهادي المذكور؛ العدلين: الفقيه العلامة سيدي محمد بن أحمد التماق، والفقيه سيدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير، وأمرهما بكتب الصداق، فقالا له: (تعلم[2] اسم أبي الشيخ ونسبه؟ فقام الشيخ - وكان بعيدا بحيث لا يسمع كلامهما - وقال: (إني والله)[3] لولده وعبده، والله إني لولده وعبده، والله إني لولده وعبده؛ ثلاث مرات، ثم قال: والله إني لمحمد بن محمد بن محمد بن عيسىٰ، إلىٰ أن بلغ مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكرم وجهه كما ذكرنا، وسكت.

ورأيت (شجرة)[4] قديمة كتبت عام أربع وسبعين (وتسعمائة)[5] [974هـ]، ذكر صاحبها شرفاء الجبل، فكان فيمن ذكر أولاد مولاي عمر بن إدريس، وقال: إنهم (تشعبوا)[6] في القبائل في الصحرة[7] من بني چرفط، وفي زيلة، وفي أزجن؛ قرية بمصمودة نزلها منهم سيدي أحمد بن عمر، وفي جزولة؛ قرية وعليها (قضاة)[8] الوقت وعلماؤه؛ قضاة بني حسان، وغمارة، و(الخماس)[9]، وبني مستارة[10]، ومصمودة؛ بصحتها وصحة / 9 أ/ ما فيها.

حدثني بعض أهل الفضل من أولاد البقال من زاوية الحرايق من غصاوة، وقال: "إنه في جماعة من أبناء عمه؛ وقفوا علىٰ شجرة كتبت في أوائل المائة العاشرة، فيها شرفاء الجبل، عند أولاد الولي الصالح، سيدي علي بن أحمد البقال؛ ولد عم ولي الله سيدي الحاج المفضل وقريبه، إلا أن زاويته بالصدا من بني مستارة، وفيها جد الشيخ سيدي أحمد بن عمر، ورفع فيها نسبه إلىٰ سيدي عبد الله بن مولانا عمر بن إدريس، وذكر فيها: وأنه نزل لما دخل مصمودة - موضعا سمي به - ثم ارتحل منه إلىٰ أزجن، وبه توفي، وترك ولدا اسمه سيدي العافية، وترك سيدي العافية هذا أولادا ثلاثة:

---

[1]- في (أ) "وأحضر"، والأنسب ما أثبت.
[2]- في (ب) "نعلم".
[3]- في (ب) "والله إني".
[4]- في (ب) "شحرة".
[5]- في (ب) "وتسع مائة".
[6]- في (ب) "تسعبوا".
[7]- كذا كتبت، ولعل المقصود: الصحراء.
[8]- في (ب) "قضات".
[9]- في (ب) "الأخماس".
[10]- بني مستارة أو بني مسارة هي: قبيلة جبلية صنهاجية تقع شرق مدينة وزان، تجاورها قبائل بني زروال، بني أحمد- بني مزكلدة، غزاوة، سطة، رهونة. والمنتسب إليها يدعى المستاري أو المساري، والنسبة الأخيرة هي الغالبة اليوم: "الموسوعة"، عبد العزيز بنعبد الله، 115/2، و274/4.

سيدي لحسن وسيدي عبد الله، وسيدي عمر؛ وكلهم من الأولياء رضوان الله عليهم"، هذا نصه، فمن أرادها فليتطلبها عند أولاد سيدي علي بن أحمد البقال، بزاوية الصدا من بني مستارة.

ورأيت أصدقة آباء الشيخ وأجداده، ومنها ما ينيف علىٰ المائتين بهذه السلسلة.

وذكر الفقيه العلامة سيدي المهدي الفاسي[1]، في بعض النسخ من تأليفه المسمىٰ: بتحفة أهل الصديقية في أسانيد الطائفية الجزولية، الشيخ سيدي عمر الخطاب دفين زرهون[2]، وقال: "أخذ عنه الشيخ الكبير سيدي لحسن بن العافية بأزجن من مصمودة؛ شريف النسب حسني من أولاد سيدي عمر (ابن)[3] إدريس".

وحضرت ذات يوم مع الفقيه العلامة القاضي، سيدي لحسن الزغلي الشريف الحسني العمراني؛ من بني عمران من اغمارة، بدار ولد الشيخ رضي الله عنه سيدي محمد، بمدشر سيدي مشيش والد مولاي عبد السلام[4] رضي الله عنهما، وهو يقول لولد الشيخ: "يا سيدي محمد تذهب معي إلىٰ الجامع البيضاء من بني عمران؛ مقركم في القديم وتقف علىٰ دوركم واجناتكم؟، فإني لا أعرف هنالك من هو أكبر مني يعرفها إلا رجلين، وكان أبي رحمه الله، وغيره ممن كان في سنه يريني ذلك ويوقفني عليه"، فقال له ولد الشيخ: (نذهب)[5] إن شاء الله.

ثم خرج/ 10أ/ سيدي لحسن المذكور فتبعته، وقلت له: أردت من الله، ثم منك أن تعرفني أمر الشيخ، فقال: هو من مصمودة، وأصله من بني عمران، شريف النسب من أولاد (بني)[6] عمر؛ يكنون بذلك من ذرية مولاي عمر بن إدريس، فقلت: له نسبه مشهور. (فقال)[7]: ما سمعنا أحدا

---

[1]- هو أبو عيسى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي، صوفي مشهور وعالم كبير، ولد بالقصر الكبير سنة 1033هـ/1624م. توفي بفاس سنة 1109هـ/1698م: "نشر المثاني"، 3/80-83. و"معجم المطبوعات المغربية"، للقيطوني، تقديم عبد الله كنون، مطابع سلا (د.ت)، صص273-274.

[2]- زرهون: بلدة صغيرة على بعد عشرة أميال من مدينة فاس من سهل سايس، أسسها الرومان قديما وخربت من طرف الأفارقة، ثم أعاد بناءها مولاي إدريس بن عبد الله واستقر بها: وصف إفريقيا، للحسن بن محمد الوزان الفاسي، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983، 1/288، معجم البلدان، 4/388.

[3]- في (ب) "بن".

[4]- هو محمد عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر الإدريسي الحسني، من أكابر أولياء المغرب في وقته، توفي مقتولا بمؤامرة من محمد بن أبي الطواجين الثائر في بلاد غمارة، وذلك سنة 626هـ/1229م، ودفن بقنة جبل العلم: "المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى"، تح: علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1996 صص274 و296 و316 و319. والنبوغ المغربي في الأدب العربي، تأليف: عبد الله كنون (ت1989م)، بيروت - لبنان، 1975، 1/160، و2/ 366.

[5]- في (ب) "تذهب".

[6]- في (ب) "بن".

[7]- في (ب) "فقال لي".

يطعن فيه، ولا زالت دورهم عندنا تعرف بدور الشرفاء، ولقبه بابن الفقيه محدث، ودارهم دار علم وصلاح، لا يخلو زمان عن ولي منهم؛ كلما مات واحد خلفه آخر، كما لا يخلو من مقرئ منهم يحفظ العشر أو قراءة السبعة، هكذا سمعت أبي وغيره ممن أدركت يقول.

[وردة]

وأما ورده رضي الله عنه، فكان يأمرنا *عموما*[1] بكثرة الذكر والصلاة على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ويقول: "ليست لنا صنعة إلا الصلاة على النبي (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ)[2]"، وكان بعض تلامذته (يتناول)[3] التدبير من علم النار[4]، فناداه ذات يوم، وقال له: "اترك ما أنت مشتغل به، والله يغنيك، وإنما تدبيرنا وصنعتنا كثرة الصلاة على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ"، فكف عن ذلك ورجع، وكان من الأغنياء – وستأتي هذه الحكاية بأطول وأبسط من هذا – وخصوصا أن نذكر بعد ركعتي الفجر إحدى وأربعين مرة[41] |سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله|، وبعد صلاة الصبح خمسمائة[500]: |اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم|، وخمسين[50] من: |اللهم صل على سيدنا محمد وأزواجه وذرياته وعلى آله وصحبه وسلم|، ومائتين[200] من: |سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم|، ومائتين[200] من قولك: |أستغفر الله العظيم، إن الله غفور رحيم|.

وأما هو رضي الله عنه فكان من السباق، ومن أهل الإغاثة في البر والبحر، وذي الأحوال العجيبة والأسرار الغريبة، والجذب[5] القائم والقلب الهائم، والبركات الظاهرة والكرامات الوافرة، لسانه لا يفتر عن الذكر، وخصوصا عن قوله: |اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله؛ صلاة تخرجنا بها من ظلمات الوهم، وتكرمنا بنور الفهم، وتكشف ما خفي وأبهم|.

وكان رضي الله عنه يقول: "إن شيخي مولاي عبد الله الشريف كان يأمرني أن نكثر من: |اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد /111/ وعلى آله، صلاة أهل السماوات والأرضين عليه، واجر يا رب لطفك علي|، وفي رواية عنه، |واجر يا مولاي لطفك الخفي في أمري|؛ وكان يكثر منها أيضا.

---

[1]- سقطت من (ب).
[2]- في (ب) "الصلاة عليه وسلم"
[3]- في (ب) "يشتغل".
[4]- التدبير من علم النار: المقصود به في الغالب؛ علم الروحانيات من الجن وغيرها، والله تعالى أعلى وأعلم.
[5]- الجذب: عبارة عن جذب الله تعالى عبدا إلى حضرته: الكشاف، 554/1، و معجم المصطلحات/62.

[شيوخه]

أخذ رضي الله عنه عن الشيخ الرباني القطب الرباني، صاحب الكرامات العديدة والمآثر الفريدة؛ سيدي ومولاي عبد الله الشريف الحسني العلمي، عن شيخه سيدي علي بن أحمد[1] دفين صرصار، عن شيخه سيدي علي بن لحسن، عن شيخه سيدي محمد الطالب[2] دفين رأس القليعة، داخل باب الفتوح[3] من فاس، عمن حاز من مولاه أعظم المنا والجاه، قطب الزمان النوراني، سيدي عبد الله الغزواني[4]، عن شيخه سيدي عبد العزيز التباع[5]، عن شيخه سيدي محمد بن سليمان الجزولي[6]، الجزولي[6]، عن شيخه سيدي عبد الرحمان أمغار[7]، عن شيخه سيدي عثمان الهتناني[8]، عن شيخه سيدي سيدي عبد الرحمان الرجراجي[9]، عن شيخه سيدي أبي المفضـــــــــل الهندي[10]، عن شيخه سيدي

---

[1]- هو أبو الحسن علي بن أحمد الصرصري اللنجري؛ شيخ صوفي، صاحب زاوية صرصار قرب القصر الكبير، وهو شيخ مولاي عبد الله الشريف الوزاني مؤسس الزاوية الوزانية، توفي سنة: 1027هـ/1618م: "ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب"، عبد الرحمان الفاسي، تح: حفيظة الدازي، رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، طبعة مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، 1991، ص367، وقد جعل وفاته في 975هـ، و"نشر المثاني"، 1/151-152.

[2]- هو أبو عبد الله محمد بن علي بن مهدي الهواري الزمراني المعروف بالطالب، عالم متبحر وأحد أشهر المتصوفة في عصره، سكن مدينة فاس وبها مات سنة 964هـ/1556م: "دوحة الناشر"، ص59. و"مرآة المحاسن"، ص80.

[3]- باب الفتوح: هي باب شهيرة بعدوة الأندلس من فاس، كان يسمى باب القبلة فأعاد بناءه الفتوح بن دوناس بن حمامة المغراوي بعد استبداده بعدوة الأندلس، وانفراد أخيه عجيسة بعدوة القرويين، ونسبه إليه فصار يعرف باسمه: باب الفتوح: "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، لعبد الله التليدي، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1999، ص141. "جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس"، لابن القاضي، دار المنصور - الرباط، 1974، 1/48 و2/507.

[4]- هو أبو محمد عبد الله بن محمد الغزواني؛ شيخ المشايخ بالمغرب، درس بفاس ثم انتقل إلى مراكش وصحب الشيخ عبد العزيز التباع ولازم خدمته سنين عديدة، توفي بمراكش سنة 935هـ/1528م ودفن بها: "مرآة المحاسن"، صص278-281، "نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي"، للإفراني، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. الأولى1998، صص55 - 56.

[5]- هو أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع، أحد أشهر مشايخ التصوف بمراكش، تتلمذ الشيخ على يد محمد بن سليمان الجزولي وأذن له بالمشيخة: "دوحة الناشر"، صص122-123، و"سلوة الأنفاس"، 2/238-239.

[6]- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الحسني الجزولي، صوفي شهير من أهل سوس إليه تنسب الطائفة الجزولية بالمغرب، توفي مسموما سنة 870هـ/1465م: "وفيات الرسموكي"، لأحمد الرسموكي، مطبعة الساحل - الرباط، 1988، ص41. و"مناقب الحضيكي"، لمحمد الحضيكي، المطبعة العربية - الدار البيضاء، 1938، 1/223-224، و"الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام"، 5/40-103.

[7]- هو أبو عبد الله محمد أمغار الشريف الحسني الإدريسي الملقب بالصغير؛ من الشرفاء الأمغاريين أهل عين الفطر المعروفة اليوم بتيط على ساحل أزمور، وهو أحد رجال التصوف المشهورين في وقته، توفي في أواسط ق9هـ/15م، وضريحه ما يزال في بلاد أزمور: "سلوة الأنفاس"، 2/246-247. و"المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى"، ص272.

[8]- هو أبو عثمان سعيد بن عبد الله الهرثناني نسبة أرثنان من ترنانة ناحية النكور بالشمال المغربي: "المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى"، ص274. و"دوحة الناشر"، ص13.

[9]- هو أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الرجراجي، أحد شيوخ العلم بفاس، أخذ عن الشيخ أبي الفضل الهندي، وتوفي سنة 718هـ/1318م، وضريحه بواد شيشاوة من حوز مراكش: "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، لأحمد بابا التنبكتي، طبع على هامش الديباج المذهب لابن فرحون، مطبعة المعاهد، القاهرة، 1351هـ/1932م، ص165.

[10]- انفرد عبد الرحمن الصومعي بذكر الاسم الشخصي لهذا الشيخ فذهب إلى أن اسمه هو أبو الفضل محمد بن عبد الله الهندي ووقف عند هذا الحد ولم يضف شيئا كما هو حال سائر المصادر التي ذكرت هذه الشخصية الصوفية المنتمية للطريقة الشاذلية الجزولية.

عنوس البدوي[1]، عن شيخه سيدي القرافي[2]، عن شيخه سيدي عبد الله المغربي[3]، عن شيخه أبي الحسن الحسن الشاذلي[4]، عن شيخه سيدي ومولاي عبد السلام بن مشيش، عن شيخه سيدي عبد الرحمان المدني[5]، عن شيخه سيدي عبد الله التنائر، عن شيخه سيدي أبي بكر الشبلي[6]، عن شيخه سيدي أبي القاسم الجنيد،[7] عن شيخه سيدي سرىٰ السقطي[8]، عن شيخه سيدي أبي معروف الكراخي[9]، عن شيخه سيدي داود الطائي[10]، عن شيخه سيدي حبيب العجمي[11]، عن شيخه سيدي أبي الحسن

---

[1]- هو أحمد عنوس البدوي راعي الإبل؛ هذا أكثر ما ورد في ذكره عند أغلب من ترجم له: "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر"، لمحمد بن عسكر الحسني، تح: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، سلسلة1- الرباط، 1976، ص4. والإتحاف الوجيز "تاريخ العدوتين "، لمحمد بن علي الدكالي، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، 1968 4/ 510.

[2]- لعل المراد به، في هذا السند الصوفي حسب صاحب التحفة، هو الإمام أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي، نسبة إلى القرافة، وهو موضع بخارج مصر، فدفن هذا الشيخ به فنسب إليه. وهو من علماء المالكية، وهو مصري الأصل والنشأة، توفي سنة 684هـ - 1285م: "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة"، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المطبعة الشرقية - القاهرة، 1327هـ - 1909م، 127/1. و"الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، لابن فرحون، مطبعة المعاهد - القاهرة، 1351هـ - 1932م، صص62-67.

[3]- هو أبو عبد الله المغربي، أحد الزهاد المتصوفة، أخذ عن أبي الحسن الشاذلي، وقد ذكر محمد بن الطيب القادري أنه مدفون خارج تونس: "الزهر الباسم في مناقب الشيخ سيدي قاسم"، لمحمد بن الطيب القادري، مخ خ ع ر: 1778د، ص264.

[4]- هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، إمام الطريقة الشاذلية، ولد ببلاد غمارة من شمال المغرب الأقصى سنة 591هـ/1195م، توفي سنة 656هـ/1258م: "المطرب في مشاهير أولياء المغرب"، لعبد الله التليدي، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر - طنجة، ط2، 1987، ص120. "الحلل السندسية في الأخبار التونسية"، لمحمد السراج، الدار التونسية للنشر - تونس، 1970، صص856 - 874.

[5]- هو أبو زيد عبد الرحمان بن الحسين الشريف العطار المدني الشهير بالزيات؛ صوفي شهير، توفي بالمدينة المنورة في أواسط القرن السابع الهجري: "مرآة المحاسن"، ص259. و"الروض العطر الأنفاس"، ص312.

[6]- هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، شيخ صوفي ولد بسامراء ونشأ ببغداد، توفي سنة 334هـ/946م ببغداد: "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، للقاضي عياض، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الرباط، 1966-1983، 30/5 - 49. و"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، لابن خلكان، دار صادر- بيروت، 1972، 273/2 – 276، و"جامع كرامات الأولياء"، ليوسف النبهاني، المكتبة الشعبية - بيروت، ط 2، 1974، 67/2.

[7]- هو أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادي الخزاز؛ صوفي مشهور، ولد ببغداد ونشأ بها، توفي ببغداد سنة 297هـ/910م: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، لأبي نعيم الأصبهاني، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1983، 255/10. و"الرسالة القشيرية في علم التصوف"، للإمام القشيري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص18. و"الطبقات الكبرى المسماة: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار"، للشعراني، مطبعة عبد الحميد أحمد الحنفي - مصر، 1936م، 72/1.

[8]- هو أبو البقاء خالد السري بن المغلس السقطي، هو أحد كبار المتصوفة من أهل بغداد، توفي 253هـ - 867م: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، م س، 116/10، و"صفة الصفوة"، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الفكر - بيروت، 224/2.

[9]- هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، أحد أعلام الزهد والتصوف، ولد في كرخ ببغداد، واشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به، توفي سنة 200هـ/815م: "الأعلام": قاموس تراجم، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت، ط7، 1986، 490/7. وكتاب " صفة الصفوة "، 2/ 318.

[10]- هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي، من أئمة التصوف، أصله من خراسان، ولد بالكوفة ورحل إلى بغداد فأخذ عن أبي حنيفة وغيره، توفي سنة 165هـ/781م: "وفيات الأعيان"، 259/2 - 263. "حلية الأولياء"، 335/7 - 367.

[11]- هو حبيب بن محمد الفارسي المعروف بالعجمي، أحد زهاد أهل البصرة، كان معروفا باستجابة الدعاء، روى عن الحسن البصري، توفي بالبصرة سنة 125هـ/742م: "سير أعلام النبلاء"، لمحمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، 143/6. "جامع كرامات الأولياء"، 17/2.

البصري[1]، عن شيخه سيدنا الحسن بن مولانا علي، عن أبيه؛ سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن سيدنا ومولانا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. هذا هو المعروف الذي سمعناه منه، وكان يقول: "قال لي شيخي مولاي عبد الله الشريف: كذا وكذا، وأوصاني بكذا".

وحدثني/ 12أ/ من أثيق به عن الشريفة الجليلة السيدة الزهراء – بنت الشريف المعظم مولاي أحمد بن عمر الحسني العلمي، بن عم مولانا عبد الله الشريف نفعنا الله به، زوجة الشيخ رضي الله عنه – أن أم الشيخ سيدي محمد؛ حدثتها عن أول أمر الشيخ وقالت: إنه مات أبوه وتركه (صغيرا)[2] لا يعقل، ثم لما ميز أدخلته المكتب؛ عند رجل صالح كان عندنا بأزجن، فاتفق أن كان في سيدي أحمد بن عبد الله بمصمودة سابع المولود، فأراد الفقيه أن يذهب بالصبيان فأرسل إلي: تأذن لي أن نذهب بابنك مع الصبيان؟، فقلت: "على بركة الله، فذهب بهم وباتوا فيه جميعا، فلما كان وسط الليل؛ "رأى الفقيه في نومه؛ رجلين أتيا الصبيان، ودخلا وسطهم ينظران (حتى)[3] وقفا على الشيخ، فقبضاه (وألقياه)[4] على ظهره، وشقا بطنه، وأخرجا منه شيئا، وغسلاه ورداه كما كان وذهبا وتركاه"[5]، وتركاه"[5]، فقام (الفقيه)[6] فزعا مرعوبا مما رأى، ونظر إلى الصبيان؛ فإذا بالشيخ قائم في غير حاله يذهب يمينا وشمالا، فأتى به إلي، وقص علي ما رأى وأوصاني عليه، فعلمت أنه سيكون منه ما كان من آبائه وأجداده، فبقي على تلك الحال يسيح[7] في الأرض، ولا يقيم بموضع؛ حتى تلاقى مع الشيخ الشيخ مولاي عبد الله الشريف، ونزع قميصه وألبسه إياه فسكن وجلس.

وكان سيدي الهادي من البهلاء[8]؛ يأتي لدار الشيخ وهو صبي صغير، فيقرع الباب ويقول: "أين سيدي محمد الخليفة (بن)[9] محمد الخليفة، هي لك وحدك، وعبد الله الشريف يريد أن يقسمها بينك وبين ولده محمد؟! إنما هي لك وحدك، والله العلام الأخضر ما طلع إلا على داركم.

---

[1]- هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، تابعي، كان إمام أهل البصرة، توفي بالبصرة سنة 110هـ/728م: "الطبقات الكبرى" لابن سعد الزهري (ت230هـ)، تح: علي محمد عمر، ، دار صادر - بيروت، 1421- 2001، 156/7. و"الكامل في التاريخ"، لابن الأثير، دار صادر - بيروت، 1965- 1966، 155/5. "طبقات المفسرين"، لمحمد بن علي الداودي، مكتبة وهبة - القاهرة، 1972، 147/1.

[2]- في (ب) "صغير".

[3]- في (أ) "على".

[4]- في (ب) "فألقاه".

[5]- تضمين لقصة حدث شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم.

[6]- في (ب) "الفقيه المذكور".

[7]- يسيح: من السياحة وهي التجوال والترحال من مكان إلى مكان.

[8]- البهلاء: ج بهلول وهو المجذوب.

[9]- في (ب) "أين".

[تلامذته]

أخذ عنه رضي الله عنه وانتفع علىٰ يده خلق كثير، منهم؛ الشيخ الكبير والولي الشهير، العالم العامل سيدي داود التواتي دفين بلده من توات[1]، والشيخ العارف الكامل الراسخ حامل لواء المحبة والمراقبة[2] الشريف سيدي أحمد بو السباع؛ من أولاد بو السباع حوز مراكش ودفينه، وتأتي عنه كرامات، والولي/ 13أ/ الصالح البار الناصح، سيدي بوسلهام[3] الضعيفي المالكي دفين واد ورغة[4] قرب القصارات، وولده الولي الصالح سيدي الطاهر بن بوسلهام؛ وكان من الأكابر أيضا، (ودفن)[5] (ودفن)[5] قرب أبيه، والشيخ الأكبر الحاج الأبر، ذي المناقب الكثيرة والمآثر الشهيرة، سيدي الحاج أبو أبو القاسم اليازغي العتابي من (ءايت)[6] عتاب قرب تادلا، وغيرهم من المشايخ، ومنهم العبد المذنب المذنب جامع هذه الكرامات؛ أخذ عنه رضي الله عنه وانتفع منه، فـلله الحمد.

ومن بركاته رضي الله عنه؛ أني كنت جالسا في بيت من داري، صبيحة إحدىٰ وعشرين من رمضان، من عام ثلاثين ومائة وألف[1130ه]؛ إذ قيل لي في باطني: "**غفر الله لسبعمائة هكذا و لسبعمائة هكذا و لسبعمائة هكذا و لسبعمائة هكذا و لسبعمائة هكذا و لسبعمائة هكذا؛ يعني من أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي وجنبا من جهة الركن الأيمن وجنبا من جهة الركن الأيسر**".

ومن بركاته رضي الله عنه؛ أني كنت جالسا بضريح مولانا إدريس – رضي الله عنه ونفعنا ببركاته – قبل وقت صاحب السلام، إذ قيل لي في باطني ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ﴾[7] الآية، فعلمت أنه قد أذن[8] لي في القبول.

---

[1]- توات: اسم يطلق على مجموعات واحة النخيل المتناثرة في الصحراء بين بلاد الطوارق في الجنوب، والجنوب الشرقي، ومنطقة الكثبان الغربية الواسعة التي تتصل بتافيلالت، وتعتبر كورارة وكرزار وتاوريرت، كلها جزء من شريط توات.

[2]- المراقبة: استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله: التعريفات، ص180.

[3]- هو عبد الله بن أحمد بن ناصر أبو سعيد المصري الملقب بأبي سلهام، أحد مشاهير صلحاء المغرب يعرف اليوم عند المغاربة بمولاي بوسلهام، أصله من مصر، توفي 344هـ - 956م: "مرآة المحاسن"، ص106. و"أعلام المغرب العربي"، 187/2- 188.

[4]- واد ورغة: نهر بشمال المغرب، وهو موطن قبيلة ورغة التي توجد أيضا بجنوب تونس: "تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان العبر"، لعبد الرحمن ابن خلدون، تح: خليل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، 1988، 136/6.

[5]- "دفين"، كذا كتبت في جل المخطوط في (ب).

[6]- في (ب) "ءيت"، والصواب ما في (أ).

[7]- اقتباس من قوله تعالى: (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)، النحل/ 125.

[8]- الإذن: إطلاق التصرف لمن كان ممنوعا شرعا. التعريفات، ص16.

وذهبت بعض المرات، لزيارته رضي الله عنه في جمع من الفقراء، فخرج علينا ذات يوم وقال لنا: "أين هو سبب الرحمة (بالغرب؟)"، فقلنا: "سيدنا يعرف"، (فقال لنا)[1]: "سببها هو مولانا إدريس"، ثم التفت إلي وقال لي: "هنالك (تنزل ولي)[2] على المنبر، ونفعل معه خيرا كثيرا، ولا يخص ولدي حتى خير، ونعطيه حتى نرضيه"، ثم لما جئنا من تلك الزيارة، نفذ لي حاكم فاس كرسيا بمولاي إدريس للوعظ، وقد جعلني رضي الله عنه مقدما على الفقراء، وأنا مشتغل بالإقراء مع الطلبة (فجاء)[3] ذات يوم بعض الفقراء، وقال له: "يا سيدي إن فلانا مشغول مع الطلبة فقدم علينا فلانا"، فتغيض رضي الله عنه عليه، وقال (له)[4]: "والله ما قدمته /14أ/ حتى أذن لي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في تقديمه عليكم"، وقال لي رضي الله عنه: "لا تخرج من الدنيا حتى تتولى هذا الأمر"، وقال رضي الله عنه للفقراء ذات يوم: "عبد الله بن يخلف بدل مني وأنا بدل منه".

فلله الحمد، وله المنة على أن كثيرا من تلامذته يأخذه الحال الرباني، لا يشك حاضره فيه.

سمعنا منه – رضي الله عنه، وأمدنا من مدده – يقول: "والله ما ذهب أحد من أصحابي إلى أحد من المشايخ إلا وانتفعوا[5] هم به، دون أن ينتفع هو منهم، لأنهم لا يحتاجون إلى أحد في شيء".

[وفاته]

مات رضي الله عنه، ونفعنا به؛ يوم الاثنين بعد الزوال السابع من ربيع الأول عام ستة وثلاثين (ومائة)[6] وألف[1136هـ]، ودفن بزاويته التي بعقبة العيون من فاس الإدريسية حرسها الله، الله، وترك ثلاثة من الأولاد ذكورا وبنتين؛ سيدي محمد وسيدي المفضل وسيدي أحمد والسيدة عائشة والسيدة الهاشمية.

---

[1]- ما في (ب) "مطموس".
[2]- في (ب) "تنزل ولدي".
[3]- في (ب) "فجاءه".
[4]- في (أ) "لي".
[5]- في (ب) "انتفعو".
[6]- في (أ) "ومائتين"، والصحيح ما أثبت.

[أبناؤه]

أما سيدي محمد فكان صاحب سر وحال، وربما اعتراه فلا يتفطن له من حضر. حدثنا عن زوجته الشريفة الجليلة السيدة آمنة بنت الشريف المعظم سيدي محمد (بن علي)[1] أخريف الحسني العلمي أنها قالت: "إن ولد الشيخ سيدي محمد كان يعتريه الحال وهو في بيته، فيقوم يذهب يمينا وشمالا؛ وهو يذكر الله عز وجل، ويتلوا القرآن".

وكان رحمه الله معظما، مهابا كريما جوادا، يعطي ثيابه إذا لم يحضر عنده شيء، وكان يسافر بأحمال وأثقال، فيرجع وليس معه شيء مما ذهب به، وكان الشيخ رضي الله عنه يحبه ويجله، ويعمل برأيه.

مات رضي الله عنه بقرب أبيه – بينه وبينه نحو العامين – ودفن بسيدي ومولاي مشيش؛ أبو مولاي عبد السلام، رضي الله عنهما، ونفعنا وإياكم ببركاتهما، وترك ولدا ذكرا اسمه سيدي إدريس، وثلاث بنات بارك الله فيهم.

وأما سيدي المفضل فكان صاحب سر وحال عظيم، يأخذه الجذب في غالب أوقاته ويسقط على الأرض،/ 15أ/ وينادي: الله الله، ويكسوه العرق ويشرق وجهه حتى كأنه قمر. حدثني الشريف المعظم سيدي محمد، بن الشريف المحترم سيدي محمد، بن علي أخريف الحسني العلمي – أخو زوجة ولد الشيخ سيدي محمد – أنه: "أراد زيارة الشيخ رضي الله عنه في جمع من الشرفاء؛ وهو إذ (ذاك)[2] بأزجن، قال: فصنعت أقرابا صغيرا من العزف، ألقى به ولد الشيخ سيدي المفضل لصغره، فسافرنا لزيارته حتى بلغنا أزجن، وأنزلنا الحوائج بباب الدار، فكانت حوائجي في الشواري وأقراب معها فيه، وحوائج الشرفاء كلهم فوقه، وجلسنا؛ فإذا بباب الدار انفتحت، وخرج سيدي المفضل ولد الشيخ، وذهب حتى بلغ الحوائج، وجعل يتمحل هذه الحوائج ويدفعها حتى تسقط في الأرض، ثم الأخرى كذلك حتى بلغ حوائجي؛ وأدخل يده في الشواري، وأخرج أقرابا وجعله في عنقه ونحن ننظر، ودخل الدار؛ فتعجبنا من ذلك وقلنا: "لا إله إلا الله جاء قاصدا من غير أن يعلمه أحد به، اللهم لا تقطع بركة من موضعها".

---

[1]- في (ب) "بن اعلي".
[2]- في (ب) "داك".

وحدثني غير واحد من إخواننا من أهل الغرب من بني مالك[1]: أن سيدي المفضل هذا كان يذهب كثيرا للغرب، ويجلس بواد ورغة منه، عند أولاد بوعبان؛ عدوة، ويقيم عندهم المدة الطويلة؛ لأنهم كانوا يخدمون الشيخ، وكان واد ورغة يحمل[2] في وقت الشتاء؛ وسيدي المفضل بهذه العدوة، فلا يشعرون به حتى يجدونه بالعدوة الأخرى، ثم (لا يشعر)[3] به من هو في تلك العدوة، حتى يجده بهذه العدوة؛ تكرر هذا منه وشاهدوه المرة بعد المرة.

وحدثني غير واحد من إخواننا من أهل تطوان: أن سيدي المفضل ولد الشيخ؛ صلى ذات يوم بالناس بزاوية أبيه في حومة الجنوي من تطوان[4]، فأطال السجود طولا كثيرا حتى ظنوا به أنه مات، فرفعوا من سجودهم، ثم بعد رفعهم، رفع وقد كان سقط طرف حائكه[5] على الأرض، فرمى به لما رفع، فرش الناس به، فلما سلم قالوا له: "يا سيدي أطلت السجود حتى/ 16أ/ ظننا بك ما ظننا، ثم لما رفعت ورميت بثوبك أصابنا منه بلل[6] فما هو؟"، فقال رضي الله عنه: "ناس ركبوا (في البحر)[7] وأشرفوا على الغرق فاستغاثوا بنا فغثناهم".

وحدثني المكرم عبد الله (بن)[8] أحمد (المجيتي)"؛ البوعباني المالكي، وقال: "ذهبنا ذات يوم بإبل بإبل لنا؛ عليها قمح إلى تطوان بقصد البيع، فلما وصلناها وجدنا ولد الشيخ: سيدي المفضل بها، فلما أردنا الخروج، قال لنا: نذهب معكم إلى الغرب، فقلنا له: على بركة الله، فخرجنا وخرج معنا حتى إذا كنا بموضع كذا – وسماه – أصابه الحال الذي كان يعتريه، فجلس لنا وسط الطريق، فقلنا له: يا سيدي نرجع بك إلى تطوان، فقال: نعم، فأمرت من كان معي بالمبيت بمدشر هنالك، ورجعت معه

---

[1]- بني مالك قبيلة استقرت منذ ق10هـ/16م بمعية قبيلة سفيان في سهل الغرب، ويصعب تحديد المجال الجغرافي الخاص ببني مالك نظرا لانصهارهم مع قبيلة سفيان، لكن رغم ذلك يمكن القول أن معظم أراضي بني مالك تتوسط شطري سفيان الغربية والشرقية، وتتمحور حول أودية نهر مضاء في الشمال ونهري ورغة ورضات في الجنوب الشرقي، كما تحد في أقصى الشمال بأراضي الخلط وصرصر ومصمودة، أما في الجنوب الشرقي فإنها تتصل بأراضي حجاوة والشراردة. ويمثل نهر سبو الحد الفاصل بينهما وبين أرض بني حسان: "قبائل المغرب"، 423/1.

[2]- أي: يكثر صبيبه ويفيض بالماء.

[3]- في (ب) "لا يشعرون"، وما في (أ) أنسب.

[4]- تطوان: من أقدم المدن المغربية، وتقع شمالا على مقربة من البحر الأبيض المتوسط، وأشار الرهوني إلى أن اسمها هو تطاوين، وهي كلمة بربرية تعني العيون الناظرة، وخطأ من يسميها تطوان: عمدة الراوين، 34/1، الموسوعة المغربية، ملحق 143/2-144.

[5]- الحائك في اللغة الفصحة هو النساج للثياب، وفي اللسان الدارج يطلق الحايك على ثوب أبيض من الصوف ينسجه الحائك بالطريقة التقليدية المعروفة: معجم الفصحة في العامية المغربية"، لمحمد الحلوي، ص58. "معجم شمال المغرب"، عبد العال عبد المنعم سيد، ص55.

[6]- قطرات ماء.

[7]- في (ب) "البحر".

[8]- في (ب) "ابن".

حتىٰ أدخلته الدار، فقال لي: اذهب الآن، فقلت له: يا سيدي الليل والطريق مخوفة، فقال لي: اذهب ولا تخف، وإذا نمت؛ فنم وسط الطريق ولا تخرج عنها. فخرجت في تلك الساعة، فجن علي الليل[1] في الأجنة[2] التي هنالك، فجعلت أقول في نفسي: ندخل بعضها وننام، فتذكرت قول سيدي المفضل وقلت: هذه قلة النية، فتعرضت وسط الطريق ونمت كما قال لي؛ فبينما أنا نائم، إذا بشخص يضرب رجلي برجله، ويقول: يا نائم يا نائم اجمع رجلك، فجمعت رجلي ونظرت، فإذا به الدقداق؛ لص معروف هنالك بقطع الطرق والدخول علىٰ الديار، ومعه نحو من أربعين مكحلة، فذهب ولم يتكلم معي، فقمت ومررت لا أخشىٰ أحدا إلا الله، إنما كنت أخاف ذلك اللص.

رضي الله عنه ونفعنا وإياكم ببركاته آمين".

[كلامه]

ومن كلامه رضي الله عنه:

يا من ضاق أمر احيط يا رسول الله ولي احيط لا بد السراج اتجيه

وقول[3] يا أهل الإخاء تحنون (ولي)[4] ما خاه صاحبه (عياذ)[5] عليه

(وكراماته)[6] كثيرة *لا تحصىٰ*[7]، مات بقرب وفاة[8] أخيه سيدي محمد، ودفن بأزجن قرب سيدي (لحسن)[9] بن العافية، وقبره مشهور +مبني عليه+[10].

وأما سيدي أحمد/ 17أ/ فهو في غالب أوقاته صائم، ويقوم بعض الليل، وإن شئت ألا تراه إلا ذاكرا رأيته، أو تاليا فكذلك، ورأينا علماء بلدنا يعظمونه، ويحترمونه ويلتمسون منه الدعاء.

وأما السيدة عائشة، فكانت قارئة (للقرآن)[1]دينة خيرة كثيرة الصمت؛ لا تتكلم إلا فيما (يعني)[2]، ولا تغتاب أحدا، ولا تحضر في مجلس فيه ذلك، تفر من النساء ولا تجالسهن؛ هكذا يحكي لنا من رآها.

---

[1]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾، الأنعام/ 76.
[2]- الأجنة: جمع جنان أي بستان أو حديقة.
[3]- "قول"، عامية، معناها: "قل"
[4]- في (ب) "والي".
[5]- في (ب) "عياد".
[6]- في (أ) "وكرامته".
[7]- سقطت من (ب).
[8]- "وفات" كذا كتبت في النسختين.
[9]- في (ب) "الحسن"
[10]- زيادة من (ب).

وأما السيدة الهاشمية +رضي الله عنها+[3] فكانت من البهلاء الغائبين[4] مع سيدهم، لا تسحى إلا ناذرا، حدثنا عن الشريفة الجليلة السيدة آمنة (زوجة)[5] ولد الشيخ المتقدم ذكرها، أن السيدة الهاشمية – وكانت *عندها*[6] – {كانت تنعى[7] من حضر أجله من أهل الدار؛ وهو صحيح يذهب حيث شاء وتسميه باسمه، وتبكي عليه حتى تقول لها: "فما هذا البكاء يا للا الهاشمية؟ إن فلانا الذي تبكي عليه صحيح (لا بأس)[8]"، فترفع رأسها إلينا وتنظر وتقول: "لا يا أختي هو ذاهب إلى سيده"؛ وتكرر هذا منها حتى أنها ما بكت على أحد وسلم}[9].

قالت: "وإذا (كان في الدار حامل)[10] (أشرف)[11] على الولادة؛ فرحت وضحكت و(زغردت)[12]، وسمته *باسمه*[13]؛ (فإذا)[14] ازداد (لم)[15] يسم إلا بذلك الاسم"، وكانت رضي الله عنها، إذا دعت لأحد أو عليه، نال ذلك بالقرب، معروفة بسرعة الإجابة. ماتت بعد والدها بنحو من ست سينين [6 سنوات]، ودفنت مع أخيها سيدي محمد بسيدي مشيش كأختها السيدة عائشة، نفعنا الله بأوليائه أجمعين *آمين*[16].

---

[1]- في (ب) "فقيهة".
[2]- في (ب) "يغني".
[3]- زيادة من (ب).
[4]- الغائبين: من الغيبة، وهي غيبة القلب عن ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه، ثم إنه قد يغيب القلب عن إحساسه بنفسه وغيره، بوارد من تذكر في الثواب أو تفكر في العقاب، "الرسالة القشيرية"، 214/1.
[5]- في (ب) "زوج".
[6]- سقطت من (ب).
[7]- تنعى: من النعي وهو شبيه بالنياحة.
[8]- في (ب) "لابأس عليه".
[9]- ينظر قسم الدراسة، ص132، وما بعدها.
[10]- في (ب) "كان حامل في الدار".
[11]- في (ب) "وأشرف".
[12]- "زغرتت" كذا كتبت في النسختين.
[13]- سقطت من (ب).
[14]- في (ب) "حتى إذا".
[15]- في (ب) "لا".
[16]- سقطت من (ب).

الباب الأول:

فيما يرجع إليه رضي الله عنه ويختص (به)[1] من استقامة ومتابعة وحسن سريرة[2] وذكر وحال وشوق وذوق ومحبة إلى غير ذلك مما يلائم هذا النوع.

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه، وضاعف حبي وحبك في كل من أحبه وتولاه: أن هذا الولي نفعنا الله وإياك به، لم يزل من سفساف الأمور الدنية، ومساوي الأعمال الرذية، مستورا عليه / 18أ/ وقته، محفوظا (وبعين)[3] العناية الربانية، وأنوار +الكمال الرحمانية+[4]، مؤيدا ملحوظا، نشأ في عفاف وصيانة، +ومروءة وديانة، مقبلا على شأنه+[5]، آخذا (بها)[6] يعنيه، لا يشارك الصبيان في لعبهم وعبثهم، شديد الحياء والأدب، مؤثرا للعزلة[7] من صغره، يشهد له بهذا الخاص والعام، ويعترف له بذلك رجال وأقوام من أهل بلده؛ ممن خلق ونشأ بين أظهرهم، وغيرهم ممن لم يغب (عن)[8] أعينهم، ولا ينكر ذلك واحد منهم، ويقولون: "لم نحفظ عليه قط شيئا، ولا رأيناه يجاهر الله (أبدا بمخالفة)[9]، بمخالفة)[9]، هكذا سمعنا يقول: كل من عرفنا منهم ولقينا، ورأينا بأعيننا *منذ فهمنا ووعينا*[10] ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا ﴿٨١﴾﴾[11].

ولقد سمعته يقول: "والله لا أترك من السنة مقدار الخردلة"، وكان يقول: "إذا رأيت طيرا يطير، وفوق جو السماء (يصير)[12]، ولم يكن موافقا للسنة فذلك استدراج[13] أو بدعة[14]".

وكان يقول أيضا: "*بع*[1] بالسنة، واشتر بالسنة تدرك ما تتمناه"، وغير هذا من كلامه في هذا المعنى، ولم يزل معروفا بكثرة الذكر والشكر[2]، ويتحدث بنعم الله تعالى عليه على سبيل الشكر،

---

[1]- في (ب) "إليه".
[2]- في (ب) "سيرة".
[3] - في (ب) "بعين".
[4]- من (ب) لطمس كلمتين في (أ).
[5]- من (ب) لطمس خمس كلمات في (أ).
[6]- في (ب) "فيما".
[7]- في (ب) "لعزلة"، والعزلة هي الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع، التعريفات، ص126.
[8]- في (ب) "عنهم وعن".
[9]- في (ب) "بمخالفته أبدا".
[10]- سقط من (ب).
[11]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾، يوسف/81.
[12]- في (ب) "يطير".
[13]- استدراج: هو أن تكون بعيدا من رحمة الله تعالى، وقريبا إلى العقاب تدريجا، أو هو الدنو إلى عذاب الله بالإمهال قليلا قليلا، وله معاني أخرى مشابهة بتعابير مختلفة: "التعريفات"، للجرجاني، ص20.
[14]- البدعة: هي الأمر المستحدث، والجديد في الدين مما ليس منه، وما فعل بغير دليل شرعي كاستحباب ما لم يحبه الله وإيجاب ما لم يوجب الله وتحريم ما لم يحرمه الله فلا بد مع الفعل اعتقاد يخالف الشريعة...: التعريفات الاعتقادية، ص83.

ويقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾[3]، عالما عاملا بسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، متورعا لا يأتي (شبهة)[4].

رأيته يوما وهو جالس مع الولي الصالح سيدي الحاج المفضل البقال، وقد أتاه عامل (أزجن)[5] حينئذ؛ عبد السلام أمزاغ الريفي، بمائدة طعام وأنزلها بينهما، فتورع الشيخ سيدي محمد ولم يمد يده إليها، وأكل سيدي الحاج (المذكور)[6]، و(جميع من حضر)[7]؛ وهذه كانت عادته مع القواد والحكام، لا يستحيي منهم في +امتناع+[8] أكل طعامهم +إلا أني لم أحضره إلا ذلك اليوم+[9].

*وكان تلميذه الشريف الأسعد، سيدي عبد الله، بن سيدي أبي طالب الكتاني الحسني[10] بعد ملاقاته مع الشيخ وأخذه عنه مشتغلا بشيء من علم النار المسمى بعلم التدبير، فناداه الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه ذات يوم، وقال له: "أنت مشتغل بكذا وكذا؟!"، فقال له: "نعم يا سيدي"، فقال /19أ/ له رضي الله عنه: "دع عنك ذلك يغنيك الله، وصنعتنا وتدبيرنا هو كثرة الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، فامتثل وترك ذلك ولم يعد إليه، ولم يكن يملك بفاس ولو آجرة واحدة، فوسع الله عليه، وملك الدار بعد أن كان اشتراها من (...)[11] الشيخ، والطراز وغير ذلك من الأصول والدراهم. وكان السبب في أخذه عن الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه ولقيه به؛ أنه ذهب إلى الولي الصالح سيدي علي عزوز زغوان قرب تونس بقصد زيارته والأخذ عنه، فلما دخل عليه قال له: "اذهب إلى شيخك وسيدك؛ هو سيدي محمد ابن الفقيه بفاس، أما أنا فلست بصاحبي"، فشمر عن ساعد الجد، وجاء حتى قدم على الشيخ سيدي محمد وأخذ عنه، فوجد الزاوية قد شرع في بنائها،

---

[1]- سقطت من (ب).
[2]- الشكر: عرفان الجميل، وهو الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع والإذعان، فالله الشكور يجازي العبد على الشكر فسمى جزاء الشكر شكرا، وجزاء السيئة سيئة: "معجم ألفاظ الصوفية"، ص185.
[3]- الضحى/11.
[4]- في (ب) "لا يأتي حراما ولا شبهة".
[5]- في (ب) "زاجن"، وفي سائر النسخة.
[6]- في (ب) المفضل.
[7]- في (ب) "من حضر جميعا".
[8]- من (ب).
[9]- زيادة من(ب).
[10]- هو أبو محمد عبد الله بن أبي طالب بن علي الحسني الإدريسي المعروف بالكتاني، تلميذ الشيخ محمد بن الفقيه الزجني، توفي سنة 1163هـ /1750م، ودفن بزاوية شيخه بفاس: "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس"، لمحمد بن جعفر الكتاني، تح: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2004، 1/339-341.
[11]- طمس لكلمة من الأصل.

وبني منها طرف كبير، وكان الواقف على بنائها؛ أبي وابن عم الشيخ: الشريف الأسعد الأستاذ سيدي محمد بن أحمد والمرابط الخير الحبيب سيدي سعيد التدلاوي وغيرهم، فجعل سيدي عبد الله المذكور يطوف في البناء ويقول: "لو فعلتم هذا هكذا، وهذا هكذا"؛ وكان له رأي وفهم، فلما رأى الشيخ رضي الله عنه فيه القبيلية، وجهه إلى البناء وقدمه عليه، فاشتغل ببناء الزاوية ولم يكن يملك دينارا ولا درهما، فكان يطلب على الشيخ رضي الله عنه الدنيا ويجد في طلبها؛ حتى إذا كان ذات يوم ناداه الشيخ: "يا سيدي عبد الله"، فقال له: "نعم يا سيدي"، فقال له: "اتبعني"؛ فخرج الشيخ رضي الله عنه وتبعه، فلم يشعر؛ وقد ذهب قليلا حتى وجد نفسه في فدان من باذنجال- لا يدري في أي أرض الله هو- فجعل الشيخ يطوف في الفدان ويلتفت إليه ويقول له: "مثل ذلك"؛ بتلك العبارة، فيقول له: "نعم يا سيدي"، حتى إذا عزم الشيخ على الخروج من الفدان، عمد سيدي عبد الله المذكور إلى باذنجالة واحدة فقطعها وخبأها في جيبه، ثم خرج الشيخ، وتبعه سيدي عبد الله، فلم يشعر حتى وجد نفسه بباب الزاوية، فلما مد يده / 20أ/ إلى[...][1] هذه الدنيا يا سيدي عبد الله، وأكررها عليك، فكأن ذلك القدر هو الذي ملكه الله من الدنيا مع ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من الأصول، ثم آخر هذا الكلام لا يناسب هذا المحل، ولكن لما كان مرتبطا مع ضده ذكر استطرادا وتبعا*[2].

ولقد طلب منه القائد بوعلي الروصي[3]؛ أن يتركه يبني له الزاوية التي هو بها الآن، وأن يأذن له في ذلك، فامتنع وأبى، وقال له: "هذه الزاوية كمبيع محمد بن الفقيه، فيها الكتيتن متاع، ويبنيها *لما أذن له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بنائها"؛ هذه عبارته رضي الله عنه*[4].

وكان رضي الله عنه مستقيما على المحجة البيضاء، مقتفيا آثار الشريعة السمحاء، عالما ماهرا بأصول الدين[5] وفروعه[6]، يبرع في بحر المعاني روع العالم الغواص، إذا أشار إليه بدقيق *فهم*[7]

---

[1]- طمس لسطرين من الأصل.
[2]- سقط قدر صفحة ونصف من (ب).
[3]- هو أبو علي بن عبد الخالق بن عبد الله الروسي: "الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب"، لأبي القاسم بن أحمد بن علي الزياني، تقديم وتحقيق عبيد غسان، رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، طبعة مرقونة بكلية الأداب والعلوم الإنسانية - الرباط، 1992، ص743. و"زهر الأكم"، م س، ص204 .
[4]- سقط من (ب).
[5]- أي العقيدة أو التوحيد أو الفقه الأكبر: كوجود الله تعالى... والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر والجنة والنار ...
[6]- أي الفقه أو الفقه الأصغر ومسائله: كالحدود والفرائض وقضايا الحج والصيام والصلاة والزكاة والحلال والحرام ...
[7]- سقطت من (ب).

توحيد خاص، عارفا بالله تعالى وبصفاته[1] وأفعاله[2]، سالما مذهبه[3] من شوب[4] فرق المبتدعة[5] وشبههم[6]، وشبههم[6]، جاريا *على*[7] مذهب أهل السنة رضي الله عنهم في كل ما يجب في حق الله تعالى[8]، وفي حق رسله[9] صلوات الله عليهم، وما يستحيل[10] وما يجوز[11]، وكان كلامه في ذلك حسن المعنى، بسط[12] العبارة، واضح المثال، قريح الإشكال[13] لا يتعاصى فهمه[14] على العوام[15] فضلا عن غيرهم[16]، ولا يستقصى دون مفهومه[17] إلا من تولى عن باب الصدق والمحبة.

[مؤلفاته][18]:

ألف رضي الله عنه +تآليف عديدة منها+[19]:

× كتابه المسمى ب: **شمس القلوب وخرق المحجوب في معرفة علام الغيوب**.

× (وتأليفا)[20] **في سر النقطة**؛ بسبب (سؤال)[21] العالم العلامة (المشارك)[22] الفهامة سيدي أحمد بن يعقوب الولالي.

فعليك بهما، فإن فيهما غنية عن غيرهما.

---

[1]- صفات الله: مبحث من مباحث العقيدة؛ منها الصفات الواجبة، والمستحيلة، والممكنة، سبقت الإشارة إلى ذلك.
[2]- أفعال الله: هي الأفعال الخاصة بالله تعالى كالإحياء والإماتة والنفع والضر، الشفاء والمرض، والرزق، ...
[3]- المذهب: محل الذهاب وزمانه، والمصدر الاعتقاد، والطرقة التبعة، ثم استعمل فيما يصار إليه من الأحكام: التوقيف، ص301.
[4]- شوب من الشوائب، ويراد بها هنا الأخطاء والبدع.
[5]- فرق المبتدعة: أنظر البدعة قبله.
[6]- الشبه: أنظر الشبهة قبله.
[7]- سقطت من (ب).
[8]- ما يجب في حق الله تعالى: أي من صفات؛ كالوجود والوحدانية والقدرة والعلم والإرادة وغيرها.
[9]- ما يجب في حق رسله: أي من صفات؛ كالفطنة والعلم والتبليغ والأمانة.
[10]- ما يستحيل: أي في حق الله تعالى من صفات؛ كالشريك والعجز والحدوث والموت و...، وفي حق رسله؛ كالبلادة والجهل والكتمان والخيانة.
[11]- ما يجوز: في حق الله تعالى؛ كإرادته إن يوجد الإنسان على كوكب الأرض مثلا، وأن يخلق السماوات والأرض في ستة أيام...، وفي حق رسله؛ كالمرض غير المنفر والموت والغضب والفرح والحزن والعياء...
[12]- أي: بسيط التعبير.
[13]- قريح الإشكال: يسهل عليه فهم الإشكال بالقريحة والطبع.
[14]- لا يتعاصى: أي لا يستعصي ولا يصعب فهمه.
[15]- العوام: البسطاء في الفهم والمعرفة والعلم.
[16]- أي أصحاب العلم والفهم والمعرفة وفطنة والذكاء.
[17]- لا يتجاوز المعنى القريب إلى معنى أبعد منه وأعمق.
[18]- "رو الشيخ رضي الله عنه"، جملة زائدة في (ب).
[19]- في (ب) "ألف رضي الله عنه تآليف عديدة منها".
[20]- في (ب) "تأليفه".
[21]- في (ب) "سر" والصواب ما في (أ).
[22]- في (ب) "المسارك".

وكان يجالس علماء وقته ويسألونه عن المسائل، (فيجيبهم على البديهة)[1] بما يقنعهم، ويفرحون بجوابه.

ولقد رأيت الفقيه العلامة / 21أ/ المتفنن[2] المطالع الفهامة سيدي (لحسن)[3] بن رحال، أتاه وجلس معه يتكلمان في (علوم)[4] *شتى*[5]، ويسأله ويجيبه +وتكرر ذلك، وكان يأتيه بالليل، فيجلسان يتكلمان في العلوم ليلهما، إلى أن يطلع الفجر، ويصليانه بوضوء عشائهما+[6]؛ وقد (ذكر)[7] سيدي (لحسن هذا)[8] في جواب له *سئل فيه*[9] (عن)[10] تابغة[11]، وقال: إن بعض أهل الباطن[12] "*أخبرني أن أهل الباطن*"[13]، مجمعون على تجريمها؛ ويعني *ببعض*[14] أهل الباطن *الشيخ*[15] سيدي محمد؛ (لأنه)[16] سأله *عن ذلك*[17] لما سئل عنها، وأجابه بذلك.

(ولقد أتاه)[18] الفقيه العلامة المشارك الأديب *الفهامة*[19] (سيدي محمد المسناوي الدلائي)[20] (مرة)[21] حين صلى العشاء بمولاي إدريس، والشيخ بمدرسة الصفارين قبل أن يسكن (بفاس)[22]، فلما تلاقى مع (الشيخ)[23]، جعل الفقيه المذكور (يتأدب)[24] *مع الشيخ، والشيخ يتأدب*[25] معه ويستصغر

---

[1]- في (ب) "ويجيبهم بديهة".
[2]- سقطت من (ب).
[3]- في (ب) "الحسن".
[4]- في (ب) "العلوم".
[5]- سقطت من (ب).
[6]- زيادة من (ب).
[7]- في (ب) "نظر له"
[8]- في (ب) "الحسن المذكور".
[9]- سقط من (ب).
[10]- في (ب) "على".
[11]- كلمة مطموسة.
[12]- أهل الباطن: نسبة إلى الباطن، ينظر: "الباطن" مما سبق.
[13]- سقط من (ب).
[14]- سقطت من (ب).
[15]- سقطت من (ب).
[16]- في (ب) "فإنه".
[17]- سقط من (ب).
[18]- في (ب) "وأخبرني من "أثيق به أن".
[19]- سقطت من (ب).
[20]- في (ب) "محمد المسناوي والدلائي".
[21]- في (ب) "أتاه".
[22]- في (ب) "فاس".
[23]- في (ب) "الشيخ المذكور".
[24]- في (ب) "يتأذب" والصواب ما في (أ).
[25]- سقط من (ب).

نفسه بين يديه ويحقرها، وجعلا يتكلمان في مسائل العلم إلى أن طلع الفجر، وصلياه بوضوئهما ذلك، وكان +رضي الله+[1] لا يأتي بلدا إلا اجتمع عليه علماؤها *رضي الله عنه*[2].

ذهب[3] مرة إلى مكناسة الزيتون؛ فاجتمعوا عليه، وكان فيمن اجتمع (عليه منهم)[4] الإمام العلامة الدراكة +الفهامة+[5] سيدي سعيد العميري فسأله (وقال)[6] له: "يا سيدي محمد، لماذا لا تحبون تحبون إلا من يأتيكم بشيء من أمور الدنيا؟"، فقال له رضي الله عنه: "إنا إذا أتانا إنسان بشيء من أمور الدنيا علمنا زهده[7] وعدم حرصه فيها، فأحببناه لذلك، لا لما يأتينا به، وإذا لم (يأتنا)[8] بشيء، علمنا حرصه وعدم زهده فيها، وأنها بقلبه بمكان، فلم (نحبه)[9] لأجل ذلك"، فقال سيدي سعيد: "أشهدكم على أني قد سلمت[10] (إليه)[11] وإنه لولي الله حقا"؛ وكان سيدي سعيد (هذا لا يسلم لمطلق الناس)[12].

وسأله *مرة أخرى*[13] رضي الله عنه +بعض العلماء+[14] (وقال)[15] له: "يا سيدي محمد إن معشر الفقهاء[16] إن حضرنا مجلسا كانت (فيه)[17] هيبة، ولا يحضره طعام وأنتم معشر الصوفية[18] إن حضرتم مجلسا كان فيه بسط[19] وحضره الطعام؟"، فقال له رضي الله عنه: "نحن جماليون[20] وأنتم جلاليون[1]"، ففرح +العالم+[2] بهذا الجواب وعجب منه.

---

[1]- من (ب)، والتقدير: رضي الله عنه.
[2]- سقط من (ب).
[3]- في (ب) "وقد ذهب".
[4]- في (ب) "منهم عليه".
[5]- من (ب).
[6]- في (ب) "بأن قال".
[7]- الزهد: في اللغة؛ ترك الميل إلى الشيء، وعند أهل الحقيقة: هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخاو قلبك مما خلت منه يدك: التعريفات، ص99.
[8]- في (ب) "يأتينا".
[9]- في (أ) "نجبه".
[10]- التسليم: في هذا السياق يعني عدم الاعتراض.
[11]- في (ب) "له".
[12]- في (ب) "المذكور لا يسلم لأحد".
[13]- سقط من (ب).
[14]- من (ب).
[15]- في (ب) "بأن قال".
[16]- الفقهاء: هم علماء الشريعة من فقه وأصول.
[17]- سقطت من (ب).
[18]- الصوفية: نسبة إلى التصوف؛ أي المهتمون بعلم الطريقة والحقيقة، وهم - كما يقول الجنيد - القائمون مع الله تعالى بحيث لا يعلم قيامهم إلا الله، الكشاف: 1102/2.
[19]- بسط: فرحة وسرور.
[20]- جماليون: من الجمال؛ وهو نعوت الرحمة والألطاف من الحضرة الإلهية، والأنس منا: التوقيف، ص129، والموسوعة، ص250.

[في أحواله وأخلاقه وأشواقه وأذواقه]

وأما أحواله وأخلاقه[3] وأشواقه وأذواقه[4]؛ فكان رضي الله عنه / 22أ/ لا يحضر مجلسا يذكر الله *فيه*[5] تعالىٰ ويثنىٰ عليه فيه، أو يمدح فيه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، إلا عظمه ووقره وظهر عليه الخشوع والانكماش، (واقشعر)[6] جلده وبكىٰ تارة للتأسف والحزن، وتارة يظهر في وجهه طلعة الحسن ويتمايل تمايل الغصن، وربما قام قلقا وجلس وصاح، فيجد حاضروه عند ذلك من الشوق والذوق ما تكاد به أنفسهم أن تحرق وأرواحهم *أن تزهق*[7]؛ وهذا كان يقع للحاضرين في حالة بسطه، ومعاملته لهم بلحظات التعرف بالفرح والسرور، وربما كان يعتريه قبض[8] عند السماع[9]، فيلزم الحاضرون السكون وعدم الحركة، و(الصياح)[10]، لتمام هيبته عليهم وغلبة وقته أوقاتهم، وقهرهم تحت ثقل همته؛ وهذه علامة المحبة ونتيجة صحة الحال؛ لأن من اتصف بحال (لن يخلوا حاضروه)[11] منه.

(وأما الحلم والإغضاء عمن ظلمه)[12]، (فكان)[13] له من ذلك الحظ الوافر، *لا يبالي بشيء من ذلك وإن واجهه به أحد*[14]، +وها أنا بث [أبث] لك حكاية وقعت له بعض الأحيان تدلك علىٰ أنه كان من أهل الحلم والعفو والصفح بمكان، حدثني بعض الثقات؛ أنه رضي الله عنه كان جالسا بإزاء حائط بالقرية الزجنية، ومعه كثير من الناس، ولم يشعروا بجلوسه معهم، فتنوع بعضهم في

---

[1]- جلاليون: من الجلال؛ وهو العلو والقهر من الحضرة الإلهية، والخضوع والهيبة منا، الموسوعة، ص250.
[2]- من (ب).
[3]- أخلاق: ج خلق؛ وله تعاريف عديدة منها: قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق، (..)، والخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر...: الموسوعة، ص329.
[4]- أذواق: ج ذوق؛ في اللغة: وجود الطعم في الفم، وفي الاصطلاح: هو عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب ولا غيره...: التوقيف، ص172.
[5]- سقطت من (ب).
[6]- في (ب) "اقسعر".
[7]- سقط من (ب).
[8]- القبض: حالة بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء مع البسط، فهو للعارف كالخوف للمستأنف، التوقيف، ص267 بتصرف.
[9]- السماع: عبارة عن استجمام من تعب الوقت وتنفس لأرباب الأحوال واستحضار الأسرار لذوي الشواغل، معجم ألفاظ الصوفية، ص176.
[10]- في (ب) "الصياح والارتعاج".
[11]- في (ب) "لن يخلو حضره".
[12]- في (ب) "وأما الحلم عمن ظلمه والإغضاء".
[13]- في (ب) "فقر".
[14]- سقط من (ب).

غيبته، واستمر عليها ساعة، فلما قاموا قام معهم من بينهم وقال: أذن المؤذن العشاء فأجابه من أجابه منهم وذهبوا، ولم يزد عليهم شيئا كأنه لم يكن حاضر[حاضرا] إذ كانوا+[1].

[1]- زيادة من (ب).

الباب الثاني:

في أخباره رضي الله عنه *بمرتبه وكتابته لبعض أهل الوقت أو لأصحابه*[1]، وثناء أهل الفضل والصلاح عليه قديما وحديثا، في البداية والنهاية، ومكاتبتهم *له*[2] وإخبارهم بمراتبه وعلو شأنه، وأنه صاحب الوقت، فريد العصر.

حدثنا *الشيخ*[3] الحلوي؛ وكان يتعاطى الطب بباب العطارين من فاس الإدريسية: "أنه اجتمع معه في الحانوت ذات يوم أقوام"، قال: "فاشتغلنا بالكلام في مراتب الأولياء حتى قال بعضنا: يا (إخواني)[4]، (يعلم)[5] الله هل القطب موجود؟ وإذا كان ففي +أي+[6] أرض هو؟، فإذا بالشيخ الكامل، سيدي محمد بن الفقيه؛ مارا بباب الحانوت (على)[7] حماره الذي (كان)[8] يركبه، وتلميذه السيد عبد السلام الحلفاوي وراءه يتبعه، *فأوقفه*[9]"، وقال: "أنا القطب، أنا الجرس، أنا الغوث، أنا الوتد، ومن قال +له عقله+[10] شيئا فها أنا؛ ووقف حينا، وبعضنا ينظر إلى بعض، ولم يلهمنا الله أن/ 23أ/ نسأله شيئا حتى ذهب، وندمنا".

وسمعنا منه رضي الله عنه يقول: "{والله إني لأعرف بالطرق في السماء في من الأرض"، وسمعناه أيضا يقول: "والله إني لأعرف الطرق (في)[11] السماء، أكثر من حوائج دارنا"}[12]، وسمعناه أيضا يقول – وقد قال له بعض أصحابه – : "يا سيدي محمد، أردنا أن يكثر إخواننا من الفقراء"، *فقال له رضي الله عنه*[13]: "والله لو أخرجت مقدار هذه – وقبض على أنملة أصبعه الصغيرة – ما تركت مورد الشيخ، ولكن (لا يزاحم على الثقل إلا من لا عنده عقل)".

---

[1]- سقط من (ب).
[2]- سقطت من (ب).
[3]- سقطت من (ب).
[4]- في (ب) "خواني".
[5]- في (ب) "بعلم".
[6]- من (ب).
[7]- في (ب) "فأوقف".
[8]- في (ب) "وكان".
[9]- سقطت من (ب).
[10]- زيادة من (ب).
[11]- في (ب) "من".
[12]- ينظر قسم الدراسة، ص: 132 وما بعدها.
[13]- سقط من (ب).

وسمعناه يقول: {"إني أدفن هنا"}[1]؛ ويشير إلى موضع دفنه، ثم أرفع إلى البقيع[2]، ومن شك في هذا الأمر، فليحفر علي بعد الدفن"، فقال له بعض أصحابه: "وعلى من يكون اجتماعنا يا سيدي؟"، فقال له: "إني هنا وثمة؛ ألا ترى: آنية العسل[3]؛ إذا كسرت وجمع العسل، أيبقى شيء في في الموضع الذي انكسرت فيه؟" فقال: "نعم يا سيدي"، فقال: "كذلك أنا"[4]".

ومما هو "شائع وذائع"[5]، *ومعلوم عند الناس*[6]؛ أن الفقيه العلامة سيدي محمد بن العلامة البركة سيدي عبد القادر الفاسي[7] أرسل إلى الشيخ *رضي الله عنه*[8] بعض أصحابه، وقال له: "قبل يده"، وقل له: "نريد من الله، ثم منك أن تقدم إلي نتبرك بك، وإن كان الواجب علينا أن نأتيه نحن، ولكن قل له عذري"، وكان زمنا، فجاءه الرجل؛ وهو رضي الله عنه في الزاوية مع أصحابه، وقال له ذلك، فقال له +رضي الله عنه+[9]: "إن أطلقنا الله ذهبنا إليه"، فمرت أيام؛ فبينما نحن جلوس بالزاوية، إذ قال رضي الله عنه: "نذهب إلى سيدي محمد الفاسي"، ثم قام وذهب؛ فذهب معه الشريف الأمجد مولاي إدريس كرمون العلمي، والشريف الأسعد مولاي العربي الكتاني، والشريف الأرضى سيدي إدريس ناصح؛ حتى دخلوا دار بن قدار من حومة القلقليين؛ وكان سكناه بها، فلما رأى الشيخ رحب به، وفرح به غاية، وعظمه واحترمه؛ والشيخ يستصغر نفسه، وجعل يعتذر (إليه)[10] في/ 24أ/ إرساله وراءه، وإن ذلك منه سوء أدب، (ثم قال)[11] له +رضي الله عنه+[12]: "يا

---

[1]- ينظر قسم الدراسة، ص: 132 وما بعدها.

[2]- هي مقبرة المدينة، تقع في الناحية الجنوبية للمدينة المنورة خارج سورها الحديث، وأول من دفن بالبقيع هو الصحابي عثمان بن مظعون: "الاستبصار في عجائب الأمصار"، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية - الدار البيضاء، 1985، ص: 42. و"معجم البلدان" 43/1.

[3]- "الغسل"، كذا في النسختين، والصواب ما أثبت.

[4]- سقط من (ب).

[5]- في (ب) "شائع ذائع".

[6]- سقط من (ب).

[7]- هو أبو محمد عبد القادر بن علي الفاسي، أحد كبار شيوخ العلم بالمغرب خلال ق11هـ/17م، ولد بالقصر الكبير ودرس هنالك، ثم انتقل إلى مدينة فاس التي قضى بها بقية حياته، توفي بفاس سنة 1091هـ/1680م: "مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار"، لأحمد الولالي، تح: عبد العزيز بو عصاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، ط1، 1999، صص296-298. و"فهرس الفهارس"، لعبد الحي الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982، صص763-771.

[8]- سقط من (ب).

[9]- زيادة من (ب).

[10]- في (ب) "له".

[11]- في (ب) " فقال".

[12]- من (ب).

سيدي محمد أردت أن أسألك، (وفي سؤالي)[1] سوء أدب"، (فقال له)[2] *رضي الله عنه: لا عليك*[3]، سل"، فقال له: "*سمعنا*[4] بك تقول: إني سماوي، *إني*[5] أعرف الطرق في السماء أكثر من الأرض؟"، فقال له الشيخ *رضي الله عنه*[6]: "نعم"، فقال له: "هل في البحر المكفوف سمك؟"؛ فأدخل الشيخ رضي الله عنه رأسه معه، وبقي كذلك قدر ما يقرأ القارئ (﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[7] ثلاثا)[8]، وكشف عن وجهه وأشار بيده؛ فرش الماء منه، جميع من كان حاضرا، وقال له: "والله لقد فتشه الرجال ركنا، بعد ركن، فما وجدوا فيه غير هذا الجوان[9]"، وفتح يده؛ فإذا فيها اثنان من الجوان، الجوان، فارتفعت إحداهما، ونزلت على رأس الشريف، سيدي إدريس كرمون، ثم قام الشيخ رضي الله عنه وخرج.

وحدثنا أخونا الولي الصالح، سيدي الحاج أبو القاسم اليازغي العتابي – أحد تلامذة الشيخ، وقد تقدم ذكره – قال: "حدثه أخونا الولي الصالح، العالم الشريف سيدي أحمد بو السباع؛ – من تلامذة الشيخ أيضا، وقد تقدم ذكره *أيضا*[10] – وقال[11]: "إنه قدم على الولي الصالح، سيدي محمد، بن القطب مولانا عبد الله الشريف – رضي الله عنهما، ونفعنا وإياكم ببركاتهما – وجلس عنده سنين، فلم يعطه الله على يديه شيئا، ثم ولده الشيخ الكامل القطب مولانا التهامي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته كذلك"، فقلت: "نذهب إلى مولاي عبد السلام، فذهبت حتى بلغت ضريحه، فجلست به يومين، ثم لما كان اليوم الثالث، وأنا أمام روضته *رضي الله عنه*[12] مستقبل القبلة مستيقظا[13]؛ رأيت كأن تلك الجبال اندثرت، وصارت الأرض مستوية، ورجلين مقبلين من ناحية القبلة؛ بيد أحدهما ضوء أمام الأخر، حتى بلغا إلي، فقال أحدهما: "السلام عليكم"، فقلت: "عليكم السلام ورحمة الله

---

[1]- في (ب) "وفي هذا السؤال".
[2]- في (ب) "ثم قال له".
[3]- سقط من (ب).
[4]- سقطت من (ب).
[5]- سقطت من (ب).
[6]- سقط من (ب).
[7]- الإخلاص/1.
[8]- في (ب) "ثلاث قل هو الله أحد".
[9]- في (ب) "الجيوان".
[10]- سقطت من (ب).
[11]- في (ب) "قال".
[12]- سقط من (ب).
[13]- في (ب) "مستيقظ".

وبركاته، فقال +لي+[1]: "اذهب إلى سيدي محمد (ابن)[2] الفقيه: هو أعلى[3] مني مْقامْ، هو أعلى مني مْقامْ مْقامْ هو أعلى مني مْقامْ"؛ ثلاث مرات، ثم صار يرق ويتلطف كهيئة الحنش/ 25أ/ ودخل الروضة من الطاق[4] الذي هنالك"، قال: "فبت ليلتي تلك إلى أن طلع الفجر، (فتوضأت)[5] وصليت، ثم ذهبت متوجها إلى سيدي محمد (ابن)[6] الفقيه؛ حتى بلغت القرية الزجنية، فبحثت عنه، فقيل لي: إنه "بالسيد"، فذهبت إليه، فوجدته، ومعه أناس كثيرون، فلما أشرفت عليه رضي الله عنه، ضحك وقال *لي*[7] قبل أن أتكلم بشيء: "مرحبا بمرسول مولاي عبد السلام، مرحبا بمرسول مولاي عبد السلام، مرحبا بمرسول مولاي عبد السلام؛ +ثلاث مرات+[8]، رضي الله عنهما، ونفعنا وإياكم ببركاتهما"، قال: "فبقيت معه إلى أن رزقني الله تعالى على يده، ما رزقني والحمد لله".

فانظر رحمك الله، وتفكر في مقام هذا الولي، وماذا بلغ مع سيده، حتى شهد له بذلك هذا القطب الكامل؛ الذي *شهد له بالقطبانية، و*[9] اتفق (عليها)[10]، في مشارق الأرض ومغاربها.

وحدثني الفقيه النزيه الخير الدين سيدي أحمد الورياقلي: "أن مولاي محمد بن مولاي إسماعيل؛ لما قام على أبيه وانتقم عليه ما كان يفعله، وعزم على محاربته"، بعث إلى الشيخ الرباني، سيدي محمد، بن الولي الكامل القطب مولانا عبد الله الشريف – رضي الله عنهما ونفعنا ببركاتهما – مع بعض أصحابه يستشيره في أمره، وما يريده، ويقبح فعل أبيه، (فقال له)[11] سيدي (محمد المذكور)[12]: "إنا محاجر[13]، لا نقول شيئا، ولا نفعل أمرا؛ إلا عن إذنه ومشورته"، فقال له: "ولمن يا سيدي؟"، فقال: "لسيدي محمد ابن الفقيه، جعل له أبونا مولاي عبد الله الشريف النظر، وأخذ

---

[1]- من (ب).
[2]- في (ب) "بن" والصواب ما في (أ).
[3]- في (ب) "أعلا".
[4]- الطاق هو: ما عطف من البناء فجعل كالقوس، من قنطرة ونافدة وما أشبه ذلك، أصلها فارسي، ينظر: "معجم شمال المغرب، عبد العال عبد المنعم سيد، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968، ص135.
[5]- في (ب) "توضأت".
[6]- في (ب) "بن".
[7]- سقطت من (ب).
[8]- زيادة من (ب).
[9]- سقطت من (ب).
[10]- في (ب) "قطبانيته".
[11]- في (ب) "فقال".
[12]- في (ب) "محمد بن مولانا عبد الله الشريف".
[13]- محاجر: من الحجر وهو المنع.

علينا، ألا نفعل شيئا؛ إلا عن إذنه ومشورته"، فقال له: "يا سيدي ترسل إليه؟"، فقال: "لا أقدر"، فقال: "وكيف العمل؟"، قال:

(تصبر)[1] – حتىٰ يتفق؛ أن يقدم مجلس الرسول – سبعة أيام"، (ثم لما)[2] كان اليوم الثامن، جاء الشيخ سيدي محمد *بن الفقيه*[3]، فقال سيدي محمد بن عبد الله للرسول: "هذا سيدي محمد بن الفقيه قد جاء"، فقام إليه الرسول ولقيه، فقال له الشيخ سيدي محمد بن الفقيه +رضي الله عنه+[4] علىٰ البديهة؛ قبل أن يقول له الرسول شيئا: "مالك يا أخي؟ والله إن لم ينته، لتقطعن يده ورجله، *والله إن لم ينته لتقطعن يده ورجله،/ 26أ/ والله إن لم ينته لتقطعن يده ورجله"؛ ثلاث مرات*[5]؛ ويشير بيده رضي الله عنه إلىٰ يده ورجله +ثلاث مرات+[6]، فغضب الرسول حينئذ وذهب، فقال له سيدي محمد بن *مولاي*[7] عبد الله الشريف: "يا سيدي +محمد+[8] (ما هذا وددنا)[9]؛ إن *لو*[10] وافقته علىٰ ما يريد"، فقال له: "إن مولاي إسماعيل يعمل ويبقىٰ، والله لو تولىٰ هذا؛ لترون معه العجب".

وحدثني من أثيق به "أن الشيخ رضي الله عنه بينما +هو+[11] جالس في جماعة إذ قال: "ارفدوه ارفدوه، ما زالت حاجة الناس فيه"، فقال له بعض من حضر: "ما هذا يا سيدي؟"، فقال لهم: "قوموا إلىٰ ذلك الموضع؛ +موضع قريب وانظروا+[12]"، فقاموا ونظروا، فوجدوا أثر حافر[13] فرس قد ذهب في الأرض، فجاءوا[14]، وقالوا له: "يا سيدي إن به أثر حافر فرس"، فقال لهم رضي الله عنه: "إن مولاي إسماعيل قد هوىٰ به الفرس في موضع كذا (في)[15] حركّة القويعة، فأرسل أهل الوقت

---

[1]- في (ب) "تصير" والصواب ما في (أ).
[2]- في (ب) "حتى".
[3]- سقط من (ب).
[4]- زيادة من (ب).
[5]- سقط من (ب).
[6]- زيادة من (ب).
[7]- سقطت من (ب).
[8]- زيادة من (ب).
[9]- في (ب) "ما وددنا هذا".
[10]- سقطت من (ب).
[11]- من (ب).
[12]- زيادة من (ب).
[13]- حافر: أي قدم.
[14]- في (ب) "فجاءو".
[15]- في (ب) "من".

(يستشيروني)[1] فيه، هل يأخذوا بيده، أو يدعوه؟" فقلت لهم: "خذوه ما زالت حاجة الناس فيه"، فقيدوا[2] ذلك الوقت، من ذلك اليوم، فوجد كذلك؛ وأن فرسه قد هوىٰ به، حتىٰ ظنوا أنه قد وقع به به ما وقع.

وحدثني الفقيه الخير، الأستاذ سيدي محمد بن الولي الصالح، سيدي عمر بن غانم المالكي دفين *واد*[3] ورغة، وقال: "إنه سمع أباه – سيدي عمر المذكور– يقول: ما من ولي في زمننا هذا؛ إلا إلا ويتخلف قوله، إلا ما كان من سيدي محمد بن الفقيه، وسيدي علي بن حمدوش – ووليين آخرين سماهما، لم (يحضرني)[4] (الآن اسمهما)[5] – فإن قولهم لا يتخلف".

وكان الولي الصالح مولاي قاسم بن رحمون الحسني[6] يقول – إذا سئل عن سيدي محمد بن الفقيه–: "{لقد انقطع عنا خبر السماء منذ مات سيدي محمد بن الفقيه}"[7].

وحدثنا *أيضا*[8] الفقيه *الأستاذ*[9] سيدي محمد *بن سيدي عمر بن غانم*[10] المذكور +أعلاه+[11]، *وقال*[12]: "إن أباه *الولي الصالح*[13] سيدي عمر المذكور؛ لقي ذات يوم الشيخ سيدي محمد، بن الفقيه رضي الله عنهما، فقال له الشيخ: "يا سيدي عمر، أنهاك أن تأكل طعام *أحد*[14] مصادفة، *أو عن / 27أ/ أن تأكل طعام المصادفة"، *قال*[15]؛ وكان أبوه إذ ذاك عازما، علىٰ زيارة شيخه، الولي الصالح *البركة*[16] سيدي محمد الشرقي[1] رضي الله عنه (ونفعنا ببركاته)[2]، قال: "فعزم

---

[1]- في (ب) "يستشيرني".
[2]- في (ب) "فقيد".
[3]- سقطت من (ب).
[4]- في (ب) "يحضر لي".
[5]- في (ب) "اسمهما الآن"، تقديم وتأخير بإشارة من الناسخ.
[6]- هو أبو محمد قاسم بن محمد ابن رحمون الزرهوني ثم الفاسي، مقدم الزاوية الوزانية بفاس، توفي بفاس يوم الاثنين 7 ذي الحجة عام1149هـ - 8 أبريل 1737م: "نشر المثاني"، 3/389-392. و"من أعلام التصوف بمدينة فاس خلال القرن الثامن عشر": سيدي قاسم ابن رحمون الزرهوني الفاسي، لمحمد العمراني، مجلة عوارف، عدد مزدوج 4-5، سنة 2010م، صص213-246.
[7]- إشارة إلى قصة: ما أصاب المسلمين من المصيبة بوفاته صلى الله عليه وسلم: البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774هـ)، مكتبة المعارف - بيروت، 1410هـ - 1990م، 5/273 إلى 276.
[8]- سقطت من (ب).
[9]- سقطت من (ب).
[10]- سقط من (ب).
[11]- زيادة من (ب).
[12]- سقطت من (ب).
[13]- سقط من (ب).
[14]- سقطت من (ب).
[15]- سقط من (ب).
[16]- سقطت من (ب).

أبي علىٰ الزيارة[3]، وذهب حتىٰ بلغ تادلا، فلقيه؛ أولاد الشيخ، وفرحوا به"، قال: "فدخل علىٰ أحدهم؛ وكان يحسده حين كان يأتي بالركب والهدايا، فوجد عنده طعاما؛ قد جعل له فيه سما، وهيأه له، فقدمه (إليه)[4]، فأكل منه"، قال: "فما هو إلا أن سقط علىٰ الأرض، فجاء؛ أولاد الشيخ، وتغيروا علىٰ ذلك، وكادوا يقتتلون فيما بينهم، ثم أتوه بالأطبة وعالجوه؛ حتىٰ وجد بعض الراحة"، قال: "(ثم قدم)[5] أبي إلىٰ موضعه، وبعث صاحبه فلان الفلاني - لرجل سماه - *إلىٰ*[6] الشيخ سيدي محمد، ابن الفقيه يطلب منه الدواء"، قال: "فذهب الرجل، فوجد الشيخ *سيدي محمد*[7] بطرف السوق، مدخلا رأسه معه، فوقف عليه"، فقال له، قبل أن يتكلم ومن غير أن يخرج رأسه،: "يا ودي كيف كان ذاك سيدي عمر؟!"؛ وضحك، ثم قال: "ألم أكن نهيته عن طعام المصادفة؟ ثم قال: "قد كنت هيأت له دواء، حين قلت له ذلك[8]، قال: "ثم وقف عليه ولده؛ سيدي محمد بعيدا منه، ولم يتكلم"، فقال له *الشيخ رضي الله عنه*[9]: "لم لم تشتر شيئا؟" فقال له: "يا سيدي لم نجد من يبيعه لي بست (مزونات)[10]"، فقال له: "اذهب *إلىٰ موضع*[11] كذا من السوق، من ناحية كذا تجد رجلا +تمه+[12] يبيعه لك بتلك القيمة"، فذهب، ثم لم يزل الرسول واقفا؛ حتىٰ جاء ولد الشيخ *سيدي محمد*[13] المذكور وفي يده شواري، *قال*[14]: "ولم ندر قبل قوله لوالده: لم نجد من يبيعه +لي+[1]،

---

[1]- هو أبو عبيد الله محمد المدعو الشرقي بن أبي القاسم الزعري الجابري ثم الرتمي، توفي سنة 1010هـ - 1601م ودفن بأبي الجعد: "ممتع الأسماع"، للمهدي الفاسي، صص149-155. و"ابتهاج القلوب"، لعبد الرحمن الفاسي، صص212- 216.

[2]- في (ب) "ونفعنا به وببركاته".

[3]- في (ب) "على زيارة شيخه".

[4]- في (ب) "له".

[5]- في (ب) "فقدم".

[6]- سقطت من (ب).

[7]- سقط من (ب).

[8]- في (ب) "كذالك".

[9]- سقط من (ب).

[10]- في (ب) "موزونات"، ج (مزونة): وهي قطعة فضية صغيرة كانت تطلق على كل درهم ينقص وزنه عن الوزن الشرعي مثل موزونة مولاي رشيد وموزونة مولاي إسماعيل، وساد هذا الاستعمال إلى النصف الثاني من ق18م بعد إصلاح السلطان سيدي محمد بن عبد العلوي سنة 1766م، فأصبح مصطلح الموزونة لا يطلق إلا على ربع الدرهم الشرعي وليس على مطلق الدراهم الناقصة، وعلى ربع الأوقية (24 فلسا). وظل هذا التحديد للموزونة طوال ق19م. وفي بداية ق20 (1903م) جعل السلطان مولاي عبد العزيز الموزونة عبارة عن قطعة نحاسية تقابل سنتيما واحدا طبقا للنظام العشري الأوربي: "مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر"، أغا عمر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، ط1، 1988، ص418. و"النقود المغربية في القرن الثامن عشر"، أغا عمر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، ط1، 1993، ص147 (هامش 31).

[11]- سقط من (ب).

[12]- من (ب).

[13]- سقط من (ب).

[14]- سقطت من (ب).

وجواب الشيخ له؛ حتىٰ رأيت في يده الشواري، فوقف في موضعه أولا، ولم يتكلم أيضا، فقال له: (قد باعه لك الشيخ رضي الله عنه)[2]، فقال له: "نعم يا سيدي"؛ وهذا كله، والشيخ +رضي الله عنه+[3] مدخلا رأسه معه، لم يخرجه قط، ثم قال *رضي الله عنه*[4] لولده سيدي محمد المذكور: "اذهب إلىٰ البيت الفلاني من الدار، وخذ شيئا من الليم؛ هو في سقف البيت/ 28أ/ في كذا، واعطه لصاحب سيدي عمر هذا"، ثم قال له: "اقرأ سيدي عمر مني السلام"؛ وكان الشيخ رضي الله عنه يقول: {والله لأنفع صاحبي وأنا ميت، أكثر مما أنفعه وأنا حي}[5].

وكان يقول: "صاحبي والله لا أسقيه بكأس ولا بغيره؛ ولكن أقبضه، وأرميه في بحر المصطفىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ"، وكان يقول: "الشيخ الكامل؛ هو الذي؛ لا يقول لصاحبه صل صم؛ ولكن يقبضه، ويقول له: ها أنت وربك ونبيك".

*وكان رضي الله عنه يقول: "والله ما نحتاج علىٰ الله دليل"، وكان يقول: "والله ما بيني وبين النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كذا"، ومصدق ذلك أنه كان يقول: "قال لي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: قلت لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ".

وكان يقول: "والله ما اجتمع أصحابي، إلا وكان الساقي وسطهم. وقال رضي الله عنه: أنا قطب الأقطاب، ويدي علىٰ سائر الأقطاب من قاف إلىٰ قاف*[6].

وكان رضي الله عنه يقول: "الناس يسألون جهنم ويقولون *لها*[7]: هل فيك *أحد*[8] من أصحابنا؟ {(وأنا والله ما لها علي، ولا علىٰ أحد من أصحابي سبيل، لأني سعيد ومن عرفني سعيد)[9]}[10]، وإذا كان (واحد)[11] في الدار محسوبا علي، فالدار كلها محسوبة علي".

---

[1]- من (ب).
[2]- في (أ) " الشيخ رضي الله عنه قد باعه لك".
[3]- زيادة من(ب).
[4]- سقط من (ب).
[5]- ينظر قسم الدراسة، ص: 133 وما بعدها.
[6]- سقط من (ب).
[7]- سقطت من (ب).
[8]- سقطت من (ب).
[9]- في (ب) "وأنا سعيد ومن عرفني سعيد والله ما لها علي ولا على أحد من أصحابي من سبيل".
[10]- ينظر قسم الدراسة، ص: 132 وما بعدها.
[11]- في (ب) "واحدا".

وكان يقول: "إن مولاي عبد السلام كان يقول في دعائه: |اللهم لا تبعث لنا من ختمت عليه بالشقاوة|، وأنا أقول مثل ذلك، ودعاء القطب مستجاب. وكان يقول: "إن مولاي عبد السلام كان علىٰ الطابع، وأنا عليه اليوم". وكان يقول: "إن شيخي مولاي عبد الله الشريف كان يقول: {(اعلا يا الموت)[1] اليوم، والبعث غدا، وترىٰ مقام الرجال عند سيدها. وأنا أقول: اعلا يا الموت اليوم، والبعث اليوم، وترىٰ مقام الرجال عند سيدها"}[2].

وكان يقول: {والله لأجوزن (الصراط)[3] مع أصحابي بالعلوم، والجلالة؛ حتىٰ يقال: "من هذا؟، فيقال: إنه محمد بن الفقيه وأصحابه"}[4].

/ 29أ/ *وقال رضي الله عنه: {نقف مع صاحبي عند أربع عقبات: عند خروج روحه، وعند سؤال الملكين، وعند الميزان، وعند الصراط}[5].

وقال رضي الله عنه: {لا يدخل النار؛ من حضر جنازتي، وإن كان يهوديا، أسلم}[6].

وقال (رضي الله)[7] [عنه]: {نحشر يوم القيامة، ومعي أصحابي في مكان مرتفع، وبأيدنا راية بيضاء، فيقول أهل المحشر: "من هؤلاء؟"، فيقال لهم: "محمد بن الفقيه وأصحابه"}[8].

وكان رضي الله عنه يقول: {"والله؛ لأصحابي مع أصحب النبي، صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ واحدا بواحد"}[9]، وقال رضي الله عنه: {"قال لي جدي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: هذا موضعك في الجنة، وموضع أولادك"}[10].

وقال رضي الله عنه: {"قال لي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: اكتب لي أسماء أصحابك؛ فكتب الفقراء أسماءهم في رقعة ودفعوها له"، ثم قال لنا رضي الله عنه: "والله ما دفعتها إلا في يد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ"}[11]

---

[1]- في (أ) "علا يا لموت"، وكذلك كتبت في الذي بعده.
[2]- ينظر قسم الدراسة، ص: 132 وما بعدها.
[3]- في (ب) "الصرط" والصواب ما في (أ).
[4]- ينظر قسم الدراسة، ص: 133 وما بعدها.
[5]- ينظر قسم الدراسة، ص: 133 وما بعدها.
[6]- ينظر قسم الدراسة، ص: 133 وما بعدها.
[7]- "رضي الله"، مكررة في الأصل.
[8]- ، ينظر قسم الدراسة، ص: 133 وما بعدها.
[9]- ينظر قسم الدراسة، ص: 133 وما بعدها.
[10]- ينظر قسم الدراسة، ص: 133 وما بعدها.
[11]- ينظر قسم الدراسة، ص: 133 وما بعدها.

وقال رضي الله عنه: "مقامي هذا، لم يتقدم إلا لرجلين"، ويسمىٰ صاحب هذا المقام بالقاضي، والخاضري".

وقال رضي الله عنه: "كنت أسمع في بدايتي؛ إذا خلوت: "يا محمد بن الفقيه، أنت من الذين تفضل الله عليهم".

وقال رضي الله عنه: "مقام النبوة، والولاية، لا مجال للعقل فيهما"*[1].

وحدثنا عن الشريفة الجليلة السيدة آمنة بنت الشريف المعظم سيدي محمد (اخريف)[2] الحسني العلمي- زوجة ولد الشيخ، سيدي محمد المتقدم ذكرها- أنها قالت: "(إن مولاي التهامي، بن محمد، بن *مولانا*[3] عبد الله الشريف، *رضي الله عن جميعهم*[4]؛ جاء ذات يوم إلىٰ دار الشيخ، سيدي محمد بن الفقيه، وقرع الباب، فقيل للشيخ *سيدي محمد*[5]: "إن مولاي التهامي بالباب، فخرج إليه إليه *فاتبعناه، وقلنا: "ننظر إليهما*[6]، (فأشرفنا)[7] علىٰ موضع عال في أسطوان الدار؛ (لنرىٰ ما يفعلا، يفعلا، فرأينا مولاي)[8] التهامي يتأدب مع الشيخ، ويلين *له*[9] في الكلام، ويقول *له*[10]: "يا سيدي سيدي بلغنا، وأن السلطان مولاي إسماعيل سخط علينا، / 30أ/ وأرسل إلينا الخيل"، فقال الشيخ: "لابأس إن شاء الله، *لا بأس إن شاء الله*"[11]، (فقال)[12] له مولاي التهامي: "يا سيدي إن خرجت الجرة ظريفة أتيتك بقطيفة[13]"؛ ويكررها، والشيخ يقول: "لابأس إن شاء الله"، فذهب مولاي التهامي، ودخل الشيخ، فما بلغ مولاي التهامي وزان، حتىٰ وجد الخبر؛ بأن السلطان قد عفا عنهم وأرسل خيلا *بذلك*[14]، وقال لهم: (إن لم تبلغوا قبل بلوغ خيل)[15] *السخط*[16]، فعلت بكم كذا

---

[1]- سقط قدر صفحة من (ب).
[2]- في (ب) "خريف".
[3]- سقطت من (ب).
[4]- سقط من (ب).
[5]- سقط من (ب).
[6]- سقط من (ب).
[7]- في (ب) "وأشرفنا".
[8]- في (أ) "فرأينا مع".
[9]- سقطت من (ب).
[10]- سقطت من (ب).
[11]- سقط من (ب).
[12]- في (ب) "فذهب".
[13]- قطيفة: نوع من الزرابي لها جودة عالية كانت منتشرة وبكثرة إلى عهد قريب، وبالأخص لدى الأسر الميسورة.
[14]- سقطت من (ب).
[15]- في (ب) "الخيل الذين تقدموكم".
[16]- سقطت من (ب).

وكذا"، فلحقوا بهم قرب وزان وردوهم، ثم لما كان +من+[1] الغد؛ (سمعنا بأسطوان دار الشيخ سيدي محمد حسا)[2]، فأشرفنا *ننظر ما هو*[3]؛ فإذا بمولاي التهامي مع أصحابه يجر قطيفة *مولاي *مولاي التهامي، وبعض أصحابه يجر*[4] من ناحية الدار"، و(البعض الآخر من أصحابه)[5] يدفع عليهم، فخرج الشيخ إليه وجعل يستصغر نفسه +إليه+[6] (ويعتذر، ومولاي التهامي يقول له)[7]: "إنما "إنما هذا من بركاتك"، قالت: "فذرعنا[8] تلك القطيفة، فوجدنا فيها (سبع عشرة)[9] ذراعا".

(وحدثنا)[10] الجم الغفير من أهل بلده: "أن مولاي التهامي *رضي الله عنه*[11] كان يأتي لدار الشيخ، فيقال للشيخ: إن مولاي التهامي بالباب +وأراد الذهاب+[12]، فيقول: قولوا له: إن كانت حاجتي (فليذهب)[13]، وإن (كانت)[14] حاجته فليصبر"، قالوا: "فما كان مولاي التهامي يذهب حتى يخرج إليه".

وحدثني المرابط الخير السيد الطاهر الزجني أصلا، البناي حرفة، وقال: "لقد رأيت الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، والشيخ مولاي التهامي رضي الله عنهما، ومولاي التهامي جالس بين يدي سيدي محمد، جلسة المتعلم بين يدي المعلم[15]".

وحدثني الشريف الأمجد (سيدي محمد، بن سيدي محمد أخريف العلمي الحسني)[16] أخو زوجة ولد الشيخ *سيدي محمد*[17] المتقدم (ذكرها)[18]، وقال: "كنت ذات *يوم جالسا*[19] مع الشيخ

---

[1]- من (ب).
[2]- في (ب) "سمعنا حسا بأسطوان الدار".
[3]- سقط من (ب).
[4]- سقط من (ب).
[5]- في (ب) "غيره وأصحابه".
[6]- زيادة من في (ب).
[7]- في (ب) "ويعتذر له، ويقول مولاي التهامي".
[8]- أي: حساب طولها بالذراع، فالذراع وحدة قياس للمسافة قديما، ويقدر بحوالي نصف متر.
[9]- في (ب) "سبعة عشر".
[10]- في (ب) "حدثني".
[11]- سقطت من (ب).
[12]- زيادة من (ب).
[13]- في (ب) "فيذهب".
[14]- سقطت من (ب).
[15]- سقط من (ب).
[16]- في (ب) "سيدي محمد خريف بن سيدي محمد الحسني العلمي".
[17]- سقط من (ب).
[18]- في (ب) "ذكره".
[19]- سقط من (ب).

سيدي[1] مولاي محمد بن الفقيه، فقلت في نفسي: "والله لأحرضنه"، فقلت له: "يا سيدي؛ هذه مدة، وأنا أتبعك، ونريد أن نسمع منك شيئا، كما سمعناه من غيرك"، فقال لي: "مثل ماذا؟"، فقلت له: "مثل ما سمعنا عن سيدي يوسف التليدي[2]؛ وذلك أن رجلا / 34ب/ +خرج[3] من داره، وقد جعل معه حديدا يذهب به إلى الحداد؛ يصنع به شيئا، فوجد الصلاة قد أقيمت في الجامع على سيدي يوسف التليدي، فصلى، ومعه الحديد، ثم لما فرغ من صلاته ذهب إلى الحداد، وأعطاه إياه نهاره يطبخه[4]، ويخرجه، فيجده باردا، لم تؤثر النار فيه شيئا، فذهب به إلى سيدي يوسف التليدي، وقال له ذلك، فقال له رضي الله عنه: {"نحن نقول: من رأى من رآنا لا تأكله النار، فكيف بمن صلى وراءنا؟!"، فقال له الشيخ؛ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه حينئذ: وأنا أقول: "من رأى من رآنا إلى عشر، لم تحرق عظامه النار"}[5]، ولقد رأيناه واجتمعنا معه، والحمد لله دائما.

وعن الفقيه العدل الخير السيد عبد الخالق جموع؛ "أن أباه حدثه، وقال له: بينما نحن ذات يوم بوزان مع الفقراء، في دار مولاي التهامي، بن محمد نفعنا الله به، إذ قال الفقراء لمولاي التهامي: أردنا سيدي فلان، يحضر معنا هذه الليلة؛ وكانت تلك[6] مطرة، كثيرة الشتاء، فقال لهم مولاي التهامي: عليكم بسيدي محمد بن الفقيه، وارغبوه يسوقه لكم، فرغبه الفقراء، وقام رضي الله عنه إلى باب البيت؛ ونادى: يا فلان، يا فلان، يا فلان؛ فإذا به معنا يمسح النوم عن عينيه، وليس في ثيابه بلل رضي الله [عنه]، وأفاض علينا من بركاته؛ رأى هذا كل من حضر من الفقراء، ويشهد به".

ومما حدث به بعض الفقراء الصالحين، وكتبه، قال: "ضاق بي الحال / 35ب/ في بعض الأوقات، فانقطعت إلى الله تعالى، وصرت أسأله، وأتضرع إليه؛ أرجوا منه الفرج سبحانه، ودمت على ذلك؛ نحو من عشرة أيام، فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوتا يقول: عليك بأخيك سيدي محمد بن الفقيه، فالتفت فرأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكرم وجهه، والشيخ الكامل؛ مولاي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، والشيخ الجيلاني يقول: اقرأه مني

---

[1]- سقطت من (ب).

[2]- يوسف بن الحسن التليدي، شيخ صوفي من أصحاب الشيخ الغزواني، توفي سنة 948هـ ودفن بقبيلة بني تليد إحدى قبائل غمارة قرب شفشاون حيث كانت له زاوية: "دوحة الناشر"، ص17. "سلوة الأنفاس"،191/1.

[3]- "حرج"، كذا في (ب)، والصواب ما أثبت.

[4]- أي: يصهره.

[5]- ينظر قسم الدراسة، ص: 133 وما بعدها.

[6]- الإشارة عائدة على الليلة، والتقدير: "تلك الليلة".

السلام، وبشره بأن الوعد الذي وعده الله سبحانه قد قرب، فعند موت هذا القطب يتولى الخلافة بعده، وتواضع له ما استطعت فإنه فريد العصر، وصاحب السر، ولو تواضعت له؛ حتى تخرج تبلغ تخدم الأرض، ما أديت منه للسر الذي أودع الله تبارك وتعالى فيه، وقل له بحيث لا يطلع عليكما أحد إلا الله: عليك بقطب الأذكار الذي عليه المدار ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلذِے لَآ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ ﴿٢٣﴾﴾[1]، إلى أن وصل إلى اسم من أسماء الله تعالى؛ معلوم معين في آيات الحشر ووقف، ثم ذكر اسما آخر بعده وحده؛ ووقف عليه أيضا، فلما ذكر هذا الاسم مفردا عن غيره زج في ذهني معاني، لا تكاد أن تنحصر في حقيقة ذلك الاسم، وفي آداب الذكر، والتوجه إلى الله تعالى، وتبادرت لفهمي علوم، يعجز اللسان عن التعبير عنها، فتعجبت من تبادر تلك المعاني لفهمي دفعة واحدة بلا مشقة، فذهبت إليه وفعلت ما أمرت به من التواضع، والخضوع بين يديه رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، وقبلت يده ورجليه، والأرض التي نعليه[2]، فلما فعلت ذلك، كوشفت / 36ب/ بما كوشفت به أولا؛ من السر، حتى وراني جميع ما رأيت، وسمعت المنادي الذي ينادي؛ يتلوا آية من كتاب الله عز وجل تبشر بالرضى والقبول وتؤذن بالفتح المبين ونيل غاية المراد والمأمول، ففتح لي من جنبي، فوالله من يومئذ، والبحر الذي فتح لي فيه وشاهدته؛ أمسى يصير نقطة في البحر الذي فتح لي فيه، وأشهده في يومين من الأنوار المحمدية والأنوار الأحمدية، بل البحر الذي أشهده في اللحظة الأولى؛ يصير متلاشيا مضمحلا في الذي أشهده في اللحظة الثانية، فبقيت كذلك ما شاء الله من السنين، وأنا كلما شربت منها ما يغلب على ظني؛ أنه لم يجتمع في قلب أحد، ما اجتمع في قلبي منها، نظرت إلى ما في قلب الشيخ سيدي ومولاي؛ محمد بن الفقيه رضي الله عنه، وما اجتمع فيه منها، فأجد جميع ما اجتمع في قلبي من تلك البحار؛ على عدد اللحظات المذكورة في السنين العديدة متلاشيا مضمحلا، فيما في قلبه رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٥﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِے ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[3]، الذي هو على ما هو عليه، وله الحمد على ما أنعم به علينا؛ من بعثة خاتم النبيئين والمرسلين، وإكرامنا بسيد الأولين

---

[1]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلذِے لَآ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾، الحشر/ (22).

[2]- التقدير: "والأرض التي تحت نعليه".

[3]- الجاثية/ (35 - 36).

والآخرين، وتخصيصنا بخيرته ومصطفاه من الخلق أجمعين. وجزىٰ الله تعالىٰ هذا النبي الكريم عنا، بأفضل ما جوزي به نبي عن أمته، وأصحابه الذين اتبعوه ونصروه، ومن آمن به وأحبه. وجزىٰ الله تعالىٰ عنا هذا الشيخ الكامل سيدي ومولاي؛ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، ونفعنا به آمين، وأمدنا من علومه، وأحواله كما تفضل علينا برؤيته / 37ب/ [مشاهدة][1]، ورحمنا بخطابه غير ما مرة، ونظر إلينا الرأفة والشفقة، واختار لنا أقرب طريق وأعلا طبقة، ولم يكتف في شأننا بالإشارة والرمز، ولا اقتصر علىٰ تلويح منام أو لغز، بل أرشدنا رضي الله عنه؛ بصريح كلامه مقبلا علينا يقظة بوجهه الوجيه، وهدانا إلىٰ الحق بباطن الإشارة، وظاهر العبارة، فدلنا عليه أي دلالة، ونبهنا عليه أي تنبيه، قائلا بسره الباطن: إنما حجب السالكين علىٰ الوصول، وعلىٰ الواقفين عن [غاية][2] المراد والمأمول الأنفة، عن [وارث][3] سر خير نبي عليه الصلاة، وأكرم رسول، وبلفظه الطاهر، ألا يا أولي الألباب إن أردتم أن يخرق لكم كل حجاب؛ فهذا فريد العصر، عليكم بالخضوع لديه، وصاحب السر المشار إليه، وعنا[4] به سيدي ومولاي محمد المدعو؛ بابن الفقيه رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته، وجزاه الله تعالىٰ عنا أيضا بأفضل جزائه، كما أعاننا علىٰ التمكن من امتثال نفسنا الأمارة ما أمرنا به من التعظيم[5] وجود بره وإحسانه، وبشر وجهه وإقباله، ولذيذ كلامه وخطابه، ثم رضي عنا من ذلك بالقليل، فنلنا برضاه؛ برضىٰ الله تعالىٰ عنه ما لا يغلىٰ بالحتف من رضىٰ الجليل، وإلا فمن تخشىٰ من تدي رضاه، من لبس الأسرار الربانية، وترد من موارد سناه من العلوم اللدنية والأذواق العرفانية بحرا زاخرا، وسرا باطنا وظاهرا، ﴿شَرَاباً طَهُوراً ﴿٢١﴾﴾[6]، وتتلقىٰ بنظرة واحدة من لحظاته نظرة ﴿وَسُرُوراً ﴿١١﴾﴾[7]. كيف تطمع أن تقوم بشيء من حق الواجب عليك، ولو صرت في خدمته ﴿هَبَآءً مَّنثُوراً ﴿٢٣﴾﴾[8]، لكن نطلب من الله سبحانه أن يبقي قلبنا متلبسا بكسوة الانكسار؛ لدوام العلم بعجزنا عما يجب لكل واحد منهم / 38ب/ رضي الله تعالىٰ عن جميعهم، ونفعنا ببركاتهم، قبلنا من المحبة

---

[1]- "مشافهة" كذا في (ب).
[2]- "عاية" كذا في (ب).
[3]- "واث"، كذا في (ب).
[4]- لعله حذف شيء في هذا السياق.
[5]- مقدار ثلاث كلمات غير مقروءة.
[6]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴿٢١﴾﴾، الإنسان/ (21).
[7]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴿١١﴾﴾، الإنسان/ (11).
[8]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُوراً ﴿٢٣﴾﴾، الفرقان/ (23).

والإجلال والتعظيم والوقار، متبرئين من الحول والقوة في جميع الأحوال ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[1]، متوكلين عليه سبحانه في جزاء ساداتنا الأخيار، علىٰ ما لهم علينا من الحقوق العظيمة الأقدار، فذلك أجدر أن يقلب الله سبحانه سحائب قلوبهم النورانية، برياح العاصفات الرحمانية، تصب علينا أمطار الأسرار؛ حتىٰ تهتز، وتربوا بمشاهدة الحضرة الذاتية، والعظيمة الإجلالية وتنبت ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾[2] من طيبات أشجار المعارف الربانية، والعلوم الإلهية من أرض نفوسنا، سائر الجهات والأقطار، إنه علىٰ ذلك قدير وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد المصطفىٰ الكريم، وعلىٰ آله وصحبه، وسلم تسليما".

من خطه رضي الله عنه ونفعنا به.

ومما حدثنا به الفقيه الأجل النبيه الأفضل سيدي عبد المومن التسولي؛ صاحب الفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الله الفلالي، لدىٰ ورده علينا من المشرق، في شهر الله ذي القعدة عام ثلاثين ومائة وألف [1130هـ]، قال: "لقد لقيت جماعة من صالحي المشرق؛ وكلهم يثنون علىٰ الشيخ البركة سيدي محمد، بن الفقيه الزجني، ويسألون عنه ويسلمون عليه حين أردت القدوم إلىٰ المغرب.

فمن مكة والمدينة أعزهما الله تعالىٰ، وحرسهما وشرفهما: الجرس سيدي جعفر رضي الله عنه، أوصاني وقال لي: "اقرأه منا السلام، واطلب لنا منه الدعاء الصالح"، وكذلك أيضا الشيخ سيدي عقيلة والشيخ النجاري، والشيخ سيدي محمد الوليدي؛ وهو نجل سيدي خالد / 39ب/ بن الوليد رضي الله عنه، وكذلك أيضا الشيخ سيدي محمد العابد، والشيخ سيدي علي الدليمي، والشيخ سيدي محمد الخصاصي؛ فهؤلاء أهل مكة والمدينة رضي الله تعالىٰ عنهم، ونفعنا ببركاتهم.

ومن رجال مصر: الشيخ سيدي أحمد أبو النور، ومن رجال إسكندرية: الشيخ البركة سيدي علي الجناوي، والشيخ العلامة؛ سيدي علي المغربي، والشيخ سيدي إبراهيم الراس.

قال سيدي عبد المومن المذكور: "ورجال إسكندرية هؤلاء كلهم قالوا لي: "سلم لنا عليه، والله الله أطلب لنا منه المدد".

---

[1]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾، غافر/ (15).
[2]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾، ق/ (7).

ولقد سمعت سيدي عبد الرحيم الأنهاري؛ يتحدث بالقدوم إلى المغرب، بقصد زيارة سيدي محمد بن الفقيه، وملاقاته معه رضي الله عنه، ونفعنا به، وقال سيدي عبد المومن أيضا: "والله لقد سمعت الناس بمكة المشرفة يقولون: إن سيدي محمد بن الفقيه هو القطب".

ومن رجال المغرب الشيخ العارف بالله تعالى؛ سيدي محمد بن أحمد اليعقوبي رضي الله تعالى عنه القاطن بملوية، قال سيدي عبد المومن المذكور: "ولما قدمت من المشرق ومررت به، سألني عن سيدي محمد بن الفقيه، وقال لي: ما رأينا في وقتنا هذا مثله". ولقد تلاقينا مع الشيخ سيدي أحمد بن ناصر نفعنا الله به، والشيخ سيدي محمد بن أبي زيان، وما رأينا مثل هذا الشيخ، في العلم الموهوب. رضي الله تعالى عنه، وأفاض علينا من بركاته آمين".

وعن الحاج محمد السطي الشفشاوني الأصل، الزجني الدار؛ أنه لما حج وذهب إلى المدينة المشرفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، لقيه خطيب المدينة المشرفة، وسأله عن الشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه، وطلب له منه الدعاء الصالح، قال: "ولم يكن يعرفني قبل ذلك؛ فتعجبت حين /40ب/ سألني دون من هنالك من الناس الذين ليسوا من بلاد الشيخ، نفعنا الله ببركاته آمين".

وعن المرابط الخير الحاج علي الصحراوي: أنه لما كان بمكة شرفها الله، ذهب إلى الإمام الشهير الجرس سيدي جعفر رضي الله عنه قال: "فلما دخلت عليه، قال لي قبل أن يسألني: أنت من المغرب، اقرأ مني السلام لسيدي محمد بن الفقيه، ثم قال لي: والله <لو علم الناس ما فيه لأتوه حبوا>[1]، وعلى أذقانهم، وإنه لمن المقربين عند الله تعالى، ومن جلاس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنه لصاحب أوقات مكة، ولا يصلي إلا فيها".

ثم قال الحاج علي المذكور: "ولقد رأيت أنا والله: سيدي محمد بن الفقيه بعيني في مكة رضي الله عنه، وأفاض علينا من بركاته".

---

[1]- إشارة إلى الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهاموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوا هما ولو حبوا"، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب (الصلاة)، باب (تسوية الصفوف)، ص368.

وعن الخير المرابط سيدي عبد الرحمان بن يناس؛ أنه سمع من الشيخ سيدي جعفر نفعنا الله تعالى به، قال له بعد تجويبه (به)[1]: "أنت من أصحاب الأشراف، أنت من أصحاب بن الفقيه؛ أسد الله، الله فيه واصلوه".

وسمع أيضا الشيخ سيدي محمد العابد يقول له: "أتعرف سيدي محمد بن الفقيه"، قال: "فقلت له: نعم"، فقال: "واصلوه، الله الله فيه، إنه صاحب سر".

وسمع أيضا من صاحب طيلون – واسمه سيدي يوسف؛ والله أعلم – يقول له: "إن سيدي محمد بن الفقيه يحضر مع أهل الدائرة، ولم يغب من مكة، وهو في المشرق والمغرب".

وسمع أيضا من سيدي أبي النور يقول له: "أتعرف سيدي محمد بن الفقيه" قال: "فقلت: نعم، فقال لي إنه من الأسد"؛ وكل هذا حين ذهبت إلى الحج، رضي الله عنه، وأمدنا من بحره آمين.

وحدثني من أثيق به، ولا أشك في صدقه: "أنه كان ذات يوم، مع بعض شرفاء مكة أعزها الله تعالى؛ قرب دار القائد عبد الرحمان الروسي، فلقيهم الشيخ/ 41ب/ رضي الله [عنه] هنالك" قال: "فسألني البعض بأن قال لي: ما اسم هذا الشيخ؟، فقلت لهم: سيدي محمد بن الفقيه، فقالوا لي: نعرفه من مكة، والله ما غاب عنا يوما واحدا".

وسمعت بعض تلامذة الولي الصالح سيدي سعيد، بن سيدي يوسف الحنصالي نفعنا الله به يقول: "إنه سمع من الشريف المنيف سيدي محمد بن عبد الله المكي – ولد أخت الجرس سيدي جعفر– يقول: هل تعرفون ركنا من أركان (بلدكم)[2]"، قال: "فقلنا له: ومن هو يا سيدي؟"، فقال: "هو سيدي محمد بن الفقيه، فقلنا له: نعرفوه، فقال: لا تعرفوه أنا الذي (أعرفه)[3]، وأعرف مقامه، فقلنا: وما مقامه يا سيدي؟ فقال: مقامه في الركن اليماني من مكة، والله واحد ما ينگاس عليه، ولا يجلس في مكانه سواه، وشهدت ذلك بعيني"، قال: "فقلنا: والله يا سيدي؛ ما غاب من مكانه ولا حج"، فقال: "والله ما شهدته إلا بعيني مرارا عديدة، ولا في المغرب نظيره أبدا".

فالله تبارك وتعالى يجعلنا من المحسوبين عليه دنيا وأخرى، وفي التاسع من المحرم عام ثمانية وعشرين ومائة وألف [1128هـ].

---

[1]- لعلها زائدة.
[2]- "ببلدكم"، كذا في (ب)، وما أثبت أنسب.
[3]- "نعرفوه"، كذا في النسخة (ب).

وعن المرابط الخير السيد محمد بن عبد الله الجباري المصمودي: أنه لقي رجلا من الصحراء؛ أتىٰ لزيارة مولاي عبد السلام، نفعنا الله وإياكم ببركاته، فقال – الجباري المذكور للصحراوي –: إن سيدي التهامي مات رحمه الله، فطاحت لنا به ركيزة"، فقال له الصحراوي المذكور: "إذا مات بقي عندكم سيد، هو القطب؛ وهو سيدي محمد بن الفقيه نفعنا الله ببركاته".

وحدثني غير واحد ممن حضر ذات يوم مع الشيخ رضي الله عنه: "أن الولي الصالح سيدي عمر بن غانم؛ كان قد حضر ذات يوم مع الشيخ، فاعترا سيدي عمر المذكور حال، وجعل يقول: {"يا سيدي محمد بن الفقيه، والله من رأىٰ من رآك إلىٰ عشر لا أحرقته النار"}[1].

/ 42ب/ ولما أمر مولانا إسماعيل بقبض أشياخ الغرب في المجسن[2] بمحروسة مكناسة، و كان قد اتفق للشيخ؛ أن قدم إليها إذ ذاك، فسمع به الأشياخ المذكورون؛ وكانوا تسعة وثلاثين[39][3] رجلا، وبعثوا له بالمرغبة[4]؛ ليقف عليهم بالسجن، فأجابهم وجاء إلىٰ أن وقف بباب السجن، ففرحوا وسروا بلقيه، وكان بالسجن المذكور الولي الصالح سيدي محمد بن عبد الله المكي، الشريف؛ ولد أخت الجرس سيدي جعفر، فقام مسرعا وجعل يقول: "هذه والله رائحة بن الفقيه جاء، ادعوه لنا، ادعوه لنا؛ قبل أن يرىٰ ذاته ولا سمع كلامه، ولا حدث بمجيئه"، فلما رأىٰ الشيخ قام إليه، ورحب به، واشتغل يطلب منه أخذ العهد إلىٰ لقاء الله، فأخذ الشيخ رضي الله [عنه] في احتقار نفسه، ووصفها بالقلة والضعف، والفقر والعجز، ويقول: ايش[5] هو أنا، حتىٰ يتخذ معي العهد! فانقبض سيدي محمد المكي المذكور، وقام واقفا، وقال لأحد من جلسائه: "قم بوح سيدي محمد بن الفقيه سلطان الأولياء"؛ وكررها سيدي محمد ثلاثا، وقال: "والله سمعتها من الجرس خالي جعفر، والله سمعتها من المصطفىٰ، والله سمعتها من المصطفىٰ، والله سمعتها من المصطفىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعلىٰ آله، أنت معروف في السماء، أنت معروف في السماء، أنت معروف في السماء".

ونقلت من خط سيدي محمد الدرعي؛ مقدم الولي الصالح، سيدي سعيد بن يوسف الحنصالي ما نصه: " سمع كاتب الحروف؛ محمد الدرعي المذكور، من سيدي يوسف بن سعيد يقول: سمعت

---

[1]- ينظر قسم الدراسة، ص: 133 وما بعدها.
[2]- لعل بها تحريف أو تصحيف لكلمة المسجن؛ بمعنى السجن.
[3]- في (ب) "وثلاثون"، والصواب ما أثبت.
[4]- أي: الاستعطاف والتودد.
[5]- أي: من أكون.

أبي يقول: {"إن من صلىٰ خلف، سيدي محمد بن الفقيه، ابن العافية+[1] / 31أ/ الشريف الزجني +المصمودي+[2]، لم تأكل لحمه النار"}[3]، والحمد لله علىٰ ذلك حرفا حرفا.

ونقلت من خط المرابط الأفضل سيدي العربي بن محمد الجنوي، الشريف الحسني؛ أنه سمع من أخيه *سيدي*[4] سعيد، (وقال)[5]: "حدثني السيد الهاشمي بن سليمان، وقال: إنه لما قدم مكة أعزها الله، وجد رجلا (هنالك)[6] من (خيار)[7] الناس، فسأله عن أولياء غربنا، (فقال له)[8]: "هنالك ثلاثة من الرجال: سيدي محمد بن الفقيه من شرفاء مصمودة، وسيدي يوسف الحنصالي، ورجل آخر من سوس نسي اسمه؛ وأشار بيده إلىٰ الكعبة المشرفة"، وقال: "هذا الركن يصلي فيه سيدي محمد بن الفقيه، وهذا يصلي فيه سيدي يوسف +الحنصالي+[9]، وهذا يصلي فيه الرجل الآخر، وسماه أيضا". ووقع هذا الإشهاد يوم الجمعة، التاسع عشر من ذي القعدة، سنة ثلاثين ومائة وألف [1130هـ].

ونقلت من خط الفقيه سيدي العربي الوجاري ما نصه بعد الحمد لله، يشهد العربي الوجاري أنه: "سمع من السيد محمد بن يعلىٰ، قال: سمعت سيدي أحمد السوسي؛ يوصي علىٰ سيدي محمد بن الفقيه، وسيدي الحاج المفضل البقال"، وقال: "تهلوا فيهما، وإنهما مكتوبان في ديوان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وعلىٰ آله". وفي التاريخ قبله: "وهذان الرجلان كلاهما؛ من أصحاب سيدي يوسف الحنصالي".

وحدثني امرأة صادقة[10] من أهل الدين أنها: "رأت؛ يقظة رجالا وقفوا أمامها؛ لم تعرفهم، وجعلوا يتكلمون علىٰ شأن الشيخ، سيدي محمد بن الفقيه، ويثنون عليه ثناء حسنا، ولم تفقه منهم إلا (قول أحدهم)[11]: سيدي محمد بن الفقيه ولي كامل؛ {وقرن بين أصابعه الثلاث وقال: الله تعالىٰ، وسيدنا محمد رسول الله، وسيدي محمد بن الفقيه}[12]؛ ويكررها المرة بعد المرة".

---

[1]- من (ب)، لحذف قرابة تسع صفحات من (أ).
[2]- من (ب).
[3]- ينظر قسم الدراسة، ص: 133 وما بعدها.
[4]- سقطت من (ب).
[5]- في (ب) "قال".
[6]- في (ب) "هناك".
[7]- في (ب) "أخيار".
[8]- في (ب) "فقال".
[9]- زيادة من (ب).
[10]- في (ب) "صديقة".
[11]- في (ب) "قول بعضم لبعض".
[12]- ينظر قسم الدراسة، ص140، وما بعدها.

وحدثني زوجها؛ "أنه كان (يوما)[1] ذات يوم جالسا؛ إذ يرىٰ يقظة مصباحا تدلىٰ من السماء لم ير الراءون حسنه وبهاءه،/ 32أ/ إلىٰ أن قرب من الأرض، وأضاءت من نوره؛ ونوره أبهىٰ من الشمس والقمر، فسمعت هاتفا أمامي يقول لي: "تعالىٰ تنظر إلىٰ مصباح سيدك؛ سيدي محمد بن الفقيه، فنظرت إليه ساعة، ثم نظرت إليه بعد فلم أراه[2].

وحدثني (الخير الأفضل)[3] السيد محمد بن نافع؛ وكان يكثر الزيارة للقطب مولاي عبد السلام، (وقال)[4]: "بينما هو ذات يوم يتحدث بالزيارة مع الفقيه العلامة *البركة*[5] سيدي عبد القادر الفاسي؛ إذ سأله وقال له: "هل تجوز علىٰ أزجن؟"، فقال له: "نعم؛ أجوز عليه، وعلىٰ وزان"، (فقال له)[6]: "هل تعرف الولي الصالح، سيدي محمد بن الفقيه (من شرفاء أزجن؟)[7]"، فقال له: "لا"، "لا"، (فقال له)[8]: "إن مررت به (فسأل)[9] عنه وزره؛ فإنه (من أولياء الله الأكابر)[10]"، قال: "فزرته، وقيد من سمع (به)[11]".

انتهىٰ من خط الفقيه *الأجل*[12] سيدي عبد القادر المقري.

(وحدثني)[13] الجم الغفير، من أهل أزجن وفاس وغيرهما: "أن مولاي التهامي *بن محمد رضي الله عنهما*[14]؛ بات ليلة من الليالي عند الشيخ، سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه، فأصبح مولاي التهامي +بن محمد المذكور+[15] يقول للشيخ سيدي محمد -بمحضر جماعة من الفقهاء،

---

[1]- كلمة زائدة ولا تناسب السياق.
[2]- سقط من (ب).
[3]- في (ب) "الأفضل الخير".
[4]- في (ب) "أنه قال".
[5]- سقطت من (ب).
[6]- في (ب) "فقال".
[7]- في (ب) "الشريف المصمودي"
[8]- في (ب) "فقال".
[9]- في (أ) "فسل".
[10]- في (ب) "من أولياء الله تعالى".
[11]- في (ب) "منه".
[12]- سقطت من (ب).
[13]- في (ب) "وعن".
[14]- سقط من (ب).
[15]- زيادة من (ب).

والفقراء-: "إني (رأيت)[1] ليلتي هذه في المنام؛ واقفا علىٰ الجبل المشرف"، فأجابه الشيخ *سيدي محمد بن الفقيه*[2]،

(وقال)[3] له: "لعن الله من لا بات *يطوف*[4] إلىٰ الصبح"، وحينئذ جئت، فقال له مولاي التهامي: "الحمد لله كلنا علىٰ حال واحد"، فقال له الشيخ سيدي محمد: "لا بل كل واحد وحاله"؛ وتناقشوا كثيرا، ثم إن *الشيخ*[5] سيدي (محمد)[6] قال لمولاي التهامي: "الشهادة لله، من الذي سمعت من أبيك، سيدي محمد رحمه الله يقول؛ إنه كان واسطة بينه، وبين النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟"، فقال له: "أنت"، فقال له: "ومن الذي سمعته يقول؛ إنه جاءه بالأمانة من عند رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟"، فقال له: "أنت"، (ثم قال)[7] له: "الشهادة لله من *الذي*[8] كان الواسطة/ 33أ/ بينك *أنت*[9]، وبين النبي الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟"، فقال له: "أنت"، فقال: "ومن أتاك أتاك أنت بالأمانة من عند رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟"، فقال له: "أنت"، ثم قال له: "أولم تسمع أباك سيدي محمد يقول: كل (ما)[10] بشرني به محمد بن الفقيه (أدركته)[11]"، فقال: "بلىٰ *سمعته*[12]، ولكن ليس عندك إلا متاعنا"، فقال له الشيخ سيدي محمد: "والله ما لكم عندي شيء؛ نعم مولاي عبد الله +الشريف+[13] باع لي، واشتريت منه، وإذا كان الأمر هكذا، فأنتم (ليس)[14] عندكم إلا متاع (سيدي عبد الله بن أحمد)، قم تخدم (بباب)[15] داري؛ إن أردت أن تبلغ مبالغ الرجال، ولا تغرك الدنيا"[16]، وصار يغلظ له في الكلام، ومولاي التهامي يلاطفه ويلين له +في الكلام+[1] حتىٰ سكن، ثم ثم قال مولاي التهامي: "الحمد لله، إذا قيل: من أين هذا الفحل؟، قيل: من دولتكم".

---

[1]- في (ب) "رأيتني".
[2]- سقط من (ب).
[3]- في (ب) "بأن قال".
[4]- سقطت من (ب).
[5]- سقطت من (ب).
[6]- في (ب) "محمد بن الفقيه".
[7]- في (ب) "فقال".
[8]- سقطت من (ب).
[9]- سقطت من (ب).
[10]- في (ب) "كلما".
[11]- في (ب) "أدركته ودركته".
[12]- سقطت من (ب).
[13]- من (ب).
[14]- في (ب) "ما".
[15]- في (أ) "باب".
[16]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾، لقمان/33.

*وحدثني المرابط الخير السيد مسعود بن محمد الزجني، وقال: "إنه حضر ذات يوم مع الفقيه العلامة القاضي سيدي أبي المعالي الشريف الحسني"- من أبناء عم الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه - ولقد لقي الفقيه المذكور؛ الشيخ مولاي التهامي بن محمد رضي الله عنهما ونفعنا ببركاتهما؛ قد جاء من عند الشيخ سيدي محمد من أزجن، فقبض/ 34أ/ سيدي أبو المعالي لجام بغلة مولاي التهامي، وقال له:" لم تأت إلى هذا الرجل سيدي محمد بن الفقيه، ثم قد يخرج إليك وقد لا يخرج؛ إن كان وليا فأنت ولي أيضا"، قال: "فرفع إليه رأسه مولاي التهامي، وقال له: نقول لك؟" فقال: "قل، ثم طأطأ برأسه إلى الأرض، ثم رفع ثانيا، ثم قال له: نقول لك: بأرفع من صوته أولا، فقال له: قل، ثم طأطأ برأسه إلى الأرض ثانيا، ثم رفعه، ثم قال له: نقول لك بأرفع من صوته ثانيا"، فقال له القاضي المذكور - وجدد في قبض لجام البغلة -: "تقول لي"، فنظر إليه مولاي التهامي، وسكت، ثم أعاد سيدي أبو المعالي، وقال له: "تقول لي؟"، فنظر إليه مولاي التهامي، وسكت، ثم أعاد سيدي أبو المعالي ثالثا، وقال له: "والله لا نسرح بغلتك حتى تقول لي"، فقال له مولاي التهامي: "كيف لا أذهب إليه؟، وهو الذي قبضني، وأجلسني بين يدي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقال له: يا رسول الله؛ هذا ولدك تهلا فيه"، قال: "فأرسل حينئذ سيدي أبو المعالي البغلة، وذهب مولاي التهامي"، قال: "فالتفت إلى سيدي أبو المعالي، وقال: إن سيدي محمد بن الفقيه من الأكابر"، وقد كان سيدي أبو المعالي ممن لا يسلم للشيخ سيدي محمد، فأقلع حينئذ عن ذلك".

وهذه كانت عادة مولاي التهامي مع الشيخ، لا يستغني عنه في أمر من الأمور؛ لوصية أبيه سيدي محمد له بذلك، وكذلك كان أبوه، سيدي محمد لا يستغني عنه، ولا يبرم أمرا؛ إلا عن إذنه ومشورته، لوصية أبيه مولاي عبد الله له بذلك كما تقدم، حتى قال الشيخ سيدي محمد بن الفقيه لمولاي التهامي ذات يوم؛ وقد أشفق من إتيانه إليه كلما احتاج عليه: يا سيدي التهامي، إذا وقفت لك حاجة عندي، فناد حيثما كنت، فأنت والله لو ناديتني من وراء جبل قاف ليأتين به الريح، ويلقيه في أذني.

فكان مولاي التهامي بعد ذلك، إذا احتاج إلى الشيخ، يقف أو يأمر من يقف، وينادي يا سيدي محمد بن الفقيه ثلاث مرات؛ فما يتم الثالثة حتى يكون واقفا معهم، كما تقدم في حكاية

---

[1]- زيادة من (ب).

مولاي قاسم بن رحمون، حين سم في الثمرات وأكلهم؛ وهو في عين زواو من وزان، فذهب الفقراء إلى مولاي التهامي؛ فجاء حتى وقف عليه وقال: "ما عندي ما نقيل – بهذه الصيغة – اذهبوا إلى سيدي محمد بن الفقيه"، ثم قال: "قم يا فلان ونادي: يا سيدي محمد بن الفقيه"، فقام وناداه، فإذا به واقف معهم إلى آخر الحكاية، فراجعها في بابها إن شئت*[1].

ونقلت من خط الفقيه النبيه السيد محمد بن علي ابغلي – سامحه الله؛ +تلميذ الشيخ رضي الله عنه – ما نصه: "ومما اتفق لكتاب محمد بن علي ابغلي+[2] إن لقي الأخ الصالح سيدي (أبا)[3] العباس المراكشي بطنجة، حين جاء من بلاد/ 35أ/ النصارى، ونزل بها، فسألته هل أظهر الله كرامة على يده للنصارى؟ فقال لي: نعم؛ إن طاغية النصارى لما أمر بتسريحي من السجن، (فقال لهم)[4]: إيتوني به، فأتوه بي، وأنزل يده على رأسي، فدفعتها، فقالوا *لي*[5]: لولا ما أحبك، ما وضع يده على رأسك، فقلت لهم: إنها نجسة فلا يضعها، فأمرهم بتعظيمي، وأن يهادوني ويعطوني، فأعطوني (كثيرا من الذهب والفضة)[6]، فدفعته للأسارى، وطلبت من الله تعالى؛ أن يظهر (كرامة للكفرة)[7] من بركة سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت لهم: ارفعوا هذه الصخرة تجدوا تحتها (الذهب)[8]، ففعلوا فوجدوا تحتها من الذهب (ما لا يحصى)[9]؛ فطارت عقولهم إلي، ثم ذهبت إلى الباشة، وطلبت منه أن يكسوه، فلما جلست بين يده؛ أي بين يدي أبي العباس، قال لي: يا فلان إني قدمت لزيارة، مولانا عبد السلام بن مشيش، فمرضت بضريح أبيه سيدي مشيش، فبينما أنا ذات يوم؛ إذ دخل علي مولاي عبد السلام، وشيخي سيدي الشيخ بن أحمد، فقال مولاي عبد السلام لشيخي: اسمح له يا سيدي الشيخ، (فقال له)[10]: بشرط أن لا يمد يده لأحد، فقرأ لي (فاتحة)[11]، فلما كنت بموضع كذا؛ لقيني رجل بكسوة ودفعها لي، فقلت له: لا حاجة لي بها، ثم بموضع آخر لقيني رجل آخر بين المغرب

---

[1]- سقط من (ب).
[2]- من (ب).
[3]- في (ب) "أبي".
[4]- في (أ) "قال".
[5]- سقطت من (ب).
[6]- في (ب) "من الذهب والفضة كثيرا".
[7]- في (ب) "للكفرة كرامة".
[8]- في (ب) "من الذهب ما لا يحصى".
[9]- في (ب) "ما ذكرت لهم".
[10]- في (ب) "فقال".
[11]- في (ب) "فاتحة الكتاب".

والعشاء بأخرى، فامتنعت من أخذها، فقال لي: قد نجوت مني، لو قبضتها ترى ما يحل بك، فظهر لي أن شيخي سيدي الشيخ؛ هو الذي كان يختبرني، ثم رجعت إلى الباشة وطلبت منه الكسوة المذكورة، فأذن لي (فيها)[1]، فلما جئت بها إلى سيدي أبي العباس لم أجده، فأخبرت (الباشا)[2] بخبره، فتأسفت غاية.

ثم إني بعد مدة كثيرة سافرت إلى الجزائر، فلما كنت ببعض طرقها، حضر ببالي سيدي أبو العباس، وقال لي: هو الذي مر بك فيمن مر، فاتبعت القوم فوجدته معهم، فسلمت عليه وقلت له: الكسوة المسعودة هي التي كانت سببا في فراقك؛ فتبسم ثم قال: لما اطلع الله على محبتك، جمع بيني وبينك وما زال يجمعنا، ثم إن تلميذ / 36أ/ الولي الصالح سيدي محمد المصطاري؛ (وهو)[3] الرجل الصالح سيدي محمد بن باسط؛ اجتمع به في زاويته، وبعث إلي ولده فجئتهما، فوجدت بين أيديهما سفنجا وتمرا، فأكلت معهما وهممت أن أطلب منهما أن يطعماني فاستحييت، فقال سيدي أبو العباس: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يطعم أصحابه، وذكر حديثا فطلبت (منهما حينئذ)[4] أن يطعماني فأطعماني، ثم أخبرتهما بأني مسافر في البحر، وطلبت منهما أن يقفا معي، فقال لي سيدي أبو العباس: أمامك سلاطين فأعدت عليهما، فقال لي: يكفيك شيخك سيدي محمد بن الفقيه، فقال له سيدي محمد بن باسط: وهل تعرفه؟، فقال له: نعم، وإنه لمن الأوتاد".

ثم سألت بعض تلامذة سيدي أبي العباس: هل لسيدي أبي العباس زاوية؟ (فقال)[5]: نعم ببسكرة[6]، فسألته: هل له كرامة؟ فقال: نعم إن بعض أصحابه رمى عليه حاكم تلك البلاد خمسمائة ريال، (فشفع له سيدي أبو العباس)[7] عند الحاكم، فلم ير فيه وجه الله تعالى، فذهبت عن الحاكم صفة الذكورية، وانعكس حاله، (فتشفع)[8] لسيدي أبي العباس، فسامحه *بعد أن تاب*[1] ورجع إلى حاله.

---

[1]- في (ب) "بها".
[2]- في (ب) "الباشة".
[3]- لعل اللفظة "هو و".
[4]- في (ب) "حينئذ منهما".
[5]- في (ب) "فقال له".
[6]- بسكورة: بلاد الزاب بأرض المغرب، وهي قاعدة تلك البلاد، وهي كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وعليها سور وخنادق وبها جامع ومساجد كثيرة، وحواليها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال، ومن قرى بسكرة قرية ملسون. الروض المعطار، ص113.
[7]- في (ب) "فشفع سيدي أبو العباس له".
[8]- في (أ) "فشفع".

ثم إني ركبت في البحر، وما لقيت إلا خيرا حتىٰ بلغت طنجة، فجاءني (كتاب)[2] شيخي؛ سيدي ومولاي محمد بن الفقيه (يسألني)[3] عن حالي، (وقال)[4] في آخر الكتاب: هل فعل معك أحد من أهل الباطن خيرا[5]، وما فعل معك أبو العباس المراكشي نزيل بسكرة؟، فأمسكت الكتاب عندي حتىٰ اجتمعت بالباشة؛ فقلت له: ما ذكرت لك؛ ما وقع لي مع سيدي أبو العباس المراكشي بالجزائر، ثم ذكرت له القصة بتمامها، ثم أخرجت له كتاب شيخنا البركة العظمىٰ،[6] سيدي ومولاي محمد بن الفقيه، فطالعه من أوله إلىٰ آخره؛ فتعجب من مكاشفته رضي الله عنه، ثم أجبت شيخنا +رضي الله عنه+[7] بما فعل أبو العباس معي، "اهىٰ"[8].

فانظر/ 37أ/ (رحمك الله ماذا)[9] أدرك سيدي أبو العباس +هذا+[10] من المكاشفات والأسرار الربانية؛ وذلك كله من بركة شيخنا (وبركتنا)[11]، سيدي ومولاي محمد بن الفقيه، وعلىٰ يده؛ كما أخبر بذلك المرابط الخير الحاج ابراهيم بن أحمد الجداري (الصحراوي)[12] [البوزياني][13]، عن سيدي أبي العباس المذكور؛ (وذلك)[14]؛ أنه لما قدم من الحج، ومر بالسيد المذكور ببسكرة، وحضر قصة الحاكم (المذكور)[15]؛ من أولها إلىٰ آخرها، إلا أنه قال: "إن[16] الحاكم قبض بعض تلامذة سيدي الشيخ؛ وأشار له إلىٰ حفر الموضع الذي وجد فيه الذهب".

وذكر عنه السيد إبراهيم المذكور: "أن سيدي أبا العباس ذهب إلىٰ بعض قواد مولانا إسماعيل يتشفع في أمر من الأمور، فقال له *الحاكم*[17]: "(لا)[18] نفعل، ولو رددتني خنزيرا"، فقال له: "كن

---

[1]- سقط من (ب).
[2]- في (أ) "كتب"، وسيرد بهذا الرسم مرات أخر؛ لذا ننبه عنه هنا تفاديا للتكرار.
[3]- في (ب) "يسلني".
[4]- في (ب) "قال لي".
[5]- زيادة "أم" في (ب).
[6]- في (ب) "العضمى".
[7]- زيادة من (ب).
[8]- من (ب).
[9]- في (ب) "رحمه الله ما".
[10]- في (ب) "أبو العباس هذا".
[11]- في (ب) "وبركاتنا".
[12]- في (أ) "السحراوي"، والصواب ما أثبت من (ب).
[13]- "البورياني"، كذا في النسختين، والصواب ما أثبت.
[14]- في (ب) "وذكر لك".
[15]- في (ب) "المذكورة".
[16]- زياة كلمة "بعض" في (ب) لا تناسب السياق.
[17]- سقطت من (ب).
[18]- في (ب) "والله ما".

كذلك، فرجع خنزيرا؛ وصار يحفر في الأرض من جملة الخنازير"، قال: "فتشفع الناس فيه إلى سيدي أبي العباس، فقال لهم: اقبضوه من أذنه ولا تأتونه من بين عينيه"، ففعلوا، فقال لهم: "احفروا له حفرة، واجعلوه فيها ما عدا (الزنفورة)[1]، ففعلوا، فرجع إلى حاله كما كان أول مرة".

قال سيدي إبراهيم المذكور: "ولقد رأيت من سيدي أبي العباس *المذكور*[2] كرامات وخوارق"، ثم قال: "إن سيدي (أبا)[3] العباس قال لي: "يا حاج؛ إن شيخي؛ هو سيدي الشيخ الذي بالصحراء وهذه الخوارق التي ترى، إنما أخذتها عن الولي (الكامل)[4] سيدي محمد بن الفقيه؛ من شرفاء مصمودة القاطن بأزجن، وهو الذي كمل لي، ولم أزره إلا مرة واحدة، ولكن لا بد لي من القدوم إليه، وأزيد إلى شيخي سيدي الشيخ، وأشاوره في المقام هنا ببسكرة؛ لأني فعلته بغير إذنه"، قال: "ثم جاء معي (إلى)[5] الجزائر، وقال لي: والله لولا أهل بسكرة قبضوني؛ لذهبت معك إلى سيدي محمد بن الفقيه؛ ولكن لا بد لي أن أرجع إلى هؤلاء الناس (ببسكرة)[6]، وأصلح خواطرهم"، (ومنذ)[7] (ومنذ)[7] خرجت معه من بسكرة؛ وهو يؤكد علي/ 38أ/ في زيارة سيدي محمد بن الفقيه، حتى بلغنا الجزائر، ويقول لي: أقدم إليه، وكل ما تحتاجه أقبضه فيه يقضيه الله لك".

وعن المرابط الخير السيد عيسى رحمون القاطن؛ بمدشر سيدي مشيش أنه قال: "بات (عندي)[8] (عندي)[8] سيدي أبو العباس المراكشي هذا، فجعل يتكلم +معه+[9] على الصالحين، حتى بلغ إلى سيدي سيدي محمد بن الفقيه فقال: إن سيدي محمد بن الفقيه، عنده البحور التي يسقي بها أهل المشرق والمغرب، ولا يبخل مع أحد؛ يسقي من كان منسوبا (إليه وغيره)[10]، ولا نعلم أحدا كان في هذا المقام إلا رجلين (فيمن)[11] مضى، وأما في وقتنا هذا، فلا نعرف أحدا أدرك مقامه، ولا وصل إليه رضي الله عنه ونفعنا ببركاته".

---

[1]- في (ب) "الزنفرة"، وهي مقدمة الوجه.
[2]- سقطت من (ب).
[3]- في (أ) "أبي".
[4]- في (ب) "الصالح".
[5]- مكررة في (ب).
[6]- في (أ) "إلى بسكرة".
[7]- في (ب) "قال ومنذ".
[8]- في (ب) "عند".
[9]- في (ب) "يتكلم معه".
[10]- في (ب) "وغيره إليه".
[11]- في (ب) "ممن".

وعن سيدي عبد الوهاب بن خجو؛ أنه كان قاصدا إلى (سيدي)[1] ومولاي عبد السلام بن مشيش؛ إذ وجد رجلا من العباد[2] (هنالك)[3] بخلوة، فقال له: "من أنت؟" فقال له: "عبد الوهاب الزجني"، فقال له العابد: "كيف هو صاحب الوقت؛ سيدي محمد بن الفقيه؟" فقال له: "بخير، نحن معه كل يوم"، فقال له: "يا سعدت من يراه كل يوم، ويجتمع معه؛ لأنه صاحب الوقت، (ثم قال له)[4]: "أبلغه مني السلام، وقل له أحمد، واقبضه من يده"، قال: "فلما رجعت لزاجن وجدت الشيخ سيدي محمد +بن الفقيه+[5] بوزان، فذهبت إليه فوجدته مع سيدي محمد، بن مولاي عبد الله الشريف، وولده مولاي التهامي؛ وهو يعاتبهما، ويقول لهما: "ما هذا الفعل الذي اشتغلتما به؟، كل من خدمكم واتبعكم تتركوه، كذلك، (ولا)[6] تعطوه شيئا، إما عمروا الفقراء، وإما سرحوهم لغيركم"، فقال سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف: "الفخار مشقوق"، فقال له سيدي محمد بن الفقيه: اعمر الصحيح والمشقوق، وأضفه إلى الله، (ثم إلي)[7]؛ فجعلا يلينان له القول حتى تفرقا، فتعرضت له، وقبضته من يده كما قال +لي+[8] العابد المذكور، فقال لي *رضي الله عنه*[9]: / 39أ/ "أباق ثم *ذلك*[10] الرجل؟! "قبل أن أكلمه، وضحك في وجهي، فتعجبت من ذلك؛ وقد كان (العابد المذكور قال لي)[11]: "إن سيدي محمد بن الفقيه (صاحب)[12] الوقت، أحبوا أم كرهوا".

وعن الولي الصالح سيدي أحمد السباعي الشريف، من أولاد (أبو)[13] السباع؛ تلميذ الشيخ رضي الله عنه، أنه قدم لزيارة الجبل الأخضر[14]، فلقيه الرجل الصالح؛ سيدي محمد التواتي – المعلوم هنالك – وأخرج له آنية من عسل، بعضها شهد (وخبز)[15]، وقال له: "كل" فأكل، ثم قال: "سبحان

---

[1]- في (أ) "زيارة"، والأنسب ما أثبت من (ب).
[2]- العباد: جمع عابد، وهو المتفرغ للعبادة والمشتغل بها عما سواها.
[3]- في (ب) "ذلك".
[4]- في (ب) "ثم قال".
[5]- زيادة من (ب).
[6]- في (ب) "لا"
[7]- في (ب) "وإلي".
[8]- في (ب).
[9]- سقطت من (ب).
[10]- سقطت من (ب).
[11]- في (ب) "قال لي العابد المذكور".
[12]- في (ب) "من أصحاب الوقت".
[13]- في (ب) "أبي" وهو الصواب.
[14]- الجبل الأخضر: جبل يمتد وسط منطقة دكالة لا يتعدى علوه 697م، كان يشكل مع جبل بني ماكر وجبل الحديد المجاورين له ملجأ لسكان المنطقة الفارين من الاضطهاد البرتغالي ومقرا للزهاد. "وصف إفريقيا"، 126/1.
[15]- في (ب) "وخبزا".

الله! (والله ما لهذا العسل، وهذا الخبز)[1] إلا كذا وكذا"؛ وذكر مدة طويلة، ولم يقدر أحد على أكلهما؛ لا من أهل داري، ولا من جميع من لقيت، إلا أنا وأنت الآن، وأظنك صاحب سر أو شريف"، قال: "وقص علي أخبارا، ومن جملتها؛ أن الديوان اجتمع على مصالح الدنيا، ومن يتولى أمر الغرب، فبعضهم يريد إبقاءه على ما هو عليه، وبعضهم يأبى، فاختلف أمرهم، فبينما هم كذلك، إذ جاء رجل من أهل الجبل؛ أحمر اللون طويل مشعر الذراعين، ونظر إليهم، واستقبل القبلة، ونادى بأعلى صوته: "الله ينصر مولاي إسماعيل"، فانصرف الديوان حينئذ، فعلمت أنه صاحب الوقت، +اهى+[2]؛ وهذه الصفة التي ذكر هذا الرجل؛ هي *صفة*[3] شيخنا سيدي ومولاي[4] محمد بن الفقيه الفقيه رضي الله عنه، وأفاض علينا من بركاته.

ومما حدثنا به بعض السياح؛ ممن كان يكثر التردد لزيارة +القطب+[5] مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله *عنه*[6]، حين رجع *بعض*[7] الأيام من زيارته، وجاء إلى أزجن لمسجد الشيخ *سيدي محمد*[8] رضي الله عنه، ونحن هنالك (في)[9] جمع (من الناس من الزيار)[10]، وقد جلس بالمسجد *المذكور*[11] ثلاثة أيام، وقال: "إني قد أرسلني (القطب)[12] الكامل؛ مولاي عبد السلام، إلى هذا الشيخ المبارك؛ سيدي محمد بن الفقيه، فأبيت وامتنعت، ولولا أنه هدد علي تهديدا قويا / 140أ/ ما أتيته، وإنما جئته رغما على أنفي، فلما سمعنا منه ذلك؛ بعثنا إليه رضي الله عنه بأمره، فخرج رضي الله عنه، فقام إليه الرجل وقال له: "يا سيدي *محمد*[13]؛ إن مولاي عبد السلام *بن مشيش*[14] بعثني إليك، ولقد رأيتك معه جالسا على صف واحد، الكتف للكتف، ومولاي التهامي

---

[1]- في (ب) "والله ما لهذا وهذا العسل".
[2]- من (ب).
[3]- سقطت من (ب).
[4]- سقطت من (ب).
[5]- زيادة من (ب).
[6]- سقطت من (ب).
[7]- سقطت من (ب).
[8]- سقطت من (ب).
[9]- في (ب) "مع".
[10]- في (ب) "من الفقراء والزيار".
[11]- سقطت من (ب).
[12]- في (ب) "الشيخ".
[13]- سقطت من (ب).
[14]- سقط من (ب).

(جالس أمامكما)[1]؛ ومولاي عبد السلام يعاتبه، ويقول له: "كيف بك تخرج عن رأي سيدي محمد بن بن الفقيه، ولا تفعل ما يشير به عليك؟ *والله لو تبعت رأيه وعملت بما يشير به عليك*[2]، ما رأيت ما تكره في دينك ولا في دنياك"؛ وهو يعاتبه العتاب القوي، ويقول +له+[3]: "لم (يتغير)[4] على الوصفان الوصفان (اللذين)[5] يأخذهم السلطان، ألم ترض بحكم الله؟! والله، ثم والله؛ لأنا صابر لقضائه، مملوك لقدرته (ولا غاب عني)[6] غيار من جهة الوصفان (اللذين)[7] بحوزنا، وأنا أطلب الله تعالى أن يسلك أمرهم بلطف"، ثم ناداك مولاي عبد السلام؛ بيا سيدي محمد بن الفقيه خذ هذا الرجل؛ يعني مولاي التهامي، وأخذه بيده ومكنك منه (وقال)[8] لك: (اتهلا)[9] فيه، وعمد مولاي عبد السلام السلام إليك؛ وقبلك بين عينيك، وقال لك: "أنت منا وحبيبنا، ومحسوب علينا في الدنيا والآخرة".

وسمعت الطالب علي بن عبد السلام الأسلامي، يقول: "كنت نائما ذات ليلة، ثم إني رأيتني في طريق، لا أعرف من أي بلاد *الله*[10] هي، فلقيني رجل؛ فسألته وقلت له: "إلى (أي)[11] تخرج هذه الطريق؟"، فقال: "تخرج إلى مدشر (بن)[12] عمر"، فقلت في نفسي: مدشر ابن عمر في بلدنا، وهذه ليست بلادنا!، فبينما أنا كذلك؛ إذا أنا بدار عظيمة (أمامي)[13] في الطريق المذكورة، لم أجد عنها محيدا، (فدخلتها)[14]؛ فوجدتها ذات بناء عجيب مشيد، شديدة البياض، لم ير الراءون مثلها قط في الدنيا، فجعلت أسير فيها، من هذا الموضع إلى هذا الموضع، ومن هذه السارية إلى هذه السارية،/ 41أ/ ولا عرفت موضعا أخرج منه، فاشتغلت بالتضرع[15] إلى الله تعالى، والدعاء كي أجد مخرجا، فبعث معي رجل؛ قصير أبيض حسن الثياب والوجه، على رأسه عمامة، فقلت +له+[16]: "يا سيدي أرني الباب،

---

[1]- في (ب) "أمامكما جالس".
[2]- سقط من (ب).
[3]- من (ب).
[4]- في (ب) "تتغير".
[5]- في (ب) "الذين".
[6]- مكررة في (ب).
[7]- في (ب) "الذي".
[8]- مكررة في (ب).
[9]- في (ب) "تهلا".
[10]- سقط اسم الجلالة من (ب)
[11]- في (ب) "أين" وهو الأنسب للسياق
[12]- في (ب) "ابن".
[13]- في (ب) "أما"، ربما سهى الناسخ عن كتابة "مي".
[14]- في (ب) "ثم إني دخلتها".
[15]- في (ب) "بالتظرع" والصواب ما في (أ).
[16]- من (ب).

فقال لي: أين الباب؟! هذه الدار فيها مسيرة خمسمائة[500] عام، ثم صار وأنا اتبعه حتى مررنا (بكتائب)[1] بيض؛ وكلما مررنا بكتيبة يقول لي: (هذه هي الأمارة)[2]، حتى انتهى بي إلى الباب، فقلت له: يا سيدي ما هذه الدار؟، فقال لي: هذه دار الشرفاء أولاد ابن عمر؛ (دار)[3] سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه (وأمدنا من مدده آمين)[4].

وعن المرابط الخير السيد محمد البوري؛ أنه قال: "كنت يوما في حانوت السيد علي أدراق[5] بالعطارين من فاس القرويين[6]، مع الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، فتواجد الشيخ رضي الله عنه؛ وكانت ساعة تكاد النفوس أن تزهق (فيها نفحاته)[7]، فلما رأيت ذلك ذهبت بالشيخ إلى داري، فلما دخلها تقوى حاله، وامتلأت الدار علينا؛ ولم يكن لأحد بذلك علم، فضاق حال الشيخ وخرج منها، فلما كان (بالموضع)[8] المسمى بشرق الجامع مما يلي القرويين، لقيه الفقيه العلامة فريد دهره، ووحيد +عصره+[9] سيدي محمد بن أحمد القسمطيني، فأمسكه الشيخ بيده رضي الله عنه، ثم ضمه إلى إلى صدره ورفعه، (ثم)[10] بقي ساعة كذلك، ثم أرسله وانصرف +عنه+[11]؛ فبقي الفقيه المذكور؛ ينظر إلى الشيخ سيدي محمد +بن الفقيه+[12] ساعة، ثم قال لصاحبه السيد محمد الغمارشي: "لا إله إلا الله؛ إن هذا الرجل لمجذوب، صاحب أحوال عظيمة، لقد أطلق فينا النار".

وحدثنا المكرم السيد محمد الودي *الرميتي*[13] أنه: "قام ذات ليلة؛ فسمع هاتفا يهتف به في النوم، (ويقول)[14] له : "إن القطب بالجبل"؛ ويشير لناحية الجبل الذي به سيدي محمد بن الفقيه، ثم

1- في (ب) "كشائف".
2- في (ب) "هذه الأمارة".
3- في (ب) "أو".
4- في (ب) "ونفعنا به".
5- علي أدراق، من أصحاب الشرفاء الوزانين بفاس، وهو من أسرة سوسية الأصل استوطنت فاس في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر: محمد حجي، مادة " أدراق"، معلمة المغرب، ج1.
6- والمقصود بالقرويين هو جامع من أهم المساجد الجامعة العلمية في المغرب الأقصى وأكثرها شهرة، وقد بني هذا المسجد في شهر رمضان سنة245هـ/859م. من قبل فاطمة أم البنين بنت محمد الفهري القيرواني: "الأنيس المطرب" ص68. وجامع القرويين، المسجد والجامعة بمدينة فاس، عبد الهادي التازي، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1972، 135/1.
7- في (ب) "من نفخاتها".
8- في (ب) "من الموضع".
9- من (ب) لطمسها في (أ).
10- في (ب) "و".
11- من (ب).
12- من (ب).
13- سقطت من (ب).
14- في (ب) "قائلا".

سمعه مرة أخرىٰ؛ وهو يقول له: "إنه بفاس"، قال: "ولم أكن عرفت / 42أ/ سيدي محمد بن الفقيه ولا شاهدته، ثم بعد ذلك أتيت إليه لأزوره، فوجدته بفاس، فعلمت أنه المشار إليه في النوم (انتهىٰ)[1].

ونقلت من خط الفقيه (الحاج الأبر)[2]، المرابط الخير السيد الحاج (لحسن)[3] الإسكندراني الأصل، التطواني الدار، ما نصه: "لما من الله تعالىٰ علىٰ عبده المذنب الراجي (عفو ربه)[4]، الحسن الإسكندراني الأصل، التطواني الدار، بحج بيت الله الحرام، بإشارة من شيخنا، وعمدتنا الرباني القطب النوراني، الولي الصالح، سيدي ومولاي محمد، بن الفقيه العمري الزجني الدار، (وأمرنا)[5] بإعطاء الأوراد، لمن أراد أن يدخل في زربيته، وحججت وجئت إلىٰ الإسكندرية؛ فرح بي أهلها، وعظموني وأكرموني، وجعلت أحدثهم بكرامات الشيخ رضي الله عنه، فلما سمعوا ذلك؛ جعلوا يدخلون في زربيته أفواجا أفواجا، وجماعات جماعات، فلما كان ذات يوم، ونحن جلوس نتحدث بكراماته رضي الله عنه، وببناء زاوية يجتمع فيها الفقراء؛ إذ جاء رجل وسلم علي، وقال لي: *اعلم*[6] *اعلم*[6] يا حسن، اعلم بأني اتخذت شيخك شيخا لي، فبقيت متفكرا منه، حيث سلم علي من غير معرفة، ثم سألت عنه من هو؟، (فقيل لي)[7]: إنه سيدي إبراهيم الجداري؛ له بركة عظيمة يعرفها الخاص والعام، ففرحت فرحا شديدا، وبقي يواصلني *كل يوم*[8] وكل وقت، ويقول لي: أردنا بناء زاوية للشيخ نجتمع بها، ثم قال لي: نتشاور مع سيدي أبي العباس المرسي[9] في هذا الأمر، فقلت له: تبارك الله، ثم غاب عني أياما (لم)[10] أره، فلما كان ذات *يوم*[11]؛ جاء وقد أخذه حال رباني، فأمسكني وضمني إليه، (وجعل يمر بي)[12] يمينا وشمالا؛ والناس يتعجبون من ذلك، فأخذني حال

---

[1]- في (ب) "والسلام".
[2]- في (ب) "الأبر الحاج".
[3]- في (ب) "الحسن".
[4]- في (ب) "عفوه".
[5]- في (ب) "وأمرني".
[6]- سقطت من (ب).
[7]- في (ب) "فقيل".
[8]- سقطت من (ب).
[9]- الشيخ العارف بربه القطب الشهير سيدي أبو العباس المرسي، توفي رحمه الله سنة 686هـ: "الطبقات الكبرى" للشعراني 12/2، ر:310، و"الأعلام" للزركلي 186/1.
[10]- في (ب) "ولم".
[11]- سقطت من (ب).
[12]- في (ب) "وهو يمر".

أيضا، وذهبنا إلى أن جلسنا *بباب*[1] روضة سيدي أبي العباس المرسي، رضي الله عنه داخل مسجده، ولم يكن/ 43أ/ هنالك آدمي سوانا، ثم تحرك سيدي إبراهيم وقال لي: يا حسن هذا سيدي أبو العباس، وهذا سيدي محمد بن الفقيه يقولان لك: أطلب، فلما سمعت منه ذلك، خرجت عن حسي، وألهمني الله تعالى أن قلت: اللهم اختر لي، *فأعاد علي ثانيا وثالثا، وأنا أقول: اللهم اختر *لي*[2]، ثم قال: إنهما يقولان لك: (امض)[3] حيث شئت، فإنك محروس بعين العناية؛ فبقيا ساعة، ثم قمنا، وكل واحد منا لا يعرف أين يسير، حتى بلغنا منزلنا، ثم قام سيدي إبراهيم مشمرا عن ساق الجد، وحفر من يومه أساس الزاوية وشرع في البناء، فلما كان آخر النهار، جاء صاحب الجير، وصاحب الحجر، والمعلمون كل واحد +منهم+[4] يطلب أجرته، وثمن الجير والحجر؛ ولا عند سيدي سيدي إبراهيم *شيء*[5] قل أو كثر، فذهب سيدي إبراهيم إلى خلوة وتركهم واقفين، وتوجه للمغرب ونادى (بأعلى)[6] صوته: يا سيدي محمد بن الفقيه، بجاهك عند الله يرزقنا *الله*[7] ما (نعطي)[8] لهؤلاء الناس، يا رب بجاهه عندك لا تحشمني[9]، قال سيدي إبراهيم: فبينما أنا كذلك؛ إذ أخذني حال عظيم بالبكاء، ثم مددت يدي إلى جيبي، فوجدت ما سألت"، قال سيدي إبراهيم: "والله يا أخي (من ذلك اليوم ما خصني شيء)[10] حتى كملت الزاوية والحمد لله".

ولقينا أيضا أخونا شرف الدين وقال لي: "يا أخي، لما سمعت بك، وبخبرك أتيت امرأة يقال لها أم عمر معروفة – عندنا +هنا+[11] بالإسكندرية – بالولاية والصلاح وبأخبار المغيبات[12]، فسألتها بالإشارة عن حالك، وما جئت به من المغرب من إذن سيدك، وقلت في نفسي: بالله عليك إلى ما أرشدتيني، فنظرت *إلي*[13]، وقالت: يا شرف الدين الباب انفتح تقدم ولا تمهل؛ وهذا الأمر يعم

---

[1]- سقطت من (ب).
[2]- سقط من (ب).
[3]- في (ب) "احضر".
[4]- زيادة من (ب).
[5]- سقطت (ب).
[6]- في (ب) "أعلا".
[7]- سقطت من (ب).
[8]- في (ب) "نعطوا".
[9]- أي لا تشمت بي أحدا.
[10]- في (ب) "والله ما خصني شيء من ذلك اليوم".
[11]- زيادة من (ب).
[12]- ينظر قسم الدراسة، ص: 134 وما بعدها.
[13]- سقطت من (ب).

الشرق والغرب وأقطار الأرض، ففرحت[1] بكلامها، وعلمت أن الله يصدقها كما جربنا ذلك (عنها)[2]، فهذا سبب قدومي عليك يا حسن وأنا محسوب / 44أ/ على الله، ثم على سيدي محمد بن الفقيه، وأنا يا أخي كنت (محسوبا)[3] على سيدي محمد العابد ومن أصحابه، وبقيت معه مدة نخدمه، وحيثما نقول له: القبول لله، يقول لي: يا ولدي حاجتك في المغرب، وصاحبك بالغرب من الأكابر، فنقول له: يا سيدي الغرب علي بعيد، (فيقول لي)[4]: ربنا يمدك على (يديه)[5] وأنت بالإسكندرية، فلما سمعت بقدومك أتيتك آخذا الأوراد"، فلقنته الأوراد، وذهب إلى الزاوية والحمد لله.

ثم ذهبت إلى رشيد، فلما أردت النزول من المركب إلى البر، استقبلني رجل مجذوب؛ عاري الرأس، وبيده عصى، وقال لي: "انزل يا سعيد، مرحبا بك وبمن (معك)[6] تسعد بكم رشيد"، فسألت فسألت عنه، فقيل لي: "إنه من الصالحين، فلما دخلت رشيد لقيني أخونا، سيدي محمد القسمطيني؛ وهو مقدم جماعة برشيد، قد (تواظبوا)[7] على قراءة حزب الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، حتى يفتح الله عليهم بمن يرشدهم، فلما (أخبرته)[8] بما أمرني به الشيخ، رضي الله عنه من تلقين الأوراد، وقبول التلامذة، وبناء (الزوايا)[9] أين ما ظهر لي وتيسر، ضمني إليه و(بكى)[10] وبكيت، ثم (قال)[11]: "والله يا أخي لقد خدمت سيدي محمد المصطاري أعواما، وكلما طلبت منه، يقول لي: "شيخك بالمغرب"، فلما رأيتك وسمعت كلامك على هذا الشيخ؛ انشرح صدري ولا أظنه إلا هو شيخي، فأخبرته بما وقع لي في الإسكندرية، من كلام سيدي إبراهيم الجداري وبناء الزاوية، فلما سمع ذلك بادر إلى طلب القبول، والدخول في طريقة الشيخ سيدي محمد بن الفقيه؛ هو وأصحابه جميعا، ولقنتهم الأوراد، ثم قال لي: "يا أخي، اذهب بنا إلى سيدي إبراهيم الجداري نشاوره في بناء زاوية، فذهبنا حتى أتينا سيدي إبراهيم؛ وقد وجدناه بالزاوية كأنه ينتظرنا، فسلمنا عليه، فرد السلام

---

[1]- في (ب) "ففرت"، وهي خطأ، والصواب ما في (أ).
[2]- في (ب) "منها".
[3]- في (ب) "محسوب".
[4]- في (ب) "يقول".
[5]- في (ب) "يده".
[6]- في (ب) "بعثك".
[7]- في (ب) "تواضبوا" والصواب ما في (أ).
[8]- في (ب) "أخبرتهم".
[9]- في (ب) "الزاويا".
[10]- في (ب) "بكا".
[11]- في (ب) "قال لي".

/ 45أ/ وقال: "ما الخبر؟"، فقال له سيدي محمد المذكور: "يا سيدي كنا (مواظبين)[1] على حزب الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، وكنت من أصحاب سيدي محمد المصطاري، وكان يقول لي: شيخك بالمغرب، ثم تلاقيت مع هذا الرجل، وأخبرني بما أتى به من المغرب، ففرحت فرحا شديدا بذلك، وأخذت عنه الأوراد وجئت نشاورك في بناء زاوية برشيد، (أي شيء يظهر لك؟)[2] (فقال)[3]: "إن كان أخبرك رجل واحد، فأنا أخبرني رجال شتى بأن شيخنا بالمغرب".

ولما قدم *علينا*[4] السيد الحاج الحسن *الإسكندراني*[5] هذا، وسلمت عليه من غير معرفة ألهمني الله لذلك؛ وقد أخذني حال رباني، علمت أن الذي بعثه: هو الشيخ الذي أخبر به الرجال، ومنذ زمان، والرجال يشيرون ببناء زاوية هنا، (ويكنسون)[6] بقعتها وموضعها، فلما سمع كلامه سيدي محمد المذكور؛ شهق وبكى، فكانت ساعة عظيمة وذهبنا بتلك الحال، إلى ضريح سيدي أبي العباس *المرسي*[7]، وقعدنا عند رأسه، وقال لي: "يا حسن (أي شيء قال)[8] الشيخ سيدي محمد بن الفقيه؟"، فقلت لهم جميع ما أوصاني به؛ فحصل للجميع سر عظيم في تلك الساعة، وقالوا: "قبلنا ورضينا"، ثم قرأنا فاتحة، وانصرفنا للزاوية، (وذهب)[9] الحاج محمد إلى رشيد، وأخبر أصحابه، ففرحوا بذلك، ويسر الله عليه في شراء دار بها؛ وقد كان قبل لا يسكن إلا (بالكراء)[10] وليس له مال يشتري به، فقال: "هذا من بركة *هذا*[11] الشيخ رضي الله عنه، فقدمت وتركتهم عازمين على بناء زاوية برشيد للشيخ، رضي الله عنه في سقيفة – موضع عجيب – والجمع عندهم بجامع زغلول؛ إلى أن تبنى الزاوية.

ولقيت بمصر الشيخ منصور العطار، وسألني عن الشيخ؛ وتذكرنا ساعة بكرامته، ثم قال لي الشيخ منصور: "يا ولدي أعرف ما تقول، والله إن سيدي محمد بن الفقيه ليسمع كلامك"؛ ثم تبسم

---

[1]- في (ب) "مواضبين".
[2]- في (ب) "إيش يظهر لك".
[3]- في (ب) "فقال له".
[4]- سقطت من (ب).
[5]- سقطت من (ب).
[6]- في (أ) "يكنون".
[7]- سقطت من (ب).
[8]- في (ب) "إيش قال".
[9]- في (ب) "ذهبنا".
[10]- في (أ) "الكرا".
[11]- سقطت من (ب).

/ 46أ/ ، وقال: "سيدي محمد بن الفقيه له جاه عظيم عند الله *تعالى*[1] توسلنا به إليه، أن يختم لنا بخير".

والحاصل: "كل من لقيني من البهلا (والمجذوبين)[2]، والسالكين يشير إلي بعلو مقامه"، +انتهى+[3] من خط من ذكر.

(ومما)[4] وقع للشيخ *سيدي محمد*[5] رضي الله عنه عند إرادته *زيارة*[6] سيدي أبي يعزى رضي الله عنه، ونفعنا ببركاتهما؛ وذلك أنه لما سار (بقصد)[7] الزيارة المذكورة، نزل عند خدامه أولاد (بو)[8] عبان؛ عدوة من قبيلة بني مالك، وبات عندهم، فقال (فقيههم)[9] – وكان رجلا صالحا- : "أين تريد يا سيدي"، (فقال له)[10]: "سيدي أبا يعزى"، فقال: "والله ليأتينك هو إلى *ها*[11] هنا؛ (فجلسوا)[12] قليلا؛ وقد قرب وقت المغرب، فإذا برجل قد أشرف عليهم؛ راكبا على جواد أبيض، حسن الهيئة، عليه ثياب بيض، فقال كبار الجماعة: "هذا رجل شريف، قد جاءكم؛ يبيت عندكم، فقوموا إليه"، (فقاموا)[13] إليه، فلما دنوا منه وأرادوا قبض الركاب له، (لم يجدوه)[14]؛ إلا أنهم يسمعون اصطكاك المهماز (كأنهم)[15] وسط سربة من الخيل؛ فبقوا متحيرين، فلما كان من الغد، ذهب الشيخ؛ وذهبوا حتى بلغوا مكناسة الزيتون، فلقيهم رجل من تلامذة الشيخ *سيدي محمد*[16]؛ يقال له سيدي عبد الله الفلالي، وقال للفقراء: "أين تريدون *مع سيدي*؟"[17]، فقالوا: "إلى سيدي أبي يعزى"، فقال لهم: "بالأمس أتاه وبات عنده في خمسة *من الخيل*[18]، وأنا گيدت[1] لسيدي أبي يعزى

---

[1]- سقطت من (ب).
[2]- في (أ) "والمذوبين".
[3]- من (ب).
[4]- في (أ) "ولما".
[5]- سقطت من (ب).
[6]- سقطت من (ب).
[7]- في (ب) "يقصد".
[8]- في (ب) "أبي".
[9]- في (ب) "فلقيهم".
[10]- في (ب) "فقال".
[11]- سقطت من (ب).
[12]- في (ب) "فجاسوا".
[13]- في (ب) "فذهبوا".
[14]- في (ب) "لم يجدوا".
[15]- في (ب) "في الركاب كأنهم".
[16]- سقط من (ب).
[17]- سقط من (ب).
[18]- سقط من (ب).

فرسه"، فقالوا له: "وما الأمارة؟"، فقال *لهم*[2]: "الدردارة وراء الخيمة التي بات فيها الشيخ، ووراء الدردارة صفصافة"، فأتى بالموضع اسما وعينا؛ فتعجبوا من ذلك، فذهبوا وباتوا عند سيدي محمد المؤذن، فلما جن الليل ونام؛ رأى في منامه سيدي (أبي)[3] يعزى، لقي الشيخ رضي الله عنهما؛ وعانقه وسلم عليه، فلما استيقظ قال: "والله لا أخبر أحدا، إن كانت / 147أ/ حقا، رجع الشيخ عن الزيارة، وإلا ذهب"، فلما أصبح؛ أجمع الشيخ على الرجوع، فقيل له: "إلى أين تريد؟" فقال: إلى فاس"، فقيل له: "ألست تريد زيارة أبي يعزى؟" فقال: "قد بلغت النية"، فعلم أن الرؤيا صادقة.

فانظر رحمك الله *في*[4] أهل السر كيف يقوم كل واحد *بقدر*[5] (صاحبه)[6] ويقدره قدره.

ومما وقع لبعض المحبين من أصحاب الشيخ؛ أنه جاء إلي وأعطيته الأوراد، فقال لي عند ذلك: "وددت أن لو كان أبي حيا، فيكون من أصحاب الشيخ سيدي محمد أيضا"، فقلت له: "سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول: إذا كان واحد في الدار محسوبا علي، فالدار كلها محسوبة علي"؛ ففرح بذلك وذهب، ثم لما كان الليل، رأى في منامه مصدق ذلك؛ رأى أباه، وهو ينقل رحيله ومتاعه من الحومة التي هو فيها، إلى حومة سيدنا، ومولانا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه وكرم الله وجهه، وهو يعين أباه على نقل الرحيل المذكور[7].

ومما كاتبه به الشريف المنيف *الولي*[8] الزاهد، سيدي محمد بن عبد الله المكي المكنى بالخليفة، ونصه: "الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، من محمد الخليفة بن عبد الله المكي أمنه الله تعالى، إلى الولي الصالح والبار الناصح، العالم العارف الواقف مع ربه؛ *القطب*[9] سيدي محمد بن الفقيه الشريف المصمودي، نفعنا الله تعالى بذكرك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، محبنا وأخانا في الله؛ اعلم بأننا على عهد الله تعالى، ولا تنسانا من

1- "گيدت"، كلمة عامية تعني "قيدت وربطت".
2- سقطت من (ب).
3- في (ب) "أبا".
4- سقطت من (ب).
5- سقطت من (ب).
6- في (ب) "بصاحبه".
7- سقط من (ب).
8- سقطت من (ب).
9- سقطت من (ب).

صالح دعائك، واتهلا في حامل الكتاب محمد العساوي، وادع له بخير، فإنا قد ذكرنا له شيئا من مراتبك العلية، فتعلق قلبه بلقائك، فادع لنا وله بصالح دعائك، والله الموفق والسلام"، انتهى بلفظه.

وكاتبه بأخرى (ونصها)[1]: "بسم الله الرحمان الرحيم، إلى خليفة القطب / 48أ/ سيدي ومولاي ومولاي محمد بن الفقيه الشريف الزجني، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، كيف يا سيدي توحشناك، وأردنا نظر وجهك على محبة الله تعالى، وأما السجن فسبحان الله <الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر>[2]، وأهل السماء والأرض مسجونون عند أمره تعالى؛ لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، وأما نظرك فقد أردناه محبة في الله تعالى والسلام" (انتهى)[3] بلفظه.

وكاتبه بأخرى "أيضا"[4]، ونصها: "بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا *ومولانا*[5] محمد، وآله وصحبه وسلم تسليما، من محمد الخليفة المكي أمنه الله تعالى، إلى المحب الحبيب؛ الذي تعطر نسيم ذكره على البعيد والقريب، العدل الرضي، المكمل أوصاف الرضى، الولي في أعلا مقام الولاية، الوالي في أعلا (مقامات)[6] الولات، *القطب النوراني*[7]، أبي عبد الله تعالى، أخينا في الله سيدي محمد بن الفقيه بن العافية الشريف (الزجني)[8]، نفعنا الله بذكرك، وسلام عليك ورحمة الله +تعالى+[9] وبركاته: سيدي توحشناك – والله شاهد – في حق الله تعالى، وادع بصالح بصالح دعائك، وعامل الناس بما عاملك الله، الحمد لله مائدتكم *كريمة*[10] عظيمة، عامل الأحباب بما أعطاكم +الله+[11]، ولنا فيكم ظن جميل، واعتقاد صحيح فيما أشار به عليكم الرجال، الله ينفعنا بمحبتكم آمين، واتهلا في حامله، وادع له بصالح دعائك"، انتهى بلفظه.

وكتب له الشاب الأنجد، التقي الأمجد، العارف بربه، المقتطف من نور نبيه، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الدمشقي الشامي رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم،

---

[1]- في (أ) "ونصه".
[2]- حديث صحيح، رواه أبو هريرة، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ر2956/ ص1708.
[3]- في (ب) "اهى".
[4]- في (ب) "وأيضا".
[5]- سقطت من (ب).
[6]- في (ب) "مقام".
[7]- سقطت من (ب).
[8]- في (ب) "المصمودي".
[9]- زيادة من (ب).
[10]- سقطت من (ب).
[11]- زيادة من (ب).

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، أدام الله *تعالى*[1] لكم العز والنعماء[2]، وأسعدكم سعادته التي تدوم وتبقى، وجعلكم في كفالة أولياء الله تعالى غربا وشرقا / 49أ/ بحرمة: ﴿طَهٰ ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾[3]؛ أعني بذلك سيدي وسندي، ومن على الله، ثم عليه اعتمادي، أعز الناس كلهم عندي: سيدي ومولاي *سيدي*[4] محمد بن الفقيه؛ الشريف الزجني، الأشهر الواضح، الولي الصالح، مد الله حياته مدا، ومكن له في القلوب ودا، وقد يعلم الله تعالى؛ أن العين لكم رامقة، والنفس (لمرافقتكم)[5] شائقة، والشوق قدح في قلبي زناده، ولكم عندي من المحبة زيادة، ولولا التعلل بلعل وعسى، لذابت النفس من شدة الأسا، فلما طال في الحب عذابي، قلت: يا عظيم ما في قلبي، من عظيم ما في زفرتي، وبكاها (الذي أوقعني، لكم بكيت وبكم)[6] أستغيث بكم، أنتم ملاذي، وأنتم مشتكى حزني، بالله العظيم، وتالله الكريم لو ترنمت لكم بحالي، وانقطاع أملي، وجريان دموعي، وكثرة خضوعي، ولو وصفت الأشواق، لم تسعها الأوراق؛ كما قال بعض الحداق:

وإني لم أزل أراعي وداكم تكدر وقتي بالبعاد أشواقا"[7]

ولكن يا سيدي المطلوب من الله تعالى، ثم من جزيل فضلكم؛ الدعاء الصالح، لاسيما عند الأوقات، وعند نداء الجمعة، وعند ملاقاة[8] الناس، وبعد يا سيدي، فها كتاب قادم عليكم إن شاء الله تعالى؛ من عند +سيدي+[9] محمد، بن أحمد، بن هاشم الشامي الدمشقي، بالله الذي لا إله إلا هو يا يا سيدي، لما (جئنا)[10] من عندكم؛ ما وصلنا إلا في النهار الذي أرسلتنا فيه، وهذا قليل في حقكم يا سيدي، سلام عليكم والتحية والإكرام، خديم الأولياء صاحب الكتاب والسنة، صاحب النية والتصديق، صاحب الجود والكرم، صاحب البرهان القاطع؛ في مشارق الأرض ومغاربها، جوفها

---

[1]- سقطت من (ب).
[2]- في (ب) "النعما".
[3]- طه/1.
[4]- سقطت من (ب).
[5]- في (ب) "لمصاحبتكم".
[6]- في (ب): "أمد من الذي أيا قوم أوقعني، لكم بكيت ومنكم".
[7]- لم نتمكن من العثور على صاحب هذا القول، ولا ندري أهو بيت شعر أم لا؛ حتى نزنه.
[8]- "ملاقات"،كذا في النسخة، والصواب ما أثبت.
[9]- زيادة من (ب).
[10]- في (ب) "جينا".

وبحرها، الذي أشرقت أنوار المصطفىٰ في بيته، الذي شرف (الأنبياء والصحابة و الأولياء)[1] في كتابه الذي ألف، وبشروه بالجنة لكم ﴿وِفِيهَا/ 150/ مَا تَشْتَهِيهِ ٱلأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2]، ونعلمك بإخبار (سادتنا)[3] الجمع هنا من كل مكان، وبشروك بالخير، أنت ومن اتبعك ومن استند إليك، والله تعالىٰ من رآك بعين القلب، وأحبك لله تعالىٰ؛ لن تأكل النار لحمه آية: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[4].

ونحن يا سيدي محسوبون عليك، فلا تنسانا من بالك بالدعاء الصالح، وعليك بالذي قلنا لك، واعرف +قوله+[5]: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا (لَبَلَٰغاً)[6] لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[7].

﴿١٠٧﴾﴾[7].

ونحن يا سيدي لا نريد فراقك كما قيل: (من الكامل)

لولا شروق جمالكم في ذاتي ما كنت أرضى ساعة لحياتي[8]

وسلم منا سيدي؛ علىٰ ولدك سيدي محمد خليفتك، وعلىٰ سيدي المفضل، وعلىٰ سيدي أحمد، وسلم منا علىٰ الإخوان الذين اتبعوك بالحق، وسلم علىٰ خليفة الأمير من أهل الديوان. قالوا: نصحناك، فإن كنت تريد الدنيا، ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾[9]، فأقدم لهذا الولي الصالح خديم الأولياء، العارف بالله تعالىٰ، وسبط رسوله صلىٰ الله عليه وسلم؛ سيدي محمد بن الفقيه إلىٰ مكانه، وسلم منا علىٰ القاضي، وسلم منا علىٰ جميع الأحباء، وأنا يا سيدي مسافر إلىٰ المكان الذي قلت لك، ونسألك الدعاء الصالح، ونحن يا سيدي قاعدون هذه ثلاثة أيام بفاس، مع الإخوان شربوا وهاموا، ونخبرك عن أهل البادية، وأهل المدائن. (مد حي)[10] من أراد السر والعناية، فليقدم إلىٰ هذا

---

[1]- في (ب) "الأوليا والصحابة والأنبيا".
[2]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، الزخرف/ (71). (71).
[3]- في (ب) "ساداتنا" ولعله الأقرب.
[4]- الزخرف/70.
[5]- زيادة من في (ب).
[6]- في (ب) "لبلغا".
[7]- الأنبياء/ (104 – 105 – 106).
[8]- بيت شعري لأحد العارفين لم نعثر على قائله، لكن وجدنا ابن عجيبة يستشهد به في تفسيره (البحر المديد)، الج1(المج1)، ص228.
[9]- الأعلى/17.
[10]- كلمة مبهمة في النسختين.

الشريف الصالح، خديم الأولياء؛ سيدي محمد، بن الفقيه إلى مكانه والسلام، و﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾[1]، ونحن قد أعلمناكم به وأنتم أخبر، والسلام على جميع الإخوان والمحبين في الله تعالى.

وكتب محمد بن أحمد الشامي الدمشقي الفقير إلى الله / 51أ/ تعالى المنكسر خاطره لقلة العمل والتقوى، المقر بذنبه، المعتصم بربه، طالبا منه الغفران والتوبة، والأمن والعفو والعافية، ونحن يا سيدي مسافرون إن شاء الله تعالى.

وكتبه يوم الاثنين، موفى شهر ربيع الثاني سنة ست وعشرين ومائة وألف[1126هـ]، عرفنا الله خيره وبطرة البطاقة: الحمد لله على هذه النعمة، سلام الله عليكم، فإني راحل عنكم، فإن نحن عشنا؛ يجمع الله بيننا، وإن نحن متنا؛ فالقيامة تجمع (...)[2]، وهذا ما نقول لك والله أعلم، والسلام". والسلام".

انتهى من خط من ذكر.

وكان سيدي محمد الشامي هذا؛ شابا صغيرا من أكابر (الأولياء)[3] من أهل الخطوة، وكان إن شئت ألا تجده إلا عند الشيخ، وجدته وسكانه بالشام، وقد أرسله الشيخ رضي الله عنه من أزجن بعد ما أفطر هنالك؛ فقدم علينا (والفطر)[4] بين أيدينا، من ذلك اليوم، وأكله معنا رضي الله عنه، وأمدنا من بركاتهم بفضله وكرمه آمين، والحمد لله رب العالمين.

ونقلت من خط يده الشريفة، رضي الله عنه في جواب كتاب (كاتبه)[5] به شيخ الإسلام وحجة الله في أرضه (للأنام)[6]؛ العالم العلامة، الولي الصالح، الدال على الله، التابع لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيدي أحمد بن ناصر، رضي الله عنه ما نصه: "الحمد لله الذي من علينا: فبعث فينا رسولا من أنفسنا يزكينا[7]، ووفقنا بفضله (وجعل)[8] دينه ديننا، و﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا

---

[1]- الجاثية/28.
[2]- في (أ) نجد ثلاث نجمات، وفي (ب) فراغ.
[3]- في (ب) "أولياء".
[4]- في (ب) "الفطور".
[5]- في (ب) "كتابه".
[6]- في (أ) "للأمام" والصواب ما أثبت.
[7]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾، آل عمران/ (164).
[8]- في (ب) "وجعله".

﴿[1]، والشكر له؛ الذي أنشأ عبده ورسوله من نقطة سر وجوده، فالتمست الأنبياء والرسل، وخاصة أمته غرفة من بحر نوره (فاتضحت)[2] الأسرار، وأشرقت الأنوار على قلوب الخاصة، السادات الأبرار، فانقلب ليل جهلهم نهارا / 52أ/ ﴿رُكَّعاً سُجَّداً ﴾[3]، مستغفرين بالأسحار[4]، وجعل مننه (سلسلة)[5] من رسوله في الخاصة من أمته، من عبد ربه، وأفقر الورى إليه، المرتجي عفو مولاه وغفرانه، العبد الفقير الجاني؛ محمد، بن الفقيه، بن العافية الشريف الحسني، إلى البركة الإمام، شيخ الإسلام، وحجة الملك العلام، في أرضه للأنام، الفقيه النزيه الخير الدين، الخاشع المراقب، القائم بنفله وفرضه، الحسيب الجليل، ذي المآثر والمناقب، سليل الأخيار، ونجل الأجلاء السادات الأبرار، الأنزه، الأنوه، أبي العباس سيدي أحمد[6] بن البركة، الإمام سيدي محمد بن ناصر الدرعي[7]. سلام الله الأتم، وتحياته ورحماته، ورضوانه المبارك (الأعم)[8] عليكم، وعلى كافة أحوالكم الزكية الطاهرة، أجراها الله على وفق مراده بجاه النبي وآله وبعد،

فها نحن إن شاء الله تعالى بفضله، على محبة الله وسنة (رسوله)[9] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[10]، إعلاما لسيدنا؛ أنه قد ورد علينا صاحبك سيدي الحاج شتوك، (وأتانا)[11] بسلامك علينا، وتوجهك إلينا بخير، والدعاء الصالح لنا، فبلغ لنا ما أمرته به حرفا حرفا، فجزاكم الله عنا أفضل الجزاء، فمن فضل الله علينا؛ أن من الله علينا بملاقاتنا مع شيخنا الإمام، مولانا عبد

1- اقتباس من قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾، القصص/ (82).

2- في (ب) "فاتصحت".

3- اقتباس من قوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰناً ۖ﴾، الفتح/ (29).

4- اقتباس من قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾، آل عمران/ (17).

5- في (ب) "مسلسلة".

6- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، أحد علماء المغرب وصلحائه، توفي سنة 1129هـ/1717م: ابن إبراهيم عباس التعارجي المراكشي في "الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام"، المطبعة الملكية، الرباط، 1974-1983، 2/357-363. وليفي بروفنصال في "مؤرخو الشرفاء"، تعريب عبد القادر الخلادي، دار المغرب، الرباط، 1977، صص206-207.

7- هو أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي، اشتهر بابن ناصر نسبة إلى جده. أحد أكابر رجال العلم والتصوف في المغرب خلال ق11هـ/ق17م، توفي سنة 1085هـ/1674م: أبو سالم العياشي في "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر"، تحقيق نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، ط1، 1996، ص116. وأحمد الولالي في: "مباحث الأنوار في بعض الأخيار"، صص299-302.

8 في (ب) "الأعظم".

9- في (ب) "رسول الله".

10- اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾، مريم/ (39).

11- في (ب) "وأننا"، والصحيح ما أثبت.

الله الشريف المنتسب (لشرفاء العلام)، ثم بعده توجهك إلينا وإقبالك علينا، فقد كان يوم قدوم صاحبك علينا غاية فرحنا، ومن أعظم السرور لدينا، والتجارة الكبرىٰ التي لا تبور[1]، (وما ذاك)[2] إلا من فضل الله علينا، ثم فضل رسوله، عليه أفضل الصلاة وأزكىٰ السلام، ثم من بركتكم وحسن سيرتكم الحميدة، ولسنا بأهل لهذا الفضل، ولو جئناكم حبوا، / 53أ/ فأحرىٰ (توجهكم)[3] إلينا من قبل أن نسألكم، فجزاكم الله عنا خيرا، ما يكافئكم إلا الله ورسوله، كما قال عليه الصلاة والسلام: <من صنع لآل محمد معروفا ولم (يكافه)[4] فأنا أكافيه>[5]، فنعم المكافئ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فنعم المكافئ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فنعم المكافئ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وطلبنا من سيدنا وكمال فضله؛ أن يدعوا لنا ولذريتنا بالتوفيق، ودواء القلب، بمعرفة الرب ومحبته، ومحبة رسوله؛ سيد العجم والعرب، وأن ينزع الأكنة[6] عن قلوبنا؛ كي لا نلتفت إلىٰ غيره طول طول حياتنا، وكتب أخوكم الذليل، الحقير خديم أولياء الله، وتراب أقدامهم، العبد المذكور صدر الكتاب"، انتهىٰ من خط يده حرفا حرفا.

ونقلت من خطه أيضا، في جواب كتاب، كاتبه بعض تلامذته من الإسكندرية، ما نصه: "الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ إمام الكتاب وحده، والقرآن ومجده، والعلم المكين، قيوم الوجه وقصده، حي الإمداد وحمده، والنور والتمكين أول التكوين، ورفده، روح الاستمداد وحده، وجميع العالمين وعلىٰ آله وأصحابه الذين اقتبسوا من نوره الأعلىٰ، الذي دنا فتدلىٰ[7]، أنوار الكتاب والسنة؛ فهم أئمة الهدىٰ، وأرواح من اهتدىٰ، ومعارج الانتهىٰ لمن انتهىٰ، وقادة الاقتداء لمن اقتدىٰ، وسلم تسليما.

من عبد ربه وأسير ذنبه، الراجي عفو مولاه وغفرانه، العبد الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا[8]، باطنا وظاهرا، الفقير المحتاج إلىٰ ربه يوم (حلوله)[1] في رمسه، محمد بن الفقيه، بن العافية

---

[1]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾، فاطر/ (29).
[2]- في (أ) "و ذلك".
[3]- في (ب) "توجههم" والصواب ما في (أ).
[4]- في (ب) "يكافيه".
[5]- اقتباس من حديث: " من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تجدوا أنكم قد كافأتموه"، صحيح، إرواء الغليل للألباني، ر1617/ ص60.
[6]- الأكنة: الحقد والحسد.
[7]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾، النجم/ (7 – 8).
[8]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، الأعراف/ (188).

العمري الشريف الحسني، إلى أخوي في الله، وحبيبي من أجله، وسنة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وعلىٰ آله؛ سيدي إبراهيم الجداري الإسكندري / 54أ/ وسيدي الحاج محمد القسمطيلي، سلام الله الأتم، ورضوانه المبارك الأعم عليكما، وعلىٰ من تعلق بجانبكما العلي، (تشبث بحبلكم الوثيق المسمىٰ)[2] كيف أنتم؟ وكيف هي المرضية بالله أحوالكم؟ جعلكم الله بخير وعافية، ونعم (تشمل)[3] جميعكم متوالية، ونحن علىٰ محبة الله تعالىٰ، ومحبة رسوله (إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها)[4] وهو ﴿خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾[5] ، وبعد، فقد وصلنا كتابكم مع محبنا في الله، وفي رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ السيد الحاج (الحسن)[6] الإسكندراني، وفهمنا ما تضمنه خطابكم حسبما أخبر به هو، أصلحه الله وعلىٰ يده بصدق محبتكم، وصحة نيتكم، واستقامة حالكم وقصدكم، بلغ الله مرادكم وأعطاكم ما نويتم +وفوق ما نويتم+[7]، وقد (أذنا)[8] لكما؛ أن تقبلا كل من أراد الدخول في هذه الطريقة الشاذلية[9]، ولو كان يهوديا، أو نصرانيا بشرط الإسلام والاتباع، والإقلاع عن الذنب، وترك الإصرار والابتداع، ولا تنهروا أحدا، ولا تردوه عن باب الله؛ لأن بابه باب كرم وجود، دلوه علىٰ العمل بهذه الشروط المذكورة، إذ بذلك يقع الانتفاع، وتحصل النتيجة إن شاء الله تعالىٰ، وتدبروا في ذلك قول (مولاكم)[10] الكريم في محكم كتابه الحكيم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[11]. فقد جعل الله تبارك وتعالىٰ جزاء اتباع نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعلىٰ آله، محبته تعالىٰ للمتبع، وأنتم عالمون بمحبوبيته تعالىٰ لخلقه، ومالها من الخواص، ومن جملتها ترك المؤاخذة بالذنب؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾[12] الآية، وقال

---

[1]- في (ب) "خلوله".
[2] - في (ب): "تشخت بحبكم الوثيق السمي".
[3]- في (ب) "تسمل".
[4]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾، مريم/ (39).
[5]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾، الأنبياء/ (88).
[6]- في (ب) "لحسن".
[7]- زيادة من (ب).
[8]- في (ب) "أذننا".
[9]- الطريقة الشاذلية: نسبة إلى الحسن الشاذلي.
[10]- في (ب) "مولانا".
[11]- تتمة الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾، آل عمران/ (31).
[12]- تتمة الآية: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾، المائدة/ (20).

تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتِيكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهِيكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[1]، وقال بعض العارفين في الترغيب في الاتباع: "التصريف كله مذموم، إلا تصريف الأنبياء عليهم السلام؛ لأن تصريفهم / 55أ/ هو قطب التصريف الإلهي وروحه، ولا تصريف للولي في الحقيقة، وإنما ذلك فيض نبوي علىٰ قلبه، فمن كمل في الانتفاع؛ كان فيضا كاملا معتد به، ومتىٰ لم يكمل انعكس، وهو المكر والاستدراج (أعاذنا)[2] الله منه"، وقال البصيري[3] رضي الله عنه: (الخفيف)

وإذا سخر الإله أناسا لسعيد فإنهم سعداء[4]

سخرنا الله تعالىٰ وإياكم، وجعلنا خداما لسعيد السعداء، وسيد الشهداء سيدنا ومولانا محمد ﷺ[5]، وآله وصحبه وسلم.

---

[1]- تتمة الآية: ﴿وَمَآ ءَاتِيكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهِيكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾، الحشر/ (7).

[2]- في (ب) "أعادنا".

[3]- هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البصيري، صوفي وشاعر مغربي الأصل، مصري المولد والوفاة. توفي بالإسكندرية سنة 696هـ/1296م: "الوافي بالوفيات"، خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق جماعة من المستشرقين الألمان، في فيسبادن، 1962-1974، 3/ 105-113. و"فوات الوفيات" لمحمد بن شاكر الكتبي، دار الثقافة، بيروت،(د.ت)، 36/3. و"حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" جلال الدين السيوطي، المطبعة الشرقية، القاهرة،1327هـ/1909م، 245/1.

[4]- أم القرى في مدح خير الورى (القصيدة الهمزية)، للإمام البوصيري، تحقيق وتعليق: محمد الشاذلي النيفر، إصدار واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم- فلسطين، رقم البيت 36، ص15.

[5]- سقطت من (ب).

الباب الثالث:

فيما يرجع للثناء عليه، والإشعار بمزيته وخصوصيته رضي الله عنه بإخبار أرباب المكاشفات؛ برؤيتهم له مع النبي صلى الله عليه وسلم، وما قال فيه صلى الله عليه وسلم، أو قيل له بحضرته فأقره[1] عليه الصلاة والسلام.

حدثنا المرابط الخير السيد / 57أ/ عبد الله السوسي المستوطن مولانا إدريس الأكبر رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، قال: "كنت نائما في ضريح سيدي أبي شتاء الخمار رضي الله ونفعنا به، فرأيت جمعا من الناس، وفيهم ولي الله الكامل سيدي محمد بن الفقيه، والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول له: يا محمد بن الفقيه – بلسان فصيح عربي مبين –: "أنا مأذون[2] والكاذب ملعون"؛ وكررها صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ثلاثا، فامتثل الأمر السيد المذكور، وقالها ثلاثا كما قالها صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كذلك.

هكذا قيدت عمن رآها أواخر رمضان المعظم سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف[1123هـ].

وعن الفقيه الخير الطالب عبد الرحمن الغماري الزجني الدار، قال: "بات عندي ضيف من اتوات، وسألته عن سبب قدومه، فقال لي: "إني كنت بمكة شرفها الله، فرأيت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ واضعا إحدىٰ يديه الكريمتين علىٰ إحدىٰ كتفي سيدي محمد بن الفقيه، والأخرىٰ علىٰ الأخرىٰ، ووجهه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مقابل لوجهه رضي الله عنه، فقال لي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "اذهب (إلىٰ المغرب)[3] لعند ولدي محمد بن الفقيه وعائشة أم نجة بالفحص قرب البحر"، قال: "أخبرني أنه رأىٰ ذلك يقظة".

وعن الفقيه الإمام العالم الورع الزاهد سيدي داوود التواتي أحد تلامذة الشيخ رضي الله عنه، أنه سمع رجلا ثقة يقول: "سمعت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يأذن سيدي محمد بن الفقيه ويقول له: "لا تجعل واسطة بيني وبينك".

---

[1]- في (ب) "فأقر"، وإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى سكوته عن فعل الشيء، وعدم إنكاره، مما يدل على ندبه وإباحته.

[2]- "مأدون" كذا كتبت والصواب ما أثبت. ولنقاش هذا الأمر ينظر قسم الدراسة، ص23 وما بعدها.

[3]- في (ب) "للمغرب".

وحدثنا الفقيه العدل السيد عبد الخالق جموع عن رجل – سماه فنسيته – قال: قال له: إنه كان مارا لوزان، فلما بلغ قبيلة سطة[1]، لقي الشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه، فسلم عليه وقال له: "أين تريد يا سيدي؟" فقال له: إن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أمرني وقال لي: "اذهب / 58أ/ إلى فاس وابن بها زاوية، فامتثلت أمره، وها أنا ذاهب لبنائها".

وعن المرابط الخير الطالب علي بن عبد الله البرنوسي؛ "أنه رأى الشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه مع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ +وعلى آله+[2]، ووجهه مقابل لوجه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بباب صومعة الجامع الكبير من أزجن مناما".

وعن الخير الدين السيد الحاج لحسن الإسكندراني؛ أنه رأى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ +في المنام+[3] والشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه +بين يديه+[4] وهو يخاطبه ويقول له: "يا ولدي أنت تشفع في سبعين ألفا من أمتي".

وعن الخير السيد عبد الرحمان بن (يانس)[5]؛ أنه رأى جمعا من الناس قرب المدينة المشرفة، ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه أمامه وهو يقول له: "يا جدي، +يا+[6] رسول الله، من أي فرقة أنا عندك؟"، فقال له صلى الله عليه +وسلم+[7]: "أنت من السبعين أصحاب عبد الله الشريف؛ الذين كل واحد منهم يشفع في سبعين ألفا"، قال: "ثم جعل الشيخ رضي الله عنه يشكوا للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما أصاب هذه الأمة، فأجابه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِيَةً فَاثۡبُتُواْ وَاذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٦﴾﴾[8].

---

[1]- سطة: قبيلة تحد جنوبا بعمالة فاس، وشمالا بقبيلة بني مستارة، وشرقا بقبيلة بني مزكلدة، وغربا بقبيلة الخلط. وهي قبيلة صنهاجية الأصل عربت بعد الفتح الإسلامي للمغرب، وفي التقسيم الإداري فهي تابعة لإقليم سيدي قاسم. وقد كان بها قديما = سوق أسبوعي يعرف بـ(أربعاء سطة) وتحول اليوم إلى (خميس سطة)، وهو سوق معروف بكل القبائل الجبلية والغربية. ينظر: "قبائل المغرب"، ص334. أيضا:
Le Gharb.in archives marocaines.Michaux- Bellaire Edward. vol. XX, paris,1913. p232.

[2]- زيادة من (ب).
[3]- من (ب).
[4]- زيادة من (ب).
[5]- في (ب) "بن يناس".
[6]- في (ب) "يا رسول الله".
[7]- زيادة من (ب).
[8]- الأنفال/ (46).

وعن الفقيه العدل السيد محمد بن عبد الكبير عليوات الشريف الزجني أنه: رأىٰ في منامه جمعا كبيرا من الناس علىٰ المقبرة الغربية من عين هدارة من القرية الزجنية، قال: "فدنوت إليه، فلقيني رجل منهم فسألته عن الجمع المذكور، فقال لي: إن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وسطه، وهو الذي أرسلني إليك، وأمرك أن تذهب إلىٰ سيدي محمد بن الفقيه وتقول له: "اترك ذراعا من حقك في الدار التي بينك وبين خصمك العربي بن أحمد، قال: فأرسلت طرفي نحو الجمع المذكور، فرأيته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وردني (عن)[1] الوصول إليه / 59أ/ – صلىٰ الله عليه +وسلم+[2] – أمره العزيز بالذهاب إلىٰ الشيخ سيدي محمد *بن الفقيه*[3] رضي الله عنه، قال: فانتبهت من (منامي)[4]، ثم عدت إلىٰ النوم، فرأيت مثل الرؤيا الأولىٰ بعينها، وأني ذهبت إلىٰ الشيخ رضي الله عنه فيه وأخبرته؛ فبينما أنا أنتظر +منه+[5] الجواب، انتبهت من نومي، قال: وقد كنت رأيت في تلك الرؤيا ولد الشيخ سيدي محمد وعليه (ثوبا)[6] من كتان، وقال لي: إني مشغول بشد شقي، فلما أصبح بادرت بالذهاب إليه رضي الله عنه لأخبره بالرؤيا، فلما وصلت إلىٰ داره خرج ولده سيدي محمد علىٰ الحالة التي رأيته عليها في المنام، وقال لي مثل ما قال لي فيه، فلما أخبرته بسبب مجيئي؛ (بكىٰ)[7] بكاء شديدا، ثم ذهب معي إلىٰ الشيخ رضي الله عنه، فلما دنوت منه قال لي: مرحبا بمن جئت رسولا من عنده، ثم أقسم علي بالله ألا أتكلم حتىٰ يتكلم، فقلت له: تكلم يا سيدي، فقال: كل ما أمرني به سيدي أفعله ولا أخالفه، والله لو أمرني بالخروج من هذه (البلدة)[8] رأسا لفعلته، ثم قال لي: تكلم: "فأخبرته بالرؤيا[9] من أولها إلىٰ آخرها"، فقال +لي+[10] رضي الله عنه: "أحمل أمره صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ علىٰ راسي و*علىٰ*[11] عيني"، ثم بادر لامتثال أمره صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في تلك الساعة، وقسم علىٰ حساب ما ذكر من تركه حقه، قال: وسمعت الشيخ

---

[1]- في (ب) "على".
[2]- زيادة من (ب).
[3]- سقط من (ب).
[4]- في (ب) "نومي".
[5]- من (ب).
[6]- في (ب) "ثوبان".
[7]- في (ب) "بكا".
[8]- في (ب) "البلد".
[9]- في (ب) "الرءيا" وقد وردت في مواطن عدة بهذا الرسم، والصواب ما في (أ).
[10]- من (ب).
[11]- سقطت من (ب).

رضي الله عنه يقول: والله من لم يقبل هذه القسمة لا ربح"، وكان ذلك كله في أوائل رمضان المعظم عام ستة وعشرين ومائة وألف[1126هـ].

ووجدت بخط الفقيه السيد محمد بن علي ابغلي التطواني ما نصه: "ومما وقع لكاتبه عبد ربه وأسير ذنبه محمد بن علي ابغلي سامحه الله بفضله؛ وذلك أني لما توجهت لزيارة – شيخنا وقدوتنا ووسيلتنا إلى ربنا – الشريف الأكمل سيدي ومولاي محمد بن الفقيه الحسني الزجني نفعنا الله ببركاته، في المرة الأولى/ 60أ/ رأيت في المنام: أني على شاطئ بحر، والناس على ساحله يصطادون اليواقيت، فطلبت من رجل (آلة)[1] لنصطاد بها فامتنع، فقلت: "إني تركت آلتي في مسيد سيدي محمد بن الفقيه"، فرجعت إليه وأخذتها وقصدت نحو البحر، فلما وصلته؛ خرج لي ياقوتتان كبيرتان جدا، فأخذتهما وذهبت بهما فرحا مسرورا، ثم لما استيقظت من نومي ذلك؛ دخل علينا الشيخ رضي الله عنه، وجعل يتكلم حتى قال: "كل من كتب له شيء عندنا يريه الله تعالى إياه حتى يشاهده"، وأشار بذلك إلي، فقلت له: "نعم يا سيدي؛ رأيت هذه الليلة كذا وكذا، وقصصتها عليه"، فقال لي رضي الله عنه: "أما اليواقيت فهي المعارف، وأما البحر فهو بحر المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، ثم لما رجعنا إلى بلادنا من هذه الزيارة، تقدمت عن رفقتي؛ إلى أن وصلت واد لوكس[2]؛ خرجت عن الطريق وصليت الضحى، وأسندت ظهري إلى شجرة، فنمت وأنا جالس، فرأيت سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وعلى فخديها سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهما، وبيدها آنية مملؤة حليبا أو لبنا، وسيدي محمد بن الفقيه قابض معها عليها؛ وهي تقول لي: "تقدم واشرب"، فشربت، فلم نستوف الشراب حتى مرت بي الرفقة (وأيقظوني)[3]؛ فأخذني البكاء الشديد على ما فاتني"، انتهى من خط من ذكر.

وعن الشريفة الجليلة الطاهرة الزكية السيدة الزهراء – بنت مولاي عمر الحسني العلمي، زوجة الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه – أنها رأت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعدا بينها وبين الشيخ رضي الله عنه، على سريرهما الذي يبيتان عليه، وأنها ما زالت تشم رائحة المسك من الشيخ رضي الله

---

[1]- في (ب) "ءالته".
[2]- واد لكوس: إحدى الأنهار المغربية الكبيرة الواقعة قرب العرائش.
[3]- في (ب) "أيقضوني".

عنه، وليس هو في داره ولا معه، وكانت تلقاه كلما دخل الدار لتشم منه (رائحة)[1] المسك، فيقول لها: "ما عندي منه شيء"،/ 61أ/ فتقول: "والله لقد (غشيتني منك ريحة)[2]، من الليلة التي رأيت فيها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعلىٰ آله بيننا".

وعن المرابط الخير الدين ولي الله، سيدي الحاج أبي القاسم العتابي رضي الله عنه قال: "رأيت في منامي ذات ليلة أناسا شتىٰ يزورون رجلا صالحا اسمه سيدي محمد بن لحسن؛ ولا أعرفه من أي بلاد هو، فلما قبلت يده؛ وجدت الشيخ الكامل سيدي ومولاي محمد بن الفقيه عن يمينه، وقال لي رضي الله عنه: "يا حاج لا تخف، ها أنت في رأسي"؛ وأشار بسبابته إلىٰ جبينه، فتعجبت من ذلك، وقلت في نفسي: "كيف حتىٰ يقول الشيخ هذا وليس من عادته أن يقول ذلك؟"! فما تم خاطري ذلك، حتىٰ قال لي رضي الله عنه: "ها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ"، فلما نظرت إليه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال لي: "لا تخف"؛ وأشار صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بسبابته كما فعل سيدي محمد رضي الله عنه، ثم مررت نحوه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فاستيقظت من نومي.

وعن السيد أحمد أهوار الزجني، "أنه رأىٰ في منامه: أنه واقف علىٰ ساحل بحر كبير غاية، وفيه بياض كثير، فبعث معه الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، وقال له: هلم إلىٰ الصلاة، قال: فصلينا؛ وهو الإمام رضي الله عنه، فلما فرغنا من الصلاة، قال لي: أترىٰ ذلك البياض الذي في البحر؟ إن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعطيه لي من يده ليدي"؛ وكانت الرؤيا أواخر صفر، عام ثمانية وعشرين ومائة وألف[1128هـ].

وحدثتني امرأة موصوفة بالدين والخير من أبناء عمي؛ أنها رأت في منامها رجلا راكبا علىٰ دابة عظيمة الخلقة جدا، ورجلا آخر واقفا بين يديه، فقالت في نفسها: "من الرجل الراكب الحسن الوجه؟"، فإذا بقائل يقول لها: هو رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والرجل القائم بين يديه هو سيدي محمد بن الفقيه، قالت: "فأدركها شوق عظيم جعلت تبكي / 62أ/ بسببه وتصيح، وتقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾[3]، ثم دخلت في حزب الشيخ سيدي محمد *بن الفقيه*[1] رضي الله عنه بسبب هذه الرؤيا[2].

---

[1]- في (ب) "ريح".
[2]- في (ب) "غشيني منك ريحه".
[3]- ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾، النساء/ (72).

وعن الأثبت الدين التقي الحاج محمد الصرصري التطاوني، قال: "كنت نائما وأنا بمدينة فاس؛ فرأيت في منامي ذلك شيخي وسيدي *و*[3]مولاي محمد بن الفقيه رضي الله عنه واقفا بين يدي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم قال لي رضي الله عنه: ها أنت وها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ وهو رضي الله عنه (واقفا)[4] عن يمين المصطفىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قريب منه، وعليه رضي الله عنه أثر العناية، وله رتبة عظيمة عند النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ"، قال: "فجعلت أتكلم معه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ويتكلم معي؛ إلا أني لم أتذكر الكلام الذي كان بيني وبينه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعد انتباهي من نومي"؛ وكانت الرؤيا ثلاث وعشرين من ذي القعدة عام سبعة وعشرين ومائة وألف[23 ذي القعدة 1127هـ].

وسمعت الشريف سيدي إبراهيم بن إدريس يقول: "إنه كان نائما؛ فرأىٰ في منامه ذلك كأنه سائر إلىٰ بلد، فإذا به في موضع أخضر بشيء رطب يشبه الربيع وليس بربيع، وهنالك أناس كثيرون حسان الوجوه والثياب وهم متجهون إلىٰ رجلين أمامهم علىٰ محل مرتفع كأنهما يتحدثان مع الجمع المذكور؛ أحدهما لم ير قط مثله والآخر عن يمينه، فأمعنت النظر فيه؛ فإذ به سيدي محمد بن الفقيه، ثم قام رضي الله عنه واقفا وناداني: يا مولاي إبراهيم أقبل، ها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم أتىٰ إلي وقبضني من كتفي، وذهب بي في الناس؛ إلىٰ أن دنوت من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم انتبهت من نومي قبل أن أبلغ بين يدي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ"، ثم قال مولاي إبراهيم المذكور: "مسكين، الله حسيب من بدل أو غير/ 63أ/ في منامه"، وحلف عليها أنها (الحق)[5].

وعن الشريف الأجل، الخير الأفضل، التقي سيدي محمد بن محمد بن أحمد الدقاق؛ أنه كان يقول: "كنت أطلب من الله تعالىٰ أن يريني كرامة، أو سرا من الشيخ سيدي محمد بن الفقيه لما شاع وذاع من ظهور كراماته رضي الله عنه، فاتفق لي الجلوس معه ذات يوم، فاعتقدت بقلبي ونطقت بلساني أن لا أبرح من مكاني ذلك حتىٰ نرىٰ منه رضي الله عنه كرامة، فبينما أنا كذلك إذ مر بي النوم، فرأيت في منامي ذلك؛ أني جالس بين يدي الشيخ سيدي محمد بن الفقيه بحضور من المصطفىٰ

---

[1]- سقط من (ب).
[2]- "الرؤية"، كذا كتبت، والصواب ما أثبت.
[3]- سقطت من (ب).
[4]- في (ب) "واقف".
[5]- في (ب) "لحق".

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحجار مثل الجوهر[1] أو أفضل، تنزل علي في حجري، وعن يميني وأنا ألتقطها، ثم أحسست بشيء قد وقف على ظهري فظننته شيطانا، فلم ألتفت إليه وأنا مشتغل بالتقاط الأحجار المذكورين حتى ظننت أن الصلاة قد حضر وقتها، فانتبهت من نومي، فوجدت وقتها قد حضر كما ظننت، والشيخ رضي الله عنه لم يزل جالسا في موضعه".

وحدثنا المرابط الخير، السيد عبد الله بن ياسين، القاطن بمدينة الرباط، وقال: "إني كنت أكثر من الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقمت على ذلك مدة، وقد أضمرت في نفسي، أن لا آخذ عن شيخ إلا إذا رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأذن لي فيمن آخذ عنه، فجعلت أدعوا الله وأتضرع إليه؛ كي يريني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم، والشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه أمامه، فقلت: "يا سيدي يا رسول الله عمن آخذ، فقال لي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عن هذا؛ وأشار بيده الكريمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه رضي الله عنه، فأجمعت حينئذ على الذهاب إليه رضي الله عنه إلى أزجن، فذهبت وأخذت عنه، ورأيت /164أ/ له من الكرامات ما يقصر اللسان عن ذكرها، والعقل عن حفظها نفعنا الله ببركاته آمين وأمدنا من مدده".

وكنت قلت له ذات يوم: "يا سيدي تبيت عندي"، فقال لي: "(بالآلة)[2]، فقلت: "نعم يا سيدي"، فبات وبات معه الفقراء، فلما توسط الليل والناس في أحسن ما يكون من السماع؛ تواجد الشيخ، وأخذه رضي الله عنه حال عظيم، وتواجد كل من كان بالدار من الرجال والنساء، وجعل المعلمون يضربون الآلة قائمين، {واختلط الرجال بالنساء؛ حتى كادت نفوس الجميع أن تزهق، وجعل الشيخ رضي الله عنه يقبض على يدي، ويقول: والله لمن يد رسول الله ليدك، والله لمن يد رسول الله ليدك}[3]؛ يعني أن يده كانت قابضة على يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحيث أطلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يده وأرسلها، قبض هو رضي الله عنه على يدي من غير مهلة ولا تراخ، أفاض الله علينا من بركاته آمين.

وحدثني من أثيق به، أنه: "رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه، والشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه جالس أمامه، وقد كان سمع عن الشيخ أنه كان يقول: الشيخ الكامل هو الذي يقبض

---

[1]- الجوهر: الحلي النفيسة.
[2]- في (ب) "بالإلة".
[3]- ينظر قسم الدراسة، ص: 140 وما بعدها.

صاحبه ويقول له: ها أنت وربك ونبيك، فلما رأى الشيخ رضي الله عنه، قال له في منامه ذلك: ها أنت وربك ونبيك"؛ كما كان يسمع عنه نفعنا الله ببركاته.

ومما وقع للشريف الوجيه الفقيه النزيه سيدي محمد بن عبد الوهاب الكتاني الحسني؛ وذلك أنه كان من أصحاب الولي الصالح سيدي الشيخ بن أحمد (بالصحراء)[1] نفعنا الله به؛ وكان يأوي مع أبناء عمه، زاوية الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، ويجلس مع الفقراء +ويجتمع معهم+[2] أبناء عمه / 65أ/ وغيرهم، وقد كان الشرفاء الكتانيون كلهم من أصحاب سيدي محمد بن الفقيه؛ حتى أنه لا يخلوا جمع من الفقراء عن واحد منهم، ثم بدا له (وأخذ)[3] عن الشيخ سيدي محمد لما رأى من (تواطئ)[4] أبناء عمه على الأخذ عنه، وتمالئهم عليه، فلما كان ذات يوم جلس للإقراء مع الطلبة كعادته، فلم يجد جزئية (واحدة)[5] يتكلم بها، فأخبر أبناء عمه بذلك، (فجاءوا)[6] معه إلى الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، وقال له: "يا سيدي تعلم بأني كنت من أصحاب سيدي الشيخ، ثم إني أخذت عنك كأبناء عمي، فوقع بي ما ترى، فأدخل الشيخ رأسه معه؛ وبقي كذلك هنيئة وأخرجه"، وقال له: "قم تقرئ الطلبة، والله لقد تشارعت مع سيدي الشيخ عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، قال له سيدي الشيخ: "{يا رسول الله طبعته في بطن أمه"، فقلت له: "وأنا يا رسول الله طبعته وهو في صلب أبيه}"، فقام وذهب وقد رد الله عليه رضي الله عنه، وحشرنا في زمرته.

وقد كان الشرفاء الكتانيون اجتمعوا ذات يوم عن آخرهم، وطلبوا من الشيخ العهد، فعاهدهم رضي الله عنه، وقال لهم: "والله لا جزت واحدا منكم ولا من ذريتكم، أنتم محسوبون علي أنتم و(ذريتكم)[7]"، رضي الله عنه.

وعن بعض الثقات من أصحاب سيدي سعيد الحنصالي نفعنا الله به؛ أنه كان نائما قرب مسجد الشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه بأزجن، وكان اليوم يوم جمعة ليلة خمس وعشرين

---

[1]- "السحراء"، كذا كتبت في النسختين، وما أثبت هو الصواب.
[2]- زيادة من (ب).
[3]- في (ب) "واحد".
[4]- في (ب) "تواطي"
[5]- في (ب) "وحدة".
[6]- في (ب) "فجاءو" والصواب ما في (أ).
[7]- في (ب) "ذرياتكم".

من رمضان، فرأيت في منامي ذلك جمعا كثيرا، وجما غفيرا +من الناس+[1] بباب دار الشيخ سيدي محمد، قال: "فنظرت فإذا نور يسطع من الدار المذكورة، فسألت هؤلاء الناس عنه، فقالوا لي: هنالك المصطفى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ"، قال: "ثم بقيت مع الناس / 166أ/ واقفا، فإذا بولد الشيخ سيدي المفضل قد فتح الباب وخرج، فأراد الناس الدخول فمنعهم؛ وكان مع الناس المذكورين سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف وابنه مولاي التهامي رضي الله عنهما ونفعنا بهما، ومعهما أصحابهما؛ وبقوا كذلك محصورين، ثم بعد ذلك خرج الشيخ رضي الله عنه، وقال لهؤلاء الناس: "من أحب الله تعالى والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فليتبعني"؛ وذهب أمامهم فتبعوه إلى أن وصلوا (لسوق)[2] أزجن فوجدوه مملؤا بالبر الجيد، فجعل كل واحد من الناس يحمل منه ويذهب به لدار الشيخ سيدي محمد رضي الله *عنه*[3] بإذن من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ فمنهم من كان يحمل على ظهره ومنهم من كان يحمل على البهائم، والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ واقف، وهو يقول: "اخزنوه هاهنا"؛ يعني في الدار المذكورة، "وأنا مقيم هنا ثلاثة أيام حتى تخزنوه".

وذكر لنا الخير المرابط السيد علي ملين، "أنه كان نائما فرأى في منامه خلقا كثيرا في جامع القرويين من فاس المحروسة بالله، والشيخ الكامل سيدي محمد بن الفقيه على منبر عظيم يقرئ ويروي الحديث النبوي، والناس قد تواجدوا، ودخلهم حال عظيم وخشوع وبكاء، مع سرور وبهاء؛ لا يوجد مثله إلا من الفيض النبوي، ثم إننا تفرقنا وذهبنا لدارنا بتطوان، وسيدي محمد الحصار معنا، وأنا أقول له: "هل رأيت هذا العجب؟! وما أحلى هذه الساعة"، ثم دخل علينا نور يتكوكب؛ ففزعنا +منه+[4]، فإذا بالشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه دخل علينا، فقبلنا يده، واشتغلنا بالشكوى عليه مما أصابنا من المشقة المعلومة التي نزلت بنا ونحن نستصرخ بجاهه عند الله، ثم قال لنا رضي الله عنه: / 167أ/ استصرخوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشار بيده نحو السماء، فإذا برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ننظر إليه في السماء، والنور يسطع منه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فجعلنا نستصرخ به رضي الله عنه، وهو يستصرخ به صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم قال رضي الله عنه: "*والله*[5]

---

[1]- زيادة من (ب).
[2]- في (ب) "سوق".
[3]- سقطت من (ب).
[4]- من (ب).
[5]- سقطت من (ب).

ليقضين الله لكم هذا الأمر الذي تطلبوه، ويأخذ لكم الظالم"، قال: "فكان الأمر كما قال الشيخ رضي الله عنه"، وأقسم عليه، انتقم الله من الظالم، نفعنا الله ببركاته آمين.

وعن المرابط الخير السيد علي بن عبد الرحمان الصحراوي الجراري؛ تلميذ الشيخ رضي الله +تعالى+[1] عنه أنه قال: "كنت ذات يوم نائما في آخر شهر الله صفر عام خمسة عشر ومائة وألف[1115هـ]، فرأيت كأني في زاوية بني سليم قاعدا مع ولد الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، فمر بنا رضي الله عنه، فقمت إليه وقبلت يده، وقلت له: يا سيدي كيف هو ولدك سيدي أحمد؟ فقال لي: ولدي أحمد مقبوض وأنا أديت عنه، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قادم ورائي، ثم ذهبت إلى الموضع المعد لقضاء الحاجة، وقضيت حاجتي، وتوضأت ودخلت المسجد، فوجدت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قائما، وابنته سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها واقفة معه، فقلت له صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: من (هذه)[2] المرأة يا رسول الله، فقال: ابنتي فاطمة، فقلت: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، وكثرت من ذكرها حتى (استيقظت)[3]، فوجدت قلبي ولساني يذكران وعيني تدمعان، فقالت لي زوجتي: ما لك؟، فقلت لها: رأيت المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وابنته سيدتنا فاطمة الزهراء معه ببركة شيخي سيدي ومولاي محمد بن الفقيه".

ونقلت / 68أ/ من خط بعض الثقات ما نصه: "حدثنا أخونا في الله السيد محمد بن محمد الخياط الأندلسي، "أنه لقي الشيخ البركة العارف بالله؛ سيدي محمد بن الفقيه الشريف الحسني قرب الولي الصالح سيدي السعيدي بمدينة تطوان، في التاسع من شوال عام ثلاثين ومائة وألف [1130هـ] يقظة، فلما جن الليل؛ رآه في نومه في ذلك الموضع، ورأى ورقة صفراء قد سقطت من السماء على عضد الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، فأمسكها بيده والتفت إلي، ثم رمى بها إلى السماء فسقطت علي، ثم قبضني من عنقي وضربني ضربتين بين كتفي، وأمرني بالذهاب معه، فذهبنا إلى أن قربنا من باب في حائط هنالك قرب سيدي السعيدي المذكور، فقرأ على ذلك الباب سورة الإخلاص ثلاثا، فانفتحت ودخلنا، ثم قال لي: "أنا صاحبك والله ما عندك صاحب غيري، وكررها ثلاثا".

---

[1]- زيادة من (ب).
[2]- في (ب) "هاذه" والصواب ما في (أ).
[3]- في (ب) "استيقضت".

وقد كنت رأيت (رؤيا)[1] أخرىٰ قبل هذه؛ رأيت رجلا أتاني، وقال لي: "قم إلىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ" (وقمت)[2]، فلما خرجت من بيتي وجدته داخل الباب الأولىٰ؛ فسلمت عليه وقبلت طرفه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ودخلت أمامه أهيئ له موضعا يجلس فيه في مكاني، فلما دخلت المكان وجدته كله يفور بالماء الصافي، ثم دخل صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والشيخ سيدي محمد بن الفقيه عن يمينه، فجعلت أقول: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ وأشير إليه، (وأخرىٰ)[3] إلىٰ الأرض وأقوم مكررا للشهادتين ثلاث مرات؛ كل ذلك والشيخ عن يمين النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما، انتهىٰ.

وعن المرابط الخير الدين السيد عبد القادر بن محمد المالكي العروي؛ "أنه رأىٰ في منامه جمعا كبيرا وجما غفيرا من الأولياء، وأنه لم يعرف منهم / 69أ/ ؛ إلا الولي الصالح سيدي عمر بن غانم نفعنا الله به، وقد أم ذلك الجمع الكبير المذكور، وصلىٰ بهم ركعة واحدة وسلم، وقام نفعنا الله به ونادىٰ: لا إله إلا الله محمد رسول الله، من وافق عبد القادر بن محمد في الحرث وحرث مدا من القمح، وحافظ عليه وبلغه للشريف سيدي محمد بن الفقيه أغناه الله تعالىٰ"، فقال له الفقيه سيدي محمد بن عثمان: "أبي عبد القادر هو؟" فقال له: "عبد القادر (بن عبد القادر)[4] البوعباني؛ أمارته: مشقوق السن"، فقال له: "هذه بدعة"، فأجابه سيدي (محمد)[5] بن غانم المذكور: "قلبي احترق بالنار، وأنت تلومني؟!، فبالله الذي لا إله إلا هو، ما أخبرتكم إلا بما سمعت من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، افعلوا ﴿ مَا تُومَرُونَ ﴿٦٧﴾﴾[6]، فإن خبتم فأحرقوني بالنار"، فلما أصبح، أخبر الناس بما رأىٰ، فنظروا إلىٰ أسنانه فوجدوا إحداهن مشقوقة، ولم يكن واحد منهم يعلم فيها ذلك قبل، وكانت هذه الرؤية بواد ارضات، فراوده علىٰ أن يحرث معهم للشيخ رضي الله عنه ببلادهم، (فأبىٰ)[7] وقال: "والله لا أحرث إلا ببلادنا ولا أحرم إخواني"، فقدم إليهم وأخبرهم بالرؤيا، فامتثلوا وفعلوا ما أمروا به، فظهر في زرعهم من البركة ما لم يعتادوه قبل، وأعطاهم الله من الزرع ما لم تسعه أمراسهم[8]؛

---

[1]- "رايا"، كذا كتبت والصواب ما أثبت.
[2]- في (ب) "فقمت".
[3]- "وأخر" كذا كتبت والصواب ما أثبت.
[4]- في (ب) "بن محمد".
[5]- في (ب) "عمر".
[6]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُومَرُونَ ﴿٦٧﴾﴾، البقرة/ (67).
[7]- في (ب) "فأبا" والصواب ما في (أ).

أمراسهم[1]؛ حتىٰ حفروا مطامر (أخرىٰ)[2] من فضل الله تعالىٰ، وفضل رسوله (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ)[3]، وحملوا للشيخ رضي الله تعالىٰ عنه مما حرثوا له سبعة عشر وسقا، ومن كذب منهم في هذه الرؤيا[4] لم يصلح زرعه ولا ربح فيه؛ والأرض واحدة، وكان هذا سنة ثمانية وعشرين ومائة وألف[1128هـ].

ووجدت بخط الفقيه النزيه الزكي العالم سيدي العربي بن العلامة القدوة البركة سيدي محمد بن أحمد الشريف الحسني/ 170أ/ الزجني؛ ولد عم الشيخ رضي الله عنه، ونفعنا به ما نصه: "ومما رأيه عبد ربه محمد العربي بن محمد بن أحمد الحسني – رأيت في عالم النوم – أني بشاطئ نهر وعليه جموع من الناس، ثم إن بعضهم أقام الصلاة وقدموا واحدا منهم، فذهبت أريد الوضوء لأصلي مع جماعة أخرىٰ منهم، فإذا أنا بمسجد وبيدي كتاب (منظوم)[5] بمدح النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والثناء عليه، لا أدري في أي بحر من بحور الشعر هو؛ يروق العقول والألباب بحسن نسج المعاني، وبديع فصل الخطاب، وكنت أرىٰ ذلك الكتاب للشيخ الكبير، والغوث الشهير، الولي الصالح، سيدنا ومولانا محمد بن الفقيه الشريف العمري الزجني؛ لكن لم يتبين لي هل هو كلامه (ونظمه)[6]، أو جمعه من كلام كلام عاشقي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأنا أعجب منه وأقول: إي والله لقد تجرد هذا الشيخ رضي الله عنه لحب المصطفىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والثناء عليه، إي والله لا يقدر أحد علىٰ عشق النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مثل هذا العشق، ثم التفت وأنا في ذلك الموضع، فرأيت روضة أو مسجدا مربع الزوايا في وسط سطح عال مربع، وعليه كسوة حرير أسود والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جالس فوقه، ورجلاه الكريمتان مبسوطتان أمامه، فدنوت إلىٰ السطح المذكور، (وحتوت) علىٰ ركبتي من حيث رجلاه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قبالة وجهه الكريم، وجعلت أجدد النظر في وجهه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لعدم +القدرة+[7] علىٰ تحقيق النظر فيه؛ من أجل سطوع الأنوار عليه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأنا مع ذلك أضرع إلىٰ الله تعالىٰ، وأرغب لديه حتىٰ أدركني منه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ / 171أ/ شوق عظيم؛ كادت روحي أن تقبض معه، وانشرح صدري انشراحا؛ حسبت أن قلبي انشق له، فلما كان يتلجلج في صدري حب

---

[1]- أمراسهم: مكان تخزين وحفظ الزرع.
[2]- في (ب) "أخر".
[3]- في (ب) "عليه الصلاة والسلام".
[4]- "الرؤية"، كذا كتبت والصواب ما أثبت.
[5]- في (ب) "منضوم".
[6]- في (ب) "ونضمه" والصواب ما في (أ).
[7]- زيادة من (ب) لطمس ما في (أ).

الرجوع إلى ذلك الموضع، والإتيان إلى رؤيته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لعظيم ما وجدته في قلبي، في الحال أجابني صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عما في ضميري، وتكلم بكلام إلى أن قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: "فما هو؟ أينما أردتم الإتيان إلينا فأتوه يفتح لكم الباب"؛ وأشار صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى الإمام الذي أم تلك الجموع المذكورة؛ وهو الإمام الشهير الكبير الشأن سيدي محمد بن الفقيه المتقدم ذكره.

ثم بعث معنا الفقيه الأستاذ سيدي محمد، بن أحمد بن الفقيه الشريف الحسني – ولد عم الشيخ المذكور – عن يمين السطح، فقال للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: "أنا يا سيدي لا (أعمل)[1] علي جميلا لأحد، أينما أردت المجيء إليكم جئته يفتح لي؛ ويعني بذلك الشيخ المذكور، *ثم*[2] انتبهت من نومي، فوجدت ذلك الشوق لم يزل بقلبي ودموعي سائلة، فبقيت مدة من أيام، وأنا كلما ذكرت (وجهه)[3] صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ التي ليس لها مثيل في كمال الحسن وجميل محاسن الصفات، وما يترتب على على ذكرها واستحضارها في القلب من النتائج والثمرات، والفوائد والخيرات – على حسب ما رأيت في منامي انطبعت تلك الصورة الحسناء في قلبي سريعا – وأخذت بمجامع لبي جميعا، واعتراني ذلك الشوق واللهب، حتى لا يبقى هم في القلب قط، دنيوي ولا أخروي؛ وذلك بما خص به هذا الهيكل المحمدي، والشكل الأحمدي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، من القرآن بذكر رب الأرباب، ودوام الوصل، وشدة الاقتراب، فإن ما يلوح للعارفين – رضي الله تعالى/ 72أ/ عنهم ونفعنا ببركاتهم – من أسرار الحضرات الربانية، وأنوار المشاهد الذاتية، وما يقتنصون من العلوم اللدنية، ويقتنصون من مختوم رحيق الأذواق العرفانية، مع استحضار ذاته الشريفة في قلوبهم، وانطباع صورته اللطيفة في روحانيتهم، أعظم دائرة وأوسع، وأكبر فائدة وأنفع؛ هذا بالنسبة لمن غلب عليه الشهود، حتى غاب عن الكل في ذات المشهود، ولم يقصد ابتداء إلى ترك ذكر الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أما من قصد ابتداء إلى ترك ذكر الرسول *صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ*[4] زاعما أن: ذكر الله تعالى إذا لم يكن مجردا عن ذكر الغير الغير تقل ثمرته، ويضعف تأثيره؛ فهذه كما قيل: مقالة قريبة من الكفر، أو هي الكفر بعينه، فليس له إلى مقامات الشهود من سلوك، ولا سبيل له إلى الانخراط في هذه السلوك، عافانا الله سبحانه من

---

[1]- في (ب) "أعمال".
[2]- سقطت من (ب).
[3]- في (ب) "صورة وجهه".
[4]- سقط من (ب).

العمى عن سواء الطريق، وسلك بنا مسالك ذوي التحقيق؛ ولهذا يحض العلماء رضوان الله عليهم على إيصال ذكر الله تعالى، بذكر الرسول عليه الصلاة والسلام؛ وذلك لشدة الاقتراب، ورفع الحجاب، وقوة الرسوخ في حضرة القدس، ووجود الأنس، وفيض الأنوار العظام، والأسرار التي لا ترام، ولا يطمع أحد أن ينال منها مثقال ذرة أو حبة من خردل، إلا اقتباسا من حضرته بواسطة استحضار صورته عليه الصلاة والسلام، ولله در الإمام أبي عبد الله الساحلي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، إذ يقول في قصيدة له في الذكر: (الطويل)

وصل بين ذكر المصطفى وإلهه ... وإياك أن تنسى نبيك في الدهر

فما فاز من قد فارق البدر لمحة ... وهل فاق 77إلا من تمسك بالبدر؟!

تعلق بأذيال الذين تفرغـــوا ... لخدمة هذا المصطفى كأبي بكر

/173أ/ فما فارق الصديق ذكر محمـــد ... وإن كان في الأفراد كالكوكب الدر

وما نال تصديقا بغير حبيبـــه ... فدع قول بدعي تدنس بالـــوزر[1].

ووجدت بخط الفقيه النبيه العالم، سيدي عبد الله الشلوشي الشريف الحسني العلمي ما نصه: "ومما كتب به الفقيه الأديب الحلاحل، الحسيب التقي النقي سيدي مسعود مغنوج للشيخ الكامل المحقق الواصل العارف بربه، العلي الشريف الحسني سيدي محمد بن الفقيه الزجني الدار، رضي الله تعالى عنه ما نصه: الحمد لله والصلاة على رسول الله، مقر خلدي وذخر أبدي، وخير من شددت عليه أزمة (يدي)[2]، الفقيه الصالح، البار الناصح، القطب الواصل، الشريف الكامل، عوض والدنا سيدنا ومولانا محمد بن الفقيه بلغك الله غاية (المسئول)[3] والمقصود، وكان لك ومعك في الصدور والورود، وسلام على مقام سيدنا ورحمة الله وبركاته تترا عليكم آصال الدهر وبكراته، سلام كريم، بر عميم، منوط بالرضى والتسليم، كتب العبد لسيده عن خير وعافية، ومحبة صافية وبعد، سيدي اعلم لما قدمت فيما سلف، وسررتنا بقدومك وفرحنا بملاقاتك، فيا لها من نعمة لو عادت إلينا، وقد شاهد سرها أهل البصر، وخضع كل لمشاهدتك، ولمنة الله التي من بها عليك، زادك الله (نورا)[4] على

---

[1]- أبيات لأبي عبد الله الساحلي من قصيدة له في الذكر تعذر العثور عليها.

[2]- في (أ) "سيدي".

[3]- في (ب) "السول".

[4]- في (ب) "نور"، والصواب ما في (أ).

نور، وقوى حرمك، ولا أفجعنا مولانا ببعدك عنا، فما كانت تلك الأيام إلا حلما، فيا ليتها لو دامت أو عادت، ولما خرجنا لوداعك (يوم ظعنك)[1]، صرت أتمثل بقول القائل من (المتدارك):

ودعوا قلبي يوم ودعوا كربا خلته مني أجدما[2]

ويقول القاضي عبد الوهاب حين خروجه من بغداد إذ يقول: من (السريع)

ودعت قلبي يوم ودعتهم وقلت: يا قلبي عليك السلام

/174/ وأنت يا نومي انصرف راشدا إنما عيني بعدهم لا تنام[3]

ولقد تركت حالي بعدك حال غصن (ذوى بعد ارتوائه، ونجم هدى)[4] بعد اعتلائه، ما حال ذو نبات غاب عنه مطره؟! وسار في ليل ذهب عنه قمره؟! وقد ألمني فراقك، وغادرني بعدك وأنا أشتاقك، وحملت مع يسير الفرقة، عظيم الحرمة، ومع قليل البعد، كثير الوجد، (وفقدت)[5] صبري، وأصبحت فريغا من صدري، فما فارقتك طويلا حتى لم أجد لصبري جميلا، ومن شاهدني شهدت له (حيرتي)[6]، دون محاورتي، وأخبرته عبرتي دون عبارتي، فلا أجد إلا العويل لو كان يغني، ولا استنصرت غير الوجد لو كان يجدي، وصرت أكابد تلك الليلة إلى أن مضى من الليل نصفه، فغفوت ورأيت فيما يرى النائم كأني في بطاح من الأرض، عن يميني جبل عظيم، وعن شمالي جبل لا نبات فيه، فبينما أنا كذلك؛ إذا رجل منقب أقبل علي لم (أر)[7] منه إلا الحدق، ولم أدر من أين أقبل، وكنت متوجها إلى القبلة، وقال: "اجر هذا الماء"؛ وأشار نحو الغرب في القاع الذي بين الجبلين، فنظرت حيث أشار؛ فإذا ماء يجري فتبعني، ثم تحيرت في قضية الماء وقلت: "هذا ماء لا غرس لي ولا زرع أسوقه إليه"؛ فبينما أنا على تلك الحالة، وإذا بك واقف خلف ظهري، وأنت تقول: "سلم على المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ" ثلاثا، فارتعدت ودخلني رعب، فانخفضت إلى رجليه وصرت أقبلهما

---

[1]- في (ب) "ضعنك" والصواب ما في (أ)، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين﴾، النحل/ (80).

[2]- بيت شعري لم نعثر على قائله.

[3]- بيتا شعر من كتاب (لوعة الشاكي ودمعة الباكي)، صلاح الدين الصفدي، ضبط وشرح وتصحيح: الأديب الأستاذ محمد أبو الفضل محمد هارون، ص36. مع الإشارة إلى كلمة "ودعتهم" كتبت "توديعهم" من البيت الأول، وكلمة " إنما" كتبت " فإن" من البيت الثاني.

[4]- في (ب) "عصن دوي". و"نجم هدى" في النسختين، ولعلها "هوى".

[5]- في (ب) "فقدة"، والصواب ما في (أ).

[6]- في (ب) "جبرتي".

[7]- في (أ) "أرى".

وقلت: "الأمان يا رسول الله"؛ رافعا بها صوتي مرارا، فوضع يده المباركة على كتفي الأيمن، ثم إنك (ناديتني)[1] -أعزك الله- أن قم واجر الماء المتقدم ذكره، فحركت الماء المذكور وتبعني منه جدول عظيم، وسار معي نحو الميل، ثم إنك بارك الله فيك قلت لي: "اركب / 75أ/ واصعد الجبل"، فاستحييت وخجلت من ركوبي أمامك، وغلظت لي في الكلام، وركبتني بيدك، وقلت لي: "اصعد الجبل الذي لا نبات *فيه*[2]"، فركبت وارتفعت في الجبل؛ نحو النصف منه، فانتبهت فرحا مسرورا، وحمدت الله تعالى على ذلك، وما ذلك إلا من بركاتكم، فهذه منة من الله تعالى نسأله أن يصحح لنا ذلك يقظة، بفضله وجوده إنه جواد كريم، غفور رحيم، كما نسأله سبحانه أن يجعلنا ممن ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[3]، ويمتعنا والمسلمين بمحبتكم في الدارين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وبقيت أشتاقك كما أشتاق الجنان، وإن لم يتقدم لها عيان، فأنا وإن عاقني الحال عن لقائك، قد اشتملت على الأنس ببقائك، أبقاك الله تعالى لنا محفوظا، وبعين الرعاية ملحوظا، وقد اشتقت إلى محاسنك التي اشتهدت أنوارها، وأثارت أخبارها، لا زالت الأيام تكشف من فضل أخبارك، وتعرض علي من بركاتك ما يشوقني إليك وإن لم أرك، ويزيدني رغبة في ودك ورضاك، أسفي على غفلات العيش ولحظات الأنس، أسفي على رداء من الأيام رقيق، ما لبسناه حتى خلعناه، وروض من الزمان أنيق ما حللناه حتى فارقناه، آه على أيامنا، والدهر غافل وباعه قاصر، وروض التقاء (ناضر)[4].

أسأل الله تعالى أن ينتقم من أيام النزاع برد (أيام)[5] الاستمتاع بالاجتماع.

و اعلم سيدي أن كل شهر وجمعة أراك، وفي كل مرة على حال؛ ففي يوم سفرك الرؤيا المتقدم ذكرها، ومرة أخرى رأيتني على جرف وأنت تقول لي: "اقبض هذه الأغصان مخافة أن تقع عن الجرف مرتين"، ومرة رأيتك تضرب رجلا؛ وأنت / 76أ/ تسبه، وصبيحة يوم أثناء سفرك رأيتك بدار سيدي محمد الحصار، ودخلت أسلم عليك؛ فوجدتك ملقى على ظهرك وعليك أثر الألم، فسلمت عليك وقلت لك: "يا سيدي وما هذا الغيار الذي أرى عليك؟"، فأشرت إلى أسفل نعليك

---

[1]- زيادة "ناديتني أنت" في (ب).
[2]- سقطت من (ب).
[3]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، المائدة/ (56).
[4]- في (ب) "ناصر".
[5]- في (ب) "بأيام".

بين المشطة والعرقوب، ورأيتني موضعا ناتئا قدر النواة (وقلت)[1]: "هذا الوجع كان أصله من كتفي الأيمن"، فقلت لك سيدي: "هذه حملة نزلت عليك وسلمك الله تعالىٰ منها، فأشرت إلي بنعم"؛ فبينما أقص الرؤيا علىٰ أخينا السيد الحاج الحسن الإسكندراني، وإذا بصاحبك سيدي قد وقف علينا وقال: "أين مسعود مغنوج؟"، فقلت: "أنا ذاك"، فناولني كتابا فقبلته ألفا، ويد حامله عشرا، فوجدت كتابا نسيت بحسنه الروض الأخضر، وغفرت للزمان ما تقدم من ذنبه وما تأخر[2]، فما ذكرت من كلامك حرفا؛ إلا ووجدت علىٰ قلبي خفا، شقت منه بالنعيم الأبيض والعيش الأخضر، واستلمته استلام الحجر، فكان كالمشتري أضاء للمسير، أو قميص يوسف جاء به البشير، فشرح النفس وبسط الأنس، وبرد الأكباد والقلوب، وعاد قميصا علىٰ أجفان يعقوب، تناولته كما يتناول الكتاب المرقوم، وفضضته كما يفض الرحيق المختوم.

وأما ما ذكره سيدنا في كتابه علىٰ قدوم الولي الصالح، سيدي الحاج محمد البقال، ونجله المبارك الذي صدر منه ما صدر في المسجد، فهو في (أفسح عذر)[3]، وما صدر منه ذلك؛ إلا لصغر سنه، وعدم علمه، وحب أولي الرياسة.

وقد كان حضر معه بعض أصحاب المخزن، وعمل ذلك لما رأىٰ من حب أولي الأمر في جانبك، وتعظيمه لذكرك، ولا يهمك سيدي أمر ذلك، كما قال سيدي عبد الله عياش: من (الطويل)

/178/ {لأجل صحابي أن أسيء لهم ذكرا وأحمي لساني أن أقول به هجرا

وأمنحهم ودي ومن زل أو هفى وإن لم يجد عذرا جعلت له عذرا[4]

وكما قيل: من (البسيط)

ما ضر شمس الضحى في الجو طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر[5]

وأما ما قاله سيدنا علي؛ الرجل المعلوم، فقد سرح العنان بمدحك، والثناء عليك سيدي، وهو والله ممن يحبك ويحب جانبك.

---

[1]- في (ب) "وقلت لي".
[2]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، الفتح/ (2).
[3]- في (ب) "أفسخ عدر".
[4]- بيتا شعر نسبا إلى أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (1037-1090هـ)، فلم نعثر عليهما.
[5]- بيت شعري لم نعثر على قائله.

وكتب محبكم على الدوام، ومقبل الرجلين والأقدام، عبد الله تعالى، وخديمكم في الله سبحانه مسعود مغنوج.

وحدثنا السيد الأجل، الخير الأفضل، الحاج الحسن الإسكندراني قال: "إنه رأى هذه الرؤيا التي نذكرها قبل أن يحج، فلما من الله تعالى عليه، وحج رأى الأمر يقظة كما رأى مناما؛ وذلك أنه: كان نائما ليلة الجمعة في شهر الله رجب عام ستة عشر ومائة وألف [1116هـ]، فإذا هو يرى نفسه {راكبا على جواد شديد البياض، فسار به إلى أرض (خضراء)[1]؛ وفيها دائرة عظيمة من الناس لا يحصي *عددهم*[2] إلا الله تبارك وتعالى، ولم يعرف منهم إلا السيد محمد بن قاسم البشري، قال: فأردفته ورائي على الجواد، وقلت له}[3]: "تذهب معي"، فقال لي: "إلى أين؟"، (وهؤلاء الناس)[4]؛ حسان الصور وجوههم كالبدور (النيرات)[5]، (وقاماتهم)[6] كالنخل الباسقات[7]، ثم كشف الله لي الحجاب، فرأيت وسط الدائرة نورا بهيا صافيا، صاعدا نحو العرش؛ خرق (السماوات)[8] كلها، فلما التفت إلى الدائرة؛ رأيت فيها أربعة رجال معدلة بهم الدائرة المذكورة على حسب الجهات، ولم ندر من هؤلاء الأربعة، وكل واحد منهم على ربوة صغيرة، ثم إن الجواد المذكور قصد (نحو)[9] الركن القبلي؛ حتى وقفت (على)[10] ربوة ذلك الركن – بين يدي أحد الأربعة الذي عليها – فوجدت في يده ردينا}[11] / 90ب/ +عظيما لامعا؛ طول سنه مقدار ذراعين، وعرضه مقدار ذراع[12]؛ وهو خاطف للأبصار[13] لشدة لمعان نوره، فقلت لصاحب الردين: "أنت سيدي محمد بن الفقيه؟"، فقال لي:" نعم"؛ هذا محمد بن الفقيه، فنزلت وسلمت عليه، وأقسمت عليه بالله تعالى؛ أن يقول لي ما هذه

1- في (ب) "خضراء مدهمة".
2- سقطت من (ب).
3- "راكبا على جواد شديد البياض، فسار به إلى أرض خضراء مدهمة، وفيها دائرة عظيمة من الناس لا يحصي عددهم إلا الله تبارك وتعالى، ولم يعرف منهم إلا السيد محمد بن قاسم ابشري، قال: فأردفته ورائي على الجواد، وقلت له" مكررة في (ب).
4- في (ب) "قلت تذهب معي وهم".
5- في (ب) "المنيرات".
6- في (ب) "وقامتهم".
7- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾، ق/ (10).
8- في (ب) "السموت".
9- في (ب) "في نحو".
10- في (ب) "بين يدي".
11- قدر صفحة مكررة في (أ)، من البيت الشعري: "أجل صحابي [إلى] ردينا".
12- "دراع" كذا في النسختين، الصواب: ما أثبت.
13- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾، البقرة/ (20).

الدائرة؟ وما هذا النور؟ فقال لي: "أما الدائرة فدائرة الأولياء كافة؛ وهو ديوان الصالحين بأجمعهم وأهل الدائرة والعدد، وأما النور الذي خرق السماوات[1]؛ فهو نور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في وسطه"، فأخذت بثياب الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، وألويتهم على يدي، وقلت له: "يا سيدي أقسمت عليك بالله إلا ما أوصلتني إليه؛ لأني شائق إليه غاية"، فقال لي: "يا بني هو الآن مشغول عنك في الديوان؛ ولكن عن قريب يجمعك الله به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وأجسام أهل الدائرة المذكورة؛ كلها نور ولكنها تتميز بعد حين، وجسم الشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله تعالى عنه كله نور؛ شعره ولحمه وسائر أعضائه، ولم أطق أن أحقق فيه ببصري لشدة شعاع الأنوار.

ثم مر السبت والأحد والإثنين، ليلة توضأت وصليت وطيبت منزلي، / 91ب/ وقمت مستخليا بنفسي، فلما نمت، رأيت ثلاثة رجال مثل أهل الدائرة؛ طوال الأعناق، حسان الصور[2]، فقالوا لي: "قم أيها النائم"، فقمت، فقالوا لي: "اتبعنا على بركة الله"، فذهبت معهم إلى أن وصلوا مدينة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا لي: "هذا باب السلام، فلما رأيت كثرة ترادف النور؛ أدركني منه الدهش، ولم أستطع أن أرفع بصري إليه؛ لعظمة فيض ذلك النور كفيض البحر بالأمواج، ثم بعد حين جددت النظر- بعد مشقة - فرأيت أناسا مثل المتقدمين واقفين، شاخصين بأبصارهم+[3] / 79أ/ إلى الأرض صامتين، ثم أعدت النظر والنور يكاد يخطف بصري؛ وأنا أقول: "الصلاة والسلام عليك يا رسول الله"، فكشف الله لي، فرأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يُصَلِّيْ فِي الْمِحْرَابِ﴾[4]، فدنوت منه وجلست إلى أن سلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذت في الذمام والاعتذار له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقول: "الشفاعة يا رسول الله"؛ فمد يديه الكريمتين، وقال عليه الصلاة والسلام: "**اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وتجاوز عن سيئاتهم يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين**"؛ وكررها ثلاثا، ثم (انحذرت)[5] لأقبل فخذه عليه الصلاة والسلام، فأنزل يده الكريمة (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[6] علي، ونادى سيدي محمد بن الفقيه فأجابه: "لبيك يا رسول الله"، فقال له: "خذ هذا الإنسان واتهلا فيه"، فأخذني وضمني إليه فسكن قلبي حينئذ، ثم قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وأنا

---

[1]- "السموت" كذا في النسختين، والصواب: ما أثبت.
[2]- "الصوار" كذا في النسختين، والصواب ما أثبت.
[3]- زيادة من (ب).
[4]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَٰئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾، آل عمران/ (39).
[5]- "انحذرت" كذا في النسختين، والصواب ما أثبت.
[6]- في (ب) "عليه الصلاة والسلام".

انظر إلى النور يتدافق من تحت قدميه الشريفتين حتى غاب عني، فقلت - مع جزع - له: "يا سيدي قد مر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ"، فقال لي: "لا تجزع قد مر راضيا عنك، والحمد لله، انتهى".

الباب الرابع:

في إغاثة الملهوفين، وفك المأسورين، ونجاة الغارقين والمتوغلين في الشدائد، والمستصرخين به رضي الله *عنه*[1] برا وبحرا.

فصل: فيما وقع منها برا.

وجدت بخط الفقيه الأجل *الخير*[2] الأفضل الطالب دحو الغماري الزجني ما نصه: "الحمد لله كنت يوما جالسا بإزاء جامع الولي الصالح، سيدي عبد الرحمن المجذوب[3] نفعنا الله به، (بسوق أزجن)[4] / 80أ/ مع الولي الكبير، و(الغوث)[5] الشهير- شيخنا وقدوتنا ووسيلتنا إلى ربنا - سيدي ومولاي محمد بن الفقيه الشريف *الحسني الزجني*[6] المصمودي، ومعنا أبو سكل الرهوني؛ فإذا بالشيخ سيدي محمد بن الفقيه قام مسرعا، وأقبل وأدبر كأنه يطلب أحدا، وهو يقول: "الحديد" - ويكررها مرارا في غير حاله - ثم جلس فقلنا +له+[7] "بالله عليك يا سيدي إلا ما أخبرتنا ما هذا الأمر؟"، فأبى وامتنع، فأعدت عليه (وتشفعت)[8] له ، فقال +لي+[9]: "الآن حمل أعرابي على مولاي إسماعيل (وأراد)[10] أن يضربه فمنعته؛ وكان مولاي إسماعيل إذ ذاك (في حركة القويعة)[11]، فتعجبت من ذلك، وذهبت إلى الموضع الذي أقبل إليه الشيخ رضي الله عنه، فوجدت فيه أثر حافر فرس، يابس لا بلل به، وغيره من المواضع فيه أثر المطر؛ لأنه كان ينزل مطر قليل في ذلك الوقت (أثر في)[12] وجه الأرض، وحافر الفرس المذكور قدر حافر الجمل، فقلت: "والله لأؤرخن هذا اليوم *والساعة*[13]"، ففعلت وبقي عندي محفوظا إلى أن قدم السلطان *مولاي إسماعيل*[1] من الحركة

---

[1]- سقطت من (ب).
[2]- سقطت من (ب).
[3]- هو أبو زيد عبد الرحمن بن عياد بن يعقوب الشهير بالمجذوب، ولد بتيط قرب أزمور سنة 908 هـ/1503م، وتوفي سنة 976 هـ/1569م ودفن بمكناس: محمد بن جعفر الكتاني في"سلوة الأنفاس"، 249/2 - 250. وعبد القادر الخلادي في "الشيخ عبد الرحمن المجذوب: عصره وأثاره"، في مجلة دعوة الحق، العدد9-10، غشت 1968. صص116 - 125.
[4]- في (ب) "بزاجن بسوقه".
[5]- في (ب) "القطب".
[6]- سقط من (ب).
[7]- من (ب).
[8]- في (أ) "وشفعت".
[9]- من (ب).
[10]- في (أ) "وأزاد".
[11]- في (أ) "القريعة".
[12]- في (ب) "رطب".
[13]- سقطت من (ب).

المذكورة، فورد علينا بأزجن السيد محمد اعراص؛ وقد كان في الحركة المذكورة، بعد أن أخبرت صهره القائد محمد بن علي بالقصة المذكورة، فسأله القائد المذكور بمحضري عن ذلك، فقال له اعراص المذكور: "(نعم وقع ذلك (ساعة)[2] كذا (من)[3] يوم كذا في شهر كذا"، فلما سمعت ذلك قمت وجئت بما قيدته وأحضرته *وقابلناه*[4] مع ما ذكر، فوجدناه في ذلك الوقت، في تلك الساعة، فزادنا ذلك *والحمد لله*[5] يقينا في صدقه وتحقيقا بولايته، أفاض الله علينا من بركاته، وقيد ذلك عبد ربه دحوا الغماري الزجني كان الله له.

وحدثنا رجل يقال له السيد محمد بن أبي حيدوس؛ من ذرية سيدي إبراهيم الريفي نفعنا الله به، (وقال)[6]: "كنت يوما مع الشيخ البركة/ 81أ/ سيدي محمد بن الفقيه في (الثلاثاء)[7] أزجن- (سوق أزجن)[8] – فقبض (يده)[9] علىٰ يدي *وذهبت معه *[10] في السوق، فإذا به رضي الله عنه دخله حال عظيم؛ وقد لوىٰ شملته علىٰ يده، ورفع أحجارا من الأرض، وخط دائرة فيها، وقدم رجلا وأخر أخرىٰ، ورفع يده مهددا بالضرب وهو يقول: "الطرابلسي الجزيري التونسي الوهراني، ها مولاي إسماعيل في موضعه"؛ ويشير بيده للدائرة: والله من قرب (ساحته)[11] لأشتتن (رأسه)[12]، قال: "فالتفت يمينا وشمالا؛ فإذا *نحن*[13] بسوق غير السوق الذي كنا فيه، والناس غير الناس (الذين)[14] أعرف، والأرض *غير الأرض*[15]، فبقيت متحيرا ساعة، ثم التفت فإذا (أنا)[16] بالسوق الأول *الذي كنا

---

[1]- سقط من (ب).
[2]- في (ب) "في ساعة".
[3]- في (ب) "من".
[4]- سقطت من (ب).
[5]- سقط من (ب).
[6]- في (ب) "قال".
[7]- في (ب) "ثلاثاء".
[8]- في (ب) "وهو سوقه".
[9]- في (ب) "بيده".
[10]- سقط من (ب).
[11]- في (ب) "بساحته".
[12]- في (ب) "دماغه".
[13]- سقطت من (ب).
[14]- في (ب) "الذي".
[15]- سقط من (ب).
[16]- في (ب) "بنا".

فيه *[1] مع أهل المنزل الذين (أعرف)[2]، قال: "وكان السلطان مولاي إسماعيل *في ذلك الوقت*[3] في في الظهرة"، انتهى.

ومما شاع (وذاع)[4] عند أهل بلده *وفي وزان وغيرهما*[5]؛ أن رجلا يقال له التومي – من أصحاب *الشيخ الكامل*[6]؛ مولاي التهامي *رضي الله عنه*[7] – كان كثير الذكر (للجلالة[8] وولوعا بها، وكان يذكر معها شيخه وأولاده)[9]، كما هي عادة الفقراء في ذكرهم لهم معها، وكان الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه *لا يحب ذلك*[10]، (ويكره)[11] أن يذكر مع الله *تعالى*[12] غير نبيه *صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ*[13]، فنهاه عن ذلك، وقال له: "إن لم تنته؛ لا تلومن إلا نفسك، *فلم ينته*[14] (ورجع)[15] إلى ذلك، فانفتحت له *باب*[16] في صدره، ووقفت الأطبة عنها وعجزت، (فذهبوا للشيخ)[17] *سيدي محمد رضي الله عنه*[18] وتشفعوا له، *فوقف الشيخ*[19] رضي الله عنه وعاتبه، والتومي يقول: "يا سيدي (أنا)[20] تائب إلى الله"، ثم قبض الشيخ رضي الله عنه (عصاه التي يتكئ عليها، وأنزلها)[21] له على موضع (الألم)[22]، فبرئ من يومه، ثم قال *له الشيخ*[23]: "والله إن عدت *لفعلك*[24] (لا نفعك سيدك ومولاك)[25]"، فتاب (ولم يعد)[1]، وكان يقول[2]:

---

[1]- سقط من (ب).
[2]- في (ب) "نعرف".
[3]- سقط من (ب).
[4]- في (ب) "وداع"، والصواب ما في (أ).
[5]- سقط من (ب).
[6]- سقط من (ب).
[7]- سقط من (ب).
[8]- الجلالة: نسبة إلى اسم الجلالة "الله"، ولمناقشة هذه المسألة، ينظر قسم الدراسة، ص140 وما بعدها.
[9]- في (ب) "لأسياده مع الجلالة".
[10]- سقط من (ب).
[11]- في (ب) "يكره".
[12]- سقطت من (ب).
[13]- سقط من (ب).
[14]- سقط من (ب).
[15]- في (ب) "فرجع التومي".
[16]- سقطت من (ب)، والباب هنا معناه نوع من المرض.
[17]- في (ب) "فبعثوا وراء الشيخ"
[18]- سقط من (ب).
[19]- في (ب) "فقدم عليه".
[20]- في (ب) "إني".
[21]- في (ب) "عكازه الذي يتكئ عليه وأنزله".
[22]- في (ب) "الضر".
[23]- سقط من (ب).
[24]- سقطت من (ب).
[25]- في (ب) "لا نفعك لا سيدك ولا مولاك".

/182/ هذا هو (ابن الفقي)[3] *** يا من هو يحاد[4]
ما عرفوا من هو شقي *** (فجميع)[5] العباد

وحدثنا غير واحد من الفقهاء والشرفاء *وغيرهم*[6]، من إخواننا أهل فاس وغيرهم؛ أن (الفقراء)[7] لما أرادوا الذهاب (لوزان للزيارة)[8] في بعض الأوقات، مع مقدمهم "الولي الصالح (مولاي)[9] قاسم بن رحمون؛ وقد كان قبل المقدم؛ هو بعض أولاد سيدي عبد الله الخياط *رضي الله عنه*[10] دفين زرهون، واجتمعوا بباب (عجيسة)[11]؛ أحد أبواب فاس *حرسها الله*[12]، فبينما هم بالباب المذكورة (قدم)[13] الخياطي المذكور +عليهم و+[14]؛ أعطى (لمولاي قاسم)[15] بن رحمون +المذكور+[16] ثمرات، فجعلهم في جيبه، وذهبوا إلى أن بلغوا وزان، وجلسوا بها يوم أو يومين؛ وإذا بسيدي قاسم (ابن)[17] رحمون نزع ثيابه، فالتمس الجيب، فوجد الثمرتين، فنظر لمن حوله، وقال له: (هاتان الثمرتان أعطاهما لي)[18]؛ فلان الفلاني، بباب اعجيسة يوم خروجنا من فاس، فنسيتهما، (ثم إنه)[19] جعل واحدة *منها*[20] في فيه؛ فما حركها هكذا وهكذا حتى سقط (على)[21] الأرض، فلما رأى الفقراء ذلك؛ بعثوا إلى مولاي *التهامي بن*[22] (سيدي)[23] محمد بن مولانا عبد الله الشريف *رضي الله عنهم*[24] (ونفعنا)[1] بجميعهم، فجاء مولاي التهامي +رضي الله عنه+[2] حتى وقف عليه؛ وقد

---

[1]- في (ب) "إلى الله".
[2]- زيادة "في كلامه" في (ب).
[3]- في (ب) "ولد الفقيه".
[4]- في (ب) "يحاد".
[5]- في (ب) "في جميع".
[6]- سقطت من (ب).
[7]- في (أ) "الفقهاء"، والأنسب ما أثبت من (ب).
[8]- في (ب) "لزيارة وزان".
[9]- في (ب) "سيدي".
[10]- سقطت من (ب).
[11]- في (ب) "الجيسة".
[12]- سقط من (ب).
[13]- في (ب) "إذ قدم".
[14]- زيادة من (ب).
[15]- في (ب) "للولي الصالح سيدي".
[16]- من (ب).
[17]- في (ب) "بن".
[18]- في (ب) "هاذين الثمرتين أعطانيهما".
[19]- في (ب) "و".
[20]- سقطت من (ب).
[21]- في (ب) "في".
[22]- سقط من (ب).
[23]- في (ب) "وسيدي".
[24]- سقط من (ب).

وجده قد قرن بين أسنانه بعضها ببعض، وعيناه مفتوحتان، ولا نفس له تتحرك، فنظر إليه رضي الله عنه وقال: (هذا سم)[3] ما عندي ما نقيل – بهذه العبارة – عليكم بسيدي محمد بن الفقيه، (قم يا فلان إلى البرية وناده؛ فقام الرجل إلى البرية ونادى: يا سيدي محمد بن الفقيه– ثلاث مرات– فإذا به رضي الله عنه واقف معهم، فقال)[4] له مولاي التهامي: "(يا سيدي محمد بن الفقيه هذا أخوك)[5]" *مولاي قاسم قد أصابه ما ترى*[6] فداوه، فجعل الشيخ رضي الله عنه رأس عصاه – التي يتكئ عليها – تحت صدره (ونظر)[7] قليلا، ثم ذهب (وتبعه)[8] المرابط / 83أ/ السيد محمد البوري الفاسي، إلى أن بلغ موضعا فيه نبات أخضر *حسن اللون*[9]، (فانحنى)[10] الشيخ *سيدي محمد رضي الله عنه*[11] وقطع بعضه (ووضعه)[12] في كفه (وجعل)[13] (يحركه)[14] *يمينا وشمالا بعد عركه*[15]؛ إلى أن وقف على سيدي قاسم بن رحمون (وقطر)[16] الربيع في فيه، ففاق سيدي قاسم[17] *وجلس*[18] من حينه، (فقال لهم الشيخ اذهبوا به)[19] إلى الخلاء[20]، (فأخرجوه إليه)[21] حتى قضى حاجته، فجاء وما به ألم، ففتحوا الثمرة (الأخرى)[22] فوجدوها مملوءة سما، فلما رأى ذلك البوري المذكور – وكان *ممن*[23] يتعاطى الطب بفاس – قام إلى الشيخ وقال له: "يا سيدي أردت من الله، ثم منك أن تريني هذا

---

[1]- في (ب) "نفعنا الله".
[2]- زيادة من (ب).
[3]- في (ب) "إن هذا لسم".
[4]- في (ب)" فذهبوا وراءه؛ فلما جاء الشيخ ووقف عليه وهو ينظر إليه قال".
[5]- في (ب) " هذا أخوك يا سيدي محمد بن الفقيه".
[6]- سقط من (ب).
[7]- في (ب) " وجعل ينظر".
[8]- في (ب) "فتبعه".
[9]- سقط من (ب).
[10]- في (ب) "فانحنى إليه".
[11]- سقط من (ب).
[12]- في (ب) "وجعله".
[13]- في (ب) "وهو".
[14]- في (ب) "يحكه".
[15]- سقطت من (ب).
[16]- في (ب) "وجعل الشيخ يقطر".
[17]- زيادة "بن رحمون" في (ب).
[18]- سقطت من (ب).
[19]- في (ب) " وقال لهم اذهبوا بي"، والصواب ما في (أ).
[20]- الخلاء: مكان قضاء الحاجة.
[21]- في (ب) "فذهبوا به".
[22]- في (ب) "الثانية".
23- سقطت من (ب).

النبات لنداوي *به الناس*[1]"، فقال له رضي الله عنه – وقد تبسم –: مسكين مسكين عم البوري، تزعم أن الرجال جاءت به من خرب وزان، وإنما جاءت به من (سرندب)[2]؛ حضر هذه الكرامة أكثر من مائة رجل، (وكلهم يحدث بها)[3]؛ إلا القليل.

وحدثنا بعض الثقات من (تلامذة)[4] سيدي سعيد الحنصالي نفعنا الله ببركاته، قال: "كنت مسافرا مع أربعة رجال قاصدين أزمور، فاشتد بنا (العطش)[5] في بعض الطريق، فاجتهدنا في *طلب *طلب الماء كل*[6] الطلب، (حتى)[7] وجدنا بئرا؛ وعليها شيخ كبير، فسألنا عن حالنا ومن نحن، فأجبناه وأخبرناه؛ (بأنا)[8] من أصحاب سيدي سعيد الحنصالي، فرحب بنا عند ذلك +غاية+[9]، وأظهر وأظهر (لنا)[10] محبة *عظيمة في*[11] شيخنا، وأقسم علينا +بالله+[12] لنذهبن معه إلى أهله وخيمته ليتبرك بنا، فأسعفناه وسرنا معه إلى أهله، فلما وصلنا إليهم قدموا لنا طعاما فأكلنا حتى شبعنا، وجلسنا في خيمته، فلما أقبل الليل وأظلم، أتانا نحو العشرين رجلا ونزعونا من الثياب (وكتفونا)[13]، وذهبوا بنا إلى البريجة، قال: "فجعلنا نستغيث بالصالحين (ونتضرع)[14] إلى الله بهم؛ فبينما (هم)[15] كذلك؛ إذ خرج علينا رجلان راكبان / 84أ/ متلثمان لا يظهر منهما إلا العينان، فقال أحدهما للأخر: "اضرب يا سيدي محمد، (فأسرع)[16] إلى واحد من اللصوص، وضربه ضربة قاتلة بين كتفيه *حتى خرج سن رمحه من بين كتفيه*[17]، وتركه صريعا، ففر أصحابه إذ ذاك، وذهب الرجلان يتبعانهم"، قال: "فبقينا ساعة واقفين، فلما لم يرجعا إلينا، فررنا بأنفسنا مكتفين إلى أن وصلنا دواوير كثيرة لبعض

1- سقط من (ب).
2- في (ب) "صرندب".
3- في (ب) "وكل من حضرها من أهل فاس سمعناها".
4- في (ب) "تلامذتي".
5- في (ب) "الظمأ".
6- سقط من (ب).
7- في (ب) "إلى أن".
8- في (ب) "بأننا".
9- من (ب).
10- في (ب) "علينا".
11- سقط من (ب).
12- من (ب).
13- في (ب) "وأكتفونا".
14- في (ب) "نضرع".
15- في (ب) "نحن".
16- في (ب) "فأصرع".
17- سقط من (ب).

(العرب)[1]، فذهبوا بنا إلى حاكم البلد فأعلمناه بحالنا، فبعث (أصحابه معنا)[2] إليهم، فلما وصلنا منزلهم الذي كنا به لم نجد واحدا به، فذهبوا معنا إلى أن وقفنا على القتيل المذكور، فوجدوا به الضربة كما وصفناها لهم، قال: "ثم رجعنا وذهبنا *قاصدين*[3] إلى سيدي يوسف الحنصالي نفعنا الله به، فبتنا تلك الليلة في (ضريح)[4] القطب الكبير +والغوث الشهير+[5] سيدي *أبي*[6] شعيب (بأزمور)[7] رضي الله عنه، وأمدنا من بحره"، قال: "وأنا أحدث نفسي وأقول: "يا رب من (الفارسان اللذان)[8] أغاثانا؟! فلما نمت رأيت قائلا يقول: أحدهما – وهو الضارب – سيدي محمد بن الفقيه، والآخر هو سيدي سعيد الحنصالي، فلما أصبح *الصباح*[9] دخلنا إلى الزاوية؛ فقصصنا الخبر على سيدي يوسف *الحنصالي*[10]، ثم قصصت عليه الرؤيا، فقال لنا: مقام سيدي محمد بن الفقيه مقام عال، والله إنه لفي مقام مولاي عبد القادر الجيلاني[11]"؛ وأقسم بالله على ذلك (ثلاث مرات)[12]، ثم قال: "سر صالحي المغرب قاطبة مسجون فيه"، وأوصى كل من حضر من أصحابه (بزيارته وحثهم عليها)[13] وقال لهم: "كل من أراد *منكم*[14] زيارة مولاي عبد السلام، فليقدمه قبله، (وكل شيء)[15] زرتموه فيه، قضاه الله لكم"، وقال: "والله لولا *سيدي محمد بن الفقيه*[16] (واقف)[17] على زاوية *وزان*[18] (لتركها)[19] مولاي إسماعيل (أرضا دكا)[1]". +انتهى+[2].

---

[1]- في (ب) "الأعراب".
[2]- في (ب) "معنا أصحابه".
[3]- سقطت من (ب).
[4]- في (ب) "صريح"
[5]- زيادة من(ب).
[6]- سقطت من (ب).
[7]- في (ب) "أزمور".
[8]- في (ب) "الفارسين الذي".
[9]- سقطت من (ب).
[10]- سقطت من (ب).
[11]- هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني الشريف الحسني، مؤسس الطريقة الصوفية القادرية المنتشرة في معظم بلدان العالم الإسلامي، وأحد كبار الزهاد والصوفية في عصره، ولد في جيلان سنة 471هـ، توفي ببغداد سنة 561هـ/1166م: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي ابن العماد، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، (د.ت)، 4/198-202. و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير، 323/11. فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، دار الثقافة - بيروت، (د.ت)، 373/2.
[12]- في (ب) "ثلاثا".
[13]- في (ب) "وحثهم على زيارته".
[14]- سقطت من (ب).
[15]- في (ب) "وكلما".
[16]- سقط من (ب).
[17]- في (ب) "هو واقف".
[18]- سقطت من (ب).
[19]- في (ب) "لتركه".

حدثنا بذلك صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين[25] / 85أ/ من رمضان المعظم عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف[1123هـ].

(وحدثنا)[3] المرابط الخير السيد *حمدون*[4] بناني، وقال[5]: "إنه مرض ذات يوم بسيلان الدم من أنفه، وبقي مسترسلا عليه ثمانية عشر[18] يوما، ولم يبق أحد *ممن*[6] (يرفع)[7] القلم *ويرقي*[8]، أو يرجئ (خيره)[9]؛ إلا وتسبب لي (ورقئ)[10]، فلم (ينفع)[11] شيء من ذلك، فأيست من نفسي، +قال+[12]: "فبينما أنا كذلك إذ دخلت (علينا)[13] امرأة *في الدار وقالت*[14]: ما لهذا الرجل هكذا، وسيدي محمد بن الفقيه *هنا*[15] بفاس؟! اذهبوا إليه +يتسبب له+[16]، والله ما يبقئ به شيء"، قال: "فذهب بعض أهلي إليه رضي الله عنه وأخبره (بذلك)[17]، فتسبب إلي"، قال: "(فحين)[18] شرع في التسبب إلي - *وهو*[19] في موضعه – كف عني الدم، فما جاء الكتاب (حتئ وجد الدم قد كف)[20]"، قال: "(فو الله ما)[21] رأيته من يومئذ، نفعنا الله ببركاته وأمدنا (من مدده)[22] آمين".

وسمعت المرابط الخير الفقيه النزيه سيدي محمد بن أبي حيدوس – المتقدم ذكره – يقول: "قمت ذات ليلة في داري، فطلبت بقرة لي في مربطها، فلم (أجدها)[23] به؛ فخرجت في طلبها؛ وأنا أستغيث بالشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه وأهتف باسمه، فلم أزل كذلك حتئ أشرفت

---

[1]- في (ب) "دكا دكا".
[2]- زيادة من (ب).
[3]- في (ب) "حدثنا".
[4]- سقطت كلمة من (ب).
[5]- سقطت من (ب).
[6]- سقطت من (ب).
[7]- في (ب) "يرفع له"
[8]- سقطت من (ب)
[9]- في (ب) "فيه الخير".
[10]- في (ب) "أو رقى"
[11]- في (ب) "ينفعني"
[12]- من (ب).
[13]- في (ب) "علي".
[14]- سقط من (ب).
[15]- سقطت من (ب).
[16]- زيادة من (ب).
[17]- في (ب) "الخبر".
[18]- في (ب) "وحين"
[19]- سقطت من (ب).
[20]- في (ب) "إلا وقد كف عني".
[21]- في (ب) "فما".
[22]- في (ب) "من بحره".
[23]- في (ب) "نجدها".

علىٰ كدية عالية، فإذا هو رضي الله عنه؛ واقف معها بين حدود زرع، فأسرعت إليه، فلم أجد إلا البقرة، ووجدت موضع *قدمي*[1] الشيخ يابسا ليس به بلل ولا ندا؛ هذا ما وقع لي معه في قارت في في تفرست[2] عام خمسة عشر ومائة وألف[1115هـ]".

ونقلت من خط الفقيه الأديب، سيدي محمد بن الحاج الصحراوي؛ كاتب مولاي إسماعيل رحمه الله، ما نصه: "تلقىٰ كاتبه من رجل اسمه الحاج محمد الصواف الفيلالي؛ أنه سمع من ولده *سيدي*[3] محمد يقول: كنت ذات يوم آتيا في طريق *الشيخ الكامل*[4] مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله *عنه*[5]، ونفعنا (به)[6] مع بعض (أصحابه)[7]، فوجدنا رجلا مقتولا (بالطريق)[8]، /86أ/ فخشينا أن يجدنا أحد (بقربه)[9] فيتهمنا به، قال: فجعلت استغيث بالشيخ سيدي +ومولاي+[10] محمد بن الفقيه رضي الله عنه ونفعنا (به)[11]؛ فبينما أنا كذلك؛ إذ رأيته أمامي متبسما، ثم سار[12] أمامنا، ونحن نتبعه في الطريق حتىٰ خرجنا من تلك الورطة من غير ضرر والحمد لله".

وسمعنا من الشريف المنيف سيدي أبي عسرية الخلوف الحسني الزجني، أنه سمع من أخيه سيدي محمد الخلوف، ومن السيد محمد التازي؛ أنهما كانا قادمين من محروسة فاس، أمنها الله تعالىٰ، إلىٰ بلديهما (فتأخرا)[13] عن الرفقة، وحيل بينهم وبينها، فخافا علىٰ أنفسهما وعلىٰ ما معهما من الأموال، ثم لما بلغا واد (اعراب)[14] اشتد خوفهما؛ فشرعا في الاستغاثة بالشيخ، سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه، فإذا به *واقف*[15] معهما في الحين؛ راكبا علىٰ فرسه الأنثىٰ، وبقي معهما حتىٰ لحقا بالرفقة.

---

[1]- سقطت من (ب).
[2]- في (ب) "تفرسيت".
[3]- سقطت من (ب).
[4]- سقط من (ب).
[5]- سقطت من (ب).
[6]- في (ب) "ببركاته".
[7]- في (ب) "أصحابي".
[8]- في (ب) "في الطريق".
[9]- في (ب) "حوله".
[10]- زيادة من (ب).
[11]- في (ب) "ببركاته".
[12]- في (ب) "سارا".
[13]- في (أ) "فتأخر".
[14]- في (ب) "العرب".
[15]- سقطت من (ب).

ولما ضاق الحال بالمسلمين من حبس المطر، وخيف على الزرع، اجتمعوا وجاءوا إلى الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، وقالوا له: "أردنا أن نستسقي، وأردنا منك تخرج معنا"، فقال لهم: "على بركة الله"، فخرجوا حتى إذا كانوا بباب الفتوح، توجه الشيخ رضي الله عنه لزيارة سيدي الحاج بو درهم؛ وكان يكثر من زيارته؛ حتى إذا بلغ ضريحه التفت إلى أصحابه وقال لهم: "أعطوني أشرب"، فأتوه بقلة، فشرب منها ورمى به إلى السماء – وكان ذلك قرب المغرب – فرجع الشيخ ورجعوا، وبات المطر الكثير في تلك الليلة، وظهر فضل الله تعالى، وفرج الله على المسلمين والحمد لله[1].

وعن الخير البركة الحاج محمد الصواف الفلالي[2] القاطن بمكناسة الزيتون حرصها الله، أنه قال: قال: "كنت ذاهبا لزيارة القطب سيدي أبي يعزى في رفقة؛ حتى إذا بتنا ذات ليلة بالموضع المسمى بالخروبة، (جلسنا)[3] نذكر الجلالة، *فبينما نحنن كذلك*[4]؛ إذ جاءنا أسد، وجعل يطوف بنا +ويحوم+[5]، ونحن (ننظر)[6] على من +يترامى+[7] / 87أ/ *منا*[8]، فألهمني الله، وجلعت أستغيث بالشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه، فإذا به رضي الله عنه معنا، ننظر إليه *جميعا*[9]، فذهب إلى الأسد، وقبضه من أذنه وحول وجهه عنا؛ رأينا ذلك يقظة، *انتهى*[10]".

وعن رجل يقال له: الطالب الحسن +بن أحمد+[11] اليفرحي؛ أنه كان مسجونا عند القائد علي بن عبد الله الحمامي بثغر سبتة – أعادها الله دار إسلام – سنة ست وعشرين ومائة وألف[1126هـ] في سجن وهو مكبل، فكان يشق عليه إذا أراد الوضوء، فتشفع له عند السجان، وعند الموكل (من الكبلين)[12]؛ كثير من الناس ممن له الجاه – عند القائد المذكور– مثل كاتبه إذ ذاك (ابن سلمون)[13]، والسيد عبد القادر بن محمد وغيرهما– ورغبوا في نزع الكبل من (رجليه)[14]، فامتنع من ذلك وأبى

---

[1]- سقط من (ب).
[2]- في (ب) "الفيلالي".
[3]- في (ب) "وجلسنا".
[4]- سقط من (ب).
[5]- زيادة من (ب).
[6]- في (ب) "ننتظر".
[7]- من (ب)، مطموسة في (أ).
[8]- سقطت من (ب).
[9]- سقطت من (ب).
[10]- سقطت من (ب).
[11]- زيادة من (ب).
[12]- في (ب) "على المكبله".
[13]- في (ب) "بن سليمان".
[14]- في (ب) "رجله".

وقال: "والله لا أنزعه من (رجليه)[1]، فلما قدم شيخ المشايخ سيدي +ومولاي+[2] محمد بن الفقيه – رضي الله عنه ونفعنا به – إلى سبتة، نزل قرب السجن، فلما سمع به (من بالسجن من المسجونين)[3] خرجوا لزيارته *وطلب دعائه*[4]"، قال: "فكنت فيمن خرج إليه، فدعا للجميع *إليه*[5] بخير، ودعا لي (بتسريحي)[6] من السجن، ثم لما رجعت (إلى السجن)[7] وجدت السجان نائما بالباب، فتخطيته[8] ودخلت[9]، فلما استيقظ (جاء إلي)[10] ونزع الكبل من رجلي- من غير كلام ولا سبب- إلا ما ما كان من دعاء الشيخ المذكور رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته آمين، (انتهى)[11] من خط من يوثق (به)[12]".

ومما حدث به الفقيه (البركة)[13] الولي الصالح، سيدي أبو سلهام الضعيفي المالكي *العروي*[14]"؛ أحد تلامذة الشيخ رضي الله عنه[15]، وقال: "كانت تأتيه عوارض من الجان كل يوم ويضرون به"، قال: فجعلت استغيث بالشيخ سيدي محمد بن الفقيه، فتكلم معي يهودي منهم وقال لي: "استغيث بسيدي محمد بن سليمان الجزولي"، قال: "فقلت: والله لا أستغيث / 88أ/ إلا بسيدي وشيخي"، قال: "ففررت العوارض المذكورة من ذلك الوقت، ولم تعد إلي بعد ذلك أبدا ولا رأيتهم قط". انتهى من خط من سمع منه

وحدثنا الخير (الأفضل)[16] السيد عبد القادر بن محمد المالكي العروي (البوعباني)[17]" ، وقال[18]: "إن السلطان مولاي إسماعيل *رحمه الله*[1] لما سخط[2] على عبد الله بن الهواري، وأدخله السجن

---

[1]- في (ب) "رجله".
[2]- زيادة من (ب).
[3]- في (ب) "المسجونون".
[4]- سقط من (ب).
[5]- سقطت من (ب.)
[6]- في (ب) "بالفكاك".
[7]- في (ب) "للسجن"
[8]- أي مررت عليه.
[9]- زيادة "السجن".
[10]- في (ب) "جاءني".
[11]- في (ب) "اهى".
[12]- في (ب) "بخطه".
[13]- في (ب) "النزيه".
[14]- سقطت من (ب).
[15]- في (ب) "عنهما".
[16]- في (ب) "البركة".
[17]- في (ب) "البعباني".
[18]- سقطت من (ب).

وضاق به الأمر؛ أرسل اثنين من أصحابه إلى الشيخ، سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه، يستغيث به، ويطلب منه كتابا بخط يده يتبرك به، فكتب له الشيخ رضي الله عنه ما نصه: "*باسم الله الرحم الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما*[3]، اللهم أجعل سجنه كسجن +سيدنا+[4] يوسف (على نبينا وعليه)[5] الصلاة والسلام، فلما بلغه الكتاب وقرأه؛ استبشر وفرح بدعائه له، فبات تلك الليلة، ومن الغد أمر الأمير بتسريحه *من السجن*[6]، وسامحه (في جميع ما)[7] كان قبضه فيه، وزاده على القبائل التي كانت في يده؛ قبائل أخر، (وصاحبا)[8] الهواري المذكور *اللذان بعثهما*[9] إلى الشيخ (هما: *الشيخ محمد*[10] بن العياشي[11] والطاهر بن الفهري، وحين بعثهما ابن الهواري المذكور إلى الشيخ)[12] شكت القبائل (بابن)[13] العياشي إلى السلطان ليزيده على صاحبه في السجن، فغضب الأمير عليه غضبا شديدا وبعث *من*[14] وراءه، فوجدوه قد جاء من عند الشيخ بالكتاب المذكور، فذهبوا به إلى الأمير؛ وقد أمر بإحضار بغلة (تجره)[15]، فلما (وقف)[16] بين يديه، (قال له)[17]: " أكلت مال بني فلان، *ومال بني فلان؟!*[18] "وفعلت (كذا)[19] وكذا؟"؛ وجعل يعدد عليه *أفعالا*[20]، (فقال له)[21]: "نعم (يا سيدي قد أكلتهم)[22] ؛ لأنهم يبغضونكم، ويكرهونك حقا"،

---

[1]- سقط من (ب).
[2]- في (ب) "أسخط".
[3]- سقط من (ب).
[4]- زيادة من (ب).
[5]- في (ب) "عليه وعلى نبينا".
[6]- سقط من (ب).
[7]- في (ب) "فيما".
[8]- في (ب) "وصاحب".
[9]- سقطت من (ب).
[10]- سقط من (ب)، مع تقديم عبارة: "شكت القبائل"، التي سترد من بعد.
[11]- هو أبو عبد الله محمد بن العياشي، أحد كتاب ومستشاري السلطان المولى إسماعيل العلوي. قتل من طرف السلطان أحمد الذهبي بن إسماعيل بمكناس صلبا سنة 1139هـ/1727م: "معجم المؤلفين" لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع - بيروت، ط1، 1414هـ - 1993م. ودليل مؤرخ المغرب الأقصى، لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، دار الكتاب - الدار البيضاء، 104/1، 1960 - 1965.
[12]- في (ب) "شكت القبائل ابن العياشي والطاهر بن الفهري، وحين بعثهما الهواري المذكور إلى الشيخ".
[13]- في (ب) "ابن".
[14]- سقطت من (ب).
[15]- في (ب) "لتجره".
[16]- في (ب) "جلس".
[17]- في (ب) "قال"
[18]- سقطت من (ب).
[19]- في (ب) "وكذا".
[20]- سقطت من (ب).
[21]- في (ب) "فقال".
[22]- في (ب) "أكلتهم يا سيدي".

(فقال له)[1]: "قد سامحتك"، فقال الشيخ محمد بن العياشي: "هذا كله من فضل الله تعالى، وفضل رسوله/ 89أ/ (صلى الله عليه والسلام)[2]، ومن بركة الشيخ سيدي +ومولاي+[3] محمد بن الفقيه، حيث جئت من عنده *ودعا لنا بالخير*[4].

وحدثنا الفقيه (الأمثل)[5] الشريف (الأفضل)[6] الأستاذ المبجل، سيدي محمد بن سيدي أحمد بن بن الفقيه؛ (ولد)[7] عم الشيخ *البركة*[8] سيدي محمد بن الفقيه، *رضي الله عنه*[9] قال: "كنت ذات ذات يوم بسوق الثلاثة بأزجن، مع الشيخ سيدي محمد بن الفقيه؛ وهو جالس بموضع *منه*[10]، والناس يأتونه (للزيارة)[11] ويذهبون؛ فبينما نحن كذلك إذ أخذ الشيخ حال عظيم وقام، وجعل يذهب يمينا وشمالا، (وهو يقول)[12]: "اطف النار اطف النار"؛ ويكررها، قال: "فقلت في نفسي: الله يهديك يا عم محمد، وما تكثر من الكلام"، وكنت (ممن)[13] لم يسلم له، وشأن الاعتراض عليه في كل ما يفعل (ويقول)[14]؛ فبينما هو كذلك، إذ قدم عليه بعض أولاد الولي الكامل، مولاي التهامي، بن الولي الصالح سيدي محمد، بن القطب مولانا عبد الله الشريف، نفعنا الله بجميعهم – ذكره لي فنسيته، وأظنه سيدي محمد – وجعل *يتأدب مع الشيخ و*[15] يتلطف له (ويقول له)[16]: يا سيدي بلغنا وأن: السلطان *مولاي إسماعيل*[17] بعث لنا خيلا بالسخط علينا، وأمرهم بنهب وزان وما فيها"، قال: "فجعل الشيخ يقول له: لا بأس إن شاء الله لا تخف، فإنه لا يضركم، ولا يستطيع أن

---

[1]- في (ب) "فقال".
[2]- في (ب) "عليه الصلاة والسلام".
[3]- من (ب) .
[4]- سقط من (ب).
[5]- في (ب) "الأكمل".
[6]- في (ب) "الأمثل".
[7]- في (ب) "من أولاد".
[8]- سقطت من (ب).
[9]- سقطت من (ب).
[10]- سقطت من (ب).
[11]- في (ب) "لزيارته".
[12]- في (أ) "و يقول".
[13]- في (ب) "فيمن".
[14]- في (ب) "أو يقول". ينظر في هذا الأمر قسم الدراسة، ص111، وما بعدها.
[15]- سقط من (ب).
[16]- في (ب) "ويقول".
[17]- سقط من (ب).

يضركم، ثم التفت إلي (وقال لي)[1]: {قلت في نفسك كذا وكذا للكلام الذي تقدم؛ وهذه هي النار التي كنت أطفئ، وآمر بإطفائها"}[2].

ووجدت بخط الخير الأبر، التقي الأطهر، *أخونا*[3]؛ أبو عبد الله السيد الحاج محمد الحصار الأندلسي +الأصل+[4] التطاوني +الدار+[5]، وقال: "لما أردت الحج إلى بيت الله الحرام، استشرت[6] (شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا)[7]؛ سيدي ومولاي محمد بن الفقيه، الشريف الزجني، نفعنا الله وإياكم ببركاته +آمين+[8]، فأخرني عن المشي، ثم مرة أخرى، فأخرني عن المشي أيضا، ولم أزل أستشره[9]؛ وهو يؤخرني مدة / 90أ/ من ست سنين، ثم بعد ذلك اجتمعت معه (في مدينة)[10] فاس +حرسها الله+[11]، مع جمع من الفقراء؛ وفيهم مولاي محمد الطاهري *الحسني الجوطي*[12]"، فاستشفعت للشيخ به فشفعه، ثم أدخل الشيخ *رضي الله عنه*[13] رأسه معه هنيئة، ثم أخرجه، وقال: "إن أردت أن تحج فافعل، الله يجعل فيه خيرا (وسلامة)[14]، فعند ذلك تهيأت[15] (للمشي)[16]، وجمعت ما شاء الله من المال والزاد، وحملت معي أمانة للناس؛ نحو الست مائة مثقال، وجعلت ذلك كله في نصف حمل، وذهبت مع الركب حتى إذا كنا بمعطن قرب الإسكندرية، يقال له: "الشمام"، بات الركب فيه؛ وكانت (تلك الليلة)[17] مظلمة، وأهل الركب ينادي بعضهم بعضا: "لا تغفلوا"، فلم أشعر حتى (أخذني)[18] النوم، فلما *استيقظت من نومي و*[19] فتحت عيني، ونظرت إلى الناقة التي عليها المتاع، لم

---

[1]- في (ب) "وقال".
[2]- ينظر قسم الدراسة، ص: 134 وما بعدها.
[3]- سقطت من (ب).
[4]- زيادة من(ب).
[5]- زيادة من (ب).
[6]- "استاشرت" كذا في النسختين، والصواب ما أثبت.
[7]- في (ب) "مع الشيخ الوسيلة.
[8]- زيادة من (ب).
[9]- "أستاشره" كذا في النسختين، والصواب ما أثبت.
[10]- في (ب) "بمدينة".
[11]- زيادة من (ب).
[12]- سقط من (ب).
[13]- سقطت من (ب).
[14]- في (ب) "أو سلامة".
[15]- كلمة مطموسة في (ب).
[16]- في (ب) "في المشي".
[17]- في (ب) "ليلة".
[18]- في (ب) "سرقني".
[19]- سقط من (ب).

أجد لها خبرا ولا أثرا، فتحيرت غاية، (وحصل لي الدهش)[1]؛ إذ لم يبق لي ما أتزود به في طريقي، وبلغ خبري شيخ الركب، فاهتم لأجلي (وكذا سائر)[2] الحجاج، (فلما)[3] رأيت ذلك؛ (فوضت أمري إلى الله والتجأت إليه (وجعلت أستغيث)[4] بالشيخ سيدي محمد (رضي الله عنه)[5]، وبولده سيدي المفضل رضي الله عنهما، {ونويت لهما (وعدة[6]؛ إن رد الله علي متاعي)[7]}، فلما أصبحنا وسار الركب إلى مصر، ذهبت (وأنا آيس من متاعي)[8]؛ حتى إذا كان وقت الضحى، (وإذا نحن بشيخ من أشياخ العرب قد لحق بنا)[9]، فلما وقع بصره علي، ركن إلي وسلم علي، وسألني فأخبرته الخبر، فدخلته خشية، وبكا، ثم قال +لي+[10]: "لا تخف ولا تحزن، إنك رجل سعيد عند الله". لا إله إلا الله أنا نائم البارحة؛ إذ وقف علي رجل صفته كذا وكذا، وأعطاني صفة (شيخي سيدي، ومولاي محمد بن الفقيه)[11]، رضي الله عنه وقال لي: "+قم+[12] (وأت)[13] الركب لتسلم حملا (سرق)[14] لبعض الحجاج"؛ فقمت فزعا مرعوبا، وقصدت الركب، (وقمت)[15] (سائر)[16] ليلتي؛ فقطعت فيها / 91أ/ مسيرة ثلاثة أيام، ثم قال +لي+[17]: "أخبرني (بكل ما)[18] سرق لك"، فأخبرته، فسكن روعتي، وذهب يبحث، والركب مجد السير، وأنا أنادي بالشيخ *وأستغيث به*[19]، وبولده (سيدي المفضل)[20] رضي الله عنهما، فو الله ما مشينا ساعة؛ حتى سمعت بعض الحجاج *يقول: "يا فلان*[21] إن متاعك قد وجد، فارجع إلى الدار التي بتنا فيها"، فرجعت في أحد عشر فارسا، فلما وصلنا إليها بحثنا عليه بشاطئ البحر،

---

[1]- في (ب) "ودهشت".
[2]- في (ب) "وسائر".
[3]- في (ب) "ثم لما".
[4]- في (ب) "تجردت للاستغاثة".
[5]- في (ب) "بن الفقيه".
[6]- وعدة: أي نذر، ينظر قسم الدراسة، ص: 141 وما بعدها.
[7]- في (ب) "ما نويت من الوعدة إن وجدت متاعي".
[8]- في (ب) "معه آيسا منه".
[9]- في (ب) "لحق بنا شيخ من أشياخ العرب".
[10]- من (ب).
[11]- في (ب) "الشيخ".
[12]- من (ب).
[13]- في (أ) "رأيت"، والأنسب ما أثبت.
[14]- في (ب) "أخذ".
[15]- في (ب) "وبت".
[16]- في (ب) "سائرا".
[17]- من (ب).
[18] في (ب) "بما".
[19]- سقط من (ب).
[20]- في (ب) "المذكور".
[21]- سقط من (ب).

فوجدت متاعي – إلا القليل – (فحملته)[1] على بغلة من غير شد *عليه*[2] ولا ربط، *فذهبنا*[3]، فلم فلم (يمل)[4] بقدرة الله؛ لا هكذا، ولا هكذا؛ كأن (أحدنا)[5] قابض (عليه)[6]، وسرنا إلى *أن بلغنا*[7] الركب؛ وكانت ليلة مظلمة كالتي قبلها، فكنا نرى نورا +مشرقا+[8] أمام البغلة حتى بلغنا الركب؛ وكان مشينا +مشيا+[9] شديدا، فلم يشعر أحد منا بنصب الطريق ولا بتعبها، فعلم الجميع أن ذلك +كله+[10] سر من أسرار الصالحين، رضي الله عن (جميعهم)[11]، وبرهان من براهين أولياء الله المتقين الذين ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[12]، وقبض أحد السراق الذين سرقوني، وسلسله الشيخ المذكور، ثم قال لي الشيخ المذكور: "اكتب لي وكالة نقبض لك ما بقي من متاعك عند من كان، وتعين (وصفه لي)[13]"، ففعلت (وذهبت)[14] إلى بيت الله الحرام، ووقفنا بعرفات والحمد لله.

فلما رجعت إلى منى، جاءني كتاب من عند الشيخ *المذكور*[15] يخبرني *فيه*[16] بأنه "قد وجد ما بقي من متاعي، ولا ضاع منه *ولو*[17] درهم واحد"، ففرحت *فرحا*[18] شديدا، وحمدت الله وشكرته، وأثنيت عليه بما هو أهله، فلما رجعنا إلى مصر بعث لي +الشيخ+[19] متاعي، ولم يبق لي منه شيء، فلما وقع لي هذا الأمر تيقنت أن (شيخي)[20] سيدي، ومولاي محمد بن الفقيه؛ إنما كان يؤخرني، عند مشاورتي له على الحج؛ لأجل (هذا الأمر الذي نفدت)[21] بصيرته *إليه*[22] (وكاشفه)[23] (الحق

---

[1]- في (ب) "فحملت متاعي".
[2]- سقطت من (ب).
[3]- سقطت من (ب).
[4]- في (ب) "تمل"، وما في (أ) أقرب وأنسب.
[5]- في (ب) "أحدا".
[6]- في (ب) "فيها".
[7]- سقط من (ب).
[8]- زيادة من (ب).
[9]- زيادة من (ب).
[10]- زيادة من (ب).
[11]- في (ب) "عنهم".
[12]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلآَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾، يونس/ (62).
[13]- في (ب) "لي وصف ما بقي من متاعك".
[14]- في (ب) "وذهبنا".
[15]- سقطت من (ب).
[16]- سقطت من (ب).
[17]- سقطت من (ب).
[18]- سقطت من (ب).
[19]- زيادة من(ب).
[20]- في (ب) "الشيخ البركة".
[21]- في (ب) "نفود".
[22]- سقطت من (ب).
[23]- في (ب) "لمكاشفته".

سبحانه وتعالىٰ به)[1]، وأن إشارته *رضي الله عنه*[2]، حين (تشفع)[3] لي / 92أ/ مولاي محمد الطاهري الطاهري بقوله: "الله يجعل فيه خيرا وسلامة"؛ إنما كانت لسلامتي منه بعد نزوله، فلله الحمد (والشكر)[4] علىٰ معرفة أوليائه وصحبتهم، مع كوننا لسنا أهلا لمعرفتهم، ولا للعثور (علىٰ خدمتهم)[5]، خدمتهم)[5]، فنسألك اللهم: أن ترزقنا القيام بعظيم حقوقهم، وأن لا تمسك عنا مدد حبهم، إنك أكرم أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، بجاه سيد الأولين والأخرين؛ سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله، وصحبه، وتابعيهم إلىٰ يوم الدين، والحمد لله رب العالمين".

انتهىٰ من خط من ذكر مع إصلاح بعض قليل الألفاظ.

وحدثنا المرابط الخير السيد علي بن محمد بن عبد الرحمن الكراوي[6] *ثم*[7] العثماني؛ نسبة إلىٰ سيدنا عثمان *بن عفان*[8] رضي الله عنه، (وقال)[9]: "إنه كان بمدينة فاس أمنها الله، وأخذ العهد (عن)[10] الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، *رضي الله عنه، وصار من جملة أصحابه وأتباعه*[11]، وشاوره (علىٰ)[12] الذهاب إلىٰ بلده، فوافقه عليه"، قال: "فحملت (ولدي)[13] علىٰ ظهري؛ لعدم ما نكري به، وقد فاتتني الرفقة، فاتبعتها (فأدركتها)[14] بصفرو"[15]. وكان في الرفقة المذكورة؛ الولي الصالح المكاشف سيدي عبد الوهاب؛ صاحب زاوية تكي، قال: "فلما أقبلت عليه رضي الله عنه، قام إلي (ورحب بي وعظمني)[16]، وقال لي: يا أخي أنت صاحب رأينا في هذه الرفقة، وإليك نهاية أمرنا، فلا ينزل أحد إلا حيث ترىٰ، ولا يفعل فعلا؛ إلا إذا أمرته به"، قال: "فقلت له: يا سيدي أنت ولي الله،

---

[1]- في (ب) "هذا الواقع".
[2]- سقطت من (ب).
[3]- في (ب) "شفع".
[4]- في (ب) "وله الشكر".
[5]- في (ب) "عليهم".
[6]- في (ب) "القراري".
[7]- سقطت من (ب).
[8]- سقط من (ب).
[9]- في (ب) "قال".
[10]- في (ب) "مع".
[11]- سقط من (ب).
[12]- في (ب) "في".
[13]- في (ب) "ولدا لي".
[14]- في (ب) وأدركتها.
[15]- "صفروا"، كذا في النسختين، والصواب ما أثبت.
[16]- في (ب) "وعظمني ورحب بي".

ولك حرمة وجاه عند الله تعالىٰ والخلق، وأنا رجل مسكين، فقال +لي+[1]: والله ما أنت إلا نوارتنا؛ لأنك من أصحاب أولاد النبي، أليس قد أخذت العهد[2] عن سيدي محمد بن الفقيه *وصاحبته*؟[3]"، قال: "فقلت له: نعم، ولم يكن أحد *من أهل الرفقة*[4] يعرفني بأني من أصحابه؛ لقرب العهد بالأخذ عنه +رضي الله عنه+[5]، ولكن أطلع الله علىٰ هذا الولي، وكاشفه / 193أ/ (بذلك)[6]، ثم أقسم علي أن تقدم"، +قال+[7]، فتقدمت لما +رأيته+[8] أقسم. وسرنا في حفظ الله؛ الله؛ حتىٰ مررنا بقبيلة (كروان)[9]، (وكانوا)[10] يقطعون الطريق علىٰ من مر بهم، فطلبوا منا الدعاء، ثم انصرفنا إلىٰ أن بلغنا غابة عبد الله، (فضل)[11] عنا جميع ما معنا من الإبل فيها – لكبرها – فو الله لو دخلت الآلاف ما ظهرت، فطلبناها حتىٰ آيسنا منها، ثم (قلت)[12]: "يا سيدي محمد بن الفقيه (بالذي)[13] لا إله إلا هو، إن لم يرد الله علينا (هذه الإبل لا)[14] ذكرتك في عمري"، قال: "فو الله ما برحنا من مكاننا ذلك، حتىٰ رأينا الإبل خارجة من الغابة، كل واحدة من ناحية قاصدة نحونا؛ كأن سائقا يسوقها إلينا – ولا سائق – فذهبنا في حفظ الله وأمانه، حتىٰ بلغنا بلدنا"، قال: "فأقمت بها ما شاء الله، ثم مرضت مرض الحب الكبير – (أعاذنا الله وإيكم منه)[15] – ولم أعرفه حتىٰ مر بي فارس (ورآني)[16]، فقال لي: (هذا)[17] الحب، فقنطت منه، وبقيت كذلك نحو الشهر ونصف، فبينما أنا ذات يوم بين اليقظة والنوم؛ إذا بامرأة وصبيتين صغيرتين قد (أقبلن)[18] علي، وجعلن ينزلن سبابتهن علىٰ الحبوب، فضربت واحدة منهن برجلي؛ حتىٰ سقطت علىٰ ظهرها، فجلست، وقالت لي: "الله! كيف

---

[1]- من (ب).
[2]- زيادة "وصاحبت" في (ب).
[3]- سقطت من (ب).
[4]- سقط من (ب).
[5]- زيادة من (ب).
[6]- في (ب) "ذلك".
[7]- زيادة من (ب).
[8]- زيادة من (ب).
[9]- في (ب) "جلوان".
[10]- في (ب) "وهم".
[11]- في (أ) "ضل".
[12]- في (ب) "فقلت".
[13]- في (ب) "بالله".
[14]- في (ب) "إبلنا ما".
[15]- في (ب) "والعياذ بالله".
[16]- في (ب) "ورآه".
[17]- في (ب) "هو".
[18]- في (أ) "أقبل".

تضربني وأنا شريفة"، فاستيقظت +من نومي+[1] مرعوبا، فوجدتهن أمامي في اليقظة، فقبلت رأس التي ضربتها وتحللتها. ثم رجعت مستلقيا علىٰ ظهري، فقربن مني، وقلن *لي*[2]: "إن الشيخ سيدي محمد بن الفقيه؛ هو الذي (بعثنا إليك)[3] لنداويك"، فجعلنا ينزلن أيديهن علىٰ الحبوب؛ وكلما وضعن أيديهن علىٰ شيء منها، برئ من حينه، وعافني الله سبحانه في يومي ببركة (شيخي وسيدي)[4]، والحمد لله.

وعنه أيضا، قال: "أخذ امرأتي وجع الطلق[5]، فقلت لها: استغيثي بشيخي (سيدي)[6]، *ومولاي *ومولاي محمد بن الفقيه*[7]، ففعلت؛ فإذا هي تحس (بيدين)[8] يضمان بطنها[9] (ويعصرانها)[10]، (فنزل) (فنزل) الجنين من حينه؛/ 94أ/ من غير مشقة ولا حرج".

وعن السيد محمد المؤذن الأنصاري قال: "كنت ساكنا (بدار)[11] لي بمكناسة، حرسها الله، (وكان معي)[12] رجل يقال له: الغمري، وكانت بينه وبين نصراني من نصرىٰ الحرة زوجة الأمير معرفة، وكان النصراني المذكور؛ يأتي للدار لعند الغمري المذكور، فطلب منه الغمري ذات يوم أن يأتيه بحوائج – علىٰ وجه العارية – فأتاه بها"، قال: "ولم نمت تلك الليلة في الدار، فزين له الشيطان[13] في قتله، فقتله؛ وأخذ الحوائج، وفر هو وزوجته ليلا وحمل متاعه، ولم يترك في الدار إلا أهلي وأولادي والنصراني (مقتولا)[14]، فبينما أنا نائم تلك الليلة؛ (إذا)[15] رأيت شيخي سيدي +ومولاي+[16] محمد بن الفقيه – رضي الله عنه ونفعنا به +آمين+[17] – يمج ماء من فيه بين رجلي،

---

[1]- زيادة من(ب).
[2]- سقطت من (ب).
[3]- في (ب) "أرسلنا".
[4]- في (ب) "سيدي وشيخي".
[5]- وجع الطلق: أي ألم الولادة الذي يكون قبل وعند وضع الحمل.
[6]- في (ب) "وسيدي".
[7]- سقط من (ب).
[8]- في (أ) "يدين".
[9]- هذا الأمر لا يقبله الطبع السليم، ولا النفس السوية؛ عقلا وشرعا، هو وما بعده من قوله: "ويعصرانها".
[10]- في (ب) "يعصرانها".
[11]- في (ب) "في دار".
[12]- في (ب) "مع".
[13]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣﴾، النحل/ (63).
[14]- في (ب) "قتيلا"
[15]- في (ب) "إذ"، وهو الأقرب.
[16]- زيادة من (ب).
[17]- زيادة من (ب).

فقلت له في ذلك، فقال: "أطفئ +عنك+[1] هذه النار؛ مخافة أن تحرقك"، فلما (أصبح الصباح)[2]، قصصت رؤياي على من معي، وقلت لهم: "لا بد لي *من*[3] أن يقع *لي*[4] واقع هذه الساعة"، قال: قال: "فو الله ما أكملت كلامي ذلك حتى (جاءني)[5] رسول أهلي يخبرني بما فعل *جاري*[6] الغمري، فأهمني ذلك غاية، (وذهبت)[7] لداري، فوجدت أهلي خائفين، فقلت لهم: لا تخافوا، وأخبرتهم بالرؤيا، ثم اشتغلت بإخراج متاعي، وحوائجي من الدار المذكورة؛ والقائد العياشي واقف مع أصحابه، ولم يكلمني واحد منهم، وكفاني الله شر ذلك، ببركة شيخنا رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته *آمين*[8]". ثم بعد مدة قبض الغمري المذكور.

ونقلت من خط الفقيه العالم، القاضي الأعدل، أبي عبد الله (السيد)[9] العربي بن محمد قشمير المصمودي الزجني ما نصه: "سمع كاتبه مشافهة من ميمون شمسه الريفي؛ أن صاحبه: القائد أحمد بن المجاهد الأسمى – القائد علي بن عبد الله الحمامي– بعثه في بعض حوائجه مؤكدا عليه في قضائها، وبعث معه كتابا / 95أ/ في شأنها، فلما خرج من مدينة طنجة – أدامها الله للإسلام – وجد مركبا مسافرا في البحر بقصد اصطياد النصارى، فركب معهم، واستغاث بالشيخ الكبير؛ سيدي محمد بن الفقيه (الشريف الزجني العمري)[10]، وطلب في دعائه، ألا يرده الله خائبا؛ وكان محتاجا جدا لا يملك شيئا، وترك حاجة صاحبه، فذهبوا في البحر ما شاء الله (حتى بلغوا)[11] مدشرا من مداشر النصارى، فبينما هو ذاهب؛ إذ لقي نصرانيا، فاستغاث بالشيخ المذكور في الإعانة عليه، فمكث (قليلا)[12] (وجعل)[13] النصراني يكتف يديه، ويطلب منه العافية، فقبضه (وكتفه)[1]، وأتى به إلى أصحابه فرحا مسرورا؛

---

[1]- زيادة من (ب).
[2]- في (ب) "أصبحت"
[3]- سقطت من (ب).
[4]- سقطت من (ب).
[5]- في (ب) "أتاني".
[6]- سقطت من (ب).
[7]- في (ب) "فذهبت".
[8]- سقطت من (ب).
[9]- في (ب) "سيدي".
[10]- في (ب) "الحسني العمري الزجني".
[11]- في (أ) "و بلغوا".
[12]- في (ب) "فمكث غير بعيد"، وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾، النمل/22.
[13]- في (ب) "فجعل".

فلما رجع ولقي القائد المذكور، لم يقل له شيئا على مخالفته فيما بعثه إليه، وفرح *به*[2] فرحا كبيرا، وجعله من المقربين، ثم سافر مرة أخرى، واستغاث بالشيخ المذكور (رضي الله عنه)[3]، فأتى بنصراني آخر، وازداد قربا من القائد المذكور؛ حتى بلغ الغاية من مقصوده.

ولما أمر السلطان مولاي إسماعيل بجمع (حراطين)[4] قواده كلهم، وكان شمسه المذكور من جملة من (ذهب به)[5] إليه، حتى (بلغ مكناسة)[6]، وجلس بها ما شاء الله، ودخله هم وحزن وقنوط؛ لما اعتاده من الجهاد، والذهاب لأي جهة أراد، ولم يجد فيها ما في غيرها من السعة، نادى شمسه المذكور الأمير ذات يوم، وقال له: "مثل عبدك هذا لا ينبغي أن يبقى هنا"، فقال له الأمير: "(ولم)[7]؟"، (فقال له)[8]: "+إني+[9] اعتدت الجهاد في النصارى وقبضهم، وإن عبدك لا يسعه التخلف عن هذا الأمر، وعندي من يشهد لي بهذا"، فقال الأمير: "(ومن؟)[10]"، فقال: "فلان وفلان (نصرانيان)[11]، (وعندك)[12] هنا، أنا قبضتهما في بلادهما وأسرتهما"، فأمر الأمير بإحضارهما (فأحضرا)[13]، فقال لهما: "من قبضكما في بلادكما؟"، (فقالا)[14] له: "هذا الرجل"؛ وأشارا / 96أ/ إليه، فسرحه السلطان حينئذ، وقال له: "اذهب حيث شئت"، وأمره بالجهاد (وحضه)[15] عليه، قال: "فرجعت إلى بلادي دون من *ذهب*[16] معي من الحراطين، وما ذاك إلا ببركة شيخي سيدي، ومولاي محمد بن الفقيه، نفعنا الله وإياكم ببركاته آمين".

انتهى من خط من ذكر[17].

---

[1]- في (ب) "أكتفه".
[2]- سقطت من (ب).
[3]- في (أ) "أيضا".
[4]- في (ب) "حراصين"، والصواب ما أثبت.
[5]- في (ب) "سار منهم".
[6]- في (أ) "بلغ".
[7]- في (ب) "ولماذا".
[8]- في (ب) "فقال".
[9]- من (ب).
[10]- في (ب) "ومن هو".
[11]- في (ب) "نصرانيا"، والصواب ما في (أ).
[12]- في (أ) "عندك".
[13]- في (ب) "فحضرا".
[14]- في (أ) "فقال".
[15]- في (ب) "حظه".
[16]- سقطت من (ب).
[17]- سقط من (ب).

وسمعت الشيخ محمد بن حم المصمودي يقول: "إن الشيخ *البركة*[1] سيدي محمد ابن الفقيه رضي الله عنه، أخبره ذات يوم، وقال له: "ستمر عليك مشقة عظيمة، حتىٰ تأيس[2] من الحياة، وبعد ذلك (يفرج)[3] الله (عليك)[4]"، قال: "فبقيت ننتظرها، *وأنا متيقن وقوعها؛ لما نعلمه من مكاشفته رضي الله عنه، {واطلاعه علىٰ المغيبات}[5]، وأنه لا يتكلم إلا بالله*[6]، حتىٰ ذهب السلطان مولاي إسماعيل لبعض القبائل، وكان أخوه قد ذهب فيمن ذهب معه من الجيش، ففر بعض *الجيش*[7] عنه، وكان أخوه فيمن فر (منهم)[8]، فأمر السلطان بقطع رؤوس الفارين *إن قبضوا، أو إخوانهم إن لم يقبضوا*[9]"، قال: "فبعث القائد (بن)[10] الأشقر أصحابه إلىٰ مصمودة؛ ليقبضوا إخوان الفارين، فقبضوني في أخي، *وجيء بي*[11] (فمررت)[12] بالشيخ *سيدي محمد*[13] رضي الله عنه وهو (جالس)[14]، (فقلت له: يا سيدي، أهذه المشقة التي قلت لي؟ فقال لي: نعم، فقلت له: يا سيدي ادع الله لي ينجني منها)[15]، فقال لي رضي الله عنه: (اشتر)[16] لي شيئا من التمر إن جئت، فقلت له: إن جئت سالما فرقبتي ومالي لسيدي *محمد بن الفقيه*[17]". قال: "فذهبوا بنا حتىٰ أوقفونا بين يدي ابن الأشقر *المذكور*[18]، فأمر بضرب أعناق من عداني، فضربت - والعياذ بالله - (وأنا واقف بين يديه)[19] *أنظر إليهم وأنتظر ما يفعل بي*[20]، (فلم)[21] يأمر علي بشيء، ولا كلمني أحد، فبقيت (كذلك

---

[1]- سقطت من (ب).
[2]- "تايس" كذا في النسختين.
[3]- في (ب) "يفكك".
[4]- في (ب) "منها".
[5]- ينظر قسم الدراسة، ص: 134 وما بعدها.
[6]- سقط من (ب).
[7]- سقطت من (ب).
[8]- في (ب) "عنه".
[9]- سقط من (ب).
[10]- في (ب) "ابن".
[11]- سقط من (ب).
[12]- في (ب) "فلما مررت".
[13]- سقطت من (ب).
[14]- في (ب) "قاعد".
[15]- في (ب) "قلت: يا سيدي ادع الله يسرحني له، يا سيدي أهذه المشقة التي قلت تمر بي؟ قال: نعم، فقلت له: يا سيدي ادع الله سرحني منها".
[16]- في (ب) "اشتري"، والصواب ما في (أ).
[17]- سقط من (ب).
[18]- سقطت من (ب).
[19]- في (ب) "وبقيت واقفا أمامه".
[20]- سقط من (ب).
[21]- في (ب) "ولم".

ساعة)[1]؛ وهو لا ينظر إلي، ولا أمر (أحدا)[2] (بحراستي)[3]؛ كأني لست / 97أ/ هنالك، ولا رأوني، ولا ولا أمروا بقبضي، فعلمت (أن)[4] ذلك؛ (سر)[5] من أسرار الصالحين، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين. ثم خرجت وتركتهم (متوجها لبلادي)[6]، فاشتريت شيئا من التمر، (وجئت)[7] به في يدي، وأعطيته للشيخ سيدي محمد بن الفقيه، رضي الله عنه، فقال لي: كيف كنت؟ فقلت له: بخير والحمد لله، من بركاتك، ثم قال لي: إني أراك راكبا وعليك دائرة *من*[8] الملف[9] ، ومن ورائك أتباع؛ كأنك شيخ، ولكن (أراك لا)[10] تفعل معي خيرا، فقلت له: *والله يا سيدي*[11] إن كان *هذا*[12] الأمر، (لا أمضيت أمرا، ولا فعلت شيئا)[13]؛ إلا عن إذنك ومشورتك، فمكثت ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[14]؛ وذهبت القبيلة بالهدية للقائد علي رحمه الله، وذهبت فيمن ذهب منهم، فقبضني القائد المذكور من يدي، وقال للقبيلة: هذا (شيخكم يا)[15] مصمودة، ولم تتقدم لي عليهم (كبيرة أبدا)[16]، ولا طمعت فيها، فجئت من عنده؛ وأنا راكب، وعلي دائرة *الملف*[17]، ومن ورائي أتباع، كما قال رضي الله عنه"، قال: "فبقيت أتصرف في القبيلة نحو العامين، فقبضت ذات يوم (رجلا)[18] في ذنب فجعلت أضربه، فجاء الشيخ سيدي محمد (رضي الله عنه)[19] يتشفع فيه، فامتنعت (وقلت له)[20]: دعني يا سيدي فإني قد حلفت؛ لأضربنه كذا وكذا، فغضب الشيخ رضي الله عنه وذهب[21]، وقال لي: افعل (ما يظهر لك)[22]، فو الله ما

---

[1]- في (ب) "ساعة كذلك".
[2]- في (ب) "أحد"، والصواب ما في (أ).
[3]- في (ب) "من أصحابه".
[4]- في (ب) "بأن".
[5]- في (ب) "سرا".
[6]- في (ب) "ذاهبا إلى بلادي".
[7]- في (ب) "وأتيت".
[8]- سقطت من (ب).
[9]- كلمة مطموسة في (ب) ولعل المقصود بها "ثوب".
[10]- في (ب) "والله إني لا أراك".
[11]- سقط من (ب).
[12]- سقطت من (ب).
[13]- في (ب) "كما ذكرت فوالله لا أمضي أمرا".
[14]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾، النمل/ (22).
[15]- في (ب) "هذا يا قبيلة".
[16]- في (ب) "شيخوخة قبل".
[17]- سقطت من (ب).
[18]- في (ب) "شخصا".
[19]- في (ب) "بن الفقيه".
[20]- في (ب) "وقلت".
[21]- سقطت من (ب).
[22]- في (ب) "ما شئت".

(أكملت)[1] ثلاثة أيام؛ حتىٰ أرسل إلي القائد ونزعني، وقال لأصحابه من أحب *الله*[2] ورسوله، فليبصق علىٰ ابن حم، وسجنني ستة أشهر، فكنت إذا لقيني الشيخ +رضي الله عنه في الطريق+[3] بعد ذلك، أتشفع له، وأتضرع كي أعود (للشيوخة)[4] كما كنت، (فيقول لي)[5] رضي الله عنه: قد سبق في علم *الله*[6] ما سبق".

وحدثنا المرابط الخير الحاج محمد الصواف الفلالي / 98أ/ المذكور قبل، أنه: "كان مسافرا إلىٰ مدينة فاس، حرسها الله، فلقيه بعض عبيد السلطان، وأخذ له بغلا علىٰ وجه (القهر والتعدي)[7]"، قال: "فانقطعت للاستغاثة بالشيخ سيدي محمد بن الفقيه، (فإذا به – رضي الله عنه)[8] – واقف معنا، (فأخذ)[9] العبد، وأنا أنظر إليه عيانا، وضربه بالسيف علىٰ رأسه حتىٰ جرجه، ونزع البغل من يده، ومكنني منه وانصرف"، قال: "ولم ير أحد ممن كان معي في الرفقة الشيخ (سيدي محمد)[10]؛ إلا أنا والعبد المذكور، فقال لي بعضهم: أقسم عليك بالله، بمن استغثت ومن تخدم؟" قال: "فقلت لهم: أخدم (شريفا بمصمودة)[11]، شيخي؛ هو سيدي، ومولاي محمد، بن الفقيه رضي الله عنه، ونفعنا وإياكم ببركاته آمين +اهىٰ+[12]".

وعن الفقيه الأجل، الخير الأفضل السيد مسعود صيدون، بصاد مهملة فمثناة تحتية، أنه *قال*[13] – لما وقف بين يدي *السلطان*[14] مولاي إسماعيل، رحمه الله، في السلسة مع جمع من الفقراء؛ أتباع الولي الصالح *البركة*[15]، سيدي محمد *بن البركة العظمىٰ*[16]، مولاي عبد الله

---

[1]- في (ب) "كملت".
[2]- سقطت من (ب).
[3]- زيادة من (ب).
[4]- في (أ) "للشيخوخة".
[5]- في (ب) "فيقول".
[6]- سقطت من (ب).
[7]- في (ب) "التعدي والقهر".
[8]- في (ب) "رضي الله عنه، فإذا به".
[9]- في (ب) "فقبض".
[10]- في (ب) "رضي الله عنه"
[11]- في (أ) "شرفاء مصمودة".
[12]- زيادة من (ب).
[13]- سقطت من (ب).
[14]- سقطت من (ب)
[15]- سقطت من (ب).
[16]- سقط من (ب).

الشريف +العلمي+[1]" رضي الله عنهما، ونفعنا *وإياكم*[2] ببركاتهما *آمين، وجعل*[3] مولاي إسماعيل يعاتبهما أشد (العتاب)[4]، ويغلظ لهم القول؛ رأى السيد مسعود، المذكور[5]، الشيخ سيدي، ومولاي محمد بن الفقيه *يقظة*[6] واقفا بين (يدي)[7] السلطان؛ وهو يهدنه ويسكنه، ويقول له: أها[8] يا يا مولاي إسماعيل؛ وكلما مد يده مولاي إسماعيل (ويشير)[9] بها إلينا عند العتاب، يقول له سيدي (محمد)[10]: أها يا مولاي إسماعيل؛ ومولاي إسماعيل يلين له في الكلام، ويقول له: لا (يا خي)[11] – *بهذه العبارة*[12]– (ما لنا عندهم شيء بغينا نتكلم معهم)، وكان نفعنا الله به[...][13]، قال: – والشيخ *سيدي محمد رضي الله عنه*[14] (بداره)[15] في أزجن، ولم يخرج منها، وشاهده أمام السلطان؛ كل من كان معي في السلسلة من الفقراء، وأما غيرهم ممن هو واقف / 99أ/ (مع السلطان)[16]، فلا أدري أرأوه أم لا، انتهى وصدق".

(ولقد)[17] سمعنا عن غير واحد من الأشياخ *رضي الله عنه*[18] يقول: "والله لولا (بسيدي)[19] محمد بن الفقيه؛ واقف على زاوية وزان، لتركها *السلطان*[20] مولاي إسماعيل أرضا (دكا)[21]"، وقد تقدم نحو هذا عن *الولي الصالح*[22] سيدي يوسف الحنصالي.

---

[1]- زيادة من (ب).
[2]- سقطت من (ب).
[3]- سقط من (ب).
[4]- في (ب) "المعاتبة".
[5]- قدم ما في (ب) عما في عما في (أ).
[6]- سقطت في (ب) لأنها قدمت كما أشرنا قبله.
[7]- في (ب) "أمام".
[8]- أسلوب دارج يشير إلى الكف عن الشيء مع تأدب وتلطف.
[9]- في (ب) "مشيرا".
[10]- في (ب) "الشيخ".
[11]- في (ب) "يا أخوي".
[12]- سقط من (ب).
[13]- اضطرب سياق الكلام في هذا الموضع.
[14]- سقط من (ب).
[15]- في (ب) "في داره".
[16]- في (ب) "معي".
[17]- في (ب) "لقد".
[18]- سقطت من (ب)
[19]- في (ب) "سيدي".
[20]- سقطت من (ب).
[21]- في (ب) "سوية".
[22]- سقطت من (ب).

وسمعت الحاج الأبر، (الزكي)[1] الأطهر؛ الحاج الحسن الإسكندراني -المتقدم ذكره- يقول: "لما (بعثني)[2] الشيخ، سيدي محمد بن الفقيه، رضي الله عنه إلى حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر المصطفى عليه (أفضل الصلاة، وأزكى السلام)[3]، وبلغنا مدينة تونس أمنها الله، قال لي بعض الإخوان: تذهب معنا (لزيارة)[4] (سيدي علي عزوز ومولاي زغوان)[5]، نفعنا الله وإياكم ببركتهما[6]، (فقلت له)[7] على بركة الله؛ فذهبنا إلى أن وصلنا ماء بغابة هنالك، فقالوا: تعالوا ننزل فنطعم، فنزلنا وأكلنا، فقمت لأتوضأ، فلم أشعر؛ إلا وأصحابي مروا جميعا *وتركوني*[8]، فنظرت يمينا وشمالا، فلم أجد لهم أثرا، فركبت دابتي ومشيت، فتهت (في الغابة)[9] *المذكورة*[10]، فلما رأيت ذلك، وأيقنت وأيقنت الهلاك، ناديت رافعا صوتي: يا سيدي محمد بن الفقيه"، قال: "فإذا به رضي الله عنه يمشي أمامي قريبا مني، فضربت الدابة؛ كي أدركه فأسلم عليه، وأنا أنظر إليه حتى (نزل)[11] لواد *هنالك*[12]، فلما لحقت الوادي؛ وجدت أصحابي ولم أجده، فقلت: الحمد لله هكذا يكون الشيخ"، قال: "فلما بلغنا سيدي علي عزوز *رضي الله عنه*[13] ونفعنا +الله وإياكم+[14] ببركاته، وجدناه (في الحضرة)[15]، ففرح بنا (غاية)[16]، وجعل كل واحد من الزيار؛ يعطيه ما تيسر *له*[17] من (الدراهم)[18]، فأردت أن أعطيه ما تيسر لي، فقام إلي وقبضني من يدي (وجعل يقول- مع صيغة وطرب-: بركتكم تكفينا؛ ويكررها كذلك / 100أ/ المرة بعد المرة)[19]".

---

[1]- في (ب) "التقي".
[2]- في (ب) "أرسلني".
[3]- في (ب) "عليه الصلاة والسلام".
[4]- في (ب) "تزور".
[5]- في (ب) "مولا زغوان سيدي علي عزوز".
[6]- في (ب) "ببركاته".
[7]- في (ب) "فقلت".
[8]- سقطت من (ب).
[9]- في (ب) "بالغابة".
[10]- سقطت من (ب).
[11]- في (ب) "هبط".
[12]- سقطت من (ب).
[13]- سقطت من (ب).
[14]- من (ب).
[15]- في (ب) "بالحضرة".
[16]- في (ب) "فرحا كبيرا".
[17]- سقطت من (ب).
[18]- في (ب) "الدراهيم".
[19]- في (ب) "وقال لي: بركاتكم تجزينا؛ وجعل يكررها مع صيغة وطرب".

وحدثنا السيد حم *بن*[1] عبيد الله الريفي، (وقال)[2]: "لما استرق مع الحراطين، (وأتي)[3] بهم *إلى*[4] مولاي إسماعيل بمكناسة +الزيتون+[5]"، قال: (وباتوا)[6] بها ليالي، فبينما (هو)[7] ذات (ليلة نائم)[8]، (إذ يرى في منانه)[9]؛ (كأنه يخدم)[10] الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، (ويذهب)[11] في حوائجه +رضي الله عنه+[12]"، *قال*[13]: "فبينما أنا كذلك؛ إذ قال لي: قم، أنت باق (هنا)!؟[14]؛ وجعل رضي الله عنه، يحمل معي أثقالي على دابتي، ويشد معي عليها كأني نريد السفر، ثم استيقظت من نومي، فقلت: إن كان سيدي كما أعلم، الآن يطلق الله سراحي"، قال: "فو الله ما مرت عليه ثلاثة أيام حتى (سرحه الله وفكه)[15] من تلك الورطة".

وعنه أيضا قال[16]: "إن السلطان مولاي إسماعيل – *رحمه الله*[17] – لما بعث إلى حراطين الريف جميعا، وأمر بقبضهم، فقبضوا وكبلوا، وجعلوا في دهليز، *وكنت في جملتهم*[18]"، قال: "فانقطعت +وتجردت+[19] للاستغاثة به رضي الله عنه، فوقف علي في المنام راكبا على (فرسه)[20] – الأنثى الزرقاء[21] التي نعرف عنده – وهو يسير نحو القبلة، (فقال)[22] لي *رضي الله عنه*[23]: اركب على (هذه)[24] الفرس؛ وأشار لفرس (أخرى)[25]، وانصرف عني"، قال: "فانتبهت من نومي ذلك، وأعلمت من

---

[1]- سقطت من (ب).
[2]- في (ب) "قال".
[3]- في (ب) "وأتوا".
[4]- سقطت من (ب).
[5]- من (ب).
[6]- في (ب) "وبتنا".
[7]- في (ب) "أنا".
[8]- في (ب) "يوم نائما".
[9]- في (ب) "رأيت في منامي ذلك".
[10]- في (ب) "كأني أخدم".
[11]- في (ب) "وأذهب".
[12]- زيادة "من (ب).
[13]- سقطت من (ب).
[14]- في (ب) "هاهنا".
[15]- في (ب) "سرحني وفكني الله".
[16]- سقطت من (ب).
[17]- سقطت من (ب).
[18]- سقط من (ب).
[19]- زيادة من (ب).
[20]- في (ب) "فرسته".
[21]- "الزركاء" كذا كتبت، والصواب ما أثبت.
[22]- في (ب) "وقال".
[23]- سقط من (ب).
[24]- في (ب) "هذا".
[25]- في (ب) "آخر".

كان معي برؤياي، وقلت لهم: إن كان سيدي كما أعلم؛ الآن أسرح، فلما كان اليوم الرابع من رؤياي هذه، أتاني أيضا مناما، وقال لي: أباق أنت هنا؟! وقبضني من يدي"، قال: "فانتبهت من نومي، فوجدته قابضا علىٰ

يدي (يقظة)[1] كما (رأيته مناما)[2]، ثم أرسل +يدي+[3] وذهب، فقلت لمن معي *في الدهليز*[4]: هل رأيتم سيدي محمد بن الفقيه قابضا *علىٰ*[5] يدي؟ فقالوا: لا، فقلت لهم: والله لقد قبض يدي مناما، وقال لي: كذا وكذا، فلما انتبهت من نومي؛ وجدته قابضا عليها، ثم أرسلها وذهب، وأنا والله ما أراني إلا مطلوقا"، قال: "فو الله ما أطلقت؛ إلا في ذلك اليوم منفردا عن جميع من معي / 101أ/ *في الدهليز* [6] من فضل الله *تعالىٰ*[7]، ثم من فضل نبيه عليه الصلاة والسلام، ثم من بركة سيدي وشيخي *سيدي*[8] ومولاي محمد بن الفقيه، ومحبتي فيه.

وعن الشريف الأسعد سيدي الحسن بن الطاهر (كنون)[9] المساري؛ "أنه حضر ذات يوم مع مولاي التهامي – بن سيدي محمد بن *مولاي*[10] عبد الله الشريف رضي الله عنهم، ونفعنا ببركتهم جميعا +آمين+[11] – عند الشيخ أبي دهنة؛ وهو يقص علىٰ مولاي التهامي، ويقول *له*[12]: إنه قد كان جاء أمر السلطان عليه، وعلىٰ ابن عمه الزبير بالقبض، فقبضا، وربطا إلىٰ شجرة، وجعل العبيد يعذبونهما بأشد العذاب؛ من ضرب وغيره، قال أبو دهنة – المذكور–: فألهمني الله حين رأيت ذلك للاستغاثة بالشيخ سيدي محمد بن الفقيه، وجعلت أناديه[13]: يا[14] سيدي محمد بن الفقيه"، قال: "فأجابني رضي الله عنه؛ وهو *بداره*[15] بأزجن، وأنا بأولاد عيسىٰ[1]"، قال: "ثم أعدت ثانيا وثالثا،

---

[1]- في (ب) "يقضة".
[2]- في (ب) "كما رأيت".
[3]- زيادة من (ب) يقتضيها السياق.
[4]- سقط من (ب).
[5]- سقطت من (ب).
[6]- سقط من (ب).
[7]- سقطت من (ب).
[8]- سقطت من (ب).
[9]- في (ب) "الجنوني".
[10]- سقطت من (ب).
[11]- زيادة من (ب).
[12]- سقطت من (ب).
[13]- في (ب) "أنادي".
[14]- في (ب) "بيا".
[15]- سقطت من (ب).

وكل ذلك يجيبني وأنا أسمعه؛ ففرحت حينئذ، فلما أصبح النهار، أدركنا عفو الله وجاءنا عفو السلطان، فأطلقنا في ذلك اليوم، من بركاته رضي الله عنه"، قال: "فقال له مولاي التهامي رضي الله عنه: هو (لذلك)[2] أهل، سيدي محمد بن الفقيه؛ حجة عظيمة عند الله تعالى.

وحدثنا الحاج محمد السلاوي، وقال: "إنه كان مع أخيه في بعض الأيام، بسوق أزجن قاصدين وزان؛ فرأيا الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، ومعه جمع كثير من الفقراء يذكرون الجلالة"، قال: "وكنت رجلا قليل النية"، فقال لي أخي: نذهب إلى هذا الولي لنزوره، فقلت له: لا، فقال: والله لا بد من أن نذهب إليه ونزوره"، قال: "فلما رأيته -أقسم بالله وحلف- ذهبت معه حتى بلغنا إليه، وزرناه، وجلسنا قريبا منه، فقدم أربعة نفر، ومعهم رجل زمن[3] مقعد، فقالوا للشيخ سيدي محمد -رضي الله عنه / 102أ/ بعد أن أجلسوه بين يديه وقبلوا يده -: أنت طبيب أهل الله، فداو لنا هذا الرجل لوجه الله، فقال الشيخ رضي الله عنه للرجل المقعد: قم على رجلك، فقال له الرجل: يا سيدي، لا رجل لي أقوم عليها، فقبضه الشيخ من يده وأوقفه، فوقف الرجل حينئذ، فقال له الشيخ: خلف - بهذه العبارة - فقال له: يا سيدي لا أستطيع"، قال: فرفع الشيخ رضي الله عنه من الأرض شيئا من الرمل، ورمى به على رجليه، وقال له: هذا عفريت كان باركا على رجليك، وقد قتلته فاذهب"، قال: "فرفع الرجل رجليه وذهب - نحو الخلفتين - فقال له رضي الله عنه: هرول فهرول، فقال له: ارجع فرجع، ثم قال له: هرول فهرول، فقال له: ارجع فرجع؛ يفعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال لهم رضي الله عنه: اذهبوا واتركوه يمشي على رجليه، ولا تحملوه"، قال: "فوالله ما ذهب إلا على رجليه حتى غاب عن أعيننا، نفعنا الله وإياكم ببركاته آمين".

وحدثنا الشريف الأرضى، الخير المرتضى، سيدي محمد الطود، وقال: "كانت لي أم، فمرضت بالمرض المسمى - والعياذ بالله - بالخنزير، فاشتغلت تداويه عند الأطباء؛ حتى أنفقت جميع ما عندها، ولم يغن ذلك عنها شيئا"، قال: "وكنت ألازم الشيخ البركة سيدي محمد بن الفقيه - إذا قدم فاس- ولا أفارقه إلا قليلا، وكنت أذهب إليه المرة بعد المرة إلى أزجن، وكنت إذا جئتها أحدثها بما

---

[1]- أولاد عيسى: قبيلة عربية كانت تقطن شمال مدينة فاس. ينظر: العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية، الرباط، 1961/1381، 152/1.

[2]- في (أ) "كذلك".

[3]- زمن: أي مريض مرضا مزمنا.

وقع من الكرامات بمحضري، وكنا نشاهد منها ما لا (يحصى)[1] عدده، فقالت لي ذات يوم؛ وأنا أتكلم معها: يا محمد أين (هو)[2] سيدك سيدي محمد بن الفقيه (التي)[3] تحدث عنه هذه الكرامات؟ اذهب بي إليه"، قال: "فذهبت بها إليه؛ وكان في ذلك الوقت يسكن بحومة (رأس)[4] الجنان من الأندلس، فقرعت / 103أ/ عليه باب الدار، فخرج إلي رضي الله عنه، فقلت له: يا سيدي هذه أمي جاءت إليك تداويها فداوها لله"، قال: فقبض رضي الله عنه بيده على يديها، وأخذته كالسنة؛ وأنا واقف معه لم أجلس، فإذا بدودة سقطت من يدها قدر الخنصر في الطول، وفي رأسها سواد، ثم مسح رضي الله عنه بيده على موضع الألم"، قال: "فوالله ما مرت عليها ثلاثة أيام حتى برئ موضعها، وكأنه لم يكن به شيئا، رضي الله عنه، ونفعنا وإياكم ببركاته آمين".

وحدثنا الفقيه الأستاذ الشريف الأسعد؛ أبو عبد الله سيدي محمد – من أولاد الولي البركة العارف بالله؛ سيدي الحسن (العافية)[5]، نفعنا الله وإياكم ببركاته؛ من أبناء عم الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه – وقال: "لما قدر الله تعالى؛ وقتل النفس التي حرم الله عليه، قبض وسجن مدة، ثم حكم عليه الشرع العزيز بالقتل"، قال: "فلما كانت الليلة التي أرادوا فيها قتلي، تجردت للاستغاثة بالشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه، فلما نمت رأيت في منامي ذلك أناسا يطلبوني، ومعهم كلاب وأسلاق، وأنا فار منهم في غاية ما يكون من الخوف، فبينما أنا كذلك (إذ)[6] رأيت بين يدي حفرة كبيرة، فألقيت فيها نفسي"، قال: "فما هو إلا أن رأيت الشيخ؛ سيدي محمد بن الفقيه مر بي كالطير، وأخذني من يدي، ورمى بي فوق الحفرة، فاستيقظت من نومي مرعوبا"، قال: "ولم أجد في قلبي من الخوف من القتل ما كنت أجده قبل، فلم أمتر حينئذ في أن الله فكني من تلك الورطة"، قال: "وجعلت أقول لمن معي في السجن: أما أنا فقد فكني الله مما أنا مقبوض فيه، والله ما تطير مني ولو شعرة واحدة، فلما أصبح الصباح أخرجوني للقتل،/ 104أ/ وليس +لي+[7] في قلبي منه شيء، فلما

---

[1]- في (ب) "يحضى".
[2]- في (ب) "هذا".
[3]- في (ب) "الذي".
[4]- في (ب) "برأس".
[5]- في (ب) "بن العافية".
[6]- في (ب) "إذا".
[7]- زيادة من (ب).

رأى الحاضرون ذلك؛ ذهبوا (إلى)[1] الحاكم وكلموه، فقال لهم: كلموا أولياء المقتول، فكلموهم (فعفوا)[2] من حينهم؛ وقد كانوا قبل ذلك امتنعوا من العفو بعد أن (كلمهم)[3] الناس، وأعطاهم الحاكم بعض المال من عنده، والحاضرون بعضا آخر"، وفكه الله من {هذه الورطة، والمصيبة التي قدرها الله عليه}[4] من يومه، من بركة هذا الشيخ رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته آمين.

ونقلت من خط الفقيه الأديب السيد محمد بن الحاج الصحراوي؛ كاتب مولاي إسماعيل – وقد تقدم ذكره قبل – ما نصه: "أن كاتب الحروف، عبد الله تعالى محمد بن الحاج الصحراوي كان مسجونا، فشرع في الاستغاثة بالصالحين، حتى بلغ سيدي علي بن داوود[5] في الذكر، فأخذته سنة (فرأى)[6] الولي الصالح البركة سيدي محمد بن الفقيه – الشريف الحسني المصمودي – قبضه من عضده الأيمن، ورمى به خارج السجن، فاستيقظ وحمد الله تعالى، فأطلق[7] الله وثاقه بالقرب"، فمن وقع له ذلك قيده بيمينه.

وعن الفقيه المرابط السيد مسعود صيدون؛ أنه رأى في منامه (واديا)[8] عظيما آتيا من جهة أزجن من أسفل، مارا قبل مدشر القشريين[9]، ثم انفلق على فرقتين؛ وصارت إحداهما قبل ضريح الولي الصالح، سيدي محمد بن مولانا عبد الله الشريف – رضي الله عنهما ونفعنا بهما – ومر أسفله *الأخرى*[10]، والأخرى قبل دار الحياني، ومر فوقها حتى انتهى إلى دار الشريف؛ سيدي عبد السلام بن عمر الحسني العلمي، ثم انشقت الأرض، وأرادت أن تنقلب بدار سيدي محمد بن عبد الله الكبيرة"، قال: "فجعلت أستغيث بالصالحين وأسميهم، وأقول: أين أنتم يا أهل الله؟ أغيثوا من استغاث بكم، فإذا برجل شديد البياض أتى راكبا على فرس أبيض/ 105أ/ وفي يده رمح عظيم،

---

[1]- مكررة في (ب).
[2]- في (أ) "فعفو".
[3]- في (ب) "أكلمهم".
[4]- لا يجوز شرعا التلفظ بمثل هذا القول؛ لأن الله لا يكره أحدا على ارتكاب الجرائم، وإلا لم يبق للعقاب عليه مبرر.
[5]- الولي المجذوب علي بن داوود السوسي المرنيسي، توفي سنة 1022هـ: "نشر المثاني"، 177/1. و"التقاط الدرر"، 60/1.
[6]- في (ب) "فقرأى".
[7]- في (ب) "أظلق"، والصواب ما في (أ).
[8]- في (ب) "وديا".
[9]- مدشر القشريين: هي القصبة التي يقال أنها أقدم من مدينة وزان، تبعد عنها بحوالي الكيلو مترين تقريبا، تنقسم إلى خمسة أحياء، المرس، السباتي، ريف الأزف، الرفاسين، بن عدن. ويقطع القشريين النهر المنحدر من عين زواوة، الذي يمر بوزان، ويصب بواد زاز، ويسترفد من اللوكوس: "تاريخ الضعيف"، 172/1.
[10]- سقطت من (ب).

فقصد إلى الجهة العليا من الدار، وركز رمحه بها، فانقسم الوادي فرقتين، ثم جاء رجل آخر؛ قصير أحمر اللون بيده شاقور، ثم ثلاثة رجال أخر؛ ووقفوا أمام ضريح الشيخ مولاي عبد الله الشريف، فنظرت إليهم وسألتهم، فقيل +لي+[1]: إن الفارس مولاي بوسلهام، والرجل الأحمر سيدي عبد الرحمن المجذوب، والثلاثة: سيدي الحسن بن العافية، وسيدي محمد بن الفقيه، وسيدي أحمد بن (يحيى)[2]"، نفعنا الله ببركاتهم أجمعين".

[فصل فيما وقع منها بحرا]

وحدثنا المرابط عبد الله التواتي، وقال: "إنه كان راكبا في البحر مع أناس شتى، فنام ذات يوم، فرأى في منامه؛ كأن سفينتهم بين سفن النصارى وقد أحدقوا بها، حتى أنه لم يشك في الهلاك"، *قال*[3]: "فتجردت للاستغاثة بالشيخ، سيدي محمد بن الفقيه، فإذا به رضي الله عنه؛ واقف معنا، وهو يقول: (سلامة سلامة)"، قال: "ثم استيقظت فأخبرت رائس السفينة بالرؤيا +فقال لي+[4] – وقد وقد كان كافرا–: هيهات أن يسلم من أحدق به النصارى، ثم لما أصبح الصباح، أمر رائس السفينة بعض أعوانه؛ أن يصعد على الصاري وينظر، ففعل؛ فلم ير شيئا، ثم مرة أخرى، فلم ير شيئا، ثم الثالثة، فرأى ثلاثة من السفن آتيات نحوهم، فلم يلبثوا إلا قليلا، وقد أحدقوا بهم كما رأى، فألقوا السلاح من أيديهم، ونزلوا إليهم وأخذوهم من سفينتهم، وجعلوهم في سفنهم، (فشتت)[5] الله رأي النصارى، فقائل منهم: نأسروهم، وقائل غير ذلك، فلما اختلف رأيهم، ولم يجتمعوا على كلمة واحدة، أمروهم بالرجوع إلى سفينتهم بإشارة من كبيرهم، وكسا رائس سفينة المسلمين، وأعطاهم نحو القنطار من السمن وقلاعا وشرائط للسفينة، ولم يدر أحد من المسلمين ما سبب اختلافهم، ولم يذهب (له أحد)[6] من المسلمين، بل ولا من النصارى شيء، وما رأوا بعد ذلك شيئا يكرهونه.

/ 106أ/ وحدثنا الخير الأطهر، الحاج الأبر؛ السيد محمد بن موسى بن الأشهب، وقال: "إنه لما حج بيت الله الحرام، وأراد القدوم إلى المغرب، ركب البحر من الإسكندرية قاصدا مدينة تونس؛ أصابهم ريح عاصف عاقهم عن السير، فمكثوا في مسيرة يوم واحد، شهرا وخمسة أيام، وفرغ ما كان

---

[1]- من (ب).
[2]- في (ب) "يحيا".
[3]- سقطت من (ب).
[4]- زيادة من (ب).
[5]- في (ب) "فستت"، والصواب ما في (أ).
[6]- في (ب) "لواحد".

عندهم من الزاد وكمل، وضاق بهم الحال"، قال: "فاشتغلت بالبكاء، والتضرع إلى الله، ثم قام رائس السفينة؛ وقد كان نصرانيا، وقال: يا معشر المسلمين، استصرخوا بصالحي بلدكم؛ رافعا بها صوته، فجعل الحجاج كل واحد ينادي بمن يعرفه، ويستغيث به، وأنا في جملتهم، ثم أخذني (النوم)[1]، فرأيت الشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه، ونفعنا وإياكم ببركاته، فذهبت لأقبل يده، فأعرض عني، فتبعته وأنا أقول: الله الله يا سيدي، واستشفعت له، فالتفت رضي الله عنه عن يمينه، ونادى ولده سيدي محمد رضي الله عنه؛ ثلاث مرات، فإذا به واقفا بين يديه يقول له: نعم يا سيدي، فقال له الشيخ: يا ولدي أنظر هذا الحاج فإنه قد دهش، فقبضني ولده سيدي محمد رضي الله عنه من يدي، ومر بي، وهو يقول لي: لا تخف هذه المرة، فاستيقظت من نومي، فوجدت الحجاج يقولون لرب المركب – دمره الله –: انزل بنا نحمل الماء؛ فأبى وامتنع، خوفا من إعطاء كراء المرسة، فقال له الحجاج: إن لم تنزل بنا هاهنا فانزل بنا بمانطة، فإنه قد أضر بنا الحال، فقال: لا ننزل بكم إلا في جزيرة زمنطوط؛ قرب جبل كنوة، فقالوا له: فنعم إذا، فذهب بنا خمسة أيام، ووصلنا إلى الجزيرة المذكورة، ثم لما دخلنا المرسة؛ حرثت[2] بنا السفينة، (وركبوا)[3] لها المقاذيف[4]، وجعلوا (يقذفون)[5] نحوا نحوا من مائة (رجل)[6]، فلم تتحرك من موضعها،/ 107أ/ وامتنعنا من الخروج إلى بلد الإسلام، فلما رأينا ذلك جعل كل واحد +بنا+[7] يستغيث بمن يعرفه من الصالحين، ويتضرع إلى الله تعالى به، وتجردت للاستغاثة بالشيخ: سيدي محمد رضي الله عنه، فهبت علينا ريح دفعت السفينة دفعة واحدة ذهبت بها من موضعها مقدار مائة قامة، وانقطعت الريح المذكورة، فرجعنا إلى الجهة التي جئنا منها، وسرنا يوما وليلة؛ ونحن خائفون متحيرون في أمرنا، فلما جن الليل ونمت، وقف علي الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، وقال لي: كيف (تخاف)[8] وقد قلت لك لا تخف!؟ فوالله ما يضركم شيء، فلما استيقظت من نومي، أخبرت الحجاج بجميع ما رأيت أولا وآخرا، وما وقع لي (مع)[9] الشيخ رضي

1- في (ب) "نوم".
2- حرثت: توقفت.
3- في (ب) "وركبا".
4- "المقاديف" كذا كتبت، والصواب ما أثبت.
5- في (ب) "يقدفون".
6- في (ب) "رجال".
7- زيادة من (ب).
8- في (أ) "تخف".
9- في (أ) "من".

الله عنه؛ ففرحوا حينئذ غاية الفرح واستبشروا بالسلامة، وهبت علينا ريح في ذلك الوقت، وردتنا إلى الجزيرة المذكورة، ونزلنا بها، وأقمنا فيها خمسة أيام حتى قضينا حوائجنا، وبعنا واشترينا مع النصارى – دمرهم الله – وحملنا ما يكفينا من الماء والحطب والزاد، وذهبنا في حفظ الله وأمانه، ورزقنا الله عز وجل التيسير، حتى قطعنا مسيرة خمسة عشر يوما *في خمسة أيام*[1]، ونزلنا بمدينة تونس، عمرها الله بدوام ذكره، وكانت عاقبة ذلك كله خيرا، والحمد لله، وذلك قليل في حق أولياء الله رضوان الله عليهم، ونفعنا ببركاتهم آمين، وقيد +ذلك+[2] سنة سبع[3] وعشرين ومائة وألف [1127هـ].

---

[1]- سقط من (ب).
[2]- زيادة من (ب).
[3]- في (ب) "سبعة".

الباب الخامس:

فيما جرى "له"[1] رضي الله عنه من أنواع القربات، واستفيد بمدده من العلوم والمكاشفات، بالأنوار الربانية والأسرار الإلهية.

/ 108أ/ نقلت من خط الفقيه الأديب؛ سيدي محمد بن علي ابغلي التطاوني ما نصه: "ومما أخبر به عبد الله تعالى محمد بن علي ابغلي: أنه إذا كان وقت الجمع مع الإخوان والمحبين في الله تعالى، وشرعنا في التحدث، بكرامات شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا الشريف الكامل، والولي الصالح الواصل، قطب الوقت، وفريد العصر؛ سيدي ومولاي محمد بن الفقيه، والتحلي بذكره؛ خرجنا عن حواسينا، <وعمتنا رحمة ربنا[2]> من بركاته رضي الله عنه، حتى لا يبقى واحد منا إلا واضطرب؛ فمنا من يهيم – في ذلك الوقت المذكور – للتأدب والتخشع حقا وموقنا أنه بين يدي ربه جل جلاله، وتقدست أسماؤه وصفاته، يعطيه من (حلاوة)[3] المخاطبة والمكالمة <ما لا عين رأت ولا أذن سمعت[4]>، فساعة يضحك وساعة يبكي، رزقنا الله تبارك وتعالى الشهادة على هذه الحالة آمين"، ومن أراد أن يحصر الأحوال عجز عن ذلك؛ لأنها لا نهاية لها، ولا يدري كيفيتها، فهكذا دأبنا وعلى هذا التأويل جمعنا، انتهى".

وحدثنا الشريف المرابط الخير سيدي علي شابوا التطاوني، وقال: "إنه لما كانت زاوية الشيخ سيدي محمد بن الفقيه رضي الله عنه؛ التي في حومة الجنوي من مدينة تطوان تبنى، اجتمع الفقراء ذات يوم وقالوا: "نجعل تويزة اليوم في بناء الزاوية، قال: ففعلوا واتفق أن قدم الشيخ سيدي محمد *بن الفقيه*[5] رضي الله عنه في ذلك اليوم، فجاء رضي الله عنه إلى الزاوية، ووقف متكئا على عصا بيده؛ قد ألقى رأسها في صدره واتكأ، والفقراء يذكرون الجلالة، فقال *الشيخ*[6] رضي الله عنه: لا إله إلا الله هذه هي الجلالة التي يسجد لها كل شيء؛ من حيطان وأشجار وغيرهما، انزلوا أيها الفقراء

---

[1]- في (ب) "على يديه".

[2]- اقتباس من حديث رواه كل من أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده"، صحيح، المنهاج، 1242/2، ر2700 ور2699 في حديث مطول.

[3]- في (ب) "حلاوته".

[4]- اقتباس من الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" صحيح، فتح الباري، 385/8، ر4779/ المنهاج، 1292/2، ر2825.

[5]- سقط من (ب).

[6]- سقطت من (ب).

والمعلمون، قال: فنزلوا عن الحائط الذي يبنى؛/ 109أ/ وقد كانوا بنوا منه مقدار قامتين أو ثلاثة، فسجد الحائط إلى أن بلغ الأرض ورجع إلى موضعه؛ (وجميع من حضر ينظر إليه)[1] رضي الله عنه، ونفعنا وإياكم ببركاته".

ومما وقع بمحضرنا أن: أهل تطوان ممن كان يتجر +منهم+[2] بفاس، سمعوا بأن تطوان (دخلتها)[3] النصارى (ودخلوها)[4]، (فتغيروا)[5] غاية، وذهبوا إلى القائد أبي علي الروسي وأخبروه الخبر، فأرسل أبو علي بعض خاصته إلى الشيخ سيدي محمد *بن الفقيه*[6] رضي الله عنه، وقال له: "قبل يده، وقل له: يا سيدي إن القائد أبا علي الروسي يقرئك السلام، ويقول لك: إنه سمع أن تطوان (أخذتها)[7] النصارى، وأراد أن يخبر السلطان مولاي إسماعيل بذلك، ولم يدر أصحيح ذلك أو أو لا؟ فذهب رسوله إلى الشيخ رضي الله عنه، فوجده جالسا بالعنزة من جامع القرويين؛ ومعه جمع من الفقراء، وفيهم ولي الله سيدي قاسم (ابن)[8] رحمون نفعنا الله به، ففعل ما (أمر)[9] به القائد، فقام الشيخ رضي الله عنه حينئذ وتوجه نحو القبلة ذاهبا إلى محرابها؛ (قدر)[10] أن يكون بلغه ورجع، وقال له: "قل لأبي علي: "تطوان لا بأس عندها، والله ما دخلها نصراني؛ إلا على ما كان يدخلها قبل من الأمان، وإن كان (ولا بد)[11]، فلينتظر ذلك عام الواحد والتسعين، ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثَبِّتُ﴾[12].

وها السيد علي طكوك مارا بالسوق، ها هو ذا والسيد علي طكوك؛ من تلامذة الشيخ رضي الله عنه، ثم بعد ذلك بأيام قدم بعض أهل تطوان إلى فاس، وبعث من ورائهم القائد أبو علي الروسي وسألهم، فقالوا له: "لم يكن عندنا بأس"، فقال لهم ما قال له الشيخ، فقالوا: "في أي وقت؟ وفي أي يوم كان ذلك؟"، فقال لهم: "في وقت كذا +يوم كذا+[13]"، (فقالوا)[14]: "في ذلك الوقت من ذلك

---

[1]- في (ب) "وجميع ينظر من حضر".
[2]- زيادة من (ب).
[3]- في (ب) "دخلها".
[4]- في (ب) "وأخذوها".
[5]- في (ب) "فتغير".
[6]- سقط من (ب).
[7]- في (ب) "أخذها".
[8]- في (ب) "بن".
[9]- في (ب) "أمره".
[10]- في (ب) "قدرا".
[11]- في (ب) "ولا بدة".
[12]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثَبِّتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝﴾، الرعد/ (40).
[13]- زيادة من (ب).
[14]- في (ب) "فقالوا له".

اليوم؛ رأى فلان وفلان وفلان: سيدي محمد بن الفقيه بشاطئ البحر من مرتيل، مارا معه رضي الله عنه،/ 110أ/ ونفعنا وإياكم ببركاته، اللهم كما أطعمتهم فأطعمنا، وكما أمنتهم فأمنا واجعلنا من الشاكرين".

وحدثنا غير واحد من أهل فاس وتطوان وغيرهم؛ أنه لما كانت وقعة مرتيل التي أراد النصارى الخروج فيها إلى بر المسلمين، نادى مولاي إسماعيل (بالبراح)[1]، أن لا يبقى أحد من الصالحين ممن بالمغرب، وليذهبوا إلى مرتيل، فذهب الشيخ رضي الله عنه؛ ومعه جمع من الفقراء من فاس وتطوان والجبل وغيرهم، بأخبيائهم ونزلوا بمرتيل، فأقاموا هنالك أياما، فاحتاج الشيخ +رضي الله عنه+[2] ذات يوم إلى ماء، فبعث إليه، فوجد الرسول البئر قد يبست من الماء، فذهب إلى الوادي، فوجد البحر قد دفع فيه وصار ملحا، فجاءه الرسول وقال له: "يا سيدي لم أجد الماء"، فقال له رضي الله عنه: "اذهب إلى البحر وأتني بالماء منه"، فذهب وجاءه بالماء منه فشرب منه، فإذا به عذبا حلوا لا أثر للملح فيه، ففشى ذلك في الناس وشاع، فجعلوا يسقون منه ويشربون ويقضون حوائجهم، وبقي كذلك ثلاثة أيام؛ حتى شاهد ذلك كل من حضر بمرتيل رضي الله عنه، وأفاض علينا من بركاته آمين.

ووجدت بخط الشريف سيدي محمد الغالي (ابن)[3] ريسون الحسني العلمي ما نصه: "ومما تفضل الله به علي وأكرمني به من بركة الولي الصالح العارف بالله، الشريف الحسني سيدي ومولاي محمد بن الفقيه، أن قد واعدني برؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأيته بعد يومين من وعده؛ جاءني رجل في المنام، وقال لي: أنا صاحب الوقت، فقلت له: وما دليلك، فقال لي: أن أريك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأيته والحمد لله رب العالمين، وكتب محمد الغالي بن ريسون".

وحدثنا غير واحد ممن كان مع الشيخ سيدي محمد بن الفقيه – رضي الله عنه – من الفقراء / 111أ/ بمكناسة الزيتون، "أن الشيخ لما ذهب إلى مولاي إسماعيل ولقيه، (ورحب)[4] به وفرح به غاية، ونزع برنوسه من الملف، وأجلسه عليه، (ثم)[5] جلس بها يومين أو ثلاثة، أتاه خديمه السيد عبد

---

[1]- في (ب) "البريح" أي: المناداة.
[2]- زيادة من (ب).
[3]- في (ب) "بن".
[4]- في (ب) "رحب".
[5]- في (ب) "ثم لما".

عبد السلام الحلفاوي الأندلسي الأصل التطاوني الدار، (قال)[1] له: "يا سيدي قد قنطنا في (هذه البلدة)[2]، والفقراء أرادوا من الله، ثم من جزيل فضلك أن تطلب من مولاي إسماعيل أن يرسلك"، فقال له – رضي الله عنه –: "سأفعل إن شاء الله"، ثم لما كان نصف الليل، انشق للشيخ رضي الله عنه الحائط، ودخل علىٰ مولاي إسماعيل في قبته التي (هو)[3] نائم فيها مع (زوجته)[4] المصونة؛ حليمة العزيزة السفيانية[5]، ورفع الحجاب، وهزها حتىٰ أفاقها واستيقظها، فقالت له: "من؟"، فقال لها: "قل "قل لسيدك: أن محمد بن الفقيه أراد أن ترسله"، ورجع عنها، فأبقت الحجاب مرفوعا لتنظر من أين دخل، ومن أين يخرج، فانشق له الحائط وهي تنظر، وخرج منه ورجع الحائط كما كان، فحينئذ أيقظت مولاي إسماعيل وقالت له ما قال لها الشيخ، وذكرت له؛ وأنه انشق له الحائط وخرج منه، فخرج مولاي إسماعيل في ذلك الوقت وأرسله، فذهب الشيخ رضي الله عنه، ولم يدر أحد ما سبب خروج مولاي إسماعيل في ذلك الوقت الذي لا يخرج فيه، وإرساله الشيخ فيه؛ حتىٰ أفشىٰ ذلك مولاي إسماعيل في خاصته، وأفشوه حتىٰ بلغنا رضي الله عنه، ونفعنا وإياكم ببركاته آمين.

ومما وقع للعبد المذنب مؤلف هذه الكرامات وجامعها؛ أن زوجتي اشترت زيتا، وذهبت به لزيارة الولي الكامل سيدي أبي عبد الله التاودي؛ دفين خارج باب (عجيسة)[6] – من أبواب فاس– في في نساء من أقاربها؛ {يقصد أن تطلبه عليه ولدا}[7]، فلما دخلت الضريح، وجعلت تصب الزيت في المصباح؛/ 112أ/ إذا بالمصباح كأن آخذا أخذه (وضرب به)[8] للأرض فانكسر، فتغيرت وقالت: هذا الأمر الذي نطلبه لا يكون منه شيء، ثم لما دخلت علىٰ الشيخ – رضي الله عنه – قام إلي وقال لي: "ولدي في بطنها وهي تذهب إلىٰ عبد الله التاودي"، ويكررها مغضبا علي، فلم أجبه ولم أدر ما ذلك، فقلت في نفسي: "هذا شيء لا علم لي به"، فذهبت لداري وقلت للزوجة: "وقع لي مع الشيخ كذا وكذا ولم أدر ما ذلك"، (فقالت)[9]: "لا إله إلا الله ما بقي إلا الصدق، فعلت كذا وكذا، ووقع لي كذا

---

[1]- في (ب) "وقال".
[2]- في (ب) "هذا البلد".
[3]- في (ب) "هو بها".
[4]- في (ب) "زوجه"، والمعنى واحد.
[5]- السفيانية نسبة إلى السيفة منطقة ضواحي مدينة أرفود بإقليم الرشيدية.
[6]- في (ب) "اعجيسة".
[7]- ينظر قسم الدراسة، ص: 141 وما بعدها.
[8]- في (ب) "وضربه".
[9]- في (ب) "فقالت لي".

وكذا للأمر الذي وقع بالمصباح، وخفت إن استأذنتك تمنعني، فذهبت من غير علمك"، فوالله ما مضت لها ثمانية أشهر حتىٰ ازداد لها ولد، وسميته محمد، أصلحه الله وبارك فيه.

وحدثنا المرابط الخير السيد عبد السلام الحلفاوي – المذكور قريبا – وقد كان في بعض الإخوان من أهل فاس؛ طلب من الشيخ أن يبعث لهم الحلفاوي، المذكور، يقف علىٰ بناء الزاوية بفاس؛ لمعرفته بأمور البناء – أن الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، لما ذهب إلىٰ مولاي عبد السلام، وجلس ثمة بمدشر، بعلقمة قرب سيدي مشيش؛ أبي مولاي عبد السلام رضي الله عنهما ونفعنا وإياكم ببركاتهما، أعطاه (موزنة)[1] واحدة، (وقال)[2]: اجعلها في حزامك، واذهب إلىٰ فاس، وقف علىٰ علىٰ بناء الزاوية +بها+[3]، وأخرج (البنائين والخدامين)[4]، واعطهم أجرتهم، قال: "فذهبت إليها وجعلت أبني كما أمرني، حتىٰ إذا كان وقت خروج الخدامين، فتحت علىٰ المزونة فأجد معها أجرتهم لا غير، فأعطها لهم؛ جلست علىٰ هذه الحالة شهرين، وأنا أخرج الخدامين قلوا أو جلوا، (فأعطهم)[5] أجرتهم التي أجد (مع)[6] الموزنة، ولا يخصني شيء، ولا يفضل لي شيء، وبعد الشهرين؛ وقع لي شيء مع بعض الإخوان، فغضبت / 113أ/ وذهبت، قال: فأحصيت ما دفعت في تلك المدة، فوجدته (أربعة)[7] وثلاثين[34] مثقالا، رضي الله عنه وأمدنا من بحره آمين".

ووجدت بخط بعض الفضلاء ما نصه: "الحمد لله الذي ظهر في الأشياء بصنعته، وبطن فيها بحكمته، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا ومولانا محمد؛ نبيه وعبده وعلىٰ آله وصحبه وبعد، فإن الله تعالىٰ أسبغ علىٰ أولياءه ﴿نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[8]، واصطفاهم وقربهم لحضرته[9] بسابق العناية لهم منه منه سبحانه وتعالىٰ، وجذبهم إليه، وغيبهم عمن سواه، وأقامهم علىٰ اتباع سنة نبيه محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأظهر علىٰ أيديهم خوارق العادات؛ لتطمئن بهم قلوب الضعفاء من المريدين،

1- في (ب) "مزونة".
2- في (ب) "وقال له".
3- زيادة من (ب).
4- في (ب) "الخدامين والبنائين".
5- في (ب) "وأعطهم".
6- في (ب) "مع تلك".
7- في (ب) "أربعا".
8- اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، لقمان/ (19).
9- في (ب) "حضرتهم".

ولتصديق الحديث: <لم تزل طائفة بالمغرب على الاستقامة[1]> إلى آخره، ولأن كل كرامة ظهرت لولي فإنها معجزة لنبي، وأي كرامة أعظم من هذه الكرامة التي أظهرها الله على يد عبده ووليه الشريف المنيف المتبرئ من حوله وقوته، الشيخ +البركة+[2] العارف بالله تعالى؛ سيدي ومولاي محمد بن الفقيه (العمري الحسني)[3]، عمر الله قلوبنا بمحبته ومحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وذلك أنا كنا جالسين معه رضي الله عنه يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى (الأخيرة)[4]، سنة أربع وثلاثين ومائة وألف [1134هـ]؛ وقد *كان*[5] ضاق الحال بالمسلمين من قلة المطر؛ يبس الزرع واشتد الحال الحال بالعباد"، فقال له العبد المذنب كاتب الحروف: "يا سيدي قد ضاق الحال بالعباد، فادع الله أن ينزل علينا الغيث، فإن دعوتك يا سيدي مستجابة"، فقال لي رضي الله عنه على عادته، في تصغير نفسه واحتقارها: "ما بيدي شيء، وأنا واقف للدعاء للمسلمين بالليل والنهار"؛ فكررت ذلك عليه، فجعل رضي الله عنه يجيبني بما أجابني به أولا، فلم نقبل منه ذلك لما (أعلم)[6] من عادته، فسكت ساعة / 114أ/ وقال: "قد ظهر لي في باب الشتاء مثل الصخرة العظيمة كحلاء، لا يحركها أربعون رجلا من الرجال المعتبرين"، ثم انصرف لداره، وانصرف كل منا لشغله، ثم بعد ساعة خرج علينا؛ ونحن جلوس وراء الجامع، ومعنا الفقيه سيدي التاودي بن عبد السلام بن سلمون، والسيد محمد بن عبد الكريم، والمرابط أحمد وعلي التزاني؛ وهو يضحك، فوقف علينا وقال: (اعلى)[7] واحد (الشعيرة) تزفزف، وتقول لها: دردر فلا تبيت إلا مدردرة؛ وكان ذلك اليوم شديد الحر، كثير (الشرگي)[8]، فقلنا له: "يا سيدي وكيف؟"، فقال: (ولابد)[9] حتى تحمل

---

[1]- اقتباس من حديث ورد بصيغ مع اختلاف طفيف؛ وبالأخص في لفظة "المغرب" التي جاءت تارة بلفظ "الغرب" كما في المنهاج، مج2، ص926، ر1925، 247. أو بلفظ "المغرب" كما في الحلية، مج3، صص95-96، والنقاش كبير بين العلماء حول المراد أهم "أهل المغرب" بما يعرف اليوم جغرافيا، أم هم "أهل الشام"، أم هم "طائفة من أهل العلم" إلى غير ذلك من التأويلات الدائرة حول المراد بالكلمة، وهناك من قال في بعض الروايات "العرب".

[2]- من (ب).

[3]- في (ب) "الحسني العمري".

[4]- في (ب) "الأخرة".

[5]- سقطت من (ب).

[6]- في (ب) "أعلمه".

[7]- في (ب) "اعلى يا".

[8]- في (ب) "الشرڤي" بفاء مثلثة.

[9]- في (ب) "ولابدة".

ظ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

خاتمة: {خلاصات ونتايج وآفاق}.

الخلاصات:

لقد عرجت في هذا العمل – قدر المستطاع – على تحقيق المخطوط، ودراسته؛ فتمت بذلك جملة أمور منها:

تقديم للكتاب؛ وذلك بتحقيق عنوانه، وتوثيق نسبته إلى مؤلِّفه، ثم وضع ترجمة للمؤلِّف والكشف عن شخصيته المغمورة، والتعريف بالكتاب، وما تبع ذك من خطوات؛ مما أشرنا إليه في هذا التقديم سابقا.

كما حاولت في هذا العمل تسليط الضوء بالنسبة للدراسة – ما أمكن – على المقومات الفكرية والعقدية التي تضمنها الكتاب، ثم المقومات الجمالية التي وظفها المؤلِّف، لتوصيل هدفه المراد؛ حيث نسج قوة المعنى في جمالية المبنى، متسلحا في ذلك بآليات الحجاج قصد الإقناع، والدفاع عن الفكرة المنشودة، سلك فيها المؤلف عدة خطوات؛ بدءا بحجاجية العنوان، هذا العنوان الذي يثير، ويؤثر في المتلقي؛ قارئا ومستمعا، مخاطبا وغير مخاطب، فتمت قراءته قراءة سيميائية لتفكيك مضمونه، وبيان مقصده.

ثم عمد المؤلف إلى التناص فاستند إليه؛ لما فيه من استشهاد بالقرآن والحديث، والشعر وأقوال أهل العلم...، فدور هذه الشواهد؛ يتسع ليشمل تثبيت القاعدة، وتعزيز الرأي، وتوثيق الراوية، وجمالية المضمون؛ من أجل إقناع الآخر.

كما وظف المؤلف التصوير البلاغي؛ من علم المعاني، والبيان، والبديع؛ وما يتسم به من تقديم الفكرة في قالب جميل؛ حيث يقرع – هذا التصوير – أذن السامع، ويلفت نظر القارئ؛ فسيتهويهما ويشدهما إليه شدا، فينفذ إلى العقل والقلب معا، فيأسرهما.

علاوة على توسله بتقنيات السرد، حيث؛ وظف أبرز عناصره، الحوار والوصف، وما يتسمان به من خصاص جمالية، وأخرى إخبارية.

زيادة على تقديمه للشاهد من أقوال واعترافات؛ المنكرين والمخالفين والمعارضين، لما في – هذا الشاهد – من قوة حجة، وتعضيد رأي.

ثم إنه اتكأ على أساليب علماء الحديث، فوظفها؛ لما فيها من تمحيص في توثيق الخبر، وتسجيل المعلومة بصدق وأمانة، وجرح أو تعديل، لقبول الرواية أو ردها.

كما أنه استعان بالمصادر المكتوبة؛ فهي الشاهد على كلامه، والمساند لرأيه، والمفند لمخالفه.

كذلك احتجاجه بما رآه وعاينه، وكان بمحضره، فهذا الأسلوب من أرقى الأساليب التوثيقة؛ لأنه يعتمد على التجربة الشخصية، والحضور الذاتي، الذي يعيش الحدث في الزمان والمكان عينه.

هذه باختصار؛ أهم خلاصات هذا العمل، أما نتائجه فيمكن إيرادها كالآتي:

النتائج:

- ❖ إن تراجم الأولياء التي يفصح عنها الخطاب المناقبي تعد مرجعيات أساسية للتاريخ الاجتماعي والسياسي والديني والثقافي.
- ❖ إن ما يتضمنه الكتاب من معطيات في مختلف المجالات، قد يغري المتخصصين والباحثين؛ كي يطالعوه ويعمقوا النظر فيه.
- ❖ إن الأدب المناقبي يُكَوِّنُ إنتاجا صوفيا محضا.
- ❖ إن الأدب المناقبي يعتبر بمثابة المتنفس والفسحة أمام الباحث في علم التاريخ.
- ❖ يعد كتاب السلوة وثيقة تاريخية، ومرجعا أساس، يسجل أحداثا وقضايا معينة؛ اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية، في الزمان والمكان نفسه.

آفاق البحث:

يمكن القول بناء على تلك الخلاصات والنتائج: بأن الكتاب – المحقق ثم المدروس – عبارة عن أرضية خصبة؛ بحيث يفتح آفاقا استشرافية، ومشاريع مستقبلية، أمام الباحثين، والدارسين، والمهتمين، كي يعمقوا النظر فيه من جديد؛ ليلتمس كل واحد منهم ما يتصل ومجال تكوينه، اشتغاله؛ لأن فيه إشارات إلى الأحداث والوقائع التاريخية للمؤرخ، كحركة القويعة، ووقعة مرتيل، وتضمن الجانب الاقتصادي، من قبيل؛ قلة المعاش، وغلاء الأسعار، وأمورا أخرى متصلة بها، كالجفاف لقلة المطر وغيره، وفيه القضايا الفكرية والثقافية المختلفة، لعلماء الدين، كما حوى الظواهر الاجتماعية، لعالم الاجتماع، والنفسية، لعالم النفس، التي تميز بها إنسان تلك الفترة، وتحدث عن العلاقات السياسية والدبلوماسية، وأشار إلى الجانب الأمني؛ بحيث ساد – في تلك الفترة – جو من الخوف والرعب، بسبب كثرة قطاع الطرق، بل وجد فيه قطاع الطب أيضا، وهلم جرا، من المجالات. فلينظر إليها من تلك الزوايا، لعلها تكون بداية بحث آخر من جديد.

وفي مسك الختام، فالله الله أسأل القبول والسداد والإخلاص، في القول والعمل والنية، كما أسأله أن يغفر زلاتي ويمحو سيئاتي، وأن يعفو عن هفواتي، وأن يستر عوراتي، وأن يؤمن روعاتي، وأن لا يخزيني يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون؛ إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن ألا يحرمني لذة النظر إلى وجهه الكريم، وأن يسقيني من حوضه بيدي النبي الكريم الشريفتين، ولوالدي وأهلي وأحبابي وأصدقائي، ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، اللهم آمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس الفنية العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾	الفاتحة	7	163
﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾	البقرة	20	250
﴿فَٱفْعَلُوا مَا تُومَرُونَ ۝٦٧﴾	البقرة	68	243
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٠﴾	البقرة	225	160
﴿مَن ذَا ٱلذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلاَّ بِإِذْنِهِۦ﴾	البقرة	255	129
﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَالصَّـٰدِقِينَ وَالْقَـٰنِتِينَ﴾	آل عمران	17	229
﴿قُلِ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾	آل عمران	31	231
﴿يُصَلِّىۤ فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾	آل عمران	39	251
﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ﴾	آل عمران	164	228
﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾	آل عمران	173	164
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَالنَّصَـٰرَىٰ﴾	المائدة	18	231
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَابْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾	المائدة	35	125
﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾	المائدة	56	247
﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ۝١١٩﴾	المائدة	119	134
﴿قُل لآَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلآَ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾	الأنعام	51	134
﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ ۝٥٩﴾	الأنعام	60	134
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً﴾	الأنعام	76	181
﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ ۝١٦٢﴾	الأنعام	162	141
﴿وَلِلَّهِ ٱلاَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾	الأعراف	180	127
﴿قُل لآَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾	الأعراف	188	134

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِيَةً فَاثْبُتُواْ﴾	الأنفال	45	234
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُّطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾	التوبة	32	163
﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾	يونس	18	129
﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾	يونس	62	267
﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا ﴾	يوسف	81	183
﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثَبِّتُ﴾	الرعد	39	286
﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾	النحل	80	246
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾	النحل	125	177
﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلاَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾	مريم	40	231
﴿طَهَ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿١﴾﴾	طه	1	226
﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلاَّ مَنَ ٱذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١٠٩﴾﴾	طه	106	129
﴿خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾	الأنبياء	89	231
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾	الأنبياء	105	227
﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى ٱلاَبْصَـٰرُ﴾	الحج	44	295
﴿هَبَآءً مَّنثُوراً ﴿٢٣﴾﴾	الفرقان	23	203
﴿فَمَكُثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾	النمل	22	274
﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلاَّ ﴿٦٧﴾ ٱللَّهُ﴾	النمل	67	134
﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾	القصص	22	164
﴿لَوْلاَ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾	القصص	82	229
﴿نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾	لقمان	19	289
﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾	لقمان	32	210
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴿٣٤﴾﴾	لقمان	33	134

﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾	فاطر	29	230
﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعاً﴾	الزمر	44	129
﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾	غافر	15	203
﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾	الزخرف	70	227
﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلأَعْيُنُ﴾	الزخرف	71	227
﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾	الجاثية	29	228
﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلأَرْضِ﴾	الجاثية	36	202
﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	الفتح	2	248
﴿تَرِيٰهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾	الفتح	29	229
﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾	ق	7	203
﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾	ق	10	250
﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾	النجم	8-7	230
﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لاَ تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْئاً﴾	النجم	26	129
﴿وَمَآ ءَاتِيٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾	الحشر	7	232
﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلذِے لآَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ﴾	الحشر	22	201
﴿وَبِيسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾	الملك	6	165
﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾	القلم	44	121
﴿وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وُدّاً ولاَ سُوَاعاً﴾	نوح	23	130
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦ أَحَداً ﴿٢٦﴾﴾	الجن	26	134
﴿وَسُرُوراً ﴿١١﴾﴾	الإنسان	11	203
﴿شَرَاباً طَهُوراً ﴿٢١﴾﴾	الإنسان	21	203
﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾	البروج	5	160
﴿هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾	البروج	14	161

﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾	الأعلى	17	227
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾	الضحى	11	184



فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
اتقوا النار ولو بشق تمرة	عدي بن حاتم الطائي	290
إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله	أبو هريرة	135
ألا ليذادن رجال عن حوضي	أبو هريرة	134
إن الله ليملي للظالم	أبو موسى الأشعري	122
تحشرون حفاة عراة غرلا	ابن عباس	135
تحشرون عراة حفاة غرلا	عائشة أم المؤمنين	135
قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون	عائشة أم المؤمنين	135
لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة	أبو هريرة	285
لم تزل طائفة بالمغرب على الاستقامة	اختلاف الرواية	289
لن يدخل أحدا عمله الجنة	أبو هريرة	135
لو علم الناس ما فيه لأتوه حبوا	أبو هريرة	205
ليس الخبر كالعيان	عبد الله بن عباس	295
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت	أبو هريرة	285
المَحَجَّةِ البَيْضَاء	العرباض بن سارية	163
من صنع لآل محمد معروفا ولم يكافه فأنا أكافيه	عبد الله بن عمر	230
يا عباس ابن عبد المطلب	أبو هريرة	135

فهرس الأشعار والأرجال

أولا: الفصيح

بحر الطويل

أجل صحابي أن أسيء لهو ذكرا: 249.

وصل بين ذكر المصطفى وإلهه: 245.

بحر البسيط

ما ضرّ شمس الضحى في الجو طالعة: 249.

بحر الكامل

لولا شروق جمالكم في ذاتي: 227.

بحر الخفيف

وإذا سخر الإله أناسا: 232.

بحر السريع

ودعت قلبي يوم ودّعتهم: 246.

بحر المتدارك

ودّعوا قلبي يوم ودّعوا: 246.

تعذر وزنه

وإني لم أزل أراعي ودادكم: 226.

ثانيا: العامي

اكم سرك ودگ: 169.

أنا الحسن المسكين: 168.

أنا الحسن المسكين: 169.

أنا غصني من شجرا عظيما: 168.

من بطني خرجت الشمس: 169.

هذا هو ابن الفقي: 254.

يَا مَنْ ضَاق أَمْر اعَيّطْ يَا رَسُولَ اللّٰه: 181.

فهرس الأعلام

أولا: المترجمين

أ

أبو البقاء خالد السري السقطي: 175.

أبو الحسن علي بن أحمد الصرصري: 174.

أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي: 175، 221.

أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي: 174.

أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: 204، 228، 229.

أبو العباس المرسي: 220.

أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني: 166.

أبو الفضل محمد بن عبد الله الهندي: 174.

أبو القاسم الجنيد: 175.

أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي: 175.

أبو زيد عبد الرحمان بن الحسين الشهير بالزيات: 175.

أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الرجراجي: 174.

أبو سعيد الحسن بن يسار البصري: 175.

أبو سليمان داود بن نصير الطائي: 175.

أبو عبد الله المغربي: 175.

أبو عبد الله محمد أمغار (الصغير): 174.

أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البصيري: 232.

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي: 174، 262.

أبو عبد الله محمد بن علي بن مهدي (الطالب): 174.

أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي: 204، 229.

أبو عبد الله مولاي التهامي بن محمد بن عبد الله الشريف: 168، 192، 199، 200، 209، 210، 211، 215، 217، 239، 254، 264، 279، 292.

أبو عبيد الله محمد المدعو الشرقي: 195.

أبو عثمان سعيد بن عبد الله الهرثناني: 174.

أبو علي بن عبد الخالق بن عبد الله الروسي: 185، 286، 294، 295.

أبو عيسى محمد المهدي بن أحمد الفاسي: 171.

أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق (التبّاع): 174.

أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي: 175.

أبو محمد عبد القادر بن علي الفاسي: 191.

أبو محمد عبد الله بن محمد الغزواني: 174.

أبو محمد قاسم بن محمد ابن رحمون: 255، 256.

أبو محمد مولاي الطيب بن محمد بن عبد الله الشريف: 168.

أحمد عنوس البدوي (راعي الإبل): 174.

إسماعيل بن الشريف بن علي الشريف الحسني: 170،194، 206، 214، 216، 252، 253، 260، 262، 264، 272، 275، 276، 286، 287، 288، 294.

ح

حبيب بن محمد الفارسي المعروف بالعجمي: 175.

الحسن بن العافية بن أحمد بن عمر: 167، 180، 181، 282.

ع

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: 166، 252.

عبد الله بن أحمد بن ناصر (أبو سلهام): 282.

عبد الله بن يخلف (المؤلف): 177، 294.

علي أدراق: 218.

م

محمد ابن الفقيه الزجني (الشيخ): 170، 184، 190، 193، 196، من 200 إلى 217، 219من إلى 226، 227، 230، 233 إلى 244، 246، من 250 إلى 254، 257، 259، 262، 266، 264، من 269 إلى 277، 279، 280، 281، 283، 285، 286، 287، 289، 292، 293، 294، 295، 296.

محمد عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر: 172، 175، 192، 197، 208، 260.

ي

يلنور بن ميمون (مولاي بوعزا): 167، 223، 224، 261.

ثانيا: الواردين

آ،أ

آمنة بنت محمد بن علي أخريف: 179.

إبراهيم الراس: 204.

إبراهيم الريفي: 253.

ابراهيم بن أحمد الجداري: 214، 219، 231.

إبراهيم بن إدريس: 238.

ابن أحمد بالصحراء (الشيخ): 239.

ابن العافية المكناسي: 166.

ابن عبد السلام بن سلمون الفقيه: 290.

أبو العباس المراكشي: 211، 213.

أبو القاسم اليازغي العتابي: 177، 192، 236، 292.

أبو دهنة (الشيخ): 279.

أبو سكل الرهوني: 252.

أبو سلهام الضعيفي: 262، 296.

أبو شتاء الخمار: 233.

أبو شعيب الدكالي: 256، 257.

أبو عبد الله التاودي: 288، 292.

أبو عبد الله الساحلي: 245.

أبو عبد الله العربي بن محمد قشمير: 271.

أبو عبد الله محمد الحصار الأندلسي: 264.

أبو عسرية الخلوف: 260.

أبو علي الروسي (القائد): 185، 286، 294، 295.

أحمد (ابن الشيخ ابن الفقيه): 178، 181.

أحمد أبو النور: 204، 205.

أحمد السباعي: 216.

أحمد السوسي: 208.

أحمد القسمطيني: 218.

أحمد الورياقلي: 193.

أحمد بن عبد الوهاب (الوزير): 170.

أحمد بن عمر الحسني العلمي: 171، 176.

أحمد بو السباع: 177، 192.

إدريس (ابن محمد بن الشيخ): 179.

إدريس الأصغر: 170.

إدريس الأكبر: 232، 233.

إدريس العالي بالله: 170.

إدريس كرمون العلمي: 191.

إدريس ناصح: 191.

أم عمر: 221.

امرأة (موصوفة بالدين): 237.

امرأة صادقة: 208.

ب

باقلعي: 293.

بو درهم (الحاج): 260.

ج

جعفر الجرس : 204، 205، 206.

ح

الحسن السبط: 175، 236.

الحسن بن أحمد اليفرحي (الطالب): 261.

الحسن بن الطاهر (كنون): 279.

الحسين السبط: 263.

الحسين:

الحلاحل (الأديب): 246.

حليمة العزيزة السفيانية: 288.

حم بن عبيد الله الريفي: 277.

الحمامي (القائد): 271.

حمدون بناني: 258.

خ

خالد بن الوليد: 204.

د

داوود التواتي: 177، 233.

دحو الغماري الطالب: 252، 253.

الدقداق (اللص): 181.

ز

الزهراء – بنت مولاي عمر: 176، 236.

س

سعيد التدلاوي: 185.

سعيد العميري: 188.

سعيد بن يوسف الحنصالي: 206، 207، 240.

السعيدي (الولي الصالح): 242.

السيوطي: 166.

ش

شتوك (الحاج): 229.

شرف الدين: 221.

ط

الطاهر الزجني البناي: 200.

الطاهر بن الفهري: 263.

الطاهر بن بوسلهام: 177.

ع

العافية: 167، 170.

عائشة (ابنة الشيخ ابن الفقيه): 178، 181.

عائشة أم نجة: 233.

عبد الخالق جموع: 201، 233.

عبد الرحمان بن يانس (يناس): 205، 234.

عبد الرحمن الغماري الزجني: 233.

عبد الرحمن المجذوب: 282.

عبد الرحيم الأنهاري: 204.

عبد السلام الحلفاوي الأندلسي: 190، 287، 288، 295.

عبد السلام بن عمر الحسني العلمي: 282.

عبد القادر الجيلاني: 201، 202، 257.

عبد القادر الفاسي: 208.

عبد القادر بن عبد القادر البوعباني: 243.

عبد القادر بن محمد المالكي العروي المجيتى البوعباني: 243، 262، 296.

عبد الله التنائر: 175.

عبد الله التواتي: 282.

عبد الله الخياط: 255.

عبد الله السوسي: 233.

عبد الله الشريف الحسني العلمي (الشيخ): 167، 168، 173، 174، 176، 192، 193، 197، 211، 215، 264، 275، 279.

عبد الله الفلالي: 224.

عبد الله الكامل بن الحسن المثنّى: 170.

عبد الله المقري: 209.

عبد الله بن الهواري: 262، 263.

عبد الله بن ياسين: 238.

عبد الله بوحسنية: 292.

عبد الله عياش: 249.

عبد الله لامن: 170.

عبد المؤمن التسولي: 204.

عبد الوهاب (القاضي): 246.

عبد الوهاب (الولي الصالح): 268.

عبد الوهاب الزجني: 215.

عبد الوهاب بن خجوا: 215.

عثمان بن عفان: 268.

العربي الكتاني: 191.

العربي الوجاري: 208.

العربي بن أحمد: 235.

العربي بن محمد الجنوي: 207.

عقيلة (الشيخ): 204.

علا (عامل الباشة): 295.

علي التزاني: 290.

علي الجناوي: 204.

علي الدليمي: 204.

علي الصحراوي: 205.

علي المغربي: 204.

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: 170، 176، 201.

علي بن أحمد (شيخ مولاي عبد الله الشريف):

علي بن أحمد البقال: 171.

علي بن حمدوش: 195.

علي بن عبد الرحمان الصحراوي الجراري: 241.

علي بن عبد السلام الإسلامي: 217.

علي بن عبد الله البرنوسي: 234.

علي بن عبد الله الحمامي (القائد): 261.

علي بن محمد بن عبد الرحمن الكراوي: 268.

علي شابوا التطاوني: 285.

علي طكوك: 286.

علي عزوز (الشيخ): 184، 276.

علي مُلين: 241.

عمر الخطاب: 171.

عمر بن إدريس: 172.

عمر بن غانم المالكي الجميلي: 206، 243، 296.

عمر: 169.

العياشي (القائد): 271.

عيسى رحمون: 169، 215.

غ

الغمري: 270، 271.

ف

فاطمة الزهراء رضي الله عنها: 236، 242.

فاطمة بنت عبد الهادي الكتاني: 170.

ق

قاسم ابن رحمون: 195، 285، 295.

ل

لحسن: 169.

لحسن الإسكندراني: 231، 234، 249.

لحسن بن رحّال: 187.

م

محمد (ابن الشيخ ابن الفقيه): 178، 179.

محمد (النبي صلىٰ الله عليه ويلم): 176، 201، 212، 228، 230، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 247، 250، 251، 254، 268، 287، 289، 290، 296.

محمد اعراص: 252.

محمد البوري الفاسي: 218، 256.

محمد التازي: 260.

محمد التواتي: 216.

محمد الحصار:241.

محمد الخصاصي: 204.

محمد الخلوف: 260.

محمد الخليفة المكي: 225.

محمد السلاوي: 279.

محمد الصرصري التطاوني: 237.

محمد الصواف الفيلالي: 260، 261، 274.

محمد الطاهري الجوطي (مولاي): 265، 267.

محمد الطود: 280.

محمد العابد: 204، 205، 221.

محمد العساوي: 225.

محمد الغالي ابن ريسون العلمي: 287.

محمد الغمارشي: 219.

محمد القسمطيني: 221، 231.

محمد المسناوي الدلائي: 187.

محمد المصطاري: 221.

محمد المصطاري: 221.

محمد المؤذن الأنصاري: 224، 270.

محمد الودي الرميتي: 219.

محمد الوليدي الشيخ: 204.

محمد بن أبي حيدوس: 253، 259.

محمد بن أحمد التماق: 170، 238.

محمد بن أحمد الدمشقي: 226.

محمد بن أحمد اليعقوبي: 204.

محمد بن أحمد بن هاشم الشامي الدمشقي: 226، 228.

محمد بن أحمد: 185.

محمد بن إسماعيل: 193.

محمد بن الحاج الصحراوي: 260، 281.

محمد بن باسط: 212، 213.

محمد بن عبد الكبير عليوات: 234.

محمد بن عبد الكريم: 290.

محمد بن عبد الله الجباري المصمودي: 206.

محمد بن عبد الله الفلالي: 204.

محمد بن عبد الله المكي: 206، 207، 224.

محمد بن عبد الله: 294.

محمد بن عبد الوهاب الكتاني: 239.

محمد بن عثمان: 243.

محمد بن علي ابغلي التطاوني: 211، 235، 285.

محمد بن قاسم البشري: 249.

محمد بن لحسن: 236.

محمد بن محمد أخريف:

محمد بن محمد الخياط الأندلسي: 242.

محمد بن محمد بن أحمد الدقاق: 238.

محمد بن موسى بن الأشهب: 283.

محمد بن نافع: 208.

محمد رحمون: 295.

مسعود الفران: 292.

مسعود بن محمد الزجني: 210.

مسعود صيدون: 275، 282.

مسعود مغنوج: 246، 249.

معرفة (زوجة الأمير): 270.

المفضل (ابن الشيخ ابن الفقيه): 178، 179، 180، 181.

المفضل الحاج: 171، 184، 208، 249.

المكي بن محمد بن عبد الله الشريف: 292.

منصور العطار: 232.

ميمون شمسه الريفي: 271.

ن

النجاري الشيخ: 204.

هـ

الهادي: 176.

الهاشمية (ابنة الشيخ ابن الفقيه): 178، 181.

ي

يحيى المتعالي بالله: 170

يوسف التليدي: 200.

يوسف الحنصالي: 207، 276.

فهرس المصطلحات الصوفية

أ

الأتباع: 273، 275.

الأثنوية: 161.

الإجلال: 203.

الأحدية: 160.

الإحسان: 203.

الأخلاق: 187.

إخوان (الإخوان): 190، 221، 225، 228، 285، 288، 289.

الأدب (التأدب): 199، 264، 285، 293.

الإذن: 177، 212، 231، 233، 238.

الأذواق العرفانية: 189، 203.

الارتياب: 195.

الإرشاد (يرشدهم): 221.

الاستدراج: 183، 232.

الاستغفار: 173.

الاستقامة: 165.

الأسد: 205.

الأسرار الإلهية: 285.

الإشارة: 202، 240.

أصحاب (الأصحاب): 221، 240.

الاضطراب: 285.

الاقتداء: 168، 230.

الأكابر: 221.

الإلهام: 190، 220، 222، 261، 279.

الألوهية: 160.

الأَمَارَةُ (العلامة): 218.

الأمانة: 209.

الامتثال: 235.

الانتفاع: 231.

الأنس: 245، 247، 248.

الانكسار: 203.

الأنوار الأحمدية: 202.

الأنوار الربانية: 285.

الأنوار المحمدية: 202.

أهل البصر: 246.

أهل الخطوة: 228.

أهل الدائرة: 205.

الإيقان: 160، 285.

الإيمان: 160.

ب

الباذنجال: 185.

الباطن (بطن، أهل الباطن): 160، 177، 202، 230.

البحر (البحور): 215.

بحر المصطفىٰ: 197، 236.

البحر المكفوف: 192.

بدعة: 183.

البر: 203.

البركة: 164، 200، 204، 208، 212، 213، 219، 223، 229، 230، 242، 243، 245، 247، 253، 265، 271، 272، 275، 289، 292، 293.

البسط: 189.

البشرىٰ: 210، 227.

البصيرة: 246، 267.

بُعِثَ: 218، 237، 244.

البعد (البعاد): 226، 246، 247.

البقاء (أبقاهم): 160.

البكاء: 221، 222، 241.

البلوغ (مبالغ): 210.

البهلا (البهلاء): 176، 181، 223.

ت

التبرك: 170، 191.

التجريد: 159.

التجلي (تجلىٰ):160.

التحقيق (المحقق): 162، 245، 246، 253.

التحلي: 285.

التدلي: 161.

الترنم: 226.

التسخير: 232.

التسريح: 215.

التسليم: 246.

التصديق: 227.

التصرف (التصريف): 163، 164، 167، 232.

التضرع: 201، 218، 244، 283، 284.

التعظيم: 203.

التعلق: 231.

التفريد: 159.

التقوى228.

التكوين: 230.

تلامذة: 221.

تلاوة القرآن: 180، 181، 202.

التمكين (التمكن): 203، 226، 230.

التواجد: 218.

التواضع: 201، 202.

التوبة: 228.

التوسل (الوسيلة): 163، 235،223، 252، 265، 285.

التوكل: 203.

ج

الجاه: 268.

الجذب (مجذوب): 173، 179، 219، 223، 289.

الجرس: 190.

الجلال (جلاليون): 188.

الجلالة: 197، 254، 261، 285،279.

الجمال (جماليون): 160، 188، 227.

الجوان: 192.

الجود: 203، 227، 231.

ح

الحاجة: 221.

الحال (الأحوال): 165، 173، 178، 189، 206، 209، 218، 220، 222، 239، 253، 264، 285، 290.

الحب (محبة): 160، 164، 165، 177، 186، 189، 226، 227، 228، 247، 285، 290.

الحجاب (حجب): 160، 202، 250.

الحُرم (الحرمة): 246، 247، 268.

الحزب: 221.

الحزن: 226، 237.

الحس: 220.

الحضرة: 277، 289.

الحضرة الذاتية: 203.

الحضرة الربانية: 245.

الحضرة العلمية : 160.

حضرة القدس: 245.

الحقيقة : 162.

الحلم : 189.

خ

الخاص (خصوص): 161، 165، 229، 231.

الخاضري: 198.

الخاطر: 228.

خاويا: 296.

الخدمة: 210، 215، 221، 223، 227، 230، 232، 267، 275، 277.

الخرق: 203.

الخشوع (الخشية): 189، 241، 265، 285.

الخضوع: 203، 226.

الخلق (الأخلاق): 189.

الخلوة: 250.

خوارق: 214.

د

الدعاء: 204، 225، 227، 229، 269، 290، 293.

الدنو: 161.

دواء القلب: 230.

ديوان النبي صلى الله عليه وسلم: 207.

ذ

ذكر: 165.

الذوق (أذواق): 165.

ر

الران: 160.

رتبة (مراتب): 190.

الرضى: 202، 203، 222، 246، 248.

الرعاية: 247.

الركن: 206.

الرمز: 202.

الروح : 159، 230، 245.

الرؤيا: 234، 235، 237، 238، 239، 241، 242، 247، 248، 270، 271، 282، 287.

ز

الزاوية: 221، 222.

زربية: 219.

الزهد (الزاهد، الزهاد): 162، 169، 188.

الزيارة: 178، 195، 204، 206، 208، 214، 216، 219، 224، 235، 264، 276، 279.

س

السر (أسرارهم): 160، 179، 201، 202، 205، 216، 229، 238، 245، 246، 273.

سر الحقيقة: 163.

السر الرباني (الأسرار الربانية): 165، 203، 213.

سر السر : 161.

السعادة: 215، 226، 266.

السقي (الساقي): 197، 215.

السكون: 189.

سلوة: 164.

السلوك (السالكين): 203، 223، 245.

السماع: 239.

سماوي: 192.

السنة: 183.

السياحة (يسيح): 176، 219.

ش

الشرب: 202، 227.

الشريعة: 185.

شريف (الشرفاء): 172، 179، 216، 239، 243، 244، 269، 275، 285، 287، 289.

الشكر: 184، 228.

الشهود (المشاهدة): 160.

الشوق (الأشواق): 160، 165، 189، 226، 236، 244، 245، 246، 247.

الشيخ: 162، 165، 166، 174، 177، 180، 190، 197، 204، 205، 219،221، 222، 238، 244، 252، 261، 265، 273، 277، 285، 288، 294.

ص

صاحب الوقت: 165، 216، 287.

الصالحين: 169، 267، 273، 281، 282، 283، 284، 287.

الصبر: 247.

الصحو: 237.

الصدق (الصديقين): 162، 186، 231، 288.

الصفح: 189.

الصوفية: 188.

الصياح (صاح): 189.

ط

الطابع: 197.

الطريقة: 162.

الطريقة الشاذلية: 231.

الطلبة: 178، 240.

ظ

الظاهر (ظهر، أهل الظاهر): 160، 202، 230.

ع

العابد (العبادة): 215.

العارف (العارفين): 162،

العبارة: 202.

العجز: 162، 203.

العدمية: 161.

العذاب: 226.

العزلة: 183.

العزم: 164.

العشق: 244.

العفو: 189.

العلوم: 197.

علم الطريقة: 197.

العلم اللدني (العلوم اللدونية): 203، 245.

العلم المكين: 230.

العلم الموهوب (الوهبي): 204.

العلوم الإلهية: 203.

العلوم اللدنية: 203، 245.

العمارة (التعمير): 215، 296.

العزم: 163.

العمل: 225.

العناية (العناية الربانية): 183، 237، 289.

العهد: 240، 268.

غ

الغفلة: 176.

الغوث: 162، 166، 190، 244، 252.

الغيبة: 181، 289.

ف

الفتح: 202.

الفراق: 246.

الفرض: 229.

الفقر (الفقير، الفقراء): 163، 177، 178، 190، 201، 209، 215، 228، 229، 230، 239، 265، 275، 276، 279، 285، 287، 292.

الفناء (أفناهم): 160.

الفيض (أفاض، الفيض الإلهي): 205، 232، 241، 245، 251، 253، 287.

ق

القاضي: 198.

قاف: 197.

القبض: 189.

القبول: 177، 202، 221، 222.

قدس (أقدس): 160.

القدوة: 252.

القرب (قربهم، القربات): 205، 289.

القطب (الأقطاب): 161، 174، 192، 193، 197، 206، 208، 219، 225، 246، 285.

القلب: 160، 202، 229، 238، 244، 245، 281، 292.

ك

الكرامة (الكرامات): 164، 169، 173، 177، 214، 219، 223، 238، 239، 280، 285، 288، 289، 292، 294.

كسوة: 203، 212، 244.

الكشف (المكاشفة): 165، 213، 251، 267، 268، 272، 285.

الكمال (الكامل، كمالاته): 161، 162، 190.

ل

لباب اللباب: 161.

م

المأمول: 202، 203.

المتاع: 210.

مجلس الرسول صلىٰ الله عليه وسلم: 194.

محسوب: 221، 224.

المخاطبة: 285.

المدد (المد): 204، 226، 228، 239، 267، 285.

مراتب الأولياء: 190.

المراد: 202، 203، 231.

المراقبة، المراقب: 177، 229.

المريد (المريدون): 163، 164، 289.

مسكين: 238، 268.

المسيد: 290، 296.

المشاهدة: 202، 203، 245، 246.

المصباح: 208.

معارج: 230.

المعارف الربانية: 203.

المقام: 193، 206، 214.

مقام النبوة: 225.

مقام الولاية: 225.

المكالمة: 285.

الملاذ: 226.

مناقب: 164، 229.

المنة، المن: 229.

مورد (موارد): 190.

ن

النداء: 211.

النظرة: 203.

النفس (أنفسنا، النفس الأمارة): 160، 203، 221، 226، 248.

النفل: 229.

النور (نور، النورانية): 165، 208، 229، 230، 241، 244، 245، 246، 248، 250، 251، 266، 293.

النية: 181، 227، 231، 279.

هـ

الهاتف: 208.

الهمة: 189.

الهوى: **160.**

الهيبة: 189.

الهيمان (هائم، هاموا، الهيام): 160، 173، 227، 285.

و

الواسطة: 209، 233.

الوتد (الأوتاد): 190، 213.

الوجد: 247.

الوحشة: 225.

الود (الوداد): 226، 248.

الورد (الأوراد): 165، 173، 219، 221، 224.

الورع: 162، 169.

الوصل (الواصل): 162، 203، 205، 245، 246، 285.

الوقار: 203.

الوقوف (الواقفين): 203، 225، 237.

الولع: 254.

الولي (الولاية، الولات): 162، 164، 166، 169،
172، 177، 184، 192، 193، 206، 207، 209،
221، 225، 227، 233، 243، 244، 253، 267،
268، 275، 284، 285، 286، 287، 294، 296.

فهرس البلدان والأماكن

أ

اتوات: 177، 233.

أزجن (زاجن): 166، 171، 172، 179، 181، 184، 208، 209، 210، 214، 215، 216، 228، 234، 239، 240، 252، 280، 293، 294.

أزمور: 257، 258، 264.

أسطوان الدار: 199.

الإسكندرية: 204، 219.

الأندلس: 166.

ب

باب السلام: 250.

باب العطارين: 218.

باب الفتوح: 174، 260، 261.

باب عجيسة: 255، 288.

البريجة: 257.

بسكرة: 213، 214.

البقيع: 191.

بيت الله الحرام: 264، 267، 276، 283.

ت

تادلا: 177، 195.

تطوان: 169، 180، 241، 242، 285، 295، 296.

تفرست: 259.

تونس: 184، 276، 283، 284.

خ

الخروبة: 261.

ج

الجامع البيضاء: 172.

جامع القرويين: 218، 286.

الجامع الكبير: 234.

جامع زغلول: 223.

جامع عبد الرحمن المجذوب: 252.

الجبل المشرف: 209.

جبل قاف: 211.

جبل كنوة:283.

الجزائر: 212، 213، 214.

جزولة: 171.

جماعة برشيد: 221.

ح

حوز مراكش: 177.

حومة الجنوي: 180، 285.

حومة القلقليين: 191.

د

دار بن قدار: 191.

ر

رأس الجنان (حومة): 280.

رأس القليعة: 174.

الرباط: 238.

رشيد: 221.

الركن اليماني: 206.

ز

زاوية الحرايق: 171.

زاوية بني سليم: 241.

زاوية تيكي: 268.

زاوية الصدا: 171.

زاوية محمد ابن الفقيه (فاس): 288.

زاوية محمد ابن الفقيه (مصر): 221.

زاوية وزان: 276.

زرهون: 171، 172.

زمنطوط (جزيرة): 283.

زيلة: 171.

س

سبتة (ثغر): 261.

السجن: 206، 207.

السودان: 293.

سوس: 207.

سوق أزجن: 240، 252، 279.

سوق بني يدر (الثلاثاء): 264، 295.

ش

الشام: 228، 293.

ص

الصحراء: 206، 238.

صرصار: 174.

صفرو: 268.

ض

ضريح أبي الشتاء الخمار: 233.

ضريح الحاج بو درهم: 260.

ضريح سيدي أبي العباس المرسي: 222.

ضريح مولاي إدريس: 178.

ط

طنجة: 211، 213، 271.

ع

عرفات: 267.

العطارين: 218.

عقبة العيون: 178.

عين زواو: 211.

عين هدارة: 234.

غ

غابة عبد الله: 269.

الغرب: 180.

غصاوة: 171.

غمارة : 166، 171، 172.

ف

فاس: 174، 178، 184، 187، 190، 209، 218، 219، 224، 227، 234، 241، 259، 265، 268، 274، 286، 295.

الفحص: 233.

فارت: 259.

ق

قبر المصطفى صلى الله غليه وسلم: 296.

القرية الزجنية: 193، 234.

القصارات: 177،

ك

الكعبة المشرفة: 207.

م

المخفية (حومة): 294.

مالقة: 166.

مانطة: 283.

مدرسة الصفارين: 187.

مدشر ابن عمر: 217.

مدشر سيدي مشيش (مدشر إغيل): 172، 295.

المدينة: 204، 234.

مرتيل: 286، 287.

المرسة: 283.

مراكش: 177.

مسجد محمد ابن الفقيه: 240.

المسيد: 236.

المشرق: 204، 205، 215، 221.

مصر: 204، 223، 265، 267، 293.

مصمودة: 166، 167، 171، 172، 173، 174، 175.

المغرب: 177، 204، 205، 206، 215، 221، 222، 233، 283.

المقبرة الغربية: 234.

مكة: 204، 205، 206، 207، 233، 293، 296.

مكناسة الزيتون (مكناس): 188، 206، 223، 261، 270، 271، 277، 294.

ملوية: 204.

منى: 267.

و

واد ارضات: 242.

واد لوكوس: 236.

واد ورغة: 177، 180، 296.

وزان: 199، 201، 208، 211، 215، 254، 264، 279.

فهرس القبائل والعشائر

آ

آيت عتاب: 177.

أ

أهل البادية: 227، 228.

أهل الباطن: 187، 213.

أهل الجبل: 216.

أهل الخطوة: 228.

أهل الدائرة: 205.

أهل السنة: 186.

أهل فاس: 287، 288.

أهل تطوان: 180، 285، 287.

أولاد البقال: 171.

أولاد النبي: 268.

أولاد بن اعمر: 166.

أولاد بو السباع: 177، 216.

أولاد بوعبان (عدوة): 180، 223.

أولاد عيسى (قبيلة): 279.

أولاد مولاي عمر بن ادريس: 171، 172.

بني جرفط: 171.

بني حسان: 171.

بني عمران: 166، 172.

بني مالك (قبيلة): 223.

بني مستارة: 171.

الخماس: 171.

سطة (قبيلة): 233.

كروان (قبيلة): ؟؟؟

فهرس الديانات والمذاهب والفرق والطوائف

أ

الإسلام: 231.

س

السنة: 186.

ص

الصوفية: 188.

ط

الطائفة الجزولية: 171.

الطريقة الشاذية: 231.

ف

الفقهاء: 188، 255.

ك

الكفار: 212.

م

المبتدعة: 186، 243.

ن

النصارى: 231.

ي

اليهود: 231.

فهرس الكتب الواردة في الكتاب

الكتاب	صاحبه	الصفحة
تاريخ ابن خلدون	عبد الرحمن ابن خلدون	166
تحفة أهل الصديقية في أسانيد أهل الطائفة الجزولية	المهدي الفاسي	171
شجرة قديمة كتبت عام 947هـ	مجهول	171
شجرة كتبت في أوائل المائة العاشرة	مجهول	171
شمس القلوب وخرق الحجوب في معرفة علام الغيوب	مَحمد ابن الفقيه الزجني	186
في سر النقطة	مَحمد ابن الفقيه الزجني	186

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع المدني من طريق الأزرق.

أولا: باللسان العربي:

***المخطوطات:**

- ✓ الزهر الباسم في مناقب الشيخ سيدي قاسم، لمحمد بن الطيب القادري، مخ خ ع ر: 1778د.

***المطبوعات:**

أ- الكتب:

[أ]

- ✓ الإتحاف الوجيز (تاريخ العدوتين)، لمحمد بن علي الدكالي، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، 1968.
- ✓ الإتقان في علوم القرآن، تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، (د - ت).
- ✓ الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط2، 1393هـ - 1973م
- ✓ إحياء علوم الدين، للغزالي، بقلم: بدوي طبانه، مكتبة ومطبعة: (كرياطه فوترا)، سماراغ.
- ✓ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 1399هـ - 1979م.
- ✓ أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ)، دار صادر- بيروت،ط1، 1412هـ - 1966م.
- ✓ الأساليب الإنشائية في النحو العربي، لعبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000.
- ✓ الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية - الدار البيضاء، 1985.
- ✓ الاستغاثة في الرد على البكري، لابن تيمية، تح: عبد الله بن دجين السهيلي، دار الوطن، ط1، 1417هـ - 1997م.

- ✓ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة العلوية)، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ)، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء، 1418هـ – 1997م.
- ✓ أسس السيميائية، لدنيال تشاندلر، تر: طلال وهبه، مراجعة: مشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط1، أكتوبر، 2008.
- ✓ الأشباه والنظائر في النحو: لجلال الدين السيوطي، تح: عبد العالي سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط1، 1406-1985.
- ✓ الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف، تح: جعفر بن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، ط1، 2004.
- ✓ اصطلاحات الصوفية، للشيخ كمال الدين القاشاني، تح: محمد كمال إبراهيم جعفر، مركز تحقيق التراث، انتشارات بيدار، أمير – قم، ط2، 1370.
- ✓ أصول الحوار وآدابه في الإسلام، لصالح بن عبد الله بن حميد، دار النارة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1994.
- ✓ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت1393هـ)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
- ✓ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية، الرباط، 1974-1983.
- ✓ الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، لعبد الله بن محمد الفاسي، تح: فاطمة نافع، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ودار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ط1، 2008.
- ✓ الأعلام: قاموس تراجم، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين – بيروت، ط7، 1986.
- ✓ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تح: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط2، 1395هـ – 1975م.
- ✓ اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، لأبي سالم العياشي، تحقيق نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط، ط1، 1996.
- ✓ الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض(ت544هـ)، تح: أبي همام محمد بن علي الصومعي البيضاني، سلسلة قرة عيون المحدثين(3).
- ✓ أنس الفقير وعز الحقير، لأبي العباس ابن قنفد (ت810هـ)، عناية: محمد الفاسي – أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، مطبعة أكدال – الرباط.

- ✓ انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز العربي – بيروت، ط1، 1989.
- ✓ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لعلي ابن أبي زرع الفاسي، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية – الرباط، ط2، 1999م.
- ✓ الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني البيان البديع)، تأليف الخطيب القزويني، (ت739هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1424هـ – 2003م.
- ✓ إيقاظ الهمم في شرح الحكم، أحمد بن عجيبة التطواني، تقديم ومراجعة محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، 1985.

[ب]

- ✓ البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774هـ)، مكتبة المعارف – بيروت، 1410هـ – 1990م.
- ✓ البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف، لأبي القاسم الزياني، تح: رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية – الريصاني، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، 1992م.
- ✓ بستان العارفين، للإمام محيي الدين أبي زكريا ابن شرف النووي (ت676هـ)، تح: محمد الحجار، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، ط6، 1427هـ 2006م.
- ✓ البستان في ذكر الأولياء والعلماء من تلمسان، تأليف: الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد ابن مريم، عناية: الشيخ محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية – الجزائر، 1326 – 1908.
- ✓ بلاغة الإقناع في المناظرة، لعبد اللطيف عادل، دار الأمان – الرباط، ط1، 1434هـ – 2013م.
- ✓ البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، لعبد الرحمن حبنكه الميداني، دار القلم – دمشق، الدار الشاملة – بيروت، ط1، 1416هـ – 1996م.
- ✓ بناء الرواية، سيزا قاسم، مهرجان القراءة للجميع، 2004، مكتبة الأسرة، سلسلة إبداع المرأة – القاهرة، 1978.
- ✓ البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، لميساء سليمان الإبراهيم، الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق، 2011.
- ✓ بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب، 2015.
- ✓ البيان والتبيين، تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط7، 1418هـ – 1998م.

[ت]

- ✓ تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: عبد الستار أحمد فراج، سلسلة التراث العربي (16)، مطبعة حكومة الكويت، 1385هـ - 1965م.
- ✓ تاريخ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون(808هـ)، عناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.
- ✓ تاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان، مطبعة الهلال بالفجالة - مصر، 1993.
- ✓ تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات (الجزائر - المغرب الأقصى - موريتانيا - السودان)، لشوق ضيف (ت2005م)، دار المعارف - القاهرة، ط11، (د.ت).
- ✓ تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، لمحمد الضعيف الرباطي (1165 - 1233هـ)، تح: أحمد العماري، دار المأثورات - الرباط، ط1، 1406 - 1986.
- ✓ تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره، تأليف: عبد المجيد دياب، دار المعارف - القاهرة، (د.ت).
- ✓ تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط7، 1418هـ - 1997م.
- ✓ تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ط 2، 1986م.
- ✓ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الرباط، 1966- 1983.
- ✓ تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير (ت 774هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، طبعة جديدة ومنقحة، ط1، 1420هـ - 2000م.
- ✓ التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، لحمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية - تونس، ط1، 1981.
- ✓ التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، لمحمد بن الطيب القادري (ت 1187هـ - 1773م)، تح: هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط1، 1403هـ - 1983م.
- ✓ تمهيد في النقد الحديث، روز غريب، ديناميك غرافيك للطباعة، 1999.
- ✓ التوسل: أنواعه وأحكامه، لناصر الدين الألباني، تنسيق: محمد عيد العبادي، الطبعة الشرعية الوحيدة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، 1421هـ.

- ✓ التوصل إلى حقيقة التوسل: المشروع والممنوع، لمحمد نسيب الرفاعي، طبعة ومزيدة ومنقحة، ط3، 1399هـ - 1979م.
- ✓ التوقيف على مهمات التعاريف، للشيخ عبد الرءوف بن المناوي، (ت952هـ - 1031م)، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب - القاهرة، ط1، 1410هـ - 1990م.

[ث]

- ✓ الثابت والمتحول (بحث في الإبداع والإتباع عند العرب)، أدونيس، دار الساقي.
- ✓ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط3، 1976.

[ج]

- ✓ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تح: عواد معروف - عصام فارس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1415هـ - 1994م.
- ✓ جامع القرويين، المسجد والجامعة بمدينة فاس، عبد الهادي التازي، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1972.
- ✓ الجامع المختصر من السنن (المعروف بجامع الترمذي)، تصنيف: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ)، عناية: بيت الأفكار الدولية - الرياض.
- ✓ جامع بيان العلم وفضله، تأليف: أبي عمرو يوسف بن عبد البر (ت463هـ)، تح: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ - 1994م.
- ✓ جامع كرامات الأولياء، ليوسف النبهاني، المكتبة الشعبية، بيروت، ط 2، 1974.
- ✓ الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تأليف: أبي عبد محمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1427هـ - 2006م.
- ✓ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لابن القاضي، دار المنصور - الرباط، 1974.
- ✓ جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، لحسين جمعة، اتحاد الكتاب العربي - دمشق، 2005م.
- ✓ الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، للعلامة طاهر الجزائري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط1، 1407هـ - 1986م.
- ✓ الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، لمحمد أگنسوس، المطبعة الحجرية - فاس، 1336هـ - 1918م.

[ح]

- ✓ الحجاج في المقام المدرسي، لكورنيلا فون راد، صكوحي، منشورات كلية الآداب منوبة، 2003.
- ✓ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المطبعة الشرقية، القاهرة، 1327هـ/ 1909م.
- ✓ حكم الإسلام في سماع السماع وآلات الغناء (زبدة آراء فيما اختلف فيه المتصوفة والفقهاء، حول حكم الإسلام في سماع السماع وآلات الغناء، جولة في فقه الغناء والموسيقى)، عبد الرحمن الملحوني، دار أبي رقراق للطباعة والنشر – الرباط، ط1، 2011.
- ✓ الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي (ت1324هـ)، تح: إدريس بوهليلة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الرباط، ط1، 2005.
- ✓ الحلل السندسية في الأخبار التونسية، لمحمد السراج، الدار التونسية للنشر – تونس، 1970.
- ✓ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت430هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1416هـ – 1996م.
- ✓ الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر (ت2005م)، دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء، ط1، 1977.

[خ]

- ✓ الخطابة العربية الإسلامية (دراسة في المتن والفن)، عبد الرحيم الرحموني، مط: أنفو- برانت – فاس، 2005.

[د]

- ✓ الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية، للفضيلي، مراجعة ومقابلة أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، ط1، 1999.
- ✓ درس السيميولوجيا، رولان بارت، تر: عبد السلام بن عبد العال، دار توبقال، المعرفة الأدبية، 1994.
- ✓ دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تح وتقديم: محمد رضوان الداية وفايز الداية، مكتبة سعد الدين، ط 2، 1987م.
- ✓ دلائل النبوة، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (ت430هـ)، تح: محمد رواس – وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط2، 1406هـ – 1986م.

- ✓ دليل المسلم في الاعتقاد على ضوء الكتاب والسنة، لعبد الله خياط، طبعة منقحة ومزيدة، ط4، 1405هـ - 1985م.
- ✓ دليل مؤرخ المغرب الأقصى، تأليف: عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري (1400هـ)، ضبط واستدراك مكتبة البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1418هـ - 1997م.
- ✓ دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، لمحمد بن عسكر الحسني، تح: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، سلسلة1- الرباط، 1976.
- ✓ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، مطبعة المعاهد - القاهرة، 1351هـ/ 1932م.
- ✓ ديوان الجعدي، جمع وتحقيق: عبد العزيز رباح، المكتب الإسلامي للنشر - مكة المكرمة، 1384هـ - 1964م.
- ✓ ديوان عبد الله بن رواحة، جمع وتحقيق: وليد إبراهيم قصاب، دار الضياء - عمان، ط2، 1988.

[ر]

- ✓ الرسالة القشيرية في علم التصوف، للإمام القشيري، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
- ✓ رسالة في السماع والرقص، محمد بن محمد المنبجي الحنبلي، تعليق: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن حزم - بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م.
- ✓ رسائل ابن علي الحسن بن مسعود اليوسي، تح: فاطمة خليل قبلي، دار الثقافة - الدار البيضاء، ط1، 1401 - 1981.
- ✓ الروض المعطار في خبر الأقطار، (معجم جغرافي)، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تح: إحسان عباس، بيروت - لبنان، ط2، 1984.
- ✓ روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، لمحمد الصغير اليفرني (ت1156هـ)، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية - الرباط، ط2، 1415 - 1995.

[ز]

- ✓ زهر الأكم: مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن المولى إسماعيل، لعبد الكريم بن موسى الريفي، تح: آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط - ط1، 1992م.

[س]

- ✓ السرد العربي القديم، (الأشكال والمضامين)، لخلف الله حنان، جامعة محمد البشير الإبراهيمي - بور بوعريريج، 2016.

- ✓ سردية النص الأدبي، ضياء غني لفته وعواد كاظم لفته، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط1، 2011، ص 112. والسيميوطيقا والعنونة.
- ✓ سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لأبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (1274 – 1345)، تح: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع – الدار البيضاء، ط1، 1425هـ – 2004م.
- ✓ سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية، لأبي عبد الله محمد المنالي الزبادي الفاسي (1209هـ)، تح: عبد الحي اليملاحي، سلسلة التراث والفكر بالمغرب –1– جمعية تطوان أسمير– تطوان، 1433هـ – 2012م.
- ✓ سنن ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني أبو عبد الله ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد ا لباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ✓ سنن أبي داود، تصنيف: الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، تح: الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ – 2009م.
- ✓ سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت273هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.
- ✓ سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.
- ✓ سيمياء العنوان، بسام موسى قطوس، عمان – الأردن، 2001.
- ✓ السيميائيات، بيير جيرو (دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية)، تر: منذر عياشي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق – سورية، ط1، 1437هـ – 2016م.
- ✓ السيميائية (الأصول، القواعد، التاريخ)، إينو وآخرون، تر: رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم: عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط1، 2008.
- ✓ سيميائية الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح للشاعر عبد الله العشي، شادية شقروش، عالم الكتب الحديث، إربد –الأردن، ط1، 2010.
- ✓ سيميولوجيا الصورة بين النظرية والتطبيق، رضوان بالخيري، قرطبة للنشر والتوزيع – الجزائر، ط1، 1433هـ–2012م.

[ش]

✓ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف: محمد بن محمد مخلوف (ت1941م)، المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة، 1349.
✓ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي ابن العماد، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، (د.ت).
✓ شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تح: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي – بيروت، ط8، 1404هـ – 1984م.

[ص]

✓ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1340هـ 1922م.
✓ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تأليف أبي نصر بن حماد الجوهري (ت398هـ)، مراجعة: محمد محمد تامر –وأنس محمد الشامي – وزكريا جابر أحمد، دار الحديث – القاهرة، 1430هـ – 2009م.
✓ صفة الصفوة، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الفكر – بيروت.
✓ صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد الصغير الإفراني، تقديم وتحقيق ع المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط1، 2004م.
✓ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، لجابر عصفور، المركز الثقافي العربي – بيروت، ط3، 1992.

[ض]

✓ ضعيف سنن أبي داود، للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، تأليف: الإمام المحدث محمد ناصر الدين الألباني (ت1420هـ)، غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان – الكويت، ط1، 1423هـ – 2002م.

[ط]

✓ الطبقات الكبرى المسماة: لواقع الأنوار في طبقات الأخيار، للشعراني، مطبعة عبد الحميد أحمد الحنفي – مصر، 1936م.
✓ الطبقات الكبرى، لابن سعد الزهري(ت230هـ)، تح: علي محمد عمر، دار صادر – بيروت،1421 – 2001.
✓ طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداودي، مكتبة وهبة – القاهرة، 1972.

[ع]

- ✓ عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، لعبد الحق بلعابد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون – الجزائر، ط1، 2008.
- ✓ عتبات النص (بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر)، ليوسف الإدريسي، منشورات مقاربات، ط1، 2008.
- ✓ العرائس القدسية المفصحة عن الدسائس النفسية، للقطب العارف مصطفى بن كمال البكري الصديقي (ت1162هـ)، تح: أحمد فريد المزيدي، وناصر صابر الزيات، ومحمد عبد القادر ناصر، دارة الكرزة، القاهرة – مصر، ط1، 1429هـ – 2008م.
- ✓ العروض والبلاغة، تأليف إبراهيم عبد الرحيم يوسف – محمد الطيب محمد النادي، مكتبة الوحدة العربية – الدار البيضاء، مطابع دار العلم للملايين، بيروت.
- ✓ العقيدة الواسطية، تصنيف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (ت828هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة، ط9، 1399.
- ✓ علم العنونة، لعبد القادر رحيم، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر – سوريا، ط1، 2010.
- ✓ علوم الحديث، لابن الصلاح (ت643هـ)، تح: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان/ ودار الفكر، دمشق – سوريا.
- ✓ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط5، 1981.
- ✓ العنوان في الثقافة العربية (التشكيل ومسالك التأويل)، لمحمد بازي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم – الجزائر، ط1، 2012.
- ✓ عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، تح: عباس الستار، مراجعة منعم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1982.

[غ]

- ✓ الغناء والموسيقى: حلال .. أم حرام، تأليف: محمد عمارة، سلسلة: في التنوير الإسلامي (33)، دار نهضة مصر – القاهرة، 1999م.

[ف]

- ✓ فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تح: عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ط1، 1421هـ – 2001م.
- ✓ الفتوحات المكية، لمحيي الدين بن عربي (ت638هـ)، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- ✓ الفقد الأدبي الحديث، لمحمد غنمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، 1997م.
- ✓ فهرس الفهارس، لعبد الحي الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982.
- ✓ الفهرسة الكبرىٰ، لابن سودة، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002.
- ✓ فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، دار الثقافة – بيروت، (د.ت).
- ✓ في البلاغة العربية: علم البيان، لبعد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت، 1405هـ – 1957م.
- ✓ في الشعرية، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية – بيروت، ط1، 1987م.
- ✓ في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة البلاغة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، لمحمد العمري، دار الثقافة – الدار البيضاء، ط1، 1406– 1986.
- ✓ في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) لعبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع – تونس، ط1، 20011.
- ✓ في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، خالد حسين حسين، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر – دمشق، 2007.

[ق]

- ✓ قاموس المصطلحات الصوفية، لأيمن حمدي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، 2000.
- ✓ قبائل المغرب، عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية – الرباط، 1388 – 1968م.
- ✓ قراءة جديدة للبلاغة القديمة، لرولان بارت، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، 1994.

[ك]

- ✓ الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، بيروت، 1965–1966.
- ✓ كتاب أسرار البلاغة، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ص20. والتبيان في علم البيان المطلع علىٰ إعجاز القرآن، لابن الزملكاني (651هـ)، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني – بغداد، ط1، 1383 – 1964.

- ✓ كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني (419 – 478هـ)، تـح: محمـد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي – مصر، 1950م.
- ✓ كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، تصنيف الإمام أبو بكر الكلاباذي (ت380هـ)، مكتبـة الخـانجي – القاهرة، صص87 – 88.
- ✓ كتاب التعريفات الاعتقادية، تأليف سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، دار الوطن للنشر، ط2، 1432هـ – 2011م.
- ✓ كتاب التعريفات، للعلامة علي بن محمد الجرجاني، (ت816هـ – 1413م)، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة – مصر.
- ✓ كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تصنيف أبي هلال العسكر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبـو الفضـل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1371 – 1952.
- ✓ كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف يحيى بن حمزة العلـوي، دار الكتـب الخديوية، مطبعة المقتطف – مصر، 1332هـ – 1912م.
- ✓ كتاب العين (مرتبا على حروف المعجم)، تصنيف الخليل الفراهيدي بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1424هـ – 2003م.
- ✓ كتاب علم الأدب، للأب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت، 1886.
- ✓ كرامات الأولياء (دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)، لعبد الله بن عبد العزيز العنقري، دار التوحيد للنشر – الرياض، ط1، 1433هـ – 2012م.
- ✓ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تأليف: العلامة محمد علي التهانوي (ت بعـد 1158هـ)، تـح: عـلي خروج، مكتبة لبنان، ط1، 1996.
- ✓ كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع (حكم الإسلام في الغناء والموسيقى والشطرنج)، أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي، تح: عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، بولاق – القـاهرة، (د.ت).
- ✓ الكلام على مسألة السماع، لابن قيم الجوزية، تح: محمد غريد شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.ط – د.ت).
- ✓ الكلام والخبر(مقدمة للسرد العربي)، لسعيد يقطين، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء، ط1، 1997.

[ل]

- ✓ لذة النص أو مغامرة الكتابة لدى بارت، عمر أوكان، افريقيا الشرق – الدار البيضاء، 1991.
- ✓ لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر بيروت، ط1، 1300هـ.
- ✓ اللسان والميزان (أو التكوثر العقلي)، لطه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ط1، 1998.
- ✓ اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، تح: عبد الحليم محمود – طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، 1380– 1960.
- ✓ لوعة الشاكي ودمعة الباكي، صلاح الدين الصفدي، ضبط وشرح وتصحيح: الأديب الأستاذ محمد أبو الفضل محمد هارون.

[م]

- ✓ ما هي السيميولوجيا، برنار توسان، تر: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، المغرب – الدار البيضاء، ط2، 1994.
- ✓ مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار، لأحمد الولالي، تح: عبد العزيز بو عصاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط، ط1، 1999.
- ✓ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة – القاهرة، ط11، 2000.
- ✓ مبادئ ألسنية عامة، أندريه مارتنيه، تر: ريمون رزق، دار الحداثة – بيروت، 1990.
- ✓ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تح: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1411هـ، 1990م.
- ✓ مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تح: هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
- ✓ مجمل تاريخ المغرب، لعبد الله العروي (ت2021هـ)، المركز الثقفي العربي – الدار البيضاء، ط5، 1996.
- ✓ مجموع الرسائل الكبرى، لابن تيمية،ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
- ✓ مدخل إلى السيميولوجيا، عبيدة صبحي ونجيب بوخوش، دار الخلدونية للنشر والتوزيع – الجزائر، 2009.
- ✓ مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، أغا عمر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، ط1، 1988.
- ✓ مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ – 1999م.

- ✓ مشكلة السرقات في النقد العربي، محمد مصطفى هدارة – بيروت، ط3، 1981.
- ✓ المصادر العربية لتاريخ المغرب (من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث)، لمحمد المنوني (ت1420هـ)، 1404 – 1983.
- ✓ المطرب في مشاهير أولياء المغرب، لعبد الله التليدي، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر – طنجة، ط2، 1987.
- ✓ معترك الأقران في إعجاز القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بم أبي بكر السيوطي، تح: علي محمد البجاوي، مكتبة الدراسات القرآنية، دار الفكر العربي.
- ✓ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (ت647هـ)، عناية: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة – القاهرة، ط1، 1368هـ – 1949م،
- ✓ معجم اصطلاحات الصوفية، تصنيف: عبد الرزاق الكاشاني، (ت730هـ تقريبا)، تح: عبد العال شاهين، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ميدان الحسين – القاهرة، ط1، 1413هـ – 1992م.
- ✓ معجم البلدان، لأبي عبد الله الحموي، دار صادر بيروت، 1397هـ –1977م.
- ✓ السيميائيات، لفيصل الأحمر، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون – الجزائر، ط1، 1431هـ – 2010م.
- ✓ معجم ألفاظ الصوفية، حسن الشرقاوي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع – القاهرة، ط1، 1987.
- ✓ معجم ألفاظ العقيدة، تصنيف: أبي عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكة، ط1، 1417هـ – 1997م.
- ✓ معجم الفصحى في العامية المغربية، لمحمد الحلوي، شركة النشر والتوزيع – الدار البيضاء، 1988.
- ✓ معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني، تقديم عبد الله كنون، مطابع سلا (د.ت).
- ✓ معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، تأليف: عمر رضا كحالة (ت1987م)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ط1، 1414هـ – 1993م.
- ✓ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية، استانبول – تركيا، ط 2، (د.ت).
- ✓ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ – 2004م.
- ✓ معجم آيات الاقتباس، صنع وترتيب حكمت فرج البدري، دار الحرية للطباعة – بغداد، 1980.
- ✓ معجم شمال المغرب، لعبد العال عبد المنعم سيد، دار الكتاب العربي – القاهرة، 1968.

- ✓ معجم مصطلحات الصوفية، تأليف: عبد المنعم الحنفي، دار المسيرة – بيروت، ط2، 1407هـ – 1987م.
- ✓ معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (ت 395ه). تحقيق: عبد السلام هـارون. دار الفكر.
- ✓ المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ، تح: علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلـوم الإنسـانية، أكـادير، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط ، ط1، 1996.
- ✓ المغرب عبر التاريخ، لإبراهيم حركات (ت2020هـ)، دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء، ط2، 1415 – 1994.
- ✓ مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف السكاكي (ت626هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1420هـ – 2000م.
- ✓ المقدمة، لعبد الرحمن بن خلدون (ت808 ه)، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1421هـ – 2001م.
- ✓ من بلاغة القرآن، تأليف أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، 2005م.
- ✓ مناقب الحضيكي، لمحمد الحضيكي، المطبعة العربية – الدار البيضاء، 1938.
- ✓ المناقب المغربية بين التصنيف والتجنيس، بحث لنيل دكتوراه الدولة في اللغة العربية وآدابها، مرقونة، العمري محمد – تطوان، 2003 – 2004م.
- ✓ مناهج تحقيق التراث بين القدامىٰ والمحدثين، لرمضـان عبـد التـواب، مكتبـة الخـانجي – القـاهرة، ط1، 1406هـ – 1985م.
- ✓ المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية، لأبي عبـد الله محمـد الصـغير الفاسي (ت1134هـ)، تح: محمد الصقلي الحسني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية.
- ✓ المنهاج في ترتيب الحجاج، لأبي الوليد الباجي، تح: هبد المجيد التركي، دار الغرب الإسـلامي – المغـرب، ط2، 1987م.
- ✓ المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام الحافظ محيي الدين أبي زكريا النووي (ت676هـ)، بيت الأفكار الدولية، عمان – الأردن.
- ✓ الموافقات في أصول الشريعة، للعلامة المحقق أبي إسحاق الشاطبي (ت790هـ)، ضبط وتقديم وشرح: عبد الله دراز – عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1425هـ – 2004م.

- ✓ مواهبُ الأَرَب المُبْرِئَة من الجرب في السماع وآلات الطرب، لأبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الحسني، تح: هشام بن محمد حيجر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1971.
- ✓ مؤرخو الشرفاء، تأليف: لڤي بروڤانصال (ت1956م)، تعريب: عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر – الرباط، 1397 – 1977.
- ✓ موسوعة أعلام المغرب، تنسيق محمد حجي (ت2003م)، نشر دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1417هـ – 1996م.
- ✓ موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، لرفيق العجم، سلسلة المصطلحات العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ط1، 1999.

[ن]

- ✓ النبوغ المغربي في الأدب العربي، تأليف: عبد الله كنون (ت1989م)، بيروت – لبنان، 1975.
- ✓ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، للإفراني (ت1156هـ)، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1998.
- ✓ نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تأليف محمد بن الطيب القادري (ت1187هـ)، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق، نشر وتوزيع مكتبة الطالب (منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر والتوزيع) – الرباط، ط1، 1407 – 1976.
- ✓ النقود المغربية في القرن الثامن عشر، أغا عمر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ط1، 1993.
- ✓ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، طبع على هامش الديباج المذهب لابن فرحون، مطبعة المعاهد، القاهرة، 1351هـ – 1932م.
- ✓ نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، للشوكاني، تح: محمد بن حسن حلاق، دار ابن الجوزي، ط1، شوال 1424هـ.

[و]

- ✓ الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق جماعة من المستشرقين الألمان، في فيسبادن، 1962–1974.
- ✓ وصف إفريقيا، للحسن بن محمد الوزان الفاسي، المعروف بليون الإفريقي، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983.

- ✓ وظيفة الوصف في الرواية، لعبد اللطيف محمود، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون – الجزائر، ط1، 1430هـ – 2009م.
- ✓ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، دار صادر – بيروت، 1972.
- ✓ وفيات الرسموكي"، لأحمد الرسموكي، مطبعة الساحل – الرباط، 1988.

ب- الأطاريح والرسائل الجامعية:

- ✓ تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان، حمدون بن محمد الطاهري الجوطي الفاسي، تح: محمد العمراني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، سلسلة رسائل وأطروحات، ر: 14، مطبعة سايس كرافيك – فاس، ط1، 1432هـ–2011م.
- ✓ الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، لأبي القاسم بن أحمد بن علي الزياني، تقديم وتحقيق عبيد غسان، رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، طبعة مرقونة بكلية الأداب والعلوم الإنسانية – الرباط، 1992.
- ✓ القيم في الإشهار التلفزيوني الجزائري، رسالة لنيل شهادة الماستر، من إعداد الطالبتين: العرباوي مكية، وميطرة اسمهان، إشراف: بلغيثية سميرة، 2013–2013.
- ✓ المصطلح السيميائي بين الفكر الغربي والفكر العربي، رسالة ماستر، ليلىٰ فالي، إشراف: جميلة روباش، جامعة محمد بوضياف، المسيلة – الجزائر، 1437هـ – 2016م.
- ✓ ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب، لعبد الرحمان الفاسي، تح: حفيظة الدازي، رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، طبعة مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط،1991.

ج- الندوات والسلسلات والمجلات:

- ✓ أعمال الندوة الوطنية، الدراسات الإسبانية في المغرب، الحصيلة والآفاق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز – فاس، 2010، مقال، الترجمة والتناص، لعلال الزعيم علال الزعيم.
- ✓ سلسلة النقد المعرفي (2)، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، أطياف النص، دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، لمحمد سالم سعد الله.
- ✓ مجلة أفق إلكترونية. التناص (النشأة والمفهوم)، مقال: جدارية محمود درويش نموذجا، لإيمان الشنيني.
- ✓ مجلة جامعة دمشق، مج18، ع2، 2002، مقال: السيميولوجيا بقراءة رولان بارث، لوائل بركات.

- ✓ مجلة دعوة الحق، العدد9-10، غشت 1968، مقال: الشيخ عبد الرحمن المجذوب: عصره وأثاره، لعبد القادر الخلادي.
- ✓ مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، المج25، ع3، يناير، مارس، 1997، مقال: السيميوطيقا والعنونة، لجميل حمداوي.
- ✓ مجلة عالم الفكر، مج: 28، العدد:01 – الكويت، 1999، شعرية عنوان كتاب الساق على الساق، مقال: لمحمد الهادي المطوي.
- ✓ مجلة عالم الفكر، ع1، يوليو 2001، مقال: الحجاج والاستدلال الحجاجي، (عناصر استقصاء نظري)، لحبيب أعراب.
- ✓ مجلة عوارف، عدد مزدوج 4-5، سنة 2010م، مقال: من أعلام التصوف بمدينة فاس خلال القرن الثامن عشر: سيدي قاسم ابن رحمون الزرهوني الفاسي، لمحمد العمراني.
- ✓ مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – فاس، ع 9، 1987، مقال: آليات تناسل الخطاب الشعري، لمحمد مفتاح.
- ✓ مجلة الموقف الأدبي – دمشق، ع 355، نيسان 2001، مقال: التناص (اقتحام الذات عالم الآخر)، حسن فلاح أوغيلي.
- ✓ مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الإصدار مائة وأربعة – الكويت، 1436هـ – 2015م، مقال: مأخذ العلم، لابن فارس، تح: محمد بن ناصر العجمي.

ثانيا: باللسان العجمي:

- Cambridge, Advanced, Learners: dictionary, Cambridge University Press, 2nd Pub, 2004.
- Cours de Linguistique général, Ferdinand De Saussure, Général, Ed2 Enag, Editions, Alger,1994.
- Course in Général Lingustics, F, De Sausure, Translated, By W, Baskin, New York, 1959.
- Essais Sur l'argumentation, Introduction linguistique à la parole argumentative, plautin, 1990.
- Le Gharb, in archives marocaines, Michaux- Bellaire Edward, vol, XX, paris,1913.
- Le grand Robert, Dictionnaire de la langue français, 1er rédaction, paris, 1989.
- Le Maroc inconnu, A, Moulieras, Paris, 1899.
- Le vers luis même les problèmes du vers, Tynianov Louri, 1977.

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
آية قرآنية	أ
الإهداء	ب
الشكر	ج
كشاف الرموز	د
مقدمة التحقيق	1
قسم الدراسة	9
الفصل الأول: ترجمة المؤلف والتعريف بالكتاب	10
المبحث الأول: ترجمة المؤلف وعصره	11
المطلب الأول: شخصيته	11
الفرع الأول: اسمه ونسبه وعلمه	11
الفرع الثاني: مهامه ووظائفه	12
الفرع الثالث: شيوخه وتلامذته	12
الفرع الرابع: وفاته	12
المطلب الثاني: عصره	13
الفرع الأول: الظروف السياسية	13
أولا: زمن المولى إسماعيل	13
ثانيا: زمن (الفترة)	14
الفرع الثاني: الظروف الاجتماعية والاقتصادية	15
أولا: زمن المولى إسماعيل	15

ثانيا: زمن (الفترة)	15
الفرع الثالث: الظروف العلمية الفكرية	16
أولا: زمن المولى إسماعيل	16
ثانيا: زمن (الفترة)	17
المبحث الثاني: التعريف بالكتاب	18
المطلب الأول: تحقيق العنوان/ ونسبته إلى المصنف/ وسبب تأليفه/ وموضوعه/ ومنهجه/ ومصادره	18
الفرع الأول: توثيق نسبة الكتاب إلى صاحبه، وتحقيق عنوانه	18
الفرع الثاني: سبب تأليفه	19
الفرع الثالث: موضوعه	20
الفرع الرابع: منهجه ومصادره	20
أولا: المنهج	20
ثانيا: مصادره	20
أ- المصادر المكتوبة الصريحة:	20
ب- المصادر المكتوبة الضمنية:	20
ت- التجربة الشخصية:	20
ث- الأخذ الشفهي:	21
ج- الرؤيا:	21
المطلب الثاني: وصف نسختي المخطوط/ وعرض نماذج منها	23
الفرع الأول: النسختان المعتمدتان في التحقيق ووصفهما	23
الفرع الثاني: خصائص الكتابة من حيث الرسم في النسختين	25
الفرع الثالث: نماذج من لوحات نسختي المخطوطتين	27
الفصل الثاني: المقومات الجمالية والفكرية للكتاب	33

المبحث الأول: المقومات الجمالية {بلاغة الحجاج وأساليبه الإقناعية، وتجلياته في الكتاب}	34
المطلب الأول: مفهوم الحجاج وأساليبه الإقناعية	35
الفرع الأول: مفهوم الحجاج	35
الفرع الثاني: الأساليب الحجاجية الواردة في الكتاب	38
المطلب الثاني: تجليات الأساليب الحجاجية في الكتاب	39
الفرع الأول: حجاجية العنوان؛ {قراءة سيميائية لعنوان الكتاب}	39
أولا: مفهوم السيمياء	41
ثانيا: مفهوم العلامة	47
ثالثا: العنوان: مفهومه/ أنواعه/ مكانه وعلاقته بالنص/ تحليله	47
أ- مفهوم العنوان	48
ب- أنواعه	50
ج- مكانه وعلاقته بالنص	50
د- قراءة سيميائية للعنوان المدروس (التحليل)	52
• العنوان الرئيس	56
أ- الدلالة البصرية	54
ب- الدلالة المعجمية	55
ج- الدلالة التركيبية (النحوية)	56
د- الدلالة البلاغية	57
هـ- الدلالة العميقة	57
• العناوين الداخلية	58
الفرع الثاني: حجاجية التناص	61
أولا: مفهوم التناص	61
ثانيا: أنواع التناص	65

1- الاقتباس {المفهوم والتجليات}	65
أ- مفهومه	65
ب- تجلياته عند ابن يخلف من خلال الكتاب	66
* الاستشهاد بالقرآن	66
* الاستشهاد بالحديث	68
2- التضمين {مفهومه وتجلياته}	70
أ- مفهومه	70
ب- تجلياته في الكتاب	70
* الاستشهاد بالشعر	70
* الشاهد بالمثل وبأقوال أهل العلم والعارفين	73
الفرع الثالث: حجاجية الخطاب البلاغي	75
أولا: علم المعاني	75
1- أسلوب الخبر	76
2- أسلوب الإنشاء	77
أ- الأمر	77
ب- النهي	78
ج- الاستفهام	79
د- التمني	79
هـ - الدعاء	80
و- القسم	81
ي- التكرار	81
ثانيا: علم البيان	83
1- التشبيه	84
2- الاستعارة	88
2- الكناية	90
ثالثا: علم البديع	92

1- المحسنات اللفظية	93
أ-السجع	93
ب- الجناس	94
2- المحسنات المعنوية	96
أ – الطباق	96
ب – المقابلة	97
الفرع الرابع: حجاجية السرد	98
أولا: مفهوم السرد	98
ثانيا: تجليات السرد في الكتاب من خلال أسلوبي الوصف والحوار	99
1- أسلوب الوصف {المفهوم والتجليات}	99
2- أسلوب الحوار {المفهوم والتجليات}	102
الفرع الخامس: أساليب علماء الحديث	105
أولا: المشافهة	105
ثانيا: أسلوب المشاهدة والمعاينة (التجربة الشخصية)	106
الفرع السادس: المصادر والمراجع المكتوبة	108
الفرع السابع: الاحتجاج برأي المنكر والمخالف	109
المبحث الثاني: المقومات الفكرية للكتاب	111
المطلب الأول: القضايا العقدية {الكرامة، الاستغاثة، التوسل، الشفاعة، التبرك، الذبح، النذر}	113
الفرع الأول: في الكرامة	113
أولا: مفهومها	113
ثانيا: حجيتها وآراء بعض أهل العلم فيها	113
1- الحجية	113
2- أراء أهل العلم فيها	113

ثالثا: أنواعها وفوائدها	116
رابعا: حدودها وضوابطها	117
خامسا: الكرامة وتمييزها عن غيرها من المشابهات (المجاورات)	119
1- الكرامة والمعجزة	118
2- الكرامة والنقبة	119
3- الكرامة والاستدراج	119
4- الكرامة والسحر	120
الفرع الثاني: الاستغاثة والتوسل والشفاعة والتبرك والذبح والنذر	123
أولا: الاستغاثة	123
1- مفهومها	123
2- أقسامها	123
ثانيا: التوسل	124
1- مفهومه	124
2- أقسامه	125
3- أقوال بعض أهل العلم في التوسل	127
ثالثا: الشفاعة	127
1- مفهومها	127
2- أقسامها	127
رابعا: التبرك	129
1- مفهومه	129
2- مسألة	129
الفرع الثالث: مسائل غيبية مختلفة {تحليل ومناقشة}	131
أولا: عرض للمسائل الغيبية الواردة في الكتاب	131
ثانيا: بعض الأدلة الشرعية المسند إليها في التحليل والمناقشة	133
1- الآيات القرآنية الصريحة	133
2- الأحاديث النبوية الصحيحة	134

ثالث: التحليل والمناقشة	135
1- تفسير بعض الآيات	135
2- شرح بعض الأحاديث	136
3- النقد والتقويم	137
4- تعقيب	139
رابعا: توابع	140
المطلب الثاني: القضايا الفقهية {السماع/ الرقص/ التصفيق}	143
الفرع الأول: في السماع	144
أولا: مفهومه	144
ثانيا: حكمه	145
أ- مذهب المانعين	145
ب- مذهب المجوزين	147
ج- مذهب وسط	149
ثالثا: ضوابطه وشروطه	150
الفرع الثاني: في الرقص والتصفيق	153
أولا: الرقص	153
1- مفهومه	153
2- حكم الرقص بين الاستحسان والاستهجان	153
أ- في استحسانه	153
ب- في استهجانه	154
ج- رأي وسط	155
الفرع الثالث: في التصفيق	156
قسم التحقيق	158
[استهلال المؤلف]	159

مقدمة المؤلِّف	166
[ورده]	173
[شيوخه]	174
[تلامذته]	177
[وفاته]	178
[أبناؤه]	179
[كلامه]	181
الباب الأول	183
[مؤلفاته]	186
[في أحواله وأخلاقه وأشواقه وأذواقه]	189
الباب الثاني	190
الباب الثالث	233
الباب الرابع	252
فصل فيما وقع منها برا	252
فصل فيما وقع منها بحرا	282
الباب الخامس	285
الباب السادس	292
خاتمة العمل {خلاصات ونتائج وآفاق}	298
الفهارس الفنية العامة	301

فهرس الآيات القرآنية	302
فهرس الأحاديث والآثار	306
فهرس الأشعار والأزجال	307
فهرس الأعلام	308
فهرس المصطلحات الصوفية	317
فهرس البلدان والأماكن	326
فهرس القبائل والأهالي	330
فهرس الفرق والطوائف	331
فهرس الكتب الواردة في الكتاب	332
فهرس المصادر والمراجع	333
فهرس الموضوعات	352